

معارج الفوائد

شرح سُلَيْم الوُصُول إلى عِلْم الْأُصُول
(في التَّوْحِيدِ)

تأليف
الشيخ حَافِظ بن أَحْمَد الْحَكِيمِي
(١٣٤٢ - ١٤٣٧ هـ)

فَرَّجَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَفَقَّاهُ عَلَيْهِ وَفَرَّجَ أَلْبَابَهُ
عُمَرُ بْنُ مَحْمُودِ أَبُو عُمَرَ

دَارُ ابْنِ الْقَيْمِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

مَعَالِجُ الْقُبُولِ

بشرح سُلَمِ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ
(فِي التَّوْحِيدِ)

تَأْلِيفُ
الْشَيْخِ حَافِظِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَكِيِّ
(١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ)

المجلد الأول

ضبط زنته وعلوه عليه وفتح أمارته
عُمر بن محمود أبو عمر

دَارُ ابْنِ الْقَيْمِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

مَعَالِجُ الْقَبُولِ

بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
(في التوحيد)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

مزيّة بفهارس علميّة

دار ابن القيم

للنشر والتوزيع

المملكة العربيّة السعوديّة - الدمام

ص.ب ١٨٦٥ - الدمام الرمز البريدي ٣١٩٨٢

هاتف: ٨٢٦٨٣٤٣ - فاكس: ٨٢٦٩٨٦٤

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران / ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء / ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب / ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

إِنَّ الْمَهْمَةَ الْعَظْمَى لِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ هِيَ بَيَانُ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا

يتعلق بهذا التوحيد من اقتضاء ولوازم، إذ به تُسلك طريق الجنة وبه يحل الرضوان (ورضوان من الله أكبر) وبه تزكو النفوس وتعمر.

وإذ الأمر كذلك فإن التوحيد أولاً وقبل كل شيء :-

التوحيد: علماً ومعرفةً (فاعلم أنه لا إله إلا الله).

التوحيد: سلوكاً ومعايشةً.

التوحيد: دعوة وجهاداً.

فهو أولاً وقبل كل شيء، ومحاولة تخطي هذا السبيل هو ضرب من الهلكة وتجاوز للمنهج الأقوم وتعدُّ على دعوة رسول الله ﷺ.

والتوحيد المقصود هو توحيد الكتاب والسنة، نعتقد ما تأمر النصوص، ونقف حيث تقف. ومحاولة ولوج العقائد عن طريق القياس ومناهج المتكلمين يجعل البصر يرتد حسيراً خاسئاً ولن يجني إلا التحير، وعند الموت سيتمنى دين العجائز. (ومن تدبر القرآن وتصفح السنة والتاريخ علم يقيناً أنه لم يكن بين يدي السلف مأخذ يأخذون منه عقائدهم غير المأخذين السلفيين [الوحي والفطرة]، وأنهم كانوا بغاية الثقة بهما، والرغبة عما عداهما، وإلى ذلك دعاهم الشرع حتى لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن من الحض على ذلك. وهذا يقضي قضاءً باتاً بأن عقائدهم هي العقائد التي يثمرها المأخذان السلفيان، يقطعون بما يفيدان فيه عندهم القطع، ويظنون ما لا يفيدان فيه إلا الظن، ويقفون عما عدا ذلك، وهذا هو الذي تبينه الأخبار المنقولة عنهم كما تراها في التفاسير السلفية وكتب السنة، وهو الذي نقله أصاغر الصحابة عن أكابرهم، ثم نقله أعلم التابعين بالصحابة وأخصهم بهم وأتبعهم لهم عنهم، ثم نقله صغار التابعين عن كبارهم، وهكذا نقله عن التابعين أعلم أتباعهم بهم، وأتبعهم لهم، وهلم جرا) المعلمي في التنكيل (٣٤٤/١).

ومن هنا فإن التصنيف في العقائد هي مهمة المهمات وليس لها إلا الرجال، وليست الصعوبة في شيء إلا في عرضه سليماً واضحاً بعيداً كل البعد عن دخن

المصنفين وتعقيدات المتكلمين . وإذا كان الفقه هو معرفة الرخصة عن دليل فإن التوحيد هو الفطرة من غير تبديل . وقد وقع كثير من المصنفين في التوحيد في داء الكلام حتى صار هذا العلم خاصاً لقومٍ ما ومقصوراً عليهم مع أننا نعلم وهم يعلمون كذلك أن محمداً رسول الله ودعوته للناس كافة ولذلك كان رسول الله ﷺ يلقي على أصحابه رضي الله عنهم صفات الله تعالى وكان فيهم التفاوت في الأفهام والعقول وكم ورد الخلاف بينهم في مسائل عدّة إلا أن مسائل التوحيد لم تختلف عندهم ولم يراجعوا رسول الله ﷺ في شيء منها . قال المقرئ في خطه : (ولما بعث الله محمداً ﷺ إلى الناس وصف لهم ربهم بما وصف به نفسه، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم، قرويههم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة، وشرائع الإسلام . إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات لنقل، كما نقلت أحاديث الأحكام وغيرها . ومن أمعن النظر في دواوين الحديث والآثار عن السلف، علم أنه لم يرد قط لا من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة على اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم، أنه سأل النبي ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه في القرآن وعلى لسان نبيه، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا سكوت فاهم مقتنع، ولم يفرقوا بين صفة وأخرى، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء منها، بل أجروا الصفات كما وردت بأجمعهم ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به سوى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ). الخطط (٣/٣٠٩).

ومع هذا الذي ذكرنا صارت مباحث التوحيد مربوطة في أذهان طلبة العلم بالتعقيد والفسطة الكلامية . ولي في هذا تجربة :

أولاً : في معاهد العلم : فأبغض المباحث عند الطلبة مبحث (العقيدة) ليس لذاتها وحاشي أن يكون ذلك ولكن لأسلوب عرضها حتى صارت القاعدة عند بعض المدرسين : تقول : سأتكلم كلاماً لا أفهمه أنا ولا يفهمه السامع حتى يقال عني عالم .

ثانياً : كثيراً ما سألني طلبة علم في بداية طريقهم عن كتاب فيه مسائل التوحيد

ليصبح عندهم بصورة تفصيلية واضحة فأصاب بالتردد وليس ذلك لقلتها بل هي بحمد الله كثيرة ولكن لأن مصنفات التوحيد التعليمية (وأقصد المصنفات السلفية) قلما تخلو من مراجعات كلامية لإثبات مسائل في التوحيد. فيشكو طالب العلم من هذا كثيراً.

والحمد لله هو لكل حمد أهل فإني مع كثرة نظري في هذا العلم والبحث في مظانّه وقد راجعت فيه الكثير مرّة بعد مرّة وقد وفقني الله تعالى أن نشطت للرد على بعض كتب الكلاميين المشتهرة في بلادنا وخاصة الكتاب المشتهر باسم «شرح جوهرة التوحيد» للبيجوري فإني أرى أن كتاب العلامة حافظ بن أحمد الحكمي: «معارج القبول بشرح سلّم الوصول، إلى علم الأصول في التوحيد». هو في الطبقة العليا من المفاريد: استقصاءً وسهولة وقصر الأدلة على المأخذين السلفيين.

وبفضل الله تعالى وحده فإني وجهت همتي نحوه بمشورة بعض أهل الخير لإخراجه إخراجاً علمياً لتتم منه الفائدة ويحصل بسببه ما رجي منه مؤلفه حين قال: والله أسأل أن يعين على إكماله بمنّه وفضله، وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله.

وأصل الكتاب هو نظم مختصر فيه بيان عقيدة السلف، نظمه كما قال بسؤال أحد المحبين له، وضم فيه مسائل أخرى نافعة تتعلق بما افتتن به العامة من صرف عباداتهم إلى القبور والأحجار والأشجار وسمّى النظم (سلّم الوصول إلى مباحث علم الأصول) قال الشيخ رحمه الله: فلما انتشر (النظم) بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأجيال، سئل مني أن أعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يحل مشكله، ويفصل مجمله، مقتصر على ذكر الدليل ومدلوله، من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه، واستقدرته بقدرته، فعنّ لي أن أعزم على ذلك الأمر المسئول، مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل السؤل، وسميته (معارج القبول، بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول). أ. هـ.

وقد قصرت عملي في هذا الكتاب على النحو التالي:

١ - قمت بضبط النصوص من آياتٍ وأحاديثٍ وذلك بحسب ورودها في مظانها.

٢ - عزوت الآيات إلى مظانها مع كثرتها إذ كان الشيخ رحمه الله يسوق في المبحث أغلب ما يطرأ على ذهنه من آيات قرآنية فيثبتها. وقد جعلت العزو في الأصل وليس في الحواشي والسبب في ذلك كثرة الآيات المستشهد بها فلو أثبتتها في الحواشي لكانت الحاشية أكبر من المتن.

٣ - قمت بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها والحكم عليها وذلك حسب قواعد هذا العلم العظيم مستعيناً بأقوال جهابذة هذا الفن وأحكامهم. وقمت بتخريج الحديث تخريجاً مطولاً حاولت استقصاء مظانه وكلام الأئمة على رجاله والكلام فيه إن ذكر إلا أنني وجدت أن إثبات هذا التخريج في حواشي الكتاب سيضر به وذلك لسببين:

الأول: أن الكتاب سيصبح ضخماً جداً وربما يصبح التخريج أكبر من الأصل وذلك لكثرة الأحاديث فيه إذ أنه في الجزء الأول فقط أكثر من خمسين وستماية حديث نبوي شريف، من غير الأقوال الأثرية ومصادر التفسير.

ثانياً: أن في هذا التخريج شغل للقاريء عن المتن، ولأن الكتاب كتاب تعليمي فإن مراد القاريء تحصيل مراده من المتن وكذلك معرفته صحة الأحاديث وثبوتها ولذلك قصرت تخريجي على النحو التالي:

١ - إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما قصرت العزو عليه إلا إذا كان المصنف قد ذكر مع الصحيح بعض المصادر الحديثية الأخرى فإني أبين مكان ورودها في المصدر المحال عليه.

٢ - إذا كان المصنف قد عزى الحديث إلى مصادر حديثية غير الصحيحين وكان في أحدهما فإني أبين ذلك وأقتصر بذكره في المصدر المحيل عليه مع ذكره في الصحيح.

٣ - وإذا كان الحديث في غير الصحيحين فإني أقصر على ما اقتصر عليه

المؤلف في العزو إذ أنه الغالب عنده عزو الحديث لمصادره فإذا كان الحديث صحيحاً في المصدر المحال عليه ذكرت ذلك وإذا كان ضعيفاً بيّنته فإن كان له ما يقوّيه ذكرت فقط أن الحديث صحيح أو حسن لشواهد دون الإطالة في بيان شواهد ومتابعاته . وإذا كان ضعيفاً ولم أجد له من الشواهد ما يقوّيه اقتصر على عزو المصنف وبيان ضعف الحديث فقط .

وقد ألحقت فيه ترجمة لمصنفه رحمه الله من قلم ابنه (أحمد بن حافظ الحكمي) كما أثبتتها كما هي . وكذلك نص المنظومة في بداية الكتاب ولابنه تعليقات عليها أثبتتها كما هي وذلك لفائدتها .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل عملي هذا في ميزان صحيفتي المقبولة يوم القيامة وأن يغفر زللي وخطلي . . وقد بذلت جهدي وهو جهد المقل «وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع» .

والحمد لله رب العالمين .

أبو قتادة

عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن مؤلف الكتاب

الشيخ العلامة

حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ)

بقلم ابنه

الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية - الرياض

(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، وهو علم من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري).

والحكمي: نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيرة) بطن من (مذحج) من (كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

مولده ونشأته:

ولد الشيخ حافظ لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضاي) - الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة (جازان) حاضرة المنطقة، على الساحل، قرية منها - حيث تقيم قبيلته التي إليها ينتسب.

ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية (الجاضع) التابعة لمدينة (سامطة) في نفس المنطقة، وهو ما يزال صغيراً؛ لأن أكثر مصالح والده - من أراض زراعية ومواش ونحوهما - كانت هناك، وإن بقيت أسرته الصغيرة تنتقل بين قريتي (السلام) و(الجاضع) لظروفها المعيشية.

ونشأ حافظ في كنف والديه نشأة صالحة طيبة، تربى فيها على العفاف والطهارة وحسن الخلق، وكان قبل بلوغه يقوم برعي غنم والديه التي كانت أهم ثروة لديهم آنذاك جرياً على عادة المجتمع في ذلك الوقت، إلا أن حافظاً لم يكن كغيره من فتيان مجتمعه؛ فقد كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم، فلقد ختم القرآن وحفظ الكثير منه وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة بعد، وكذلك تعلم الخط وأحسن الكتابة منذ الصغر.

طلبه العلم:

عندما بلغ حافظ من العمر سبع سنوات أدخله والده مع شقيقه الأكبر محمد^(١) مدرسة لتعليم القرآن الكريم بقرية (الجاضع) فقرأ على مدرّسه بها جزأي (عم، وتبارك)؛ ثم واصل قراءته مع أخيه حتى أتم قراءة القرآن مجوّد خلال أشهر معدودة، ثم أكمل حفظه حفظاً تاماً بعيد ذلك.

اشتغل بعدئذ بتحسين الخط فأولاه أكبر جهوده حتى أتقنه، وكان ينسخ من مصحف مكتوب بخط ممتاز، إلى جانب اشتغاله مع أخيه بقراءة بعض كتب الفقه والفرائض والحديث والتفسير والتوحيد مطالعة وحفظاً بمنزل والده إذ لم يكن بالقرية عالم يوثق بعلمه فيتلمذ على يديه.

وفي مطلع سنة ١٣٥٨ هـ قدم من (نجد) الشيخ الداعية المصلح عبدالله بن

(١) هو الآن من خيرة علماء المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية وذوي الفضل فيها، له نشاط ملموس في الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية الرصينة، تولى إدارة معهد سامطة العلمي أكثر من عشرين عاماً بعد رحيل أخيه الشيخ حافظ الذي كان أول مدير لهذا المعهد. أسأل الله أن يطيل في عمره وأن ينفع به وأن يمتع بالصحة ويجعل التوفيق حليفه دائماً.

محمد بن حمد القرعاوي^(١) إلى منطقة (تهامة) في جنوب المملكة، بعد أن سمع عما كان فيها من الجهل والبدع - شأن كل منطقة يقل فيها الدعاة والمصلحون أو يندمون - ونذر نفسه مخلصاً على أن يقوم بالدعوة إلى الدين القويم، وتصحيح العقيدة الإسلامية في النفوس، وإلى إصلاح المجتمع وإزاحة ما كان عالقاً في أذهان الجهال من اعتقادات فاسدة وخرافات مضلة.

وفي سنة ١٣٥٩ هـ قدم شقيق حافظ عمي (محمد بن أحمد) برسالة منه ومن أخيه حافظ يطلبان فيها من الشيخ القرعاوي كتباً في التوحيد، ويعتذران عن عدم القدرة على المجيء إليه لانشغالهما بخدمة والديهما والعناية بشؤونهما، كما يطلبان منه - إن كان في استطاعته - أن يتوجه إليهما بقريتهما ليسمعا منه بعض ما يلقي من دروس، وفعللاً لبى الشيخ طلبهما وذهب إلى قريتهما، وهناك التقى بحافظ وعرفه عن كُتب، وتوسم فيه النجابة والذكاء، وقد صدقت فيه فراسته.

ومكث الشيخ عدة أيام في (الجاضع) ألقى فيها بعض دروسه العلمية التي حضرها مجموعة من شيوخ القرية وشبابها ومن بينهم حافظ الذي كان أصغرهم سناً، لكنه كان أسرعهم فهماً وأكثرهم حفظاً واستيعاباً لما يلقي الشيخ من معلومات، يقول عنه الشيخ عبدالله القرعاوي: «وهكذا جلست عدة أيام في الجاضع، وحافظ يأخذ الدروس وإن فاته شيء نقله من زملائه، فهو على اسمه (حافظ) يحفظ بقلبه وخطه، والطلبة الكبار كانوا يراجعونه في كل ما يشكل عليهم في المعنى والكتابة، لأنني كنت أملي عليهم إملاء ثم أشرحه لهم»^(٢).

(١) ولد الشيخ عبدالله القرعاوي - وهو جدي لامي - في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم من نجد سنة ١٣١٥ هـ وتوفي بمدينة الرياض سنة ١٣٨٩ هـ - رحمه الله تعالى -، وقد كان له الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية في المنطقة الجنوبية من المملكة (تهامة وعسير)، وكانت لدعوته السلفية الإصلاحية هناك نتائج إيجابية وآثار إصلاحية عظيمة على تلك المنطقة وأبنائها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية - أنظر بحثاً عنه وعن دعوته وآثارها كتبته في: مجلة (العرب) التي تصدر في الرياض: (مجلد ٨٠ / ج ٧ و ٨، ص ٥٢٣ - ٥٣٠).

(٢) نقلت هذا من رسالة صغيرة كتبها جدي الشيخ عبدالله القرعاوي بخطه وذكر فيها شيئاً موجزاً عن حياته، احتفظ بها لدي.

وعندما أراد الشيخ العودة إلى مدينة (سامطة) التي جعلها مقراً له ومركزاً لدعوته، طلب من والدي حافظ أن يرسلاه معه ليطلب العلم على يديه في (سامطة) على أن يجعل لهما من يرعى غنمهما بدلاً عنه، ولكنهما رفضا طلب الشيخ أول الأمر وأصرّا على أن يبقى ابنهما الصغير في خدمتهما لحاجتهما الكبيرة إليه.

وتشاء إرادة الله أن لا تطول حياة والدته بعد ذلك إذ توفيت في شهر رجب سنة ١٣٦٠ هـ فيسمح والده له ولأخيه محمد بأن يذهبا إلى الشيخ للدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعودا إليه؛ فكان حافظ لذلك يذهب إلى الشيخ في (سامطة) فيملي عليه الدروس، ثم يعود إلى قريته، وكان ملهماً يفهم ويعي كل ما يقرأ أو يسمع من معلومات.

ولم يعمر والده بعد ذلك إذ انتقل إلى جوار ربه وهو عائد من حجّ سنة ١٣٦٠ هـ رحمه الله - فتفرغ حافظ للدراسة والتحصيل، وذهب إلى شيخه ولازمه ملازمة دائمة يقرأ عليه ويستفيد منه.

وكان حافظ في كل دراساته على شيخه مبرزاً ونابهة، فأثمر في العلم بسرعة فائقة، وأجاد قول الشعر والنثر معاً، وألف مؤلفات عديدة في كثير من العلوم والفنون الإسلامية - سنقف على أسمائها -، ولقد كان قال عنه شيخه: «لم يكن له نظير في التحصيل والتأليف والتعليم والإدارة في وقت قصير»^(١).

علمه:

مكث حافظ يطلب العلم على يد شيخه الجليل عبدالله القرعاوي، ويعمل على تحصيله، ويقتني الكتب القيمة والنادرة من أمهات المصادر الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها ويستوعبها قراءة وفهماً.

وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره - ومع صغر سنه - طلب منه شيخه أن

(١) المصدر السابق.

يؤلف كتاباً في توحيد الله، يشتمل على عقيدة السلف الصالح، ويكون نظاماً ليسهل حفظه على الطلاب، يعدّ بمثابة اختبار له يدل على القدر الذي استفاد من قراءاته وتحصيله العلمي؛ فصنف منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) التي انتهت من تسويدها في سنة ١٣٦٢ هـ وقد أجاد فيها، ولاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له.

ثم تابع تصنيف الكتب بعد ذلك، فألّف في التوحيد، وفي مصطلح الحديث، وفي الفقه وأصوله، وفي الفرائض، وفي السيرة النبوية، وفي الوصايا والآداب العلمية، وغير ذلك نظاماً ونثراً، وقد طبعت جميعها طبعتها الأولى على نفقة المغفور له جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

ويتضح لنا من آثاره العلمية أن أبرز مقروءاته ذات الأثر في منهجه العلمي ومؤلفاته هي تلك الكتب التي ألّفها علماء السلف الصالح من أهل السنة في العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصوله، أما في مجال العقيدة فقد بدا شديد التأثير بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كثير الاستفادة من مؤلفاتهما والأخذ عنها، هذا إلى جانب استيعابه لكثير من مصادر التاريخ والأدب واللغة والنحو والبيان المؤلفة في مختلف العصور الإسلامية.

ولقد كان - رحمه الله - عميق الفهم سريع الحفظ لما يقرأ، وقد مرّ بنا قول شيخه يشيد فيه بتلميذه حافظ، الذي كان يحفظ بقلبه وخطه - على حد تعبير الشيخ - وكان زملاؤه الكبار يراجعونه في كل ما يشكل عليهم منذ مراحل تعليمه الأولى.

أدبه:

يعدّ الشيخ حافظ من أجلّ علماء منطقة تهامة وأقدرهم على قول الشعر، فقد كان يعشق الشعر منذ صغره ويحفظه ويقول سليقة دون تكلف، فلا غرابة إذ رأيناه يُخرج أكثر مؤلفاته نظاماً.

ولقد كان أكثر ما يقول الشعر - في غير ما كتبه من منظومات علمية - إما

نصيحة أو مساجلة لصديق أو وصفاً أو خاطرة، إلا أنه لم يدوّن جلّ ما قال إن لم يكن كله، وما بأيدينا منه الآن نزر يسير جداً حفظه عنه بعض تلاميذه.

ومن أهم قصائد شعر تلك القصيدة الميمية التي أنشأها في الوصايا والآداب العلمية، وهي طويلة جداً، نختار منها هذه الأبيات التي يصف فيها العلم ومنزلته:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعتُ	أذنّ، وأعرب عنه ناطقُ بفهم
العلم غايته القصوى ورتبته الـ	علياء فاسعوا إليه يا أولي الهمم
العلم أشرف مطلوب وطالبه	لله أكرم من يمشي على قدم
العلم نور مبين يستضيء به	أهل السعادة والجهال في الظلم
العلم أعلى حياة للعباد، كما	أهل الجهالة أموات بجهلهم

ثم يقول مرغباً في العلم، وحاضاً طالبه على الحرص عليه، والسعي قدر المستطاع لنيل أكبر قسط منه، وعدم الرضا بغيره عوضاً عنه، فمن حصل عليه فقد ظفر. ويوصي طلبة العلم بمساعدة غيرهم في تحصيله وتقريب مباحثه، ويشير عليهم قبل ذلك كله بأن يخلصوا نياتهم - في طلبه - لوجه الله الكريم:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلاً	فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
وقدّس العلم واعرف قدر حرمة	في القول والفعل، والآداب فالتزم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له	لويعلم المرء قدر العلم لم ينم
والنصح فابذله للطلاب محتسباً	في السر والجهر والأستاذ فاحترم
ومرجباً قل لمن يأتيك يطلبه	وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم
والنية اجعل لوجه الله خالصة	إن البناء بدون الأصل لم يقيم

وهناك أيضاً قصيدته الهمزية التي قالها في تشجيع الإسلام وأهله والدعوة إلى التمسك بأساسه وأصله، وهي لا تزال مخطوطة لم تنشر من قبل، وتقع في أكثر من مائتي بيت، من بحر الكامل على رويّ الهمزة. استعرض فيها ماضي المسلمين وحاضرهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم، كل ذلك بأسلوب قوي رصين، وتعبير جزل، بالإضافة إلى ما تفجّر في جوانب أبياتها من شعور فياض، ومعان سامية، وأهداف نبيلة، وروح عالية؛ تحدث في أولها عن الرسول الكريم

محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وقيامه بالدعوة إلى الله ، فقال :

ويعز ربي رسله والمؤمنين	جميعهم بالنصر والإنجاء
حتى استتم بناءهم بمحمد	أكرم به للرسل ختم بناء
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم	ممن تقل بسطة الغبراء
ما لا مرىء أبداً خروج عن شريد	عنه ونهج طريقه البيضاء
لم يقبض المولى تعالى روحه	حتى أشاد الدين بالإعلاء
وأتم نعمته وأكمل دينه	ولخلقه أداه أي أداء
ومضى وأتمه بأقوم منهج	وعلى محجة هديه البيضاء

ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين ومناهجهم في الحكم، وانتقل بعدهم يصف واقع المسلمين في العصور التي تلت عصر الخلفاء الراشدين، وعندما وصل إلى القرن السابع الهجري عصر شيخ الإسلام (ابن تيمية) وجدناه يقول :

وأتى بقرنٍ سابع من هجرة	علم به يؤتم في الظلماء
أعني بذاك الحبر أحمد من إلى	عبد الحليم نمي بلا استثناء
كم هاجم البدع الضلال وأهلها	بدلائل الوحيين خير ضياء
وقواعد التحريف هدأ أصولها	أعظم به هدماً لشر بناء
... وله جهاد ليس يُعهد مثله	إلا بعهد السادة الخلفاء

وبعد أن ذكر ما قام به ابن تيمية من قمع للفتن وإبادة للطغيان، تابع المسيرة إلى العصور الإسلامية التالية، مصوراً طبيعة الحياة التي كان يعيشها المسلمون في تلك الأزمنة، مشيراً إلى بعض المصلحين الذين سعوا لتصحيح الأوضاع في بلادهم كالشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري وغيره .

ثم ذهب يوجّه الخطاب إلى العلماء وطلاب العلم في عصره، مستنهِضاً همهم للدعوة إلى الله والإخلاص في العمل، والقيام بالواجب الملقى على عواتقهم نحو إخوانهم المسلمين في كل مكان، قائلاً :

هل تسمعون معاشر العلماء، ألا	تصغون نحو مقالتي وندائي؟!
... يا طالبي علم الشريعة فانهمضوا	وادعوا عباد الله باستهداء

انحوا بهم نحو الصراط المستقيم ورفض كل طريقة عوجاء
كيف انتصار المسلمين وجلّهم عن دينهم في غفلة عمياء؟!
وقد أطل في ذلك، وبهذا نكتفي.

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفاية كنماذج حية من شعر
الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - والتي تدل على تدفق شاعريته، وجودة شعره
الإسلامي وسمو غاياته.

أعماله:

عندما لمس الشيخ عبدالله القرعاوي تفوق تلميذه حافظ ونبوغه العلمي أقامه
مدرّساً لزملائه والمستجدين من التلاميذ، فألقى عليهم دروساً نافعة استفادوا منها
فائدة كبرى.

ثم عينه شيخه في سنة ١٣٦٣ هـ مديراً لمدرسة (سامطة) السلفية - أول وأكبر
مدرسة افتتحها الشيخ في المنطقة لطلاب العلم -، وأسند إليه أمر الإشراف على
مدارس القرى المجاورة.

واتسعت بعد ذلك مدارس الشيخ في منطقتي (تهامة وعسير) فما من مدينة أو
قرية إلا وأسس بها مدرسة أو أكثر تدرس العلوم الإسلامية^(١)، وجعل بها من تلاميذه
من يقوم بالتدريس فيها ويتولى شؤون إدارتها. ولما كان الشيخ يقوم في فترات
متعددة بجولات على مئات المدارس التي كان قد أسسها في المنطقة جعل تلميذه
الأول الشيخ حافظاً الحكمي مساعداً له يتولى الإشراف على سير التعليم وأمور
الإدارة أثناء تجوال الشيخ على مدارسه، فنهض حافظ بالعبء الملقى على عاتقه
وأدى الأمانة خير الأداء.

(١) أنظر شيئاً عن هذه المدارس وافتتاح بعضها في: (مجلة المنهل التي تصدر في جدة: مجلد ٨،
عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - في المقابلة التي أجريت مع الشيخ عبدالله القرعاوي -:
ص ١٨٥ - ١٩٦). وعداً لأوائل هذه المدارس وأهمها في مقالتي الذي كتبتة عن الشيخ عبدالله
القرعاوي في: (مجلة العرب التي تصدر في الرياض: المجلد ٨/ ص ٥٢٦).

ثم تنقل الشيخ حافظ - للقيام بواجبه مع شيخه - في عدة أماكن منها قرية (السلامة العليا) ومدينة (بيش: أم الخشب) في الجزء الشمالي من منطقة (جازان) وغيرهما، عاد بعدها إلى مدينة (سامطة) مرة أخرى يدير مدارسها ويساعد شيخه في تحمل المسؤولية والإشراف على سير التعليم ومواصلة تدعيم مهام الدعوة والإصلاح.

وهكذا مضى الشيخ حافظ يؤدي واجباته في سبيل النهوض بأبناء منطقته، وليرفع من مستواهم الثقافي والاجتماعي، وليفيدهم من علمه قدر ما يستطيع، فقد كان يجتمع إليه طلبة العلم من كل مكان للتلمذ على يديه فيستفيدون منه فائدة عظيمة، ومن طلبته الآن علماء أفاضل يتولون مناصب القضاء والتدريس والوعظ والإرشاد في جميع أنحاء المنطقة الجنوبية وغيرها.

وفي سنة ١٣٧٣ هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بـ (جازان) عاصمة المنطقة، فعين الشيخ حافظ أول مدير لها في ذلك العام.

ثم افتتح معهد علمي تابع للإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية آنذاك (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً) بمدينة (سامطة) في عام ١٣٧٤ هـ فعين الشيخ حافظ مديراً له؛ فقام بعمله هذا خير قيام، وكان يلقي فيه بعض المحاضرات ويملي على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعية واللغوية المفيدة، ويضع لهم المذكرات الدراسية للفنون التي لم تقرّر لها كتب علمية وفق المناهج المحددة، كان يملئها أحياناً بنفسه، وقد يملئها عن طريق المدرسين بالمعهد أحياناً أخرى.

صفاته:

كان الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - مثلاً يحتذى لكل طالب علم يريد التحصيل والعلم النافع، ومثلاً لكل عالم جليل متواضع يحب لتلاميذه وزملائه كل خير وصلاح.

ويكفي أن أورد هنا ما قاله عنه شقيقه الأكبر (عمي) الشيخ محمد بن أحمد

الحكمي - حفظه الله - في رسالة كتبها إليَّ إجابة لطلبي :

«كان رحمه الله على جانب كبير من الورع والكرم والعفة والتقوى، قويّ الإيمان، شديد التمسك، صداعاً بالحق، يأمر بالمعروف ويأتيه، وينهى عن المنكر ويبتعد عنه، لا تأخذه في الله لومة لائم.

«كانت مجالسه دائماً عامرة بالدرس والمذاكرة وتحصيل العلم، تغص بطلابه في البيت والمسجد والمدرسة، لا يملّ حديثه، ولا يسأم جلسه.

«كان جلّ أوقاته ملازماً لتلاوة القرآن الكريم، ومطالعة الكتب العلمية، بالإضافة إلى التدريس والتأليف والمذاكرة.

«وكان خفيف النفس يحب الرياضة والدعابة والمزاح مع زملائه وطلابه وزوّاره، مما يجذب قلوب الناس إليه، ويحبب إليهم مجالسته والاستفادة منه».

وفاته:

لم يزل الشيخ حافظ مديراً لمعهد سامطة العلمي حتى حجّ في سنة ١٣٧٧ هـ، وبعد انتهائه من أداء مناسك الحج لبي نداء ربه في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) بمكة المكرمة على إثر مرض ألمّ به، وهو في ريعان شبابه، إذ كان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر، ودفن بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وقد كان وقع خبر وفاته على شيخه وعلى أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديداً، والمصيبة به فادحة، وقد رثاه بعض تلاميذه رثاء حاراً يعكس مدى الفاجعة التي أصابتهم بموته، من ذلك قصيدة للشيخ الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، يقول في أولها:

لقد دوى على (المخلاف) صوتٌ	نعي التحرير عالمها الهماما
تفجّعت الجنوب وساكنوها	على بدر بها يحمو الظلاما
وذاعت في الدنا صيحات خطب	فهزّت من فجائعها الأناما

فكفكت الدموع على فقيد	على الإسلام شمر واستقاما
وأحيا في الربوع بيوت علم	وواسى مقعداً ورعى يتامى
أ (حافظ) كنت للعلياء قطباً	وللإسلام طوداً لا يسامى
وبحرراً في العلوم بعيد غور	كثير النفع قوَّاماً إماما
وما مُتّم فمنهجكم منار	يضيء دروبنا وبها أقاماً ^(١)

وممن رثاه أيضاً تلميذه الأستاذ إبراهيم بن حسن الشعبي بقصيدة، نفتطف منها قوله :

توفّي (حافظ) ركن البلاد	وخلف حسرة لي في الفؤاد
وقد ضاقت عليّ الأرض ذرعاً	بما رحبت ولم تسع البوادي
وساء الحال مني حين وافى	بنا نعي الفتى البطل العماد
لقد كنت المقدم في المزايا	من الخيرات يا قطب النوادي
... وكنت القائد المدعوّ فينا	فمن تختار بعدك للقياد؟
سلاح للمشاكل كنت قدماً	ومصباح البحوث بكل وادي
وفي كل العلوم مددت باعاً	وهمتك العلية في ازدياد

وقد خلف الشيخ - رحمه الله - بعد رحيله مكتبة علمية كبيرة عامرة بكل علم وفن، أوصى بأن تكون وفقاً على طلاب العلم ورواد المعرفة، فضمّت إلى معهد سامطة العلمي لينتفع بها المدرسون والطلاب، ولتبقى تحت إشراف إدارة المعهد.

كما خلف من تأليفه آثاراً علمية نافعة في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كل طالب علم، وسنشير إليها.

وله من الأبناء أربعة، هم: أحمد - كاتب هذه الأسطر -، وعبدالله، ومحمد، وعبد الرحمن، وفقهم الله جميعاً وسدد خطاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

(١) القصيدة في ديوان (الألمعيات) للدكتور زاهر الألمعي : ص ١٢٦ - ١٢٧.

مؤلفاته:

لوالدي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله تعالى - مؤلفات عديدة في: التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ والسيرة النبوية، والنصائح والوصايا والآداب العلمية. من هذه المؤلفات ما هو منظوم، ومنها ما هو منشور، وهي كما يلي:

أ - في التوحيد:

١ - (سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ) أرجوزة في أصول الدين، مطلعها:

أبدأ باسم الله مستعيناً راض به مدبراً معيناً

انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢ هـ، وهي أول ما ألف. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ١٦ ص).

٢ - (معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) وهو شرح مطول لأرجوزة (سلم الوصول) - المتقدم ذكرها -، انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦ هـ، ويقع في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة.

وهذا الكتاب أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف، يتمتع الآن بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعات الإسلامية، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمناً طويلاً على توزيعه مجاناً على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة، لما فيه من فوائد جمة، وما يحويه من معلومات قيمة في موضعه، ولحسن عرضه وتسويبه واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد.

٣ - (أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) كتاب مؤلف

على طريقة السؤال والجواب، انتهى من تسويده في غرة شهر شعبان سنة ١٣٦٥ هـ، وطبع طبعته الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٦٧ ص).

٤ - (الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة) منظومة دالية، مطلعها:
الحمد لله لا يحصى له عدد ولا يحيط به الأقلام والمدد
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ١٩ ص).

ب - في المصطلح:

٥ - (دليل أرباب الفلاح، لتحقيق فن الاصطلاح) كتاب جليل حافل في مصطلح الحديث، طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤ هـ (في ١٧٤ ص).

٦ - (اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون) منظومة، مطلعها:
الحمد كل الحمد للرحمن ذي الفضل والنعمة والإحسان
انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦ هـ، وطبع طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٨ ص).

ج - في الفقه:

٧ - (السبل السوية، لفقه السنن المروية) منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه المعروفة، مطلعها:
أبدأ باسم خالقي محمداً محسباً مكتفياً محوقلاً
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٣٤ ص).

د - في أصول الفقه:

٨ - (وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول) منظومة في أصول الفقه، مطلعها:

الحمد للعدل الحكيم الباري المستعان الواحد القهار

انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣ هـ، وتقع في ٦٤٠ بيتاً. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٣٥ ص).

٩ - متن (لامية المنسوخ) منظومة لامية الروى في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، مطلعها:

الحمد لله في الدارين متصل هو السلام فلا نقص ولا علل
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٠ ص).

هـ - في الفرائض:

١٠ - (النور الفاضل، من شمس الوحي، في علم الفرائض) رسالة منشورة في علم الفرائض، انتهى من كتابتها في ١٥ - ٨ - ١٣٦٥ هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ٤٦ ص).

و - في التاريخ والسيرة النبوية:

١١ - (نيل السؤل، من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ) منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتاً)، مطلعها:

الحمد لله المهيمن الأحد باري البرايا الواحد الفرد الصمد
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٥٢ ص).

ز - في النصائح والوصايا والآداب العلمية:

١٢ - نصيحة الإخوان المشهورة بـ (القائية)، وعنوانها: (هذا سؤال بشأن القات والدخان والشمعة)، وهي قصيدة ثائية، مطلعها:

حمداً لمن أسبغ النعما وألهمنا حمداً عليها بالطفاف خفيات

وقد طبع معها رد عليها لأحد أهل اليمن، ثم جواب الشيخ عليه، وفي الجواب الأخير فوائد جلية. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤ هـ (في ١٥ ص).

١٣ - (المنظومة الميمية، في الوصايا والآداب العلمية) قصيدة ميمية رائعة في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مطلعها:

الحمد لله رب العالمين على آلائه وهو أهل الحمد والنعيم

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٤ ص).

وقد طبعت جميع هذه الكتب من مؤلفات الوالد الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - طبعتها الأولى - ما أرخ منها وما لم يورخ - في سني ١٣٧٣ هـ - ١٣٧٤ هـ على نفقة جلالته المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة، عدا كتاب (معارض القبول) الذي طبع طبعها الأولى د. ت (نحو سنة ١٣٧٧ هـ) في المطبعة السلفية بمصر.

وللوالد الشيخ - من بعد - بعض الرسائل والمنظومات المخطوطة التي لم تطبع بعد، سنعمل على طبعها ونشرها في وقت قريب إن شاء الله، حتى ينتفع بها كما انتفع بغيرها من مؤلفاته المطبوعة، أهمها:

١ - (مفتاح دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام).

٢ - (شرح الورقات، في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني).

٣ - (همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأهله، والتمسك كل التمسك بأساسه وأصله).

٤ - (مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية).

وكل مؤلفاته - رحمه الله - تعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهي كتب قيمة يكفي للدلالة على جودتها وقيمتها أن بعضها عرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتي الديار السعودية آنذاك، رحمه الله - فاستحسنها واستجادها وأشار إلى الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء، لما فيها من فوائد جمة، ونصائح عامة نافعة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها

تحضهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ، وعلى اتباع السلف
الصالح والأئمة المبرزين من علماء المسلمين.

رحم الله الشيخ حافظاً الحكمي رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه
عما قدم خير الجزاء، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين.
أحمد بن حافظ الحكمي

سَلَّمَ الْوُصُولُ، إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِينًا رَاضٍ بِهِ مُدَبِّرٌ مُعِينًا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَاجْتَبَانَا
أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهُ
وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِي مَا قَضَى
وَبَعْدُ: إِنِّي بِالْيَقِينِ أَشْهَدُ شَهَادَةَ الْإِخْلَاصِ أَنَّ لَا يُعْبَدُ
بِالْحَقِّ مَالُوهُ^(١) سِوَى الرَّحْمَنِ مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانٍ
وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

(*) طبعت منظومة (سلم الوصول) عدة طبعات، لم تخل من التصحيف والأخطاء المطبعية، وعندي من هذه المنظومة نسخة (مببضة) كتبها الوالد (الناظم) - رحمه الله تعالى - بخطه، كنت أريد الاعتماد عليها في سرد نص المنظومة هنا، ولكن عند المقارنة بين أبياتها في هذه النسخة وبين أبياتها الواردة في شرحها (معارج القبول) - الطبعة الأولى - وجدت اختلافات يسيرة في عدة كلمات استحسنت الناظم - رحمه الله - تعديلها، وإن لم يكن لها أدنى تغيير في المعنى، وقد رأيت أن أجعل من الرواية الواردة في (المعارج) أساساً لنقل المنظومة في هذا الموضع مراعاة للشرح المترتب عليها غالباً، مع العناية بالإشارة في الهامش إلى ما يقابلها في النسخة الخطية المذكورة عند وجود الاختلاف.

(١) في النسخة الخطية: مألوهاً.

رسوله إلى جميع الخلق
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدَا
وَبَعْدُ: هَذَا النَّظْمُ فِي الْأَصُولِ
سَأَلَنِي إِيَّاهُ مَنْ لَا بُدَّ لِي
فَقُلْتُ مَعَ عَجْزِي وَمَعَ إِشْفَاقِي
بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
وَالْأَلِّ وَالصَّحْبِ دَوَاماً سَرْمَداً
لِمَنْ أَرَادَ مِنْهَجَ الرَّسُولِ
مِنْ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ^(١) الْمُمْتَثِلِ
مُعْتَمِداً عَلَى الْقَدِيرِ الْبَاقِي:

مقدمة

تعرّف العبد بما خلق له ، وبأول ما فرض الله تعالى عليه
وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم ، وبما هو صائر إليه

إِعْلَمْ بَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ
أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ
وَبَعْدَ هَذَا رُسُلُهُ قَدْ أُرْسِلَا
لِكَيِّ بِذَا الْعَهْدِ يُذَكِّرُوهُمْ
كَيِّ لَا يَكُونَ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ بَلْ
فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلَا شِقَاقٍ
وَذَاكَ نَاجٍ مِنْ عَذَابِ النَّارِ
لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدىً وَهَمَلَا
وَبِالْإِلَهِيَّةِ يُفَرِّدُوهُ
آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ
لَا رَبَّ مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ
لَهُمْ وَبِالْحَقِّ الْكِتَابُ أَنْزَلَا
وَيُنذِرُوهُمْ وَيُبَشِّرُوهُمْ^(٢)
لِلَّهِ أَعْلَى حُجَّةٌ عَزَّ وَجَلَّ
فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ
وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقْبَى الدَّارِ

(١) في النسخة الخطية: أمره. وواضح أنه يقصد بذلك شيخه الداعية المصلح الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي - رحمه الله تعالى - الذي كان قد طلب منه في نحو سنة ١٣٦٢ هـ أيام طلبه للعلم على يديه أن ينظم متناً مختصراً في العقيدة يسهل على الطلاب حفظه واستيعابه، ويكون أيضاً بمثابة اختبار لتحصيله العلمي في هذا الفن، فكانت هذه المنظومة المباركة: (أنظر ما قدمته في ترجمته من هذه الطبعة).

(٢) في النسخة الخطية: وينذروهم ويحذروهم.

وَمَنْ بِهِمْ وَبِالْكِتَابِ كَذَبًا وَلَا زَمَ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ وَالْإِنْبَاءُ
فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلَا الْعَهْدَيْنِ مُسْتَوْجِبٌ لِلْخِزْيِ فِي الدَّارَيْنِ

فصل

في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين

وبيان النوع الأول، وهو توحيد المعرفة والإثبات

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ
إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الْأَوَامِرِ أَعْظَمُ وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ
إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى
وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الْأَكْبَرُ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ وَالْمُصَوِّرُ
بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلَائِقِ مُبْدِعُهُمْ بِلَا مِثَالٍ سَابِقِ
الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِلَا ابْتِدَاءٍ وَالْآخِرُ الْبَاقِي بِلَا انْتِهَاءٍ
الْأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الْأَزَلِيُّ الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهِيمُنُ الْعَلِيُّ
عُلُوُّ قَهْرٍ وَعُلُوُّ الشَّانِ جَلَّ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَعْوَانِ
كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفَرْقِيَّةُ عَلَى عِبَادِهِ بِلَا كَيْفِيَّةٍ
وَمَعَ ذَا مُطْلِعٍ إِلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ مَهِيْمُنٌ عَلَيْهِمْ
وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةِ لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَرْقِيَّةِ
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوهِ وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ
حَيٌّ وَقَيُّومٌ فَلَا يَنَامُ وَجَلَّ أَنْ يُشَبِّهَهُ الْأَنَامُ
لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِهِ وَلَا يُكَيِّفُ الْحِجَابَ صِفَاتِهِ
بَاقٍ فَلَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ وَلَا يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيدُ
مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالْإِرَادَةِ وَحَاكِمٌ - جَلَّ - بِمَا أَرَادَهُ
فَمَنْ يَشَأْ وَفَقَهُ بِفَضْلِهِ وَمَنْ يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ

فَمِنْهُمْ الشَّقِيّ وَالسَّعِيدُ
لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ قَضَاهَا
وَهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَّرِّ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالْإِخْفَاتِ
وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَأَ وَمَا خَفِيَ
وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ
كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمًا
كَلَامُهُ جَلَّ عَنِ الْإِحْصَاءِ
لَوْ صَارَ أَقْلَامًا جَمِيعُ الشَّجَرِ
وَالْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ آنٍ،
وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلِ
عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى
يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ
كَذَا بِالْأَبْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ
وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٍ حَقِيقَتُهُ
جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ
فَالصَّوْتُ وَالْأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي
مَا قَالَهُ لَا يَقْبَلُ التَّبْدِيلَ^(١)
وَقَدْ رَوَى الثَّقَاتُ عَنْ خَيْرِ الْمَلَائِكَةِ
فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ يَنْزِلُ

وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ
يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا
فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صَمِّ الصَّخْرِ
بَسْمِعِهِ الْوَاسِعِ لِلْأَصْوَاتِ
أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ^(٢)
جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَأْنُهُ
وَكُنَّا مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ
وَلَمْ يَزَلْ يَخْلُقْهُ عَلِيمًا
وَالْحَضَرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ
وَالْبَحْرِ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
فَنَتْ وَلَيْسَ الْقَوْلُ مِنْهُ فَإِنْ
بَآنَهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ
لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِمُفْتَرَى
يُتْلَى كَمَا يُسْمَعُ بِالْأَذَانِ
وَبِالْأَيْدِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ
دُونَ كَلَامِ بَارِيِ الْخَلِيقَةِ
عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ
لَكِنَّمَا الْمَتَلُوقُ قَوْلُ الْبَارِي
كَأَنَّ وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلًا
بَآنَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا
يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَيُقْبَلُ

(١) ورد هذا البيت في النسخة الخطية متوسطاً بين البيتين السابقين قبله.

(٢) في النسخة الخطية: ما إن لما قد قاله تبديلاً.

هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طَالِبٍ لِلْمَغْفِرَةِ
يَمُنُّ بِالْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلِ
وَأَنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْفَصْلِ
وَأَنَّهُ يَرَى بِلاَ أَنْكَارٍ
كُلُّ يَرَاهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ
وَفِي حَدِيثِ سَيِّدِ الْأَنَامِ
رُؤْيَا حَقٍّ لَيْسَ يَمْتَرُونَهَا
وَحُصَّ بِالرُّؤْيَا أَوْلِيَاؤُهُ
وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ
أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ
نَمَرُهَا صَرِيحَةٌ كَمَا أَتَتْ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ
بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أُمَّةِ الْهُدَى
وَسَمَّ ذَا النُّوعِ مِنَ التَّوْحِيدِ
قَدْ أَفْصَحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ عَنْهُ
لَا تَتَّبِعْ أَقْوَالَ كُلِّ مَارِدٍ
فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التَّبْيَانِ

يَجِدُ كَرِيماً قَابِلاً لِلْمَعْدِرَةِ
وَيَسْتُرُ الْعَيْبَ وَيُعْطِي السَّائِلَ
كَمَا يَشَاءُ لِلْقَضَاءِ الْعَدْلِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالْأَبْصَارِ
كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
مِنْ غَيْرِ مَا شَكَّ وَلَا إِبْهَامٍ
كَالشَّمْسِ صَحْواً لَا سَحَابَ دُونَهَا
فَضِيلَةً وَحُجُبُوا أَعْدَاؤُهُ
أَثَبَتْهَا فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ
فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالْقَبُولُ
مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَالِهِ اقْتَضَتْ
وَعَيْرِ تَكْثِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ
طُوبَى لِمَنْ يَهْدِيهِمْ قَدْ اهْتَدَى
تَوْحِيدَ إِثْبَاتِ بِلاَ تَرْدِيدٍ
فَالْتَمَسَ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ
غَاوٍ مُضِلٌّ مَارِقٌ مُعَانِدٍ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ

فصل

في بيان النوع الثاني من التوحيد

وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه هو معنى لا إله إلا الله

هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدًا
إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدٍ
مُعْتَرِفًا بِحَقِّهِ لَا جَاحِدًا

وَهُوَ الَّذِي بِهِ الْإِلَهِ أَرْسَلَا
وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالتَّبْيَانَ
وَكَلَّفَ اللَّهُ الرَّسُولَ الْمُجْتَبَى
حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصاً لَهُ
وَهَكَذَا أَمَّتُهُ قَدْ كُلفُوا
وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَةِ
مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِداً مَعْنَاهَا
فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِناً
فَإِنْ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ
أَنْ لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلَهُ^(١) يُعْبَدُ
بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَبِالتَّنْذِيرِ
وَبِشُرُوطِ سَبْعَةٍ قَدْ قِيَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا
الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ
وَالصَّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ

رُسُلُهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَوَّلًا
مِنْ أَجْلِهِ وَفَرَقَ الْفَرَقَانَا
قَتَالَ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى
سِرّاً وَجَهراً دِقَّةً وَجَلَّةً
بِذَا^(٢) وَفِي نَصِّ الْكِتَابِ وَصَفُوا
فَهِىَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ
وَكَانَ عَامِلاً بِمُقْتَضَاهَا
يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِناً
ذَلَّتْ يَقِينَا وَهَدَّتْ إِلَيْهِ
إِلَّا الْإِلَهِ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ
وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقّاً وَرَدَّتْ
بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
وَالْأَنْقِيَادُ فَادِرٌ مَا أَقُولُ
وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهُ

فصل

في تعريف العبادة، وذكر بعض أنواعها

وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يَرْضَى إِلَهُ السَّامِعِ

(١) في النسخة الخطية: به.

(٢) في النسخة الخطية: إلهاً.

وَفِي الْحَدِيثِ مُخَهَا الدُّعَاءُ خَوْفٌ تَوَكَّلْ كَذَا الرِّجَاءُ
وَرَغْبَةً وَرَهْبَةً خَشَوْعُ وَخَشْيَةً إِنَابَةً خَضُوعُ
وَالِاسْتِعَاذَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ
وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَافْهَمْ هُدَيْتَ أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ
وَصَرَفُ بَعْضِهَا لَغَيْرِ اللَّهِ شِرْكُكَ وَذَاكَ أَقْبَحُ الْمَنَاهِي

فصل

في بيان ضد التوحيد وهو الشرك

وأنه ينقسم إلى قسمين : أصغر وأكبر ، وبيان كل منهما

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ : فَشِرْكُ أَكْبَرُ بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُغْفَرُ
وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرِ اللَّهِ نِدَاءً بِهِ مُسَوِّياً مَضَاهِي
يَقْضِيهِ عِنْدَ نُزُولِ الضَّرِّ لِحَبْلِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ
أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
مَعَ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ أَوْ الْمُعَظَّمِ أَوْ الْمَرْجُوِّ
فِي الْغَيْبِ سُلْطَاناً بِهِ يَطْلُعُ عَلَى ضَمِيرٍ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ
وَالثَّانِ شِرْكُ أَصْغَرُ وَهُوَ الرِّيَا فَسْرُهُ بِهِ خِتَامُ الْأَنْبِيَا
وَمِنْهُ إِقْسَامٌ بَغَيْرِ الْبَارِي كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَخْبَارِ

فصل

في بيان أمور يفعلها العامة

منها ما هو شرك ، ومنها ما هو قريب منه .

وبيان حكم الرُّقي والتَّمَائم

وَمَنْ يَثِيقُ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابٍ أَوْ حَلَقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذُّنَابِ

أَوْ خَيْطٍ أَوْ عُضْوٍ مِنَ النَّسُورِ
لَا يَأْتِي أَمْرٌ كَائِنٍ تَعَلَّقَهُ
ثُمَّ الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنٍ
فَذَلِكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ وَشِرْعَتِهِ
أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي
وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ
إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ^(١) لَا يَذَرِي
أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسٌ
فَحَذَرًا ثُمَّ حَذَارٍ مِنْهُ
وَفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ
فَالْاِخْتِلَافُ وَقَعَ بَيْنَ السَّلَفِ
وَإِنْ تَكُنْ مِمَّا سَوَى الْوَحْيَيْنِ
بَلْ إِنَّهَا قَسِيمَةُ الْأَزْلَامِ

أَوْ وَتَرٍ^(٢) أَوْ تَرْبَةِ الْقُبُورِ
وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَلَّقَهُ
فَإِنْ تَكُنْ مِنْ خَالِصِ الْوَحْيَيْنِ
وَذَلِكَ لَا اخْتِلَافَ فِي سُنَنِيَّتِهِ
فَذَلِكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
شِرْكٌ بِلَا مَرِيَّةٍ فَاحْذَرْنَهُ
لَعَلَّهُ يَكُونُ^(٣) مَحْضَ الْكُفْرِ
عَلَى الْعَوَامِ لَبْسُوهُ فَالْتَبَسَ
لَا تَعْرِفِ الْحَقَّ وَتَنَائِي عَنْهُ^(٤)
إِنْ تَكُنْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهَا وَالْبَعْضُ كَفَّ
فَإِنَّهَا شِرْكٌ بِغَيْرِ مَيِّنٍ
فِي الْبُعْدِ عَنْ سِيَمَا أُولَى الْإِسْلَامِ

فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها
يتخذ ذلك المكان عيداً. وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية
هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشَّرْكِ مَنْ غَيْرِ مَا تَرَدَّدَ أَوْ شَكَّ

(١) في النسخة الخطية: أَوْ خَيْطاً أَوْ عُضْواً... أَوْ وَتِراً...

(٢) في النسخة الخطية: إِذْ كُلِّ نَاطِقٍ بِهِ.

(٣) في النسخة الخطية: لَعَلَّهُ أَنْ يَكُنْ.

(٤) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، وهو موجود في النسخة الخطية المكتوبة بخط الناظم في هذا الموضع.

مَا يَقْضُدُ الْجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا
كَمَنْ يَلْذُ بِبِقَعَةٍ أَوْ حَجَرٍ
مُتَّخِذاً لِذَلِكَ الْمَكَانِ
ثُمَّ الزِّيَارَةَ عَلَى أَقْسَامٍ
فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهُ
ثُمَّ الدُّعَاءَ لَهُ^(١) وَلِلْأَمْوَاتِ
وَلَمْ يَكُنْ شِدَّ الرَّحَالِ نَحْوَهَا
فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهُ
أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّلاً
فَبِدْعَةٍ مُحَدَّثَةٍ ضَلَّاهُ
وَإِنْ دَعَا الْمَقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ
لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ
إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الْغُفْرَانِ

لَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ بِأَنْ يُعْظَمَا
أَوْ قَبْرٍ مَيِّتٍ أَوْ بَعْضِ الشَّجَرِ
عِيداً كَفِعْلِ عَابِدِي الْأَوْثَانِ
ثَلَاثَةً يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ
فِي نَفْسِهِ تَذْكَرَةً بِالْآخِرَةِ
بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَّاتِ
وَلَمْ يَقُلْ هَجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَاءِ^(٢)
فِي السُّنَنِ الْمُثَبَّتَةِ الصَّحِيحَةِ
بِهِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ جَلٍّ وَعَلَا
بَعِيدَةً عَنْ هَذِي ذِي الرُّسَالَةِ^(٣)
أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَجَحَدَ
صَرْفاً وَلَا عَدَلاً فَيَعْفُو عَنْهُ
إِلَّا اتَّخَاذَ النَّدِّ لِلرَّحْمَنِ

فصل

في بيان ما وقع فيه العامة اليوم ما يفعلون عند القبور

وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سَرَجاً أَوْ قَدَاً أَوْ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِداً

(١) في النسخة الخطية: ثم دعا له.

(٢) في النسخة الخطية: كبعض السفهاء. وهذا البيت معلق بخط الناظم في النسخة التي كتبها بخطه بين البيتين السابقين قبله بعد أن سقط سهواً.

(٣) هذا البيت والذي قبله سقطا من الطبعة الأولى لـ (معارج القبول)، مع أنهما قد شرحا فيه، وموضع نصهما يجب أن يكون في (ج ١، ص ٤٧٩) قبل الشروع في شرحهما.

فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهَارًا
كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنَ
بَلْ قَدْ نَهَى عَنْ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ
وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرَ
وَحَذَّرَ الْأُمَّةَ عَنْ إِطْرَائِهِ
فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا
فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا
بِالشَّيْثِ (١) وَالْأَجْرُ وَالْأَحْجَارِ
وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أُوقِدُوا
وَنَصَبُوا (٢) الْأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ
بَلْ نَحَرُوا فِي سَوَاحِهَا النَّحَائِرِ
وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ
قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ
يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكَ
فِيَا شَدِيدَ الطُّوْلِ وَالْإِنْعَامِ

لِسُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
فَاعِلُهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ
وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشُّبْرِ
بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرُ
فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهِ
مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا
وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا
لَا سِيَّمًا فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ
وَكَمْ لَوَاءٍ فَرَقَهَا قَدْ عَقَدُوا
وَأَفْتَتَنُوا بِالْأَعْظَمِ الرُّفَاتِ
فَعَلَ أُولَى التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرِ
وَاتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ
بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاجِهِ
بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ
وَأَوْرَطَ الْأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكِ
إِلَيْكَ نَشْكُو مِنْهُ الْإِسْلَامُ (٣)

(١) في النسخة الخطية: بالجص.

(٢) في النسخة الخطية: ونشروا.

(٣) هذا البيت والذي قبله لم يردا في (معارج القبول)، ولم يدخلوا في الشرح، وهما في النسخة الخطية بقلم الناظم، ولعلهما مما أضافه بعد كتابة الشرح.

فصل

في بيان حقيقة السحر وحد الساحر

وأن منه علم التنجيم . وذكر عقوبة من صدق كاهناً

وَالسَّحَرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرٌ
أُعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ
وَاحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ
كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَةِ
عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرِ^(١)
وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكٍ
هَذَا وَمِنْ أَنْوَاعِهِ وَشُعَبِهِ
وَحِلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصًّا يُشْرَعُ
وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ
لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ
فِي الْكَوْنِ لَا فِي الشَّرْعِ الْمُطَهَّرَةِ
وَحْدَهُ الْقَتْلُ بِلَا نَكِيرٍ
مِمَّا رَوَاهُ^(٢) التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ
أَمْرُ بَقْتُلِهِمْ رُوي عَنْ عُمَرَ
مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِّلسَّالِكِ
عِلْمُ النُّجُومِ فَادِرٌ هَذَا وَاتَّبِعْهُ
أَمَّا بِسَحْرِ مِثْلِهِ فَيُمنَعُ^(٣)
بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ^(٤) الْمُعْتَبَرُ

فصل

يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين

وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب:

الإسلام والإيمان والإحسان، وبيان أركان كل منها

إِعْلَمْ بَأَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ فَاحْفَظْهُ وَأَفْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلُ^(٥)

(١) في النسخة الخطية: فيما رواه.

(٢) في النسخة الخطية: عن جندب الخير، كذا في أثر.

(٣) هذا البيت غير وارد في النسخة الخطية، وهو في (معارج القبول) في هذا الموضع.

(٤) في النسخة الخطية: النبي.

(٥) كذا في معارج القبول (ط ١: ١٧/٢) ونصه في النسخة الخطية هكذا:

والدين نية وقول وعمل فاحفظ ودع عنك المرء والجدل

كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ
عَلَى مَرَاتِبٍ ثَلَاثٍ فَصَلَّه
الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَ
فَقَدْ أَتَى: الْإِسْلَامَ مَبْنِيًّا^(١) عَلَى
أَوَّلِهَا الرُّكْنَ الْأَسَاسُ الْأَعْظَمُ
رُكْنَ الشَّهَادَتَيْنِ فَانْتَبَتْ وَاعْتَصِمَ
وَتَأْنِيًّا^(٢) إِقَامَةُ الصَّلَاةِ
وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ
فَتِلْكَ خَمْسَةٌ. وَلِلْإِيمَانِ
إِيمَانُنَا بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ
وَبِالْمَلَائِكَةِ^(٣) الْكَرَامِ الْبَرَّةِ
وَرُسُلِهِ الْهُدَاةِ لِلْأَنَامِ
أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بَلَا شَكَّ كَمَا
وَحَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُوا الْعِزْمِ الْأَلَى
وَبِالْمَعَادِ أَيَقِنُ بَلَا تَرَدُّدٍ
لَكِنَّا نُوْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا
مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا
وَيَدْخُلُ الْإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا
وَأَنْ كَلَّا^(٤) مُقَعَّدُ مَسْئُولٍ:

إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ
جَاءَتْ عَلَى جَمِيعِهِ مُشْتَمِلَةً:
وَالْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانٍ
خَمْسٍ، فَحَقِّقْ وَأَدِرْ مَا قَدْ نُقِلَا
وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْأَقْوَمُ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ
وَتَالِثًا^(٥) تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ
وَالْخَامِسُ الْحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِيعُ
سِتَّةُ أَرْكَانٍ بَلَا نُكْرَانٍ
وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
وَكُتِبَهِ الْمُنْزَلَةُ الْمُطَهَّرَةُ
مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ وَلَا إِيهَامٍ
أَنْ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا
فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَالشُّورَى تَلَا
وَلَا ادَّعَا عِلْمَ بَوَقْتِ الْمَوْعِدِ
بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى
وَهِيَ عِلَامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا
مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتَمَا
مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟

(١) في معارج القبول (ط ١: ٢/٤٠): مَبْنِيًّا، وما أثبتناه عن النسخة الخطية.

(٢) في النسخة الخطية: وبعدها.

(٦) في النسخة الخطية: وثالث.

(٤) في النسخة الخطية: وبالملائكة.

(٥) في معارج القبول (ط ١: ٢/١٣٢): وَأَنْ كَلَّ، والصواب ما أثبتناه عن النسخة الخطية.

وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيِّمِينَ
يُوقِنُ الْمُتَرَاتِبُ عِنْدَ ذَلِكَ
وَبِاللِّقَاءِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ
غُرْلًا حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرٍ
وَيَجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفُضْلِ
فِي مَوْقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ
وَأَحْضِرُوا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ (١)
وَارْتَكَمَتْ سَجَائِبُ الْأَهْوَالِ
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِقَائِيَوْمِ
وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلْأَجْنَادِ
وَشَهِدَتِ الْأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ
وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرُ
وَنُشِرَتْ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ
طُوبَى (٢) لِمَنْ يَأْخُذُ (٣) بِالْيَمِينِ
وَالْوَيْلُ لِلْآخِذِ بِالشِّمَالِ
وَالْوِزْنُ بِالْقِسْطِ فَلَا ظُلْمَ وَلَا
فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ
وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلَا امْتِرَاءٍ
يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوَالِ

بَثَابَتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا
بِأَنَّ مَا مَوْرَدُهُ الْمَهَالِكُ
وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ
يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٍ عَسِرُ
جَمِيعُهُمْ غُلُوبُهُمْ وَالسُّفْلَى
وَيَعْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ وَالْكَرْبُ
وَانْقَطَعَتْ عَلَائِقُ الْأَنْسَابِ
وَانْعَجَمَ الْبَلِيغُ فِي الْمَقَالِ
وَأَقْتَصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ
وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالْأَشْهَادِ
وَبَدَتِ السُّوءَاتُ وَالْفَضَائِحُ
وَانْكَشَفَ الْمَخْفِيُّ فِي الضَّمَائِرِ
تُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ
كِتَابَهُ بَشَرَى بِحُورٍ عَيْنِ
وَرَاءَ ظَهْرِ لِلْجَحِيمِ صَالِي
يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسَوَى مَا عَمِلَا
وَمُقَرَفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ
كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْأَنْبَاءِ
بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ

(١) في النسخة الخطية: واحضروا إذ ذاك للحساب.

(٢) في النسخة الخطية: بشرى.

(٣) في معارج القبول (ط ١: ٢٦٤/٢): يؤخذ - وهو خطأ، صوابه (ياخذ) وقد صحح أثناء الشرح،

كما هو في النسخة الخطية.

فَبَيْنَ مُجْتَاذٍ إِلَى الْجَنَانِ
وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَقٌّ وَهُمَا
وَحَوْضٌ خَيْرُ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ
كَذَالَهُ لَوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَرُ
كَذَالَهُ لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا
مَنْ بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ لَا كَمَا يَرَى
يَشْفَعُ أَوَّلًا إِلَى الرَّحْمَنِ فِي
مَنْ بَعْدَ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى
وَتَانِيًا يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاكِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ
وَتَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامٍ
وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الْأَثَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجَنَانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلٍ
وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّيِّرَانِ
فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ
وَالسَّادِسُ الْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ
فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ
لَا نَوْءَ لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَ وَلَا
لَا غَوْلَ لَا هَامَةَ لَا وَلَا صَفَرَ

وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النَّيِّرَانِ
مَوْجُودَتَانِ لَا فَنَاءَ لَهُمَا
يَشْرَبُ فِي الْأُخْرَى جَمِيعُ حَزْبِهِ
وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ جَمِيعًا تُحْشَرُ
قَدْ خَصَّه اللَّهُ بِهَا تَكْرُمًا
كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى
فَضْلَ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
كُلُّ أُولِي الْعِزِّمِ الْهُدَاةِ الْفُضْلَا
دَارِ النَّعِيمِ لِأُولِي الْفَلَاحِ
قَدْ خَصَّتَا بِهِ بِلَا نُكْرَانِ
مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى الْإِسْلَامِ
فَأَدْخَلُوا النَّارَ بِذَا الْإِجْرَامِ
بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْضِ ذِي الْإِحْسَانِ
وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلَاحٍ وَوَلِي
جَمِيعٍ مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ
فَحَمًّا فَيُحْيَوْنَ وَيَنْبِتُونَا
حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ
فَأَيُّقِنَنَّ بِهَا وَلَا تُمَارِ^(١)
وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْتَطَرٌّ
عَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَوْلًا
كَمَا بَذَا أَخْبَرَ^(٢) سَيِّدُ الْبَشَرِ

(١) في النسخة الخطية: ولا تماري.

(٢) في معارج القبول (ط ١ : ٣٨٢/٢): خبر.

وَتَالِثٌ مَرْتَبَةً الْإِحْسَانِ وَتِلْكَ أَعْلَاهَا لَدَى الرَّحْمَنِ
وَهُوَ^(١) رُسُوحُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى يَكُونَ^(٢) الْغَيْبُ كَالْعِيَانِ

فصل

في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنوبه دون الشرك إلا إذا استحلّه
وأنه تحت المشيئة، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر

إِيمَانَنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَنَقُصُهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ^(٣)
وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلٍ هَلْ أَنْتَ كَالْأَمْلَاقِ أَوْ كَالرُّسُلِ
وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ لَمْ يُنَفَّ عَنْهُ مَطْلُقُ الْإِيمَانِ
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي إِيْمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ
وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَّارِي
تَحْتَ مَشِيئَةِ الْإِلَهِ النَّافِذَةِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ
بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وَإِلَى^(٤) الْجَنَانِ يُخْرِجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَالْعَرَضُ تَيَسِيرُ الْحِسَابِ فِي النَّبَا وَمَنْ يُنَاقِشِ الْحِسَابَ عَذْبًا
وَلَا نُكْفِّرُ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنًا إِلَّا مَعَ اسْتِحْلَالِهِ لِمَا جَنَى
وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْغُرُغُرَةِ كَمَا أَتَى فِي الشَّرْعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا؟ فَبَطْلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا^(٥)

(١) في معارج القبول (ط ١ : ٣٩٩/٢) : وهي، أثبتنا ما في النسخة الخطية.

(٢) في النسخة الخطية: حتى يصير.

(٣) في النسخة الخطية: وتارة ينقص بالزلات.

(٤) في معارج القبول (ط ١ : ٤٢١/٢) الواو من (والى) ساقطة أثناء البيت، وهي مثبتة في الشرح، وكذلك في النسخة الخطية.

(٥) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، أثبتته كما جاء في النسخة الخطية.

فصل

في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة

وإكمال الله لنا به الدين ، وأنه خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين

وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ مِنْ هَاشِمٍ
أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا مُرْشِدًا
مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَةِ
بَعْدَ أَرْبَعِينَ بَدَأَ الْوَحْيُ بِهِ
عَشَرَ سِنِينَ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا
وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي غَارٍ جَرَا
وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الْأَعْوَامِ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلُمِ
وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ
أَوْذَنَ بِالْهَجْرَةِ نَحْوَيْثُرَبَا
وَبَعْدَهَا كُفَّ بِالْقِتَالِ
حَتَّى أَتَوْا لِلدِّينِ مُنْقَادِينَ
وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَغَ الرَّسَالَهَ
وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ^(١) الْإِسْلَامَا
قَبَضَهُ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى
نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلَا أَرْتِيَابٍ

إِلَى الذِّبْحِ دُونَ شَكٍّ يَتَمَي
وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدًى^(٢)
هَجَرْتُهُ لَطِيبَةَ الْمُنَوَّرَةِ
ثُمَّ دَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحْدُوا
يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الْوَرَى
مَضَتْ لِعُمُرِ سَيِّدِ الْأَنَامِ
وَفَرَضَ الْخُمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمَ
مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وَانْقَضَتْ
مَعَ كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَجِبَا
لِشَيْعَةِ الْكُفْرَانِ وَالضَّلَالِ
وَدَخَلُوا فِي السَّلَامِ مُذْعِنِينَ
وَاسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَةِ
وَقَامَ دِينَ الْحَقِّ وَاسْتَقَامَا
سُبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى
بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ

(١) هذا البيت أيضاً غير وارد في (معارج القبول)، وهو مثبت في النسخة الخطية.

(٢) في معارج القبول (ط ١ : ٤٨٦/٢) : له ، وما هنا عن النسخة الخطية.

وَأَنَّهُ بَلَغَ مَا قَدْ أُرْسِلَ بِهِ وَكُلُّ مَا إِلَيْهِ أَنْزَلَ
وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ ادَّعَى نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
فَهُوَ خِتَامُ الرُّسُلِ بِاتِّفَاقٍ وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ

فصل

فيمن هو أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ

وذكر الصحابة بمحاسنهم، والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم

وَبَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ الشَّافِيَةُ ذَاكَ رَفِيقُ الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ
وَهُوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى ثَانِيهِ فِي الْفَضْلِ بِلَا ارْتِيَابٍ
أَعْنِي بِهِهِ الشَّهْمُ أَبَا حَفْصٍ عُمَرُ الصَّارِمِ الْمُنْكَي عَلَى الْكُفَّارِ
ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ بَحْرُ الْعُلُومِ جَامِعُ الْقُرْآنِ
بَايَعَ عَنْهُ سَيِّدُ الْأَكْوَانِ وَالرَّابِعُ ابْنُ عَمٍّ خَيْرُ الرُّسُلِ
مُبِيدُ كُلِّ خَارِجِيٍّ مَارِقِ مَنْ كَانَ لِلرُّسُولِ^(١) فِي مَكَانٍ
لَا فِي^(٢) نُبُوَّةٍ، فَقَدْ قَدِمْتُ مَا

نَعَمْ نَقِيبُ الْأُمَّةِ الصَّدِيقُ شَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
جِهَادُ^(٣) مَنْ عَنِ الْهُدَى تَوَلَّى الصَّادِقُ النَّاطِقُ بِالصَّوَابِ
مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَنَصَرَ وَمُوسِعُ الْفُتُوحِ فِي الْأَمْصَارِ^(٤)
ذُو الْحِلْمِ وَالْحَيَا بَغِيرِ مَيْنٍ مِنْهُ اسْتَحْتِ مَلَائِكُ الرَّحْمَنِ
بِكَفِّهِ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ أَعْنِي الْإِمَامَ الْحَقُّ ذَا الْقَدْرِ الْعَلِيِّ
وَكُلُّ حَبٍّ رَافِضِيٍّ فَاسِقٍ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلَا نُكْرَانٍ
يَكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ سَلِمَا

(١) في النسخة الخطية: قتال.

(٢) في النسخة الخطية: وفتح البلاد والأمصار.

(٣) في النسخة الخطية: من صار للمختار.

(٤) في معارج القبول (ط ١: ٥٦٦/٢) - السطر الثاني -: ولا في، الواو في أول البيت هناك كتبت خطأ

فتحذف.

فَالسُّنَّةُ الْمُكْمَلُونَ الْعَشْرَةَ
وَأَهْلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى الْأَطْهَارِ
فَكُلُّهُمْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
فِي الْفَتْحِ وَالْحَدِيدِ وَالْقِتَالِ
كَذَاكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَذَكَرَهُمْ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ
ثُمَّ السُّكُوتُ وَاجِبٌ عَمَّا جَرَى
فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابٌ

وَسَائِرُ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ
وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الْأَخْيَارُ
أَتْنَى عَلَيْهِمْ خَالِقُ الْأَكْوَانِ
وَعِثْرَهَا بِأَكْمَلِ الْخِصَالِ
صِفَاتُهُمْ مَعْلُومَةُ التَّفْصِيلِ
قَدْ سَارَ سَيْرُ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ
بَيْنَهُمْ مَنْ فَعَلَ مَا قَدْ قُدِّرَا
وَخَطُّهُمْ يَغْفِرُهُ الْوَهَّابُ

خاتمة

في وجوب التمسك بالكتاب والسنة

والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد

شَرَطُ قُبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا
لِلَّهِ (١) رَبِّ الْعَرْشِ لَا سِوَاهُ
وَكُلُّ مَا خَالَفَ لِلْوَحْيَيْنِ
وَكُلُّ مَا فِيهِ الْخِلَافُ (٢) نَصَبَا
فَالذِّينَ إِنَّمَا أَتَى بِالنَّقْلِ
فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلَاصٌ مَعَا
مُوَافَقُ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ
فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيِّنٍ
فَرَدُّهُ إِلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا
لَيْسَ بِالْأَوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْلِ

* * *

ثُمَّ إِلَى هُنَا قَدْ انْتَهَيْتُ
سَمِّيْتُهُ بِسُلَمِ الْوُصُولِ
وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ عُيِّنَتْ
إِلَى سَمَا مَبَاحِثِ الْأُصُولِ

(١) في معارج القبول (ط ١: ٢/٢٠٢): الله، تحذف الألف، وهي مصححة في الشرح.

(٢) في النسخة الخطية: وكل ما فيه اختلاف.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَائِي
أَسْأَلُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدًا
ثُمَّ جَمِيعُ صَحْبِهِ وَالْآلِ
تَدْوِمُ سَرْمَدًا بِلَا نَفَادٍ
ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ الْقُرَاءِ
أَبْيَاتُهَا (يُسْر) بَعْدَ الْجَمَلِ^(١)

٢٧٠

كَمَا حَمَدْتُ اللَّهَ فِي ابْتِدَائِي
جَمِيعِهَا وَالسَّتْرَ لِلْعُيُوبِ
تَغَشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدًا
السَّادَةَ الْأَيْمَةَ الْأُبْدَالَ
مَا جَرَتْ الْأَقْلَامُ بِالنِّمَادِ
جَمِيعِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِثْنَاءٍ
تَأْرِخُهَا (الْغَفْرَانُ) فَافْهَمُ^(٢) وَادْعُ لِي

١٣٦٢ هـ

(١) أي عدة أبيات المنظومة تساوي مجموع رمز حروف كلمة (يسر) وفق رموز الحروف الأبجدية المعروفة؛ فالباء بـ ١٠، والسين بـ ٦٠، والراء بـ ٢٠٠ = مجموعها ٢٧٠ بيتاً، وواضح أن عدد الأبيات في مجموعها ٢٩٠ بيتاً لا ٢٧٠ بيتاً. والناظر في خاتمة الكتاب (معارج القبول - ط ١: ٦٣٢/٢) يجد أن المؤلف قد نظم الشطر الأول من هذا البيت بأسلوب آخر أكثر وضوحاً، حيث جعله هكذا: (أبياتها المقصود «يسر» فاعقل)، ويعني بالمقصود: الأبيات التي عرض فيها الأحكام والمسائل، فإذا نحن حذفنا أبيات المقدمة الأولى والأبيات الأخيرة من الخاتمة وهي ٢٠ بيتاً، سنجد أن عددها ٢٧٠ بيتاً.

(٢) أي مجموع رموز حروف كلمة (الغفران)؛ فالألف بـ ١، واللام بـ ٣٠، والغين بـ ١٠٠٠، والفاء بـ ٨٠، والراء بـ ٢٠٠، والألف الثانية بـ ١، والنون بـ ٥٠ = مجموعها ١٣٦٢ هـ، وهو تاريخ نظمها والانتهاه من تسويدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة (للمصنف)

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير. عالم الغيب والشهادة الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر، الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها. كيف لا وهو الذي خلق وقدر، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين، المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، له ملك السموات والأرض وما بينهما

وإليه المصير. القدوس السلام الذي اتصف بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص ومحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. المؤمن الذي آمن أوليائه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية، المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده لخبير بصير. العزيز الذي لا مغالب له ولا مرام لجنابه، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به، المتكبر الذي لا ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير. الخالق الباري المصور لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير، هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير، خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير، ما خلقكم وما بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير. الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئاً لأتاه بقرابها مغفرة، القهار الذي قسم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره، الوهاب الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة، الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله العزيز. يرزق كل ذي قوت قوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيراً متقناً محكماً، يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم أموالاً وأولاداً وأهلاً وخداماً، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيد وطاعته، قضى ذلك قضاء حتماً مبرماً، وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير. الفتاح الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم، يفتح على هذا مالا وعلى هذا ملكاً وعلى هذا علماً وحكمة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآتٍ وظاهرٍ وكامنٍ

ومتحرك وساكن وجليل وحقير. علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهيّن، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا وهو يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره، ولا بحر إلا ويدري ما في قعره وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يُعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، إن ذلك على الله يسير. القابض الباسط فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه، ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه، وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم، كل ذلك إليه، إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير. الخافض الرافع، الضار النافع المعطي المانع فلا رافع لمن خفض ولا خافض لمن رفعه ولا نافع لمن ضر ولا ضار لمن نفعه ولا مانع لما أعطى ولا معطي لمن هو مانع، فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع. وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير. المعز المذل الذي أعز أوليائه المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة، وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة فما لمن والاه وأعزه من مذل وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير. السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الورى، القائل لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى، فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذباً وقد خاب من افترى، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلًا إن ربي على صراط مستقيم. فلا يحيف في حكمه ولا يجور، وما ربك بظلام للعبيد. الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً ووعد الظالمين الوعيد الأكيد، وفي الحديث «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»^(١)

(١) رواه البخاري (٣٥٤/٨) في التفسير باب قوله: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن =

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد، وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً بل يحصي عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير. اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفواً ورحمة وفضلاً وإحساناً، ومن معاني لطفه إدارك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلاً وإجمالاً وسراً وإعلاناً، الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا وكيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا حقيقة وكيفية ومكاناً وزماناً، إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. الحليم فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم. الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب، خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء، وذل لعزته وكبريائه كل كبير. الغفور الشكور الذي يغفر الكثير من الزلل، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافاً كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد، أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير. العلي الذي ثبت له كل معاني العلو، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائناً من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله ﷺ في أصح الروايات^(١)، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير. الكبير الذي كل شيء دونه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصاً بيناً محكماً، الحفيظ على كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، حفظ أوليائه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير. المغيث لجميع مخلوقاته فما استغاثه

= أخذه أليم شديد).

ومسلم (٤/١٩٩٧/ح ٢٥٨٣) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

والترمذي (٥/٢٨٨/ح ٣١١٠) في التفسير، باب ومن سورة هود.

وابن ماجه (٢/١٣٣٢/ح ٤٠١٨) في الفتن، باب العقوبات.

(١) ستأتي هذه الروايات قريباً في هذا الكتاب.

ملهوف إلا نجاه، الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه فنعم المولى ونعم النصير. الجليل الذي جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال، الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال، الكريم الذي لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر^(١)، كما روى عنه نبيه المصطفى المفضل، ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير. الرقيب على عباده بأعمالهم، العليم بأقوالهم وأفعالهم، الكفيل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم، المجيب لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير. الواسع الذي وسع كل شيء علماً، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلماً، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. الحكيم في خلقه وتدبيره إحكاماً وإتقاناً، والحكيم في شرعه وقدره عدلاً وإحساناً، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهاناً. فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. الودود الذي يحب أوليائه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات، المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان وفي أي وقت من الأوقات، فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشبه عليه الأصوات، فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو الستر. المجيد الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد، الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد، الشهيد الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيداً، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير. القوي المتين الذي لم

(١) رواه مسلم: (٤/١٩٩٤ ح ٢٥٧٧) في البر والصلة، باب تحريم الظلم.

يقم لقوته شيء وهو الشديد المحال، الولي للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه وإذا أراد
 بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال، الحميد الذي ثبت له جميع أنواع
 المحامد، وهل يثبت الحمد إلا لذي العزة والجلال، فله الحمد كما يقول وخيراً
 مما نقول لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وكيف يحصي العبد الضعيف
 ثناء على العلي الكبير. المحصي الذي أحصى كل شيء عدداً وهو القائل: ﴿وَكُلُّ
 شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس/١٢) المبدىء المعيد الذي قال وهو أصدق
 القائلين: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء/١٠٤)،
 ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم/٢٧) وأنى يعجزه إعادته
 وقد خلقه من قبل ولم يك شيئاً، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير. المحيي المميت
 الذي انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محيهاً أو إحياء
 نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكناً وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة
 الخالق العلام، الحي الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال
 تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
 (الرحمن/٢٧٠) القيوم الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به، ومن آياته أن تقوم
 السماء والأرض بأمره فلا يحتاج إلى شيء إليه فقير. الواحد الأحد الذي لا شريك
 له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله،
 لا ضد له ولا ند ولا شبه ولا كفؤ ولا عديل. الصمد الذي يصمد إليه جميع
 الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند
 المصائب، فالإله منتهى الطلبات، ومنه يسأل قضاء الحاجات، وهو الذي لا تعثره
 الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكيل. فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والعظيم
 الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل
 في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في صفات
 الكمال، ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل. القادر المقتدر الذي إنما
 أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وما كان الله ليعجزه من شيء في
 السموات ولا في الأرض، إنه على كل شيء قدير. المقدم المؤخر بقدرته الشاملة
 ومشيتته النافذة على وفق ما قدره وسبق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا

تغيير. الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء^(١)، هكذا فسرهُ البشير النذير، الوالي فلا منازع له ولا مضاد، المتعالي عن الشركاء والوزراء والنظرَاء والأنداد. البرُّ وصفاً وفعلاً ومن بره المن على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على السنة رسله أنه لا يخلف الميعاد، التواب الذي يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيهِ من عذاب السعير. المنتقم الذي لم يقم لغضبه شيء وهو الشديد العقاب والبطش والانتقام، العفو بمنه وكرمه عن الذنوب والآثام، الرؤوف بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام^(٢)، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحریم/٨). مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ذي الجلال والإكرام والعزة والبقاء والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء، المقسط الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير. الجامع لشتات الأمور وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، الغني المغني فلا يحتاج إلى شيء ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه معصية العاصين من العباد. وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى بهم عن بابه طرفه عين، وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد، وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير. نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به محمد عبده ورسوله وحبيه ومصطفاه وقال ﷺ مستعيذاً به: «أعوذ بنور وجهك الذي

(١) سيأتي هذا الحديث في هذا الكتاب.

(٢) أي الموت.

أشرفت له الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي
سخطك لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(١).

فبصفات ربنا تعالى نؤمن ولكتابيه وسنة رسوله نحكم وبحكمهما نرضى
ونسلم، وإن أبي الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه، ﴿إن الذين
يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا، أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمناً يوم
القيامة، اعملوا ما شئتم إنه بما تعلمون بصير﴾ (فصلت/٤٠). الهادي الذي بيده
الهداية والإضلال فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى ﴿من يهد الله فهو
المهتد ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ (الكهف/١٧)، ﴿من يشأ الله يضلله
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ (الأنعام/٣٩)، ﴿قل إن هدي الله هو الهدى﴾
(البقرة/١٢٠)، ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾
(لقمان/٢٠). البديع الذي أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع
حكيمته بلا معين ولا مثال، الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته
ولا لآخريته زوال، الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وإليه
المرجع والمآل فيأججاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير. الرشيد في كل
أقواله وأفعاله فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم، الصبور الذي لا أحد أصبر منه على
أذى سمعه، ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم. وكل ذلك بسمعه
وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم ويعافيهم، ذلك بأنهم لم
يلبغوا نفعه فينفعوه ولا ضره فيضره، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم، ووبال
عصيانهم عليهم، واستغنى الله والله غني حميد، ﴿زعم السذنين كفروا أن لن
يعتثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾.

أحمدته تعالى على جزيل إنعامه وإفضاله، وأشكره على جليل إحسانه ونواله
وله الحمد على أسمائه الحسنی وصفات كماله ونعوت جلاله، وله الحمد على

(١) رواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن جعفر وفيه محمد بن إسحق وهو مدلس (المجمع
٣٥/٦). ورواه ابن إسحق بدون سند (ابن هشام ٦١/٢ - ٦٢) والبداية والنهاية (١٣٦/٣) فسنده
ضعيف وكذا حكم عليه العلامة الألباني في تخريج فقه السيرة للأستاذ محمد الغزالي (ص ١٣٢).

عدله قدراً وشرعاً، وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق العلي الكبير، تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير، وتقدس في أحديته وصمديته عن الصاحبة والولد والوالد والولي والنصير، وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفو والنظير، وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالb والمعين والمشير، وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيوميته عن المطعم والمجير. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير، المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدي المنير، بعثه الله عز وجل رحمةً للعالمين، وأنزل عليه كتابه المهيمن والنور المبين والهدى المستبين، والمنهج المستنير. والشرك مضطربة ناره، طائر شراره، مرتفع غباره، لا مغير له ولا نكير. فقام بتبليغ الرسالة حق القيام، وجاهد في الله حق جهاده إعلاء لكلمة الله الملك العلام، حتى جاء الحق وزهق الباطل وأدبر ليل الكفر والضلالة وانفجر الإيمان والإسلام، ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرقت أنواره، ونكست راية الشرك وانكسرت شوكتة وخمدت ناره ورمى بناؤه بالدمدمة والتكسير والتدمير. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه شمس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم وتابعيهم ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (الحشر/١٠) وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم، وجعلنا من المقتدين بهم المهتدين بهديهم المتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهما نسير.

أما بعد :

فاعلموا رحمكم الله أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة

والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بآلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل، والتشبيه والتشبه واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله والعمل وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها. فإن الله تعالى أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وتفصيل كل شيء وقال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام/ ٣٥). وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان/ ٣٣). وأرسل رسوله بذلك الكتاب مبلغاً ومبيناً ليقراه على الناس على مكث ويبينه له أتم البيان ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، ويهديهم به إلى صراط مستقيم، فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل/ ٨٩) وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف/ ١١١) وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ٤٤) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل/ ٦٤) وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة/ ١٥- ٢١٦) ولا شفاء للقلوب والأرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ والاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال/ ٢٠- ٢٤) الآيات،

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (الأنعام/ ٣٦) ولم ينج الله تعالى من عذابه ولم يكتب رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله كما قال تعالى : ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٥٦ - ١٥٧) وقد كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى الناس كافة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٥٨) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبا/ ٢٨) ولم يتوفه الله تعالى حتى أكمل له الدين وبلغ البلاغ المبين، وبَيَّنَّ للناس ما نزل إليهم أوضح التبیین، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علما. وهدى الله به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كما قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة/ ٢١٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين^(١)، وكذلك هي في قراءة عبدالله وأبي بن

(١) رواه الحاكم : (٤٤٢/٢) وقال حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وهو كما قالا .

ورواه الطبري في تفسيره (٣٣٤/٢) .

كعب^(١). وهذا التفسير مروى عن فتادة ومجاهد أيضاً^(٢). وقوله: ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم﴾ أي من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض^(٣). وقوله تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ قال النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فنحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذان الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه وهذان الله له فالناس لنا فيه تبع فغداً لليهود وبعد غد للنصارى»^(٤) رواه عبد الرزاق، وهو في الصحيح من طرق بالفاظ. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله تعالى: ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة محمد ليوم الجمعة، واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى الشرق واليهود بيت المقدس، وهدى الله تعالى أمة محمد للقبلة. واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله تعالى أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود كان يهودياً وقالت النصارى نصرانياً وجعله الله حنيفاً مسلماً، فهدى الله أمة محمد إلى الحق من ذلك. واختلفوا في عيسى عليه الصلاة والسلام فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتاناً عظيماً، وجعلته النصارى إلهاً وولداً، وجعله الله تعالى روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد

= والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٥٨٢/١).

(٣، ٢) أنظر الطبري (٣٣٤/٢) وابن كثير (٢٥٧/١).

(٤) ابن كثير (٢٥٧/١).

(٥) عبد الرزاق في تفسيره (مخطوط مصور - ص ٢٣ -) كما ذكر أحمد شاكر في مسند أحمد

(ح ٨١٠٠). وابن جرير (٣٣٨/٢ - ٣٣٩) وإسناده صحيح.

ورواه البخاري (٣٥٤/٢) في الجمعة، باب فرض الجمعة، وغيره ومسلم (٥٨٥/٢ ح ٨٥٥) في الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

وقال السيوطي: ورواه ابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٥٨٣/١).

ﷺ إلى الحق من ذلك^(١)، وقال الربيع بن أنس في قوله عز وجل: ﴿فَهْدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾: أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون وأن رسلهم قد بلغوهم وأنهم كذبوا رسلهم، وفي قراءة أبي بن كعب وليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وكان أبو العالية رحمه الله تعالى يقول: في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن^(٢). وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل قال: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. إهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٣)، وفي الدعاء المأثور «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إماماً»^(٤).

اختلاف الفرق الإسلامية

واعلم أنه كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة أنهم اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً، وفي ذلك أعظم واعظ وأكبر زاجر عن الاختلاف والتفرق،

(١) أخرجه ابن جرير (٣٣٩/٢) وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٥٨٣/١). من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه وعبد الرحمن بن زيد: ضعيف.

(٢) أنظر ابن كثير (٢٥٨/١).

(٣) رواه مسلم دون البخاري.

مسلم: ٥٣٤/١ ح ٧٧٠ في صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

ورواه أحمد (١٥٦/٦). وغيرهما.

(٤) لم أجده مسنداً.

ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك عليه بل زجرنا عن الاختلاف زجراً شديداً، وتوعد على ذلك وعيداً أكيداً فقال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ (آل عمران/ ١٠٥-١٠٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف^(١). ثم فصل تعالى مآل الفريقين، وأين توصل أهلها كل من الفريقين فقال تعالى: ﴿فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ (آل عمران/ ١٠٦-١٠٧) وحذرنا عن ذلك نبينا محمد ﷺ الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الجماعة»^(٢)، وفي بعض الروايات «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٣).

وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق من الافتراق، وتفاقم الأمر وعظم الشقاق فاشتد الاختلاف ونجمت البدع والنفاق.

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (ح/ ٧٤) وابن أبي حاتم وأبو نصر في الإبانة والخطيب في تاريخه (الدر المنثور ٢/ ٢٩١).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٠٢) وأبو داود (٤/ ١٩٨/ ح ٤٥٩٧) في السنة، باب شرح السنة. والدارمي (٢/ ٢٤١) والحاكم (١/ ١٢٨) والأجري في الشريعة (ص ١٨): من حديث معاوية رضي الله عنه. وسنده حسن.

وللحديث شواهد كثيرة أنظرها - مختاراً - في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (ح ٢٠٤).

(٣) هذا اللفظ رواه جماعة من الصحابة منهم:

١- أنس رضي الله عنه: رواه الطبراني في الصغير (١/ ٢٥٦) والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٢٦٢). وإسناده فيه عبدالله بن سفيان قال عنه العقيلي: لا يتابع على حديثه وذكره ابن حبان في الثقات.

٢- عبدالله بن عمرو: رواه الترمذي (ح ٢٦٤١) وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه. قلت: فيه الإفريقي وهو ضعيف.

روي عن أبي أمامة وأبي الدرداء وائلة بن الأسقع فهي زيادة حسنة. أنظر السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤) للمحدث الألباني.

فافترقوا في أسماء الله تعالى وصفاته إلى نفاة معطلة، وغلاة ممثلة.

وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة.

وفي باب أفعال الله وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية نفاة.

وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة، إلى غير ذلك من فرق الضلال، وطوائف البدع والانتحال، وكل طائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فرقاً وتشعبت طرقاً، وكل فرقة تكفر صاحبيتها وتزعم أنها هي الفرقة الناجية المنصورة.

الفرقة الناجية

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه، وليس أحد من هؤلاء كذلك، بل إنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل. وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه إلا من طريق سنته المروية وآثاره المصطفوية التي هي الشريعة الغراء والمحجة البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها، وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها ونقادها المنقادين لها المتمسكين بها، الذابّين عنها يقفون عندها ويسرون بسيرها، لا ينحرفون عنها يميناً ولا شمالاً، ولا يقدمون عليها لأحد مقالاً، ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم، ولا يضرهم ذلك حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى. أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة وجيش دولتها، المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها، وفقهم الله عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بما أخبر الله به من كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد ﷺ في سنته، وتلقوه بالقبول والتسليم إثباتاً بلا تكليف ولا تمثيل وتنزيهاً بلا تحريف ولا تعطيل، فهم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية، وفي

باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

فهم والله (أهل السنة والجماعة)، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الذين لم تزل قلوبهم على الحق متفقة مؤتلفة، وأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة. فانتدبوا لنصرة الدين دعوة جهاداً، وقاوموا أعداء جماعات وفردى، ولم يخشوا في الله لومة لائم ولم يبالوا بعداوة من عادى، فقهروا البدع المضلة وشردوا بأهلها واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السنة من أصلها، فبهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل العديدة، وصنفوا في رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة، فمنهم المتقضي للرد على الطوائف بأسرها، ومنهم المخلص لعقائد السلف الصالح من غيرها، ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين، إلا ويقبض الله لها جيشاً من عباده المخلصين، فحفظ الله بهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد، وذلك مصداق وعد الله عز وجل بحفظه الذكر الذي أنزله، كما قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر/ ٩) وإعلاءً لكلمته وتأيداً لحزبه إذ يقول: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ (الصافات/ ١٧٣).

سبب نظم المتن وتأليف الشرح

وقد سألتني من لا تسعني مخالفته من المحيين(*)، أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح ويبين. فأجبتة إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثواب من الله، قائلاً لا حول ولا قوة إلا بالله. وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو

(*) وهو شيخه «القرعاوي» كما تقدم عنه التعريف بالمؤلف رحمه الله.

أقبح المحذور، وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والندور، فيسر الله تعالى ذلك بمنه وإفضاله، وأعاني وله الحمد والمنة على إكماله.

وسميته (سُلم الوصول، إلى مباحث علم الأصول) فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحاب، سُئِلَ مني أن أعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يحل مشكله ويفصل مجمله، مقتصراً على ذكر الدليل ومدلوله، من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه، واستقدرته بقدرته، فعنّ لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول، مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل السؤل، وسميته (معارج القبول، بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول). والله أسأل أن يعين على إكماله بمنه وفضله، وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله، وأن يهدينا الصراط المستقيم، ويجعلنا من أنصار التوحيد وأهله، إنه سميع قريب مجيب، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح مقدمة المنظومة

أبدأ باسم الله مستعيناً راض به مدبراً معيناً

(أبدأ) في جميع حركاتي وسكناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كله ومنه هذا التصنيف (باسم الله) متبركاً و(مستعيناً) به أو إياه يتعدى بالباء وبدونه أي طالباً منه العون على فعل طاعته وترك معصيته، كما قال تعالى معلماً لنا في فاتحة الكتاب ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة/٥) وقال النبي ﷺ لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١) وهو خطاب شامل لجميع الأمة، وفي ضمن ذلك الأمر الواقع في جواب الشرط نهى لنا عن الاستعانة بغير الله عز وجل لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى، فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدره الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تطلب الإعانة منه على فعل غيره والعاقل يفهم ذلك بادية بدء.

(١) رواه الترمذي (٤/٦٦٧/ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم ٥٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأحمد (ح ٢٦٦٩ و ٢٧٦٣ و ٢٨٠٤) نسخة أحمد شاكر.

خلاصة القول في تفسير البسملة

والكلام على تفسير البسملة مستوفى في كتب المفسرين، ولنذكر خلاصة ذلك فنقول: الباء أداة تخفض ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانة، وتطويلها في القرآن تعظيماً لكتاب الله عز وجل، وإسقاط الألف من الإسم طلباً للخفة لكثرة استعمالها، وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل على السقوط، ولذلك لما كتبت الألف في ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق/١) ردت الباء إلى هيئتها. والإسم هو المسمى وعينه وذاته فإنك تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، فتدعوه بأسمائه التي سمى بها نفسه كما قال تعالى: ﴿والله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ (الأعراف/١٨٠) وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (الإسراء/١١٠)، ولو كانت أسماء الله غيره لكان الداعي بها مشركاً إذ دعا مع الله غيره، ولكانت مخلوقة إذ كل ما سوى الله مخلوق، وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء الله تعالى وصفاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وسيأتي بسط القول في ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على الأسماء.

(الله) علم على ذاته تبارك وتعالى وكل الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى: ﴿والله الأسماء الحسنى﴾ وقال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ (طه/٨) ألا ترى أنك تقول الرحمن من أسماء الله تعالى والرحيم من أسماء الله ونحو ذلك، ولا تقول الله من أسماء الرحمن، وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»^(١). واختلفوا في كونه مشتقاً أو لا، ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول يا الله ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء

(١) رواه البخاري (الفتح ٢١٤/١١) في الدعوات، باب الله عز وجل مائة اسم غير واحد. ومسلم (٢٠٦٢/٤ ح ٢٦٧٧) في الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد زوي عن جماعة من الصحابة منهم سلمان الفارسي وابن عباس وابن عمر وأبي سلمة وعلي بن أبي طالب. رضي الله عنهم.

على الألف واللام. وقال آخرون إنه مشتق، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتق من أله ياله إلهة، فأصل الإسم الإله. فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوباً فقلل الله، ومن أقوى الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ (الأنعام/٣) مع قوله عز وجل: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ (الزخرف/٨٤) ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له، ومعنى أله ياله إلهة عبد يعبد عبادة فالله المألوه أي المعبود. ولهذا الإسم خصائص لا يحصيها إلا الله عز وجل، وقيل إنه هو الإسم الأعظم^(١).

(الرحمن الرحيم) إسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم فالرحمن يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه/٥) والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ (الأحزاب/٤٧) ذكره ابن جرير بسنده عن العزرمي بمعناه^(٢). وفي الدعاء المأثور «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»^(٣).

(١) ورد في أحاديث صحيحة ما هو الإسم الأعظم والأمر توقفي لا اجتهادي وستأتي هذه الروايات.
(٢) ابن جرير (٥٥/١) والعزرمي هو عبد الملك بن أبي سليمان روى له مسلم والأربعة البخاري تعليقاً وهو صدوق في الحديث.

(٣) روي هذا اللفظ في عدة روايات فقد رواه الطبراني في الكبير عن معاذ (١٥٤/٢٠ - ١٥٥/١٥٥ ح/٣٢٣) في حديث قضاء دينه قال عنه الهيثمي: (١٨٧/١٠ - ١٨٩) فيه نصر بن مرزوق ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات ألا أن سعيد بن المسيب لم يسمع من معاذ. قلت: نصر بن مرزوق قال عنه ابن أبي حاتم: كتبنا عنه وهو صدوق (الجرح والتعديل ٤/١/٤٧٢) فعلة الحديث هي الانقطاع بين سعيد ومعاذ.

ورواه الطبراني في الكبير عن معاذ (١٥٩/٢٠ - ١٦٠/١٦٠ ح/٣٣٢) وقال الهيثمي فيه من لم أعرفهم (المجمع ١٠/١٨٩) وروي عن عائشة في قضاء الدين: أخرجه الحاكم (٥١٥/١) والبخاري (كشف الأستار ٤/٥٢/٣١٧٧) والمروزي في مسند أبي بكر الصديق (ح ٤٠) والبيهقي في دلائل النبوة (١٧١/٦) وابن أبي الدنيا في الدعاء (كنز العمال ح ١٥٥٦٢) وابن عدي في الكامل (٢/٦٢١) قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبدالله الإيلي وقال الذهبي: الحكم ليس بثقة.

وروي عن أنس في قضاء الدين: أخرجه الطبراني في الصغير (٢٠٢/١) قال عنه الهيثمي: رجاله ثقات (المجمع ١٠/١٨٩) قلت: لكن دون قوله ورحيمهما. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شبة مرفوعاً من رواية عبد الرحمن بن سابط (الدر المنثور ١/٢٤) ووجدته موقوفاً عنده في مصنفه (١٠/٣٥٥ ح/٩٦٤٧).

والظاهر المفهوم من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل على الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة إلى المرحوم، فلهذا قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾، ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ (التوبة/١١٧) ولم يأت قط إنه بهم رحمن، ووصف نبيه محمداً ﷺ بأنه رؤوف رحيم فقال تعالى: ﴿حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة/١٢٨) ولم يصف قط أحداً من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك، والله أعلم.

(راض) خبر لمبتدأ محذوف تقديره وأنا راض (به) أي بالله عز وجل (مدبراً) حال من الضمير المجرور أي بتدبيره لي في جميع شؤوني، فإن أزمة الأمور بيده وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدر ما لا نقدر، وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴿الله الذي خلق سبع سمواتٍ ومن الأرض مثلهنّ يتنزل الأمرُ بينهنّ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ (الطلاق/١٢). (ومعينا) لي على جميع أموري الدينية والدنيوية فأني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ولا علم لي إلا ما علمنيه فلا أعبد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجأ ولا ملجأ منه إلا إليه.

القول في حمد الله وشكره والاستعانة به

والحمد لله كما هدانا إلى سبيل الحق واجتباننا

أي (و) أثنى بحمده فأقول (الحمد لله) كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وأمر بذلك عباده فقال تعالى مخاطباً لنبيه خطاباً يدخل فيه جميع أمته ﴿قل الحمد لله﴾ (النمل/٥٩) فله الحمد كالذي يقول وخيراً مما نقول سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد على أسمائه الحسنی وصفاته العلی وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وله الحمد في الأولى والآخرة. وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى. فقال ﷺ: «أما إن ربك يحب

الحمد» رواه أحمد والنسائي^(١)، وعن الحكم بن عمير رضي الله عنه وكانت له صحبة قال: قال رسول الله: «إذا قلت الحمد لله فقد شكرت الله فزادك»^(٢) رواه ابن جرير. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»^(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى - يعني من هدايته للحمد - أفضل مما أخذ»^(٤) رواه ابن ماجه، وللقرطبي عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك»^(٥) قال القرطبي وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا. لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

(١) حديث حسن: أخرجه أحمد (٤٣٥/٣) والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ٧٠/١) من طريق الحسن البصري عن الأسود والحسن مدلس وقد صرح بالحديث فيما أخرجه المقدسي في أحاديث الشعر (ل ١٢). وقد ذكر ابن المديني في العلل (ص ٥٩) أن الحسن لم يسمع من الأسود. وتصريحه بالتحديث يرد عليه والحديث له طرق أخرى تقويه عند أحمد والطبراني.

(٢) ابن جرير (٦٠/١) في تفسيره وسنده ضعيف وقال عنه ابن أبي حاتم: حديث منكر (الإصابة ٣٤٧/١) وانظر الدر المنثور (٣٠/١). وعلته: موسى بن أبي حبيب.

(٣) الترمذي (٤٦٢/٥ ح ٣٣٨٣) في الدعاء، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم.

والنسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٨٣١) وابن ماجه (٢٤٩/٢ ح ٣٨٠٠) في الأدب باب فضل الحامدين. وابن حبان (الإحسان ١٠٤/٢ ح ٨٤٣) والحاكم (٤٩٨/١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص والبغوي في شرح السنة (٤٩/٥ ح ١٢٦٩). كلهم من حديث موسى بن إبراهيم عن طلحة بن خراش عنه به والحديث حسن ممسوس قال عنه الحافظ: صدوق يخطيء.

(٤) ابن ماجه (١٢٥٠/٢ ح ٣٨٠٥) في الأدب، باب فضل الحامدين وسنده حسن ففيه شيب بن بشر قال عنه الحافظ صدوق يخطيء. وحسن البوصيري في زوائده (١٩٢/٣) ورواه الطبراني في الكبير (٢٢٨/٨ ح ٧٧٩٤) من حديث أبي أمامة وفيه زيادة وإن عظمت في آخره. وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

(٥) نوادر الأصول (الحكيم الترمذي) (ص ٢٨٠) وقد عزاها القرطبي إليه. وليست له (القرطبي) ورواها الحكيم غير مسندة كعادته.

(الكهف/٤٦)^(١) وقال علي رضي الله عنه: الحمد لله كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال^(٢). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي^(٣). وقال رضي الله عنه: الحمد لله كلمة كل شاكر^(٤). وقال رضي الله عنه: الحمد لله هو الشكر لله، هو استخذاء له والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك^(٥). وقال الضحاك: الحمد لله رداء الرحمن^(٦)، وقال كعب الأحبار: الحمد لله ثناء الله^(٧). وفي معنى الحمد لله وفضلها آثار غير ما ذكرنا لا تحصى. ولما كان من أكبر نعم الله علينا، وأجل منته الواصلة إلينا، هدايته إيانا إلى صراطه المستقيم، الذي هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد غيره، ناسب الثناء عليه بها فقلت (كما هدانا) أي على ما هدانا إرشاداً ودلالة بكتبه ورسله، وتوفيقاً وتسديداً بمشيئته وقدره (إلى سبيل الحق) وهو دين الإسلام والإيمان (واجتباناً) له، وبذلك قال تعالى ممتناً علينا وله الحمد والمنة: ﴿واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ (البقرة/١٩٨) وقال تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (آل عمران/١٦٤) وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ (الحج/٧٧-٧٨) ولما كان الحمد الخيري أبلغ من الإنشائي لدلالته

(١) القرطبي في الجامع مع الأحكام القرآن (١/١٣١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (الدر المنثور ١/٣٠).

(٣) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق (الدر المنثور ١/٣٠).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/٢٤).

(٥) ابن جرير (١/٦٠) في تفسيره وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١/٣٠).

(٦) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١/٣١).

(٧) ابن جرير (١/٦٠) وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١/٣٠).

على الثبوت والاستمرار قدمته عليه أولاً ثم عطفت عليه الإنشائي جمعاً بينهما
فقلت:

أحمدہ سبحانہ وأشکرہ ومن مساوي عملي أستغفره

(أحمدہ) أي أنشئ له حمداً آخر متجدداً على توالي نعمه وتواتر فضله، فله
الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه (سبحانه) أي تنزيهاً له عما لا يليق
بنعوت جلاله وصفات كماله، وهذه العبارة تتضمن معنى قوله في الحديث المتفق
عليه «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان:
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(١) (وأشكره) على ما أنعم وألهم امتثالاً
لقوله عز وجل: ﴿فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون﴾ (البقرة/١٥٢).

واختلف العلماء في معنى الحمد والشكر هل هما مترادفان أولاً، فذهب إلى
ترادفهما ابن جرير الطبري صاحب التفسير وجعفر الصادق وغيرهما، وذهب
جماعة من المتأخرين إلى التفرقة بينهما، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
تعالى: الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان
الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى
الشاعر. فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر لأنه يكون على المحاسن
والإحسان، فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسنی والمثل الأعلى،
وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ

(١) البخاري (٢٠٦/١١) في الدعوات، باب فضل التسبيح. وفي الأعيان النذور، باب إذا قال والله لا
أتكلم اليوم فصل أو قرأ. وفي التوحيد، باب قول الله تعالى «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»
(٥٣٧/١٣).

ومسلم (٢٠٧٢/٤ ح ٢٦٩٤) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح.
والترمذي (٥١٢/٥ ح ٣٤٦٢) في الدعوات، باب رقم ٦٠ وقال: هذا حديث حسن غريب
صحيح.

وابن ماجه (١٢٥١/٢ ح ٣٨٠٦) في الأدب، باب فصل التسبيح.
والنسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٨٣٠) وابن حبان (الإحسان ٩٩/٢ و١٠٣) كلهم من حديث
محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة وهذا هو وجه الغرابة التي
ذكرها الترمذي (الفتح ٥٤٠/١٣).

ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن (الإسراء/ ١١١) وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (الأنعام/ ١) وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة﴾ (سبأ/ ١) وقال تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾ (فاطر/ ١). وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا ولهذا قال تعالى: ﴿إعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ/ ١٣) والحمد يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه. وفي الحديث «الحمد لله رأس الشكر»^(١)، فمن لم يحمد الله لم يشكره، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»^(٢)، والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(ومن مساوئ) جمع مساءة (عملي) مضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف. (استغفره) السين للطلب أي أطلب منه مغفرة تلك المساوئ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

(١) رواه عبد الرزاق في جامعه والبيهقي في شعب الإيمان (الكنز ٣/ ٢٥٥) من حديث ابن عمرو وسنده ضعيف.

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٩٥) ح ٢٧٣٤ في الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب. وأحمد (٣/ ١٠٠).

وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٤) ح ٩٦١٥.

والترمذي (٤/ ٢٦٥) ح ١٨١٦ في الأطعمة، باب ما جاء في الحمد إذا فرغ من الطعام وقال في الباب عن عقبة بن عامر وأبي سعيد وعائشة وأبي أيوب وأبي هريرة (رضي الله عنهم). وهذا حديث حسن.

والبغوي في شرح السنة (١١/ ٢٨٠) ح ٢٨٣١ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأستعينه على نيل الرضا وأستمدُّ لطفه في ما قضى

(وأستعينه) أطلب منه العون (على نيل الرضا) أي على فعل الأعمال الصالحة التي بسببها ينال رضا أن يرزقنيها وينيلني رضاه بفضلته ورحمته . (وأستمد) أي أطلب منه الإمداد بأن يرزقني (لطفه) بي (فيما قضى) وقدر من المصائب، وأن يجعلني راضياً بذلك مؤمناً به مستيقناً أنه من عند الله وأن وقوعه خير عندي من كونه لم يقع، وأن يهدي قلبي كما قال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذنٍ الله ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه والله بكل شيءٍ عليم﴾ (التغابن/ ١١) وكما قال ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء»^(١) الحديث، فإن ذلك أعلى درجات الإيمان بالقدر، وهو الرضا بالمصيبة .

القول في كلمة الشهادة

وبعد إني باليقين أشهدُ شهادة الإخلاص أن لا يعبدُ
بالحق مألوهٌ سوى الرحمن من جُلَّ عن عيب وعن نقصان

(وبعد) هو ظرف زمني يؤتى به للتنبيه على ما بعده وفصله عما قبله، ويبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويغني عن إعادة المضاف إليه (إني باليقين) القاطع الجازم بدون شك ولا تردد (أشهد شهادة) مصدر مؤكد (الإخلاص) مضاف إلى شهادة من إضافة الصفة إلى الموصوف (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مستكن والتقدير أنه، والخبر (لا يعبد) بضم الياء وفتح الباء بالبناء للمفعول (بالحق) يتعلق بيعبد (مألوه) نائب الفاعل ليعبد ومعناه معبود (سوى) أداة استثناء بمعنى إلا (الرحمن) أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل، والتقيد بحق يخرج به الآلهة المعبودة بباطل فإنها قد عبدت، والمنفى هو استحقاق العبادة عن غير الله عز وجل لا وقوعها، وهذه هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولما لم يمكن في النظم الإتيان بلفظها نظمها بمعناها، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط القول في تفسيرها

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٣١٩ ح ٨٢٥) والأوسط (٤٥٥ مجمع البحرين) قال الهيثمي: رجالهما ثقات. (من حديث فضالة بن عبيد).

(مَنْ جَلَّ) في صفات كماله ونعوت جلاله (عن عيب وعن نقصان) وهما لفظان مترادفان فكل عيب يسمى نقصاناً وكل نقصان يسمى عيباً والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك كله، بل له الجلال المطلق والكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وأن خير خلقه محمداً من جاءنا بالبينات والهدى
رسوله إلى جميع الخلق بالنور والهدى ودين الحق

(و) أشهد (أن خير) أفضل (خلقه) هاء الضمير يعود على الرحمن (محمداً) يدل من خير أو عطف بيان، ومعناه الكثير المحامد فهو أبلغ من محمود. (من جاءنا بالبينات والهدى) من عند الله عز وجل، هذه الجملة صلة من وهو محله النصب نعت لمحمد ﷺ والخبر (رسوله) الرسول بمعنى المرسل وهو من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، فإن أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط، فكل رسول نبي ولا عكس (إلى جميع الخلق) كافة قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ/٢٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف/١٥٨) وفي الصحيح من حديث الخصائص «وكان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»^(١) وفيه أيضاً: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٢). (بالنور) المبين وهو القرآن الذي قال الله

(١) البخاري (٤٣٥/١ - ٤٣٦) في التيمم، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.

وفي (٥٣٣/١) في الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت في الأرض مسجداً وطهوراً.

والنسائي (٢١٠/١ و ٢١١) في الغسل، باب التيمم بالصعيد.

ورواه مسلم بلفظ: كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحر وأسود (٣٧٠/١ - ٣٧١/١).

ح (٥٢١) في المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) رواه مسلم (١٣٤/١ ح ١٥٣) في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسلة نبينا محمد ﷺ إلى جميع

عز وجل فيه : ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ (النساء/ ١٧٤) وقال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله﴾ (الشورى/ ٥٢) الآية ، وقال تعالى : ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ (التغابن/ ٨) وغير ذلك من الآيات (والهدى) الإرشاد والدلالة إلى الصراط المستقيم ، (ودين الحق) الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد غيره قال الله عز وجل : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (الصف/ ٩) وكل من القرآن والرسول والإسلام يسمى نوراً وهدى وصراطاً مستقيماً . وكل الثلاثة متلازمة تقول أرسل الله عز وجل رسوله وأنزل عليه كتابه بدين الإسلام ، وتقول دين الإسلام هو الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه ، وكل منها نور مبين ، وهدى مستبين ، وصراط مستقيم .

القول في الصلاة ، والتعريف بالآل والأصحاب

صلى عليه ربنا ومجداً والآل والصحب دواماً سرمداً

(صلى عليه ربنا) قال أبو العالية : الصلاة من الله عز وجل ثناؤه على عبده في الملاء الأعلى ، ذكره عنه البخاري^(١) . ومنه قوله تعالى : ﴿هو الذي يُصَلِّي عليكم وملائكته﴾ (الأحزاب/ ٤٣) وفي الصحيح من الحديث القدسي : «إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»^(٢) . (ومجداً)

= الناس ونسخ الممل بملّة .

وأحمد (٣١٧/٢ و ٣٥٠) والبعوي في شرح السنة (١٠٤/١ ح ٥٦) .

(١) الفتح (٥٣٢/٨) وقد روي موقوفاً عن أنس وابن عباس رضي الله عنهما بأسانيد ضعيفة أنظر الفتح (٥٣٣/٨) .

(٢) البخاري (٣٨٤/١٣) في التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾ .

ومسلم (٢٠٦٨/٤ ح ٢٦٨٦) في الذكر والدعاء والاستغفار ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى .

والترمذي : (٥٨١/٥ ح ٣٦٠٣) في الدعوات ، باب في حسن الظن بالله تعالى .

وابن ماجه (١٢٥٥/٤ ح ٣٨٢٢) في الأدب ، باب فضل العمل .

بألف الإطلاق أي شرفه وزاده تشريفاً وتمجيداً (والآل) أي آله ﷺ وهم أتباعه وأنصاره إلى يوم القيامة كما قيل :

آل النبي همو أتباع ملته على الشريعة من عجم ومن عرب
لولم يكن آله إلا قرابته صلى المصلى على الطاغي أبي لهب
ويدخل الصحابة في ذلك من باب أولي ، ويدخل فيه أهل بيته من قرابته
وأزواجه وذريته من باب أولي وأولي . (والصاحب) جمع صحابي وهو من رأى أو
لقي النبي مؤمناً به ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخللت ردة في الأصح ، وهم
أفضل القرون في هذه الأمة ، وسيأتي في آخر المتن الكلام على فضل بعضهم
على بعض إن شاء الله تعالى .

التعريف بموضوع الكتاب

وبعد هذا النظم في الأصول لمن أراد منهج الرسول
سألني إياه من لا بد لي من امتثال سؤله الممثل

(وبعد) تقدم الكلام عليه قريباً ، أي وبعد الشهادتين والصلاة والسلام على
محمد ﷺ وآله وصحبه (هذا النظم) الألف واللام للعهد الحضورى ، موضوعه
(في الأصول) والمراد بها هنا أصول الدين من الإيمان بالله عز وجل وأسمائه
وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وأركان الإسلام
الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بكل منها ، والكلام على رسالة
نبينا محمد وما يتعلق بها ، والكلام في مسألة الخلافة ، والاعتصام بالكتاب والسنة
وما تحتوي عليه كل مسألة من ذلك ، وسترى إن شاء الله تعالى تبيانها مفصلاً (لمن
أراد) من المؤمنين (منهج الرسول) سبيله ومسلكه وهو ما عليه أهل السنة
والجماعة . (سألني الخ) البيت بين واضح .

فقلت مع عجزى ومع إشفافى معتمداً على القدير الباقي

(فقلت) جواب سألني (مع عجزى) عدم قدرتي على ذلك (ومع إشفافى)
خوفي من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها ، وذلك

لقصر باعي وقلة اطلاعي ، والذي قوى عزمي على ذلك هو كوني (معتمداً) أي متوكلاً (على القدير) الذي لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض (الباقى) الذي كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مقدمة

تعرف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه
وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه

اعلم بأن الله جل وعلا لم يترك الخلق سدى وهملأ
بل خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفردوه

(اعلم) كلمة يأتي بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطاب بها في هذا الموضع لكل المكلفين. (بأن الله جل) شأنه وتنزه عن كل نقص (وعلا) بكل معاني العلو (لم يترك الخلق سدى) ولا (هملأ) أي لا يأمرهم ولا ينهأهم في الدنيا ولا يبعثهم فيجازيهم في الآخرة، لأنه تعالى في خلقهم إلا بالحق لا عبثاً ولا باطلاً، بل لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران/ ١٩٠ - ١٩١). ﴿ربنا ما خلقت هذا﴾ أي الخلق ﴿باطلاً﴾ لا بل الحق، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزّهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا ﴿سبحانك﴾ أي عن أن تخلق شيئاً باطلاً تباركت وتعاليت. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ تعالى عما يشركون، خلق الإنسان من نقطة فإذا هو خصيمٌ مبين﴾ (النحل/ ٣ - ٤) يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات بما حوت، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وأن ذلك مخلوق بالحق لا

للعبث، ثم نزه تعالى نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده
 لا شريك له، فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. ثم نبه تعالى على خلق
 جنس الإنسان من نقطة أي مهينة ضعيفة، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه
 تعالى ويكذبه ويحارب رسله، وهو إنما خلق ليكون عبداً لا ضدّاً، وهذا كقوله
 تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ، وَضَرَبَ لَنَا
 مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس/٧٦-٧٨) وقال تعالى: ﴿فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا
 وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون/١١٥) أي أظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد
 ولا إرادة منا ولا حكمة لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا
 ثواب لها ولا عقاب ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي لا تعودون في الدار الآخرة،
 لا، ليس الأمر كذلك، إنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ثم نبعثكم
 ليوم لا ريب فيه فنجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا يقوله
 تعالى لأهل النار توبيخاً وتقريعاً وتبكيئاً بعدما رأوا الحقائق عين اليقين. ثم قال
 تعالى منزهاً نفسه عما حسبه ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي تقدس أن يخلق شيئاً
 عبثاً فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ وقال
 تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص/٢٧) يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم
 ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر، وليس
 الأمر كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار
 فقط ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار
 المعدة لهم، ثم بيّن تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين
 والكافرين فقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي
 الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص/٢٨) أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند
 الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي ويعاقب فيها
 هذا الفاجر. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة
 والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله

وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا المظلوم من هذا الظالم، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة^(١).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الروم/ ٨) يقول تعالى منبهاً على التفكير في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله عز وجل الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجلٍ مسمى وهو يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم/ ٨) وقال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (العنكبوت/ ٤٤) أي للحق وإظهار الحق لا على وجه العبث واللعب ﴿إِن فِي ذَلِكَ﴾ أي في خلقها ﴿لَايَةً﴾ أي لدلالة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ على أنه تعالى المتفرد بالقدر والخلق والتدبير والإلهية. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالعدل ﴿وَلَتَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية/ ٢٢). وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لا على وجه العبث واللعب ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي وإلى مدة معينة مضروبة يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات وهو الإشارة إلى فنائهما. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يَتْرَكَ سَدًى﴾ (القيامة/ ٣٦) قال السدى: يعني لا يبعث. وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهى. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منه في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٣٦/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٨٢/٤).

(بل خلق) الله تعالى (الخلق ليعبدوه) عز وجل بما شرعه على ألسنة رسله وأنزل به كتبه (و) مع عبادتهم إياه لا يشركون بعبادته أحداً كائناً من كان بل (بالإلهية يفردوه) دون ما سواه، فمن عبد الله تعالى ألف سنة ثم أشرك به لحظة من اللحظات ومات على ذلك حبط جميع عمله وصار هباءً منثوراً حيث أشرك مع الله في عبادته من هو مثله مخلوق لعبادة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات/٥٦) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أي إلا لأمرهم أن يعبدون وأدعوهم لعبادتي^(١). يؤيده قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣١) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلا ليعبدون، إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً^(٢). وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج ومجاهد: إلا ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: أي إلا للعبادة طوعاً أو كرهاً، وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان/٢٥) فهذا منهم عبادة ولا ينفعهم مع الشرك وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون. ١. هـ. من تفسير ابن كثير^(٣). وقال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين^(٤) يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ - من المؤمنين - إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ (الأعراف/١٧) وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم إلا لمعصيتي. وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال: هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة، وقيل: معناه إلا ليخضعوا لي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته ولا يملك أحد لنفسه خروجاً عما

(١) تفسير البغوي (٢٣٠/٥) وقد ذكره دون سنده. وليس هو عند ابن كثير (في المطبوع).

(٢) ابن جرير (١٢/٢٧) وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٦٢٤/٧) وفيه انقطاع بين علي وابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) تفسير ابن كثير (٢٥٥/٤).

(٤) أنظر فتح القدير للشوكاني (٩٢/٥).

خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضرر. وقيل: إلا ليعبدون، إلا ليوحدون. فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت/٦٥) الآية (١). هـ. من تفسير البغوي رحمه الله تعالى. قلت: وهذه الأقوال في هذه الآية وإن كانت متقاربة والآية تسع جميعها، أرجحها الأول وهو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا لأمهم وأدعهم لعبادتي، يؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣١) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة/٥) الآية وغيرها من الآيات. ويؤيد ذلك أن الله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من جميع عبادته وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمره وأتى بما أَرَادَهُ وشاءه منه فله رضاه والجنة ومن خالف في ذلك فله سخطه والنار. ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادة وأرادها في الكون لم يكن لهم بد من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية الله تعالى من سبيل، ولا يخرج عن قضائه تعالى وقدره شيء من المخلوقات مثقال ذرة، فإنه لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد لأمره، ولا ناقض لما أَمَرَ، ولا دفاع لما قدره، ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء/٢٣) فقال ابن عباس وقتادة والحسن: وأمر ربك. وقال الربيع بن أنس: وأوجب ربك. وقال مجاهد: وأوصى ربك. وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (١) ولو أنه تبارك وتعالى قضى في الكون أن لا يعبد إلا إياه لم يشرك به أحد من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعاً ليلوكم أيكم أحسن عملاً، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. وهذه المشيئة منه للعبادة من عباده شرعاً عامة لمؤمنهم وكافرهم، وأما مشيئته للعبادة الكونية القدريّة فخاصة للمؤمنين، فلهذا

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل ٥/٢٣٠).

(٢) أنظر تفسير ابن كثير (٣٧/٣) ومعالم التنزيل (٤٨٩/٣).

اتفقت فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئة الشرعية لما سبق لهم في المشيئة القدرية الكونية، وأما الكافر فلم يوافق المشيئة الشرعية لما سبق عليه في المشيئة القدرية من الشقاوة. فتبين بهذا أن المشيئة الكونية القدرية لا خروج لأحد منها، ولا محيد له عنها، سواء سبقت له بالشقاوة أو السعادة. وأما المشيئة الشرعية فمن كان سبق له في القدرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالفها كان كذلك.

وأما معنى العبادة فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة - يعني الظاهرة - وكذلك حب الله ورسوله وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله - يعني الباطنة - وجماع العبادة كمال الحب مع كمال الذل^(١). وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة بحثها في بابها من المتن.

أخرج فيما قد مضى من ظهر آدم ذريته كالذر
وأخذ العهد عليهم أنه لا ربَّ معبودَ بحقٍّ غيره

(أخرج) أي الله تبارك وتعالى (فيما) أي الزمن الذي (قد مضى) وذلك بعد خلقه آدم عليه الصلاة والسلام (من ظهر آدم) أبي البشر عليه السلام (ذريته) كل من يوجد منهم إلى يوم القيامة (كالذر) أي كهيئته (وأخذ) عز وجل (العهد عليهم) وتفسير العهد (أنه) الضمير للشأن أو الحال هو ربهم (لا رب معبود) مستحق للعبادة ولذا قيد (بحق غيره) وإلا فكم قد اتخذ أعداؤه من أرباب وعبدوها بالباطل بدون حق بل بالظلم العظيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

(١) أنظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وانظرها في مجموع الفتاوى (١٤٩/١٠) وما بعدها منها أخذ المصنف هذا القول.

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ . وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٢﴾ (الأعراف/ ١٧٢ - ١٧٤) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي» أخرجاه في الصحيحين^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً - إِلَى قَوْلِهِ - الْمُبْطِلُونَ﴾ رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٢)، وقد روي من طرق كثيرة موقوفاً. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآية - فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إن الله خلق آدم

- (١) البخاري (٣٦٣/٦) في الأنبياء، باب خلق آدم وذريته.
ومسلم (٢١٦١/٤ ح ٢٨٠٥) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.
(٢) أحمد (٢٧٢/١) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٤٤٠/٤) وابن جرير في تفسيره (١١٠-١١١).

والحاكم: (٥٤٤/٢). وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قال المزي في تحفة الأشراف: كلثوم (بن جبر) هذا ليس بالقوي وحديثه ليس بالمحفوظ.
وقال الذهبي: قال النسائي: ليس بالقوي ووثقه أحمد وابن معين (الميزان ٤١٣/٣).
وقال: وساق الحاكم نحوه (أي حديث ابن عباس) من مسند عمر مرفوعاً.
قلت: ورواه ابن جرير من طريق كلثوم موقوفاً على ابن عباس.
وقال ابن كثير (٢٧٥/٢) تفسير) والصحيح وقفه على ابن عباس رضي الله عنهما وانظر الرد على الجهمية لابن منده (ص ٥٨). والسلسلة الصحيحة (ح ١٦٢٣).

عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون» فقال رجل: يا رسول الله، فقيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ «إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار» رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي رب، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها لابنك داود؟ قال: فجحد آدم، فجحدت ذريته. ونسي آدم، فنسيت ذريته» رواه الترمذي وقال:

(١) الموطأ (٢/٨٩٨ و٨٩٩) في القدر، باب النهي عن القول بالقدر.

وأحمد (١/٤٤ - ٤٥) والترمذي (٥/٢٦٦ ح ٣٠٧٥) في التفسير، باب ومن سورة الأعراف. وقال هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً. قلت: قد رواه ابن جرير (٩/١١٣) بذكره وهو نعيم بن ربيعة وهو مجهول.

ورواه أبو داود (٤/٢٢٦ - ٢٢٧ ح ٤٧٠٣) في السنة، باب في القدر.

ورواه ابن جرير (٩/١١٣) في تفسيره. والحاكم (٢/٥٤٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وابن حبان (الإحسان ٨/١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (الدر المنثور ٣/٦٠١).

قلت: وإسناده ضعيف لجهالة مسلم بن يسار الجهني والانقطاع بينه وبين عمر رضي الله عنه. ولكن الحديث صحيح لغيره لكثرة شواهد وقد انفرد بلفظ مسح الظهر فهي شاذة... وانظر تفسير ابن كثير (٢/٢٧٣).

هذا حديث حسن صحيح . وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(١) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره نحو ما تقدم إلى أن قال : «ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ، وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام ، فقال آدم : يا رب لم فعلت هذا بذريتي؟ قال : كي تشكر نعمتي . وقال آدم : يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً؟ قال : هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك»^(٢) . ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم .

وعن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أتبدأ الأعمال أم قد قضى القضاء؟ قال فقال رسول الله ﷺ : «إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيه ، ثم قال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار . فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار» رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه^(٣) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال : يا أصحاب اليمين ، فقالوا لبيك وسعديك . قال ألسنت بربكم؟ قالوا بلى ، قال يا أصحاب

(١) الترمذي (٢٦٧/٥ ح ٣٠٧٦) في التفسير ، باب ومن سورة الأعراف . وقال : هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن النبي ﷺ .
والحاكم في مستدركه (٣٢٥/٢) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وهو كما قال .

(٢) رواه من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة . (ابن كثير ٢٧٤/٢) وسنده ضعيف . فعبد الرحمن بن زيد بن أسلم سيء الحفظ .

(٣) ابن جرير (١١٧/٩) والطبراني في الكبير (١٦٨/٢٢ ح ٤٣٤) والأجري في الشريعة (ص ١٧٢) من طريق راشد بن سعد عن عبدالرحمن بن قتادة السلمين عن هشام به .
ورواه الطبراني (١٦٩/٢٢ ح ٤٣٥) وابن جرير (١١٨/٩) والبخاري (كشف الاستار ٢٠/٣) كلهم من حديث راشد بن سعد عن عبدالرحمن بن قتادة عن أبيه عن هشام به .
قال ابن حجر : وذكر البخاري أن هذه الزيادة خطأ وأن الصواب عن راشد عن عبدالرحمن عن هشام (تعجيل المنفعة ص ٢٥٦) .

والحديث حسن برواية الطبراني (المجمع ١٨٩/٧) .

الشمال، قالوا لبيك وسعديك. قال أأست بربكم؟ قالوا بلى. ثم خلط بينهم. فقال له يا رب لم خلطت بينهم، قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ثم ردهم في صلب آدم» رواه ابن مردويه، وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الدر وهو في أذى من الماء. رواه ابن جرير^(٢). وله عنه رضي الله عنه قال: إن الله تعالى مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالرزق. ثم أعادهم في صلبه. فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفي به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقربه لم ينفعه الميثاق الأول. ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة^(٣). وله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم وأشهدهم على أنفسهم: أأست بربكم؟ قالوا بلى، قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»^(٤) وصحح ابن كثير وقفه. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله

(١) رواه ابن مردويه (ابن كثير ٢٧٤/٢) من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال - وذكره -.

وجعفر ضعيف. ورواه عبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو الشيخ في العظمة (الدر المنثور ٦٠٢/٣). والحديث صحيح لشواهده.

(٢) ابن جرير (١١٢/٩) وابن منده في الرد على الجهمية (ح ٣٢) وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ (الدر المنثور ٥٩٨/٣).

وآذني الماء: الموج الشديد (النهاية ٣٤/١).

(٣) ابن جرير (١١٢/٩) من رواية جوير عنه وهو ضعيف جداً.

(٤) ابن جرير (١١٣/٩) مرفوعاً من طريق الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً به.

ورواه من طريق سفيان وجري عن منصور عنه به موقوتاً.

قال ابن كثير (٢٧٥/٢) وهذا أصح والله اعلم. وانظر السلسلة الصحيحة (ح ١٦٢٣).

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآيات، قال: فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم، ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا بلى. الآية، قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلّموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلاً ليدذكروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتيبي. قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال يا رب لو سويت بين عبادك قال إني أحببت أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ (الأحزاب/٧) الآية وهو الذي يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ (الروم/٣٠) الآية ومن ذلك قال: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ (النجم/٥٦) ومن ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ (الأعراف/١٠٢) الآية رواه عبدالله بن أحمد في مسند أبيه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه^(١). وفي البغوي قال مقاتل وغيره من أهل التفسير^(٢): إن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قالوا بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة

(١) عبدالله (زوائد المسند ١٣٥/٥) وابن جرير (١١٥/٩) وابن منده في الرد على الجهمية (ح ٣٠) والحاكم (٢/٣٢٣ - ٣٢٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وهو كما قال.

(٢) من ح ٢/ص ٥٦٥ (معالم التنزيل).

أقروا طوعاً وقالوا بلى . وأهل الشقاوة قالوا تقية وكرها . وذلك معنى قوله تعالى : ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ .

واختلفوا في موضع الميثاق قال ابن عباس رضي الله عنهما : ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة . وروي عنه أيضاً أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه ، وقال الكلبي : بين مكة والطائف ، وقال السدي : أخرج آدم عليه السلام من الجنة فلم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته ، وروي أن الله تعالى أخرجهم جميعاً وصورهم وجعل لهم عقلاً يعلمون بها وألسناً ينطقون بها ثم كلمهم قبلاً يعني عياناً وقال : أأست بربكم ؟ وقال الزجاج : وجائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهماً تعقل به كما قال تعالى : ﴿قالت نملّة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ (النمل/ ١٨) قال البغوي : فإن قيل ما معنى قوله ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ وإنما أخرجهم من ظهر آدم ؟ قيل إن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم عن ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره . قوله تعالى : ﴿وأشهدهم على أنفسهم أأست بربكم قالوا بلى﴾ أي أشهد بعضهم على بعض ، قوله : ﴿شهدنا أن تقولوا﴾ قرأ أبو عمرو أن يقولوا ، أو يقولوا ، بالياء فيهما ، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما . واختلفوا في قوله ﴿شهدنا﴾ قال السدي : هو خبر من الله عز وجل عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم . وقال بعضهم هو خبر عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدنا . وقال الكلبي ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لما قالت الذرية بلى قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا . قوله : ﴿أن يقولوا﴾ يعني وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا أي لثلاث يقولوا أو كراهية أن يقولوا . ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخطبكم أأست بربكم لثلاث تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أي عن هذا الميثاق والإقرار ، فإن قيل كيف يلزم الحجة واحداً لا يذكر الميثاق ؟ قيل قد أوضح الله تعالى الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا ، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة ، ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر صاحب المعجزة ، قوله : ﴿أو تقولوا﴾

إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿ يَقُولُ إِنَّمَا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَيْكُمْ لَثَلَا تَقُولُوا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَنَقَضُوا الْعَهْدَ وَكُنَّا ذُرِيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَيْ كُنَّا أَتْبَاعاً لَهُمْ فَاقْتَدِينَا بِهِمْ فَتَجَعَلُوا هَذَا عِذْراً لَأَنْفُسِكُمْ وَتَقُولُوا: ﴿ أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمَبْطُلُونَ ﴾ أَفْتَعَذِبْنَا بِجَنَائَةِ آبَائِنَا الْمَبْطُلِينَ؟ فَلَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَحْتِجُوا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ بَعْدَ تَذْكِيرِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَى التَّوْحِيدِ ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ ﴾ أَيْ نَبِينِ الْآيَاتِ لِيَتَدَبَّرَهَا الْعِبَادُ ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى التَّوْحِيدِ^(١). هـ. البغوي.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى^(٢): وذهب طائفة من السلف والخلف أن المراد بهذا الشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» وفي رواية «على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»^(٣) أخرجاه. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»^(٤) وعن الأسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال: «ما بال أقوام يتناولون الذرية؟» فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: «إن خياركم أبناء المشركين. ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها

(١) إلى ح ٢ ص ٥٦٨ (معالم التنزيل).

(٢) من ح ٢ ص ٢٧٥ (التفسير).

(٣) البخاري (الفتح ٢١٩/٣) في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام وفيه (٢٤٦/٣) باب ما قيل في أولاد المشركين.

ومسلم: (٢٠٤٧/٤ ح ٢٦٥٨) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

ورواية (ما من مولود يولد إلا هو على الفطرة) عند مسلم دون البخاري.

(٤) مسلم (٢١٩٧/٤ ح ٢٨٦٥) في الجنة، باب الصفة التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

وينصرا نها^(١) قال الحسن ولقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قالوا ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل من آدم ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام/١٦٥) وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ وقال تعالى: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (الأنعام/١٣٣) ثم قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أي أوجدتهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً، قال والشهادة تكون بالقول كقوله تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ الآية وتارة تكون حالاً كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ (التوبة/١٧) أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (العاديات/٧) كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (إبراهيم/٣٤) قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الأشهاد حجة عليهم في الإشراف فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه. فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده، فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ أي عن التوحيد ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾^(٢) الآية ا. هـ . .

قلت: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة، فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة، الأول الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

(١) أحمد (٢٤/٤) والطبراني (٢٨٤/١) والحاكم (١٢٣/٢) والبيهقي (٧٧/٩).

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقد تقدم أن الحسن سمع من الأسود كما هو قول الجمهور خلاف المديني.

(٢) حـ ٢/ص ٣٧٥ (التفسير).

قالوا بلى ﴿ الآيات ، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات ، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما .

الميثاق الثاني : ميثاق الفطرة ، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول كما قال تعالى : ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم/ ٣٠) الآية . وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار والأسود بن سريع رضي الله عنهم وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما .

الميثاق الثالث : هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديداً للميثاق الأول وتذكيراً به ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا ﴾ (النساء/ ١٦٥) فمن أدرك هذا الميثاق وهو باق على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف ، لأنه جاء موافقاً لما في فطرته وما جبله الله عليه ، فيزداد بذلك يقينه ويقوي إيمانه فلا يتلثم ولا يتردد . ومن أدركه وقد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهوده أبواه أو نصراه أو مجسائه فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته وصدق بما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني ، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذباً بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال : ﴿ بلى ﴾ جواباً لقوله تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وقامت عليه حجة الله وغلبت عليه الشقوة وحق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء .

ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيراً قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم ، وإن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان عاملاً لو أدركه كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ : « الله تعالى إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين »^(١) . وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

(١) البخاري (٤٩٣/١١) في القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين . و(٢٤٥/٣) في الجنائز ، باب ما =

سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(١).

وبعد هذا رسله قد أرسلنا	لهم وبالحق الكتاب أنزلا
لكي بذا العهد يذكروهم	وينذروهم ويبشروهم
كي لا يكون حجة للناس بل	لله أعلى حجة عز وجل
فمن يصدقهم بلا شقاق	فقد وفي بذلك الميثاق
وذاك ناجٍ من عذاب النار	وذلك الوارث عقبى الدار
ومن بهم وبالكتاب كذبا	ولازم الأعراض عنه والإبنا
فذاك ناقض كلا العهدين	مستوجب للخزي في الدارين

(وبعد هذا) أي الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطروهم وجبلهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به (رساله) بإسكان السين للوزن مفعول أرسل مقدم (قد أرسلنا) بآلف الإطلاق (لهم) أي إليهم (وبالحق) متعلق بأنزل أي بدين الحق (الكتاب) جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل (أنزلا) بآلف الإطلاق والأمر الذي أرسل الله تعالى به الرسل إلى عباده وأنزل عليهم به الكتب هو (لكي بذا العهد) الميثاق الأول (يذكروهم) تجديداً له وإقامة لحجة الله البالغة عليهم (وينذروهم) عقاب الله إن هم عصوه ونقضوا عهده (ويبشروهم) بمغفرته ورضوانه إن هم وفوا بعهده ولم ينقضوا ميثاقه وأطاعوه وصدقوا رسله، والحكمة في ذلك لـ (كي لا يكون حجة) على الله عز وجل (لنناس بل لله) على جميع عباده

= قيل في أولاد المشركين.

ومسلم (٢٠٤٩/٤ ح ٢٦٦٠) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

وأبو داود (٢٢٩/٤ ح ٤٧١١) في السنة، باب في ذراري المشركين.

والنسائي (٥٩/٤) في الجنائز، باب أولاد المشركين.

(١) البخاري (٤٩٣/١١) في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين.

و(٢٤٥/٣) في الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين.

ومسلم (٢٠٤٩/٤ ح ٢٦٥٩) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

والنسائي (٥٨/٤) في الجنائز، باب أولاد المشركين.

(أعلى حجة) أبلغها وأدمغها (عز) سلطانه (وجل) شأنه عن أن يكون لأحد عليه حجة، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ وهو خاتم الرسل والمصدق لما جاءوا به وكتابه مصدق لما بين يديه مما معهم من الكتب ومهيمن عليه ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٦٣-١٦٥) وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحج/٤٩-٥١) وقال تعالى له ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب/٤٥-٤٧) والآيات. وقال تعالى له: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى فُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ، إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبا/٤٦) والآيات. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة/٢٤-٢٥) الآية. وغير ذلك من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا داعياً إلى عبادة الله عز وجل لا شريك له والكفر بما سواه من الأنداد ومبشراً لمن صدقه وأطاعه بالجنة ونذيراً لمن كذبه وعصاه من النار. ثم أخبر تعالى أن المراد بذلك ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء/١٦٥) وقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام/١٤٩). وتقدير البحث في الرسالة واتفاق الرسل في دعوتهم يأتي في بابه إن شاء الله عز وجل. (فمن يصدقهم) يعني الرسل (بلا شقاق) تكذيب ولا مخالفة (فقد وفي) لربه عز وجل (بذلك الميثاق) العهد الأول، وهؤلاء هم القليل من الثقلين، ولكن هم جند الله الغالبون المنصورون في الدنيا، وحزبه المفلحون الفائزون في الآخرة، وجواب الشرط (فذاك ناج من عذاب النار) إذ لم يرتكب

أسباب دخولها من معصية الله وتكذيب رسله كما ارتكب ذلك من خلق لها (وذلك الوارث عقبي الدار) وهي الجنة لفعله أسبابها التي أمره الله عز وجل بها من الوفاء بعهد الله وميثاقه وتصديق رسله وكتبه والعمل بجميع طاعته تبارك وتعالى . (ومن بهم) أي بالرسل (وبالكتاب) أي الكتب التي أنزل الله عليهم ليبلغوها إلى عباده ويبينوها ليعملوا بما فيها (كذباً) ، (ولازم الأعراض عنه) عما أرسل الله به رسله (والإبأ) أي الامتناع ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (غافر/٧٠) الآيات وقال تعالى فيهم : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (طه/١٢٤) الآيات وغيرها وهؤلاء أكثر الثقلين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كِفُوراً﴾ (الإسراء/٨٩) وقال تعالى : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف/١٠٢) وقال تعالى : ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَصْلَوْكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام/١١٦) وغير ذلك من الآيات . وجواب الشرط (فذاك) أي المكذب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله الآبي منه المعرض عنه المصر على ذلك حتى مات عليه هو (ناقض كلا العهدين) الميثاق الذي أخذه الله عليه وفطره على الإقرار به وما جاءت به الرسل من تجديد الميثاق الأول وإقامة الحجة (مستوجب) بفعله ذلك (للخزي في الدارين) أي في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (القصص/٤٢) وقد وفى بذكر الفريقين الموفين بالعهد والناقضين له وما لكل منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قول الله عز وجل : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي فيما دعاهم إليه على ألسنة رسله وهم الفريق الأول ﴿الحسنی﴾ الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الفريق الثاني ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبُشًى الْمِهَادِ﴾ (الرعد/١٨) وتأويل ذلك ما ورد في الصحيحين من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول : نعم فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب

آدم، أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي»^(١) وقد تقدم ذكره قريباً.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ يعني الفريق الأول ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ يعني الفريق الثاني، لا والله ليسوا سواء ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ يتناول كل العهود والمواثيق التي أمر الله عز وجل بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق وتناولها للميثاق المذكور من باب أولى ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من صلة الأرحام ومن الإيمان بالله ورسله وعدم التفريق بين أحد منهم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ. وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على قدر الله وعلى ملازمة طاعته وعن معصيته ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدار﴾. فكأنه قيل: ما هي؟ فقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدار﴾. ثم ذكر الفريق الثاني بصفاتهم السيئة وبين جزاءهم عليها والعياذ بالله تعالى فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدار﴾ (الرعد/ ١٨ - ٢٥) فسبحان الله وبحمده ما أبلغ حكمته وأعدل حكمه ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل في انقسام التوحيد إلى نوعين وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات

أول واجب على العبيد	معرفة الرحمن بالتوحيد
إذ هو من كل الأوامر أعظم	وهو نوعان أي من يفهم
إثبات ذات الرب جل وعلا	أسمائه الحسنی صفاته العلی
وأنه الرب الجليل الأكبر	الخالق الباری والمصور

(١) تقدم تخريجه.

باري البرايا منشيء الخلائق مبدعهم بلا مثال سابق

(أول واجب) فرضه الله عز وجل (على العبيد) هو (معرفة الرحمن) أي معرفتهم إياه (بالتوحيد) الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاق به، ثم فطّرهم شاهدين مقرّين به، ثم أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم. (إذ) حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تبارك وتعالى بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمع أمر وهو خطاب الله عز وجل المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل (أعظم) كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي، ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به ولا يخرج منه إلا بضده ولم يزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به. ولا يخلد في النار ويحرم الجنة إلا بضده ولم تدعُ الرسل إلى شيء قبله ولم تنه عن شيء قبل ضده. (وهو) أي التوحيد (نوعان):

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربا وإلهاً وولياً وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء وهو توحيد الإلهية.

والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين، لأنه إما خبر عن الله عز وجل وما يجب أن يوصف به وما يجب أن ينزه عنه وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الطلبي الإرادي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكramه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيدهم. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يفعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيدهم.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، اقرأ في الجمع بين التوحيدين ﴿طه﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأرضَ والسمواتِ العُلى. الرحمنُ على العرشِ استوى. له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرَّ وأخفى. الله لا إله إلا هو له الأسماءُ الحسنى ﴿طه/١-٨﴾ وآية الكرسي وقل هو الله أحد وغيرها من القرآن. واقرأ في الأمر والنهي ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر/٧) واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر/٥١) واقرأ في إخراج أهل الشرك في الدنيا والآخرة ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ. فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أَثْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ، وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (القصص/٣٩-٤٢).

والكلام في هذا الفصل على النوع الأول، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وهو (إثبات) بالرفع بدل بعض من قولنا «نوعان» أي الأول منهما (إثبات ذات الرب جل وعلا) فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها. ومحال أن توجد بدون موجد، ومحال أن توجد أنفسها. قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ﴾ (الطور/٣٥-٣٦). قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي من غير رب^(١). ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الإسم فلا بد له من خالق فإن

(١) البغوي (معالم التنزيل ٢٣٨/٥).

أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق. ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهذا في البطلان أشد وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل إن يوجد بنفسه فضلاً عن أن يكون موجداً لغيره وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له ﴿بَلْ لَا يوقنون﴾ أي ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك. وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يوقنون. أَمْ عندهم خزائن ربك أَمْ هُمُ المصيطرون﴾ (الطور/ ٣٥-٣٧) كاد قلبي أن يطير. أخرجاه في الصحيحين^(١).

وكثيراً ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى: ﴿وفي الأرض آياتٌ للموقنين﴾ (الذاريات/ ٢٠) أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألْسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال عز وجل: ﴿وفي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تبصرون﴾ (الذاريات/ ٢١) قال قتادة من تفكر في خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة، وكذا ما في ابتداء الإنسان من الآيات العظمية إذ كانت نقطة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً إلى أن نفخ فيه الروح. وقال تعالى: ﴿والسَّماءُ بَنِيناها بِأَيْدٍ وَإِنا لَمُوسِعُونَ. وَالْأَرْضُ فَرشناها فَنِعمَ الماهدون. ومن كلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زوجين لعلَّكم تذكرون﴾

(١) البخاري (٢٤٧/٢) في صفة الصلاة، باب الجهر في المغرب.

ومسلم (١/٣٣٨ ح ٤٦٣) في الصلاة، باب القراءة في الصبح.

(الذاريات/٤٧ - ٤٩) يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿والسما
بنيناها﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿بأيدي﴾ أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد
وقتادة والثوري وغير واحد^(١)، ﴿وإنا لموسعون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما:
لقادرون^(٢). وعنه أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا^(٣). وقيل: ذو وسعة^(٤). وقال
ابن كثير: أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي.
﴿والأرض فرشناها﴾ أي جعلناها فراشاً للمخلوقات ﴿فنعم الماهدون﴾ الباسطون
نحن. قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي^(٥). ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾
صنفين ونوعين مختلفين كالسما والأرض، والشمس والقمر والليل والنهار، والبر
والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى،
والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق
والباطل، والحلو والمر، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، والجامد والنامي،
والمتحرك والساكن، والحر والبرد وغير ذلك ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لتعلموا أن
الخالق واحد فرد لا شريك له. ١. هـ. ابن كثير والبغوي. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا
يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ
كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/١٦٤) قال أبو الضحى: لما نزلت ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال المشركون إن كان هكذا فليأتنا بآية، فأنزل الله عز وجل:
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦) تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها

(١) ابن كثير (٢٥٤/٤).

(٢) البغوي (معالم التنزيل ٢٢٩/٥).

(٣) البغوي (معالم التنزيل ٢٢٩/٥).

(٤) البغوي (معالم التنزيل ٢٢٩/٥).

(٥) البغوي (معالم التنزيل ٢٢٩/٥).

(٦) من رواية وكيع عن سفيان عن أبيه عنه به (ابن كثير ٢٠٨/١) وأبو الضحى هو مسلم بن صبيح من
الرابعة فالحديث معضل وسنده إليه صحيح فسفيان هو ابن سعيد بن مسروق وكلاهما ثقة.

السيارة والثواب ودوران فلكها، وهذه الأرض في كشافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر. ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس/٤٠) وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاضدان، كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (يس/٣٣) إلى قوله ﴿ومما لا يعلمون﴾. ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفي عليه شيء من ذلك كما قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾. ﴿وتصريف الرياح﴾ فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وهي الريح، وتارة تأتي بمبشرات بين يدي السحاب، وتارة تسوقها، وتارة تجمعها، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صبا وهي الشرقية، وتارة دبور وهي غربية وغير ذلك والله أعلم ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾^(١) فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً غنياً بذاته وكل ما سواه فقير إليه، قائم بذاته وكل ما سواه لا يقوم إلا به، قدير لذاته وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره متصف بجميع صفات الكمال، وكل ما سواه فلازمه النقص وليس الكمال المطلق إلا له وهو الله

(١) بلفظه من تفسير ابن كثير (٢٠٧/١) إلى (٢٠٨/١) (تفسير آيات سورة البقرة ١٦٤).

تبارك وتعالى . وقال تبارك وتعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ يَرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (الروم/ ٢٠-٢٥) . يقول تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظماً شكله شكل إنسان ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحماً ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ، ثم أخرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار بيني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء ومكر ، ورأي وعلم ، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيهرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر والحسن والقبح والغنى والفقر والسعادة والشقاوة . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَغَيْرَ ذَلِكَ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي . وقال حسن صحيح^(١) .

(١) أحمد (٤/ ٤٠٠) والترمذي (٥/ ٢٠٤) ح ٢٩٥٥ في التفسير ، باب من سورة البقرة وقال هذا حديث حسن صحيح .

وأبو داود (٤/ ٢٢٢) ح ٤٦٩٣ في السنة ، باب في القدر وإسناده صحيح .

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ أي خلق لكم من جنسكم إنثاً تكون لكم أزواجاً ﴿لتسكنوا إليها﴾ كما قال تعالى : ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف/ ١٨٩) يعني بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل الأزواج من جنسهم ﴿وجعل بينهم مودة﴾ وهي المحبة ﴿ورحمة﴾ وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ في عظمة الله وقدرته ﴿ومن آياته﴾ الدالة على قدرته العظيمة ﴿خلق السموات والأرض﴾ أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار ﴿واختلاف ألستكم﴾ يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج^(١)، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هندو، وهؤلاء فرس، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل من اختلاف لغات بني آدم ﴿وألوانكم﴾ أي واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة، وغير ذلك من اختلاف الصفات والحلى، فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق

(١) مَجَلَّة بالدينور تعرف اليوم بولاية جورجيا بعد استيلاء الشيوعيون عليها في الاتحاد السوفيتي وعاصمتها تبيليسي فك الله أسرها.

بين كل واحد منهم وبين الآخر ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾. ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ﴿أَيُّ وَمِنَ الْآيَاتِ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ صِفَةِ النَّوْمِ فِي اللَّيْلِ فَإِنْ فِيهِ تَحْصُلُ الرَّاحَةُ وَسَكُونُ الْحَرَكَةِ وَذَهَابُ الْكَلَالِ وَالتَّعَبُ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْإِنْتِشَارَ وَالسَّعْيَ فِي الْأَسْبَابِ وَالْأَسْفَارِ فِي النَّهَارِ وَهَذَا ضِدُّ النَّوْمِ، ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدَبَّرَ وَاعْتَبَرَ ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى عَظَمَتِهِ أَنَّهُ ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أَيُّ تَارَةً تَخَافُونَ مِمَّا يَحْدُثُ بَعْدَهُ مِنْ أَمْطَارٍ مَزْجَعَةٍ وَصَوَاقِعٍ مُتَلَفَةٍ، وَتَارَةً تَرْجُونَ وَمِيْضُهُ وَمَا يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْمَطَرِ الْمَحْتَاجِ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أَيُّ بَعْدَمَا كَانَتْ هَامِدَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا شَيْءَ ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ﴾ (الحج/٥) وَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ وَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى الْمَعَادِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. وَمِنَ الْآيَاتِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴿(الرَّومَ/٢٥ - ٢٦) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (الحج/٦٥) وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (فاطر/٤١) وَكَانَ عَمَرُ بَنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ قَالَ: وَالَّذِي قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ، أَيُّ هِيَ قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ بِأَمْرِهِ لَهَا وَتَسْخِيرُهُ إِيَّاهَا، ثُمَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَدَلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ، وَخَرَجَتِ الْأَمْوَاتُ مِنْ قُبُورِهَا أَحْيَاءَ بِأَمْرِهِ تَعَالَى وَدَعَائِهِ إِيَّاهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أَيُّ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإِسْرَاءُ/٥٢) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النَّازِعَاتُ/١٣ - ١٤) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يَسَ/٥٣)^(١).

(١) بَلْفِظَهُ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ مِنْ ح ٣/ص ٤٣٩ إِلَى ح ٣/ص ٤٤٠ (تَفْسِيرُ آيَاتِ سُورَةِ الرَّومِ) (٢٠) - (٢٥).

والآيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى ، وفيما ذكرنا كفاية وغنى يغني عن خرط المناطق ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها ، والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات ، فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئاً ، فلم يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم ، وشأن الله تعالى أكبر من ذلك ، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة ، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل/ ١٤) فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى . ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا : ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ . قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم/ ٩ - ١٠) وهذا يحتمل شيئين : أحدهما أفي وجوده تعالى شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء ، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم ، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدكم إلى طريق معرفته فقالوا : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلا بد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه . والمعنى الثاني في قولهم ﴿ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ ﴾ أي أفي إلهيته وتفردة بوجود العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم ، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين : لا ، أي لا شك فيه .

ذكر مناظرة أخرى بين رسل الله وأعدائه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/ ٢٥٨) قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: هذا المحاج هو ملك بابل واسمه نمرود بن كنعان، ذكروا أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة وكان قد طغى وبغى وتجرع عتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حملة الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق جل وعلا عناداً ومكابرة فحاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق: يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات هذا الآخر^(١)، وهذا ليس بمعارضة لل خليل عليه الصلاة والسلام بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشغيب محض وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل عليه الصلاة والسلام استدل على وجود الخالق جل وعلا بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وإماتها على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إليه في وجودها ضرورة لعدم قيامها بأنفسها ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ثم إماتها، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقول هذا الجاهل أنا أحْيِي وَأُمِيتُ إن عني أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عني ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مستلزماً ولا عارض الدليل. ولما كان انقطاع

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٠ - ٣٢١).

مناظرة هذا المحاجّ قد تخفى على كثير من الناس من حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الخالق وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة ﴿قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت أنك تحيي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا، بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضة أو تتصرف فيها. فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلّكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت، ولهذا قال تعالى: ﴿فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

ذكر مناظرة أخرى من ذلك أيضاً

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مَوْتِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء ٢٣-٢٨) يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعون من المقابلة والمحااجة والمناظرة، وما أقامه الكليم على فرعون اللثيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية، وذلك أن فرعون قبّحه الله أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى وزعم أنه الإله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات ٢٣) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص ٣٨) وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى: ﴿وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً فانظر كيف كان كاقبة المفسدين﴾ (النمل ١٤) ولهذا قال لموسى عليه

السلام على سبيل الإنكار لرسالته وإظهار أنه ما ثمَّ ربَّ أرسله ﴿وما رب العالمين﴾ لأنهما قالوا له ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ فكأنه يقول لهما: ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما، فأجابه موسى قائلاً: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ أي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو الله الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وأنهار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر والرياح والمطر وما يحتوي عليه الجو وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، الجميع مذللون مسخرون وعبيد له خاضعون ذليلون ﴿إن كنتم موقنين﴾ أي إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة ﴿قال﴾ أي فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أمرائه ومرازبته^(١) وكبرائه ورؤساء دولته على سبيل التهكم والتنقص والاستهزاء والتكذيب لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله ﴿ألا تستمعون﴾ أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري، فقال لهم موسى: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الآباد فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث، وإنما أوجده وخلقه رب العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت/٥٣) ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ (الشعراء/٢٧) أي ليس له عقل في دعواه أن ثم رباً غيري. ﴿قال﴾ أي موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبه فأجاب موسى عليه السلام بقوله ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً وتطلع منه الكواكب، والمغرب مغرباً تغرب فيه الكواكب

(١) أي جماعته وجنوده.

ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها وهو الله لا إله إلا هو خالق الظلام والضياء ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين، خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة، خالق الليل بظلامه والنهار بضياءه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون وكل في فلك يسبحون، يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون، فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء. فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً، والثابت سائراً والسائر ثابتاً كما قال تعالى عن الذي حاج إبراهيم في ربه في الآية السابقة. ولما قامت الحجة على فرعون وذبحته شبهه وغلب وانقطعت حجته ولم يبق له قول سوى العناد عدل إلى استعمال جأه وقوته، وسلطانه وسطوته، واعتقد أن ذلك نافعاً له وناظراً في موسى عليه الصلاة والسلام فقال وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال ﴿قَالَ لئن آتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ (الشعراء/ ٢٩) إلى آخر ما قص الله عز وجل عنه، حتى قصمه الله تعالى قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ومناظرة الرسل لأعداء الله في الباب يطول ذكرها ومقامات نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق، بل هم مُقَرَّون به وبربوبيته، غير أنهم لم يُقدِّروه حق قدره بل عبدوا معه غيره، ولهذا قال تعالى في شأنهم: ﴿وَلئن سألْتهم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ليقولنَّ اللهُ﴾ لقمان/ ٢٥ والزمر/ ٣٨ ﴿وَلئن سألْتهم مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ليقولنَّ اللهُ﴾ (العنكبوت/ ٦٣)، ﴿وَلئن سألْتهم مَنْ خَلَقَهُمْ ليقولنَّ اللهُ﴾ (الزخرف/ ٩) إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى.

ذكر ما نقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب

عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن الرشيد سأل عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات. وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة

سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فأني مفكر في أمر قد أخبرت عنه،
 ذكروا إلى أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها
 ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخرق الأمواج العظام
 حتى تخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا
 شيء لا يقوله عاقل. فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي
 والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟ فبهت القوم
 ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه. وعن الشافعي رحمه الله تعالى أنه سئل عن
 وجود الخالق عز وجل، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه
 الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعراً
 وروثاً، وتأكله الطباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد. وعن الإمام أحمد بن
 حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا
 منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينما هو كذلك إذ انصدع
 جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح أ. هـ. يعني
 بذلك البيضة إذا خرج منها الديك. وسئل أبو نواس عن ذلك فأشدد:

تأمل في رياض الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
 عيون من لجين شاخصات بأحداث هي الذهب السبيك
 على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز، ويروي لأبي العتاهية رحمهما الله تعالى:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ
 والله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد
 وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى، فقال: يا سبحان
 الله، إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات
 أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف
 الخبير؟.

ومن خطب قس بن ساعدة الإيادي وكان على ملة إبراهيم رحمه الله تعالى: أيها

الناس، اجتمعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأحياء وأموات. ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهـر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وآثام، إن في السماء خبراً، وإن في الأرض عبراً، يحار فيهن البصر، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحار لا تغور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد النسطاس ووزن القسطاس. أقسم قس قسماً، لا كاذباً فيه ولا آثماً. لئن كان في هذا الأمر رضى ليكونن سخط، ثم قال: أيها الناس، إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه. وهذا زمانه وأوانه. ثم قال: مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا. وفي بعض ألفاظها قال: شرق وغرب، ويتم وحزب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشמוש وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكر، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام. لقد ضل الأناس، نشو مولود، وواد مفقود، وتربية محصود، وفقير وغني، ومحسن ومسي، تبتاً لأرباب الغفلة، ليصلحن العامل عمله، وليفقدن الأمل أمله، كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، رب الآخرة والأولى. أما بعد فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، وأين العليل والعواد، كل له معاد. يقسم قس برب العباد، وساطح المهاد لتحشرن على الانفراد، في يوم التناد، وإذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، ووعظ الواعظ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ. فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النصير، وظهر التقصير، فريق في الجنة وفريق في السعير.

أسماء الله الحسنى

وأسماء الله الحسنى هي التي أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾

وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَیْجِرُونَ بِمَا كَانُوا یَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الأعراف/ ١٨٠) وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (الإسراء/ ١١٠) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه/ ٨) وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى یَسْبَحُ لَهُ مَا فِی السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر/ ٢٢ - ٢٤).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(١) أخرجاه في الصحيحين، ورواه الترمذي وزاد «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد، المحصي المبدئ المعيد، المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد، القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط الجامع الغني المغني المعطي المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور» ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب. وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في

(١) تقدم ذكره.

هذا الحديث ١. هـ. ورواه الدارمي وزاد: كلها في القرآن^(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني كلاهما في الدعاء وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة: إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، أسأل الله الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحليم العليم السميع البصير الحي القيوم الواسع اللطيف الخبير، الحنان المنان البديع الغفور الودود الشكور المجيد المبدي المعيد النور البارئ - وفي لفظ القائم - الأول الآخر الظاهر الباطن العفو الغفار الوهاب الفرد - وفي لفظ القادر - الأحد الصمد الوكيل الكافي الباقي المغيث الدائم المتعال ذا الجلال والإكرام المولى النصير الحق المتين الوارث المنير الباعث القدير - وفي لفظ المجيب - المحيي المميت

(١) الترمذي (٥/٥٣٠ - ٥٣١/ح ٣٥٠٧) في الدعوات، باب ٨٣.

والدارمي في النقص (ص ١٢ - ١٣).

والحاكم (١٦/١) وابن حبان (الإحسان ٨٨/٢ - ٨٩) والبيهقي (٢٧/١٠) كلهم من طريق الوليد بن مسلم.

فقد رواه الترمذي والحاكم وابن حبان والبيهقي من طريقه عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وتابع شعيب سعيد بن عبد العزيز عند الدارمي.

وقال الترمذي: ولا نعلم في كثير من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

قال ابن كثير: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أنه سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه (التفسير ٢/٢٨٠). وكذا قال ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٢/٤٨٨).

وقال ابن حجر في الفتح (٢١٦/١١): ورواية الوليد تشعر بأن التعيين مدرج.

وكذا قال ابن العربي (الفتح ٢١٧/١١) وغيرهم.

قلت: وبين الروايات السابقة اختلاف في الترتيب والزيادة والنقصان ولكنه يسير.

ورواه ابن ماجه (١٢٦٩/٢ - ١٢٧٠/ح ٣٨٦١) من غير طريق الوليد بسند ضعيف فيه عبد الملك بن محمد الصنعاني.

وفيه زيادة ونقصان أما الزيادة فهي البار. الراشد. البرهان. الشديد. الوافي. القائم. الحافظ.

الفاطر. السامع. المعطي. الأبد. المنير. التلم.

أنظر كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى في زيادة بعض الأسماء الثابتة في الكتاب والسنة ولم ترد في هذا الحديث. ملاحظة: وللحافظ ابن حجر في فتح الباري كلام جيد حول اختلاف

الروايات في تعيين هذه الأسماء، فليُنظر فإنه هام فليُنظر (فتح الباري ١١/٢١٤ - ٢٢١).

الحميد - وفي لفظ الجميل - الصادق الحفيظ المحيط الكبير القريب الرقيب الفتاح
التواب القديم الوتر الفاطر الرزاق العلام العلي العظيم الغني الملك المقتدر،
الأكرم الرؤوف المدبر المالك الفاهر الهادي الشاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذا
الطول ذا المعارج ذا الفضل الخلاق الكفيل الجليل^(١).

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر رحمه الله تعالى قال: سألت أبي
جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة
فقال: هي في القرآن، ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم
يا ملك، وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسماً: يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا علي
يا عظيم يا تواب يا بصير يا ولي يا واسع يا كافي يا رؤوف يا بديع يا شاكراً يا واحد يا
سميع يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا غني يا حميد يا غفور يا حلیم يا إله يا
قريب يا مجيب يا عزيز يا نصير يا قوي يا شديد يا سريع يا خبير. وفي آل عمران:
يا وهاب يا قائم يا صادق يا باعث يا منعم يا متفضل. وفي النساء: يا حسيب يا
رقيب يا شهيد يا مقيت يا وكيل يا علي يا كبير. وفي الأنعام: يا فاطر يا قاهر يا
لطيف يا برهان. وفي الأعراف: يا محيي يا مميت. وفي الأنفال: يا نعم المولى
ويا نعم النصير. وفي هود: يا حفيظ يا مجيد يا ودود يا فعال لما تريد. وفي الرعد:
يا كبير يا متعالي. وفي إبراهيم: يا منان يا وارث. وفي الحجر: يا خلاق. وفي
مريم: يا فرد. وفي طه: يا غفار. وفي قد أفلح: يا كريم. وفي النور: يا حق يا
مبين. وفي الفرقان: يا هاد. وفي سبأ: يا فتاح. وفي الزمر: يا عالم. وفي غافر:
يا قابل التوب يا ذا الطول يا رفيع. وفي الذاريات: يا رزاق يا ذا القوة يا متين. وفي
الطور: يا بر. وفي اقتربت: يا مقتدر يا ملوك. وفي الرحمن: يا ذا الجلال

(١) الحاكم (١٧/١) والبيهقي في الدعوات الكبير وقال الحاكم: هذا حديث محفوظ من حديث أيوب
وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مختصراً دون ذكر الأسماء الزائدة فيها كلها في القرآن.
قلت: والحديث عنده من طريق عبد العزيز بن حصين بن الترجمان عنهما به. قال: وعبد العزيز:
ثقة.

قال ابن حجر: بل متفق على ضعفه (تلخيص الحبير ١٧٢/٤) وقال الذهبي: ضعفه (التلخيص
هامش المستدرک (١٧/١)).

والإكرام يا رب المشرقين يا رب المغربين يا باقي يا معين . وفي الحديد: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن . وفي الحشر: يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا باريء يا مصور . وفي البروج: يا مبدي يا معيد . وفي الفجر: يا وتر . وفي الإخلاص: يا أحد يا صمد انتهى^(١) .

وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه الله في (تلخيص الحبير) تسعة وتسعين اسماً من الكتاب العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها هكذا: الله الرب الإله الواحد الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الأول الآخر الظاهر الباطن الحي القيوم العلي العظيم اتوب الحليم الواسع الحكيم الشاكر العليم، الغني الكريم، العفو القدير اللطيف الخبير السميع البصير المولى النصير القريب المجيب الرقيب الحسيب القوي الشهيد الحميد المجيد المحيط الحفيظ الحق المبين . الغفار القهار الخلاق الفتاح الودود الغفور الرؤوف الشكور الكبير المتعال المقيت المستعان الوهاب الحفي الوارث الولي القائم القادر الغالب القاهر البر الحافظ الأحد الصمد المليك المقتدر الوكيل الهادي الكفيل الكافي الأكرم الأعلى الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول رفيع الدرجات سريع الحساب فاطر السموات والأرض بديع السموات والأرض نور السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام ا. هـ.^(٢)

وقد عدّها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة^(٣) وابن حزم^(٤) والقرطبي^(٥) وغيرهم ، وعدّها ابن العربي المالكي في (أحكام القرآن) مرتباً لها على السور^(٦)،

(١) أخرجه أبو نعيم عن الطبراني عن أحمد بن عمرو الخلال عن ابن أبي عمرو حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين به - (الفتح ٢١٧/١١) .

(٢) تلخيص الحبير (٤/١٧٤) .

(٣) رواه تمام في فوائده وهي التي عدّها جعفر من القرآن (الفتح ٢١٧/١١) .

(٤) ذكرها في كتابه الإيصال كما ذكر عن نفسه في المحلي (٣٠/١) (مسألة - ٥٦) وله كتاب مستقل في شرح الأسماء الحسنی .

(٥) في كتاب له في شرح الأسماء الحسنی وقد ذكرها ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/١٧٣) .

(٦) ابن العربي المالكي في تفسيره .

لكنه أخطأ في بعض ما عده كما سنشير إليه قريباً إن شاء الله تعالى .

واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً». فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها»^(١).

واعلم أن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك، فمنها المعطي المانع، والضار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده، بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها، إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن

(١) أحمد (٣٩١/١) وأبو يعلى (١٩٩/٩ ح ٥٢٩٧) والحاكم (٥٠٩/١) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ح ٣٤٢) والبزار (كشف الأستار ٣١/٤ ح ٣١٢٢): كلهم من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عنه به...

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه. وفي سماعه من أبيه كلام: فقال ابن معين: سمع من أبيه وقال البخاري في التاريخ: سمع أباه. وقال ابن حجر: سمع من أبيه لكن شيئاً يسيراً. قال ابن المديني في العلل: سمع من أبيه حديثين: حديث الضب. وحديث تأخير الوليد للصلاة. وقال العجلي: يقال: إنه لم يسمع من أبيه إلا حرفاً واحداً: محرم الحلال كمستحل الحرام. ولذلك قال المنذري عقب قول الحاكم السابق: لم يسلم. (أي لم يسلم هذا الحديث من الانقطاع). وللحديث شاهد ضعيف من حديث أبي موسى رضي الله عنه: رواه الطبراني (المجمع ١٠/١٣٩) وابن السني (ح ٣٤١). قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم.

إلا مضافاً إلى ذو كقوله تعالى : ﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (آل عمران/ ٤) أو مقيداً بالمجرمين كقوله تعالى : ﴿إِنَّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة/ ٢٢).

واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة، وهي فيما سبقت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منهما أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سبقت فيه من الآيات، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء/ ١٤٢) وقوله : ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ (النساء/ ٥٤) وقوله تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة/ ٦٧) وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة/ ١٤) ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناس مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، ولا يقال الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من الجهاد المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماءه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقاً، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المرید والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحموده منها كالحليم والحكيم والعزیز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ، ثم يلزم هذا الغلط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهي والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط

والغضببان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل. والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.

قلت ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عدّه ابن العربي، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحاً، أما في سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحد كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء/١٠٤) وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرثُونَ. أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة/٦٣-٦٤) الآيات بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقّت فيه وله وأكبر مصيبة أن عد في الأسماء الحسنى رابع ثلاثة وسادس خمسة مصرحاً قبل ذلك بقوله: وفي سورة المجادلة إسمان فذكرهما. وهذا خطأ فاحش، فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقاً ولا مفهوماً، فإن الله عز وجل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ (المجادلة/٨) الآية، وأين في هذا السياق رابع ثلاثة سادس خمسة؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول: رابع كل ثلاثة في نجواهم وسادس كل خمسة كذلك فإنه تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية. والله تعالى أعلم.

واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمناً والتزاماً، فدلالة اسمه تعالى «الرحمن» على ذاته عز وجل مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمناً وعلى الحياة وغيرها التزاماً، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى. وليست أسماء الله تعالى غيره كما يقوله الملحدون في أسمائه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فإن الله عز وجل هو الإله وما سواه عبيد، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما

سواه مخلوق، وهو الأول فليس قبله شيء وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو الآخر الباقي فليس بعده شيء وما سواه فان، فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية إذ كل ما سواه كذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

[أسماء الله غير مخلوقة]

وقال عثمان بن سعيد الدارمي - نقمة الله على بشر المريسي وذويه -: باب الإيمان بأسماء الله تعالى وأنها غير مخلوقة. قال: ثم اعترض المعترض - يعني ابن الثلجي - أسماء الله تعالى المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي فادعى أن أسماء الله غير الله وأنها مستعارة مخلوقة كما أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص، يعني الخبيث أن الله تعالى كان مجهولاً كشخص مجهول لا يهتدى لاسمه ولا يدري ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروه إياها من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق، قال: ومن ادعى التأويل في أسماء الخلق، قال: ومن ادعى التأويل في أسماء الله فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق، لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أبداً أعلى منه وأغنى، ففي هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملاً لا يدري ما اسمه. والله المتعالي عن هذا الوصف المنزه عنه لأن أسماء الله تعالى هي تحقيق صفاته سواء عليك قلت عبادت الله أو عبادت الرحمن أو الرحيم أو الملك العزيز الحكيم، وسواء على الرجل قال كفرت بالله، أو قال كفرت بالرحمن الرحيم أو بالخالق العزيز الحكيم، وسواء عليك قلت عبدالله أو عبدالرحمن أو عبدالعزيز أو عبدالمجيد. وسواء عليك قلت يا الله أو يا رحمن أو يا رحيم أو يا مالك يا عزيز يا جبار بأي اسم دعوته من هذه الأسماء أو أضفته إليه فإنما تدعو الله نفسه من شك فيه فقد كفر. وسواء عليك قلت ربي الله أو ربي الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (الصف/١٨) وقال تعالى: ﴿سَبِّحْهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الصف/١) وقال: ﴿وَسَبِّحْهُ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب/٤٢) كذلك قال في الإسم ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ كما قال تعالى:

﴿يسبح لله﴾ ولو كان الاسم مخلوقاً مستعاراً غير الله لم يأمر الله تعالى أن يسبح مخلوق غيره، وقال تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر/ ٢٤) ثم ذكر الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل بأسمائها المخلوقة المستعارة فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ (النجم/ ٢٣) وكذلك قال هود لقومه حين قالوا: ﴿أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (الأعراف/ ٧٠) فقال لهم نبيهم: ﴿أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ (الأعراف/ ٧١) يعني أن أسماء الله تعالى لم تنزل كما لم يزل عز وجل وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام والآلهة التي عبدوها من دونه. فإن لم تكن أسماء الله بخلافها، فأى توبيخ لأسماء هذه الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماؤها وأسماء الله تعالى مخلوقة مستعارة عندكم بمعنى واحد وكلها من تسمية العباد وتسمية آبائهم بزعمهم. ففي دعوى هذا المعارض أن الخلق عرفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن الله عرفهم بها نفسه، فأى تأويل أوحش في أسماء الله تعالى من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول أو بيت أو شجرة أو بهيمة لم يسبق لشيء منها اسم ولم يعرف ما هو حتى عرفه الخلق بعضهم بعضاً، ولا تقاس أسماء الله تعالى بأسماء الخلق لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله تعالى صفاته ليس شيء منها مخالفاً لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفاً لأسماؤه، فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر، لأنك إذا قلت الله فهو الله، وإذا قلت الرحمن فهو الرحمن وهو الله، فإذا قلت الرحيم فهو كذلك، وإذا قلت حكيم عليم حميد مجيد جبار متكبر قاهر قادر فهو كذلك، وهو الله سواء لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسماً. وقد يسمى الرجل حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالم، وعزيزاً وهو حقير، وكرماً وهو لئيم، وصالحاً وهو طالح، وسعيداً وهو شقي، ومحموداً وهو مذموم، وحبیباً وهو بغیض، وأسدأً وحماراً وكلباً وجدياً وكلبياً وهراً وحنظلة وعلقمة وليس كذلك. والله تعالى وتقدس اسمه كل أسماؤه سواء لم يزل كذلك ولا يزال، لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك، كان خالقاً قبل المخلوقين ورازقاً قبل المرزوقين وعالماً قبل

المعلومين وسميماً قبل أن يسمع أصوات المخلوقين وبصيراً قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/٥) وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (السجدة/٤) وقال في موضع: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ (الفرقان/٥٩) لأنهما بمعنى واحد، ولو كان كما أدعى المعارض - يعني ابن الثلجي وإمامه المريسي - لكان الخالق والمخلوق استويا جميعاً على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقة عندهم إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف لأن لحدوث الخلق حداً ووقتاً وليس لأزلية الله تعالى حد ولا وقت لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال. ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس فقال: أرأيت لو كتبت إسماً في رقعة ثم احترقت الرقعة أليس إنما تحرق الرقعة ولا يضر الإسم شيئاً. فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه: إن الرقعة وكتابة الإسم ليس كنفس الإسم، إذا احترقت الرقعة احترق الخط وبقي اسم الله له وعلى لسان الكاتب لم يزل قبل أن يكتب لم تنقص النار من الإسم ولا ممن له الإسم شيئاً، وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين لم تنقص النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئاً، وكذلك لو كتبت الله بهجائه في رقعة ثم أحرقت الرقعة لا احترقت الرقعة وكان الله سبحانه بكماله على عرشه، وكذلك لو صور رجل في رقعة ثم ألقيت في النار لا احترقت الرقعة ولم يضر المصور شيئاً. وكذلك القرآن لو احترقت المصاحف كلها لم ينقص من القرآن نفسه حرف واحد، وكذلك لو احترق القراء كلهم أو قتلوا أو ماتوا لبقى القرآن بكماله كما كان لم ينقص منه حرف واحد لأنه منه بدا وإليه يعود عند فناء الخلق بكماله غير منقوص. وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن، كان القرآن عنده مخلوقاً من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماء الله تعالى عنده من ابتداء البشر من غير أن يقول تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص/٣٠) بزعمه قط، وزعم أنني متى اعترفت بأن الله تعالى تكلم بـ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لزمني أن أقول تكلم بالقرآن، ولو اعترفنا بذلك لا نكسر علينا مذهبنا في القرآن. وقد كسره الله عليهم على رغم أنوفهم فقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ

العالمين ﴿ ولا يستحق مخلوق أن يتكلم بهذا فإن فعل ذلك كان كافراً كفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (النازعات/٢٤) فهذا الذي ادعوا في أسماء الله عز وجل أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محتتهم وأسسوا بها ضلالتهم غالطوا بها الأغمار والسفهاء وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء، ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذاهبهم فإن الفقهاء منهم لعلی يقين. أرايتم قولكم إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها: وكيف خلقها؟ أجعلها أجساماً وصوراً تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء أم موضعاً دونه في الهواء؟ فإن قلت لها أجسام دونه فهذا ما تنقمه عقول العقلاء، وإن قلت خلقها في ألسنة العباد فدعوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن الله تعالى كان بزعمكم مجهولاً لا اسم له حتى أحدث الخلق فأحدثوا له أسماء من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد في أسماء الله والتكذيب بها، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة/٢-٤) كما يضيفه إلى رب العالمين، ولو كان كما ادعيتم لقليل الحمد لله رب العالمين. المسمى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وكما قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (آل عمران/٢-٣) كما قال: ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ (النصر/١) كذلك قال: ﴿نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل/٦) كلها بمعنى واحد وكلها هي الله، والله هو أحد أسمائه - إلى أن قال - وكما قال تعالى في كتابه: ﴿أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كذلك قال على لسان نبيه ﷺ «أنا الرحمن» ثم روى بسنده حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي الرحم شققت لها من إسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بته»^(١) فيقول الله تعالى:

(١) الدارمي في النقص (ص ١٢) ورواه الحميدي في مسنده (٣٥/١ - ٣٦).

وأحمد (١٩٤/١) وأبو يعلى في مسنده (١٥٣/٢ - ١٥٤).

وأبو داود (١٣٢/٢ - ١٣٣/٢ ح ١٦٩٤) في الزكاة، باب صلة الرحم، والترمذي (٣١٥/٤) ح ١٩٠٨) في البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم. والحاكم (١٥٨/٤) كلهم من طريق سفيان عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه. ورجاله ثقات وفيه انقطاع بين =

«أنا شققت لها من اسمي» وادعت الجهمية مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الإسم الذي شقها منه. ومن أين علم الخلق أسماء الخالق قبل تعليمه إياهم فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين حتى علمهم الله تعالى من عنده وكان بدء علمها منه فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة/ ٣١-٣٣) وقال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين إسماً ومن أحصاها وحفظها دخل الجنة»^(١) وساق الأسماء الحسنی كما قدمنا ثم قال: فهذه كلها أسماء

= أبي سلمة وأبيه.

وتابع سفيان بن عيينة بهذا الانقطاع سفيان بن حسين (الحاكم ١٥٨/٤) وقد روي موصولاً من رواية معمر عن الزهري عن أبي سلمة أن الرداد الليثي أخبره عن عبد الرحمن بن عوف به - (أبو داود ح ١٦٩٥) وأحمد (١/١٩٤) والحاكم (٤/١٥٧). وابن حبان (الموارد ح ٢٠٣٣). وقد خطأ البخاري رواية معمر كما ذكر الترمذي (٤/٣١٦).

قلت: وقد تابع معمر على إيصاله:

١ - شعيب بن أبي حمزة وهو من أثبت الناس في الزهري وهي عند أحمد (١/١٩٢) والحاكم (٤/١٥٨).

٢ - محمد بن أبي عتيق وهو حسن الحديث عن الزهري قاله أعلم الناس بحديث الزهري وهو محمد بن يحيى الذهلي.

وقد صوّب رواية الاتصال جماعة من الأئمة منهم.

١ - الدارقطني في العلل (س ٥٥٠). ٢ - ابن حجر في التهذيب (٣/٢٣٤). ٣ - أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣/١٣٨ - ١٣٩).

والرداد قال عنه الحافظ: مقبول.

وقد تابعه عبد الله بن قارظ عند أحمد (١/١٩١) وأبو يعلى (٢/١٥٥ ح ٨٤١) والحاكم (٤/١٥٧).

قال عنه ابن حجر في التهذيب: سنده صحيح (٤/٢٣٤).

وقال الدارقطني: رواه محمد بن أبي حفصة وبحر السقا عن الزهري عن عبيد الله بن عباس عن عبد الرحمن بن عوف (س ٥٥٠ العلل).

وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهما.

(١) تقدم.

الله تعالى لم تزل له كما لم يزل بأبيها دعوت فإنما تدعو الله نفسه . قال : ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله تعالى لم يزل إلهاً واحداً بجميع أسمائه وجميع صفاته لم يحدث له منها شيء كما لم تزل وحدانيته^(١) . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ «من أحصاها» فقال البخاري وغيره من المحققين : معناه حفظها وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى^(٢) . وقال الخطابي : يحتمل وجوهاً : أحدها : أن يعدها حتى يستوفيهما ، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها ويشني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب وثانيها : المراد بالإحصاء الإطاقة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجهها فإذا قال : «الرزاق» وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء . ثالثها : المراد بها الإحاطة بجميع معانيها ، وقيل أحصاها عمل بها فإذا قال «الحكيم» سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعها على مقتضى الحكمة ، وإذا قال «القدوس» استحضر كونه مقدساً منزهاً عن جميع النقائص واختاره أبو الوفاء بن عقيل . وقال ابن بطلان : طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها - يعني فيما يقوم به ، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها ، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة ا.هـ.^(٣) والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به ، بل جاء في المراق من الدين أنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم .

(١) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد (ص ٧ - ١٣) .

(٢) رويت هذه اللفظة عند البخاري (٢١٤/١١) في الدعوات ، باب لله مائة اسم غير واحد .

ومسلم : (٢٠٦٢/٤ ح ٢٦٧٧) في الذكر والدعاء ، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

(٣) بلفظه من فتح الباري (١١/٢٢٥ - ٢٢٦) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام طويل على أولية الله تعالى وما في ذلك الشهود من الغنى التام قال: وليس هذا مختصاً بأوليته تعالى فقط بل جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق وتعبد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجياً له مطرقاً واقفاً بين يديه وقوف العبد الدليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلمه وعلمه صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإمامة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة/٥) فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به. وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علماً تفصيلياً ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإراداته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء. وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها وسواء عنده من أسر القول ومن جهر به لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة. وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله الذي يرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها ويرى مد البعوضة

جناحها في ظلمة الليل وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء. وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت، وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يضل ولا ينسى. وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين وهو مشهد الربوبية وأعلى منه مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن إلهية ما سواه باطل ومحال كما أن ربوبية ما سواه كذلك فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد ويصلى له ويسجد ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده وله الحكم فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها وكل غنى بغيره فقر وفاقة، وكل عز بغيره ذل وصغار وكل تكبر بغيره قلة وذلة، فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت نحوه الطلبات ويستحيل أن يكون معه إله آخر فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد الكامل في أسمائه وصفاته الذي حاجة كل أحد إليه ولا حاجة به إلى أحد وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره - إلى أن قال - فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء وهو مشهد جامع للأسماء والصفات وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الإسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله، فإن هذا الإسم هو الجامع، ولهذا تضاف الأسماء الحسنی كلها إليه فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته، فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق وصار

من أغنى العباد ولسان مثل هذا يقول:
غُنيَتْ بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَإِنَّ الْغِنَى الْعَالِيَّ عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ أ. هـ.^(١)

[تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾]

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (الأعراف/ ١٨٠) قال ابن عباس وابن جريج ومجاهد: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان^(٢). وقيل هي تسميتهم الأصنام آلهة^(٣)، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما يلحدون في أسمائه أي يكذبون^(٤). وقال قتادة: يلحدون يشركون في أسمائه^(٥). وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب^(٦)، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمة الحفرا. هـ. وهذه الأقوال متقاربة، والإلحاد يعمها وهو ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين وهو ما ذكره ابن عباس وابن جريج ومجاهد من عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه وتسميتهم أوثانهم بها مضاهاة لله عز وجل ومشاقة له وللرسول ﷺ.

الثاني: إلحاد المشبهة الذين يكتفون صفات الله عز وجل ويشبهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى ورداً لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ علماً وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسووه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم.

(١) من طريق الهجرتين للإمام ابن القيم (ص ٤٣ - ٤٦).

(٢) ابن كثير (٢/ ٢٨٠).

(٦) ابن كثير (٢/ ٢٨٠) ورواية علي عن ابن عباس فيها انقطاع فإنه لم يسمع منه.

الثالث : إلحاد النفاة وهم قسمان :

قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر. واطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تستراً وهو لا ينفعهم.

وقسم لم يتستروا بما تستر به إخوانهم بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني واستراحوا من تكلف أولئك وصفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله. وكل هذه الأربعة الأقسام كل فريق منهم يكفر بمقابله، وهم كما قالوا كلهم كفار بشهادة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

(صفاته العلى) أي وإثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه تعالى ووصفه بها نبيه ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال، من صفات الذات وصفات الأفعال، مما تضمنته أسمائه بالاشتقاق كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعزة والعلو وغيرها، ومما أخبر به عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله ﷺ ولم يشتق منه اسماً كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين ورضائه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلام ديناً، وكرهته انبعاث المنافقين وسخطه على الكافرين وغضبه عليهم وإثبات وجهه ذي الجلال والإكرام ويديه المبسوطتين بالانفاق وغير ذلك مما هو ثابت في الكتاب والسنة والفطر السليمة، وسيأتي الكلام على ما ذكر من ذلك في المتن في محله وما لم يذكر في المتن ففي خاتمة الباب إن شاء الله تبارك وتعالى.

[إثبات ربوبية الله تعالى]

وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الْأَكْبَرُ الخالقُ الباري والمصورُ

باري البرايا منشيء الخلائق مبدعهم بلا مثال سابق

(وأنه الرب) أي وإثبات ربوبيته بأنه رب كل شيء ومليكه رب الأولين
والآخرين رب المشرقين ورب المغربين، رب السموات والأرضين وما بينهما رب
العالمين رب الآخرة والأولى، مالك الملك فلا شريك له في ملكه يؤتي الملك من
يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل
من يشاء ويسعد من يشاء ويشقي من يشاء ويخفض من يشاء ويرفع من يشاء
ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويصل من يشاء ويقطع من يشاء ويسبط الرزق لمن
يشاء ويقدره على من يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء
الذكور، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير، يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ويحيي الأرض بعد موتها وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى،
يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما
تعدون، خلق فسوى وقدر فهدى، وأضحك وأبكى وأمات وأحيا وخلق الزوجين
الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، وأغنى وأقنى وأوجد وأفنى، بيدي ويعبد ويفعل
ما يريد، رفع سمك السماء فسواها، وأغطش ليها وأخرج ضحاها، ويسط الأرض
ودحاها، فراشاً لعباده ومهاداً، ونصب الجبال عليها أوتاداً، سخر الفلك تجري في
البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فالق الأصباح وجعل
الليل سكناً والشمس والقمر حساباً لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار وكل في فلك يسبحون الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل
لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون. خالق الكون وما فيه، وجامع
الناس ليوم لا ريب فيه. مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل
بينهما برزخاً وحجراً محجوراً، وأسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة وجعل
الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، علم وألهم، ودبر فأحكم
وقضى فأبرم لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه ولا شريك له في ملكه

ولا إله غيره ولا رب سواه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(الجليل) أي المتصف بجميع نعوت الجلال وصفات الكمال، المنزه عن النقائص والمحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

(الأكبر) الذي السموات والأرض وما فيهن وما بينهما في كفه كخردلة في كف آحاد عباده له العظمة والكبرياء وهو أكبر كل شيء شهادة لا منازع له في عظمته وكبريائه ولا ينبغي العظمة والكبرياء إلا له ومن نازعه في صفة منهما أذاه عذابه وأحل عليه غضبه ومن يحلل عليه غضبه فقد هوى.

(الخالق) أي المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بطون أمهاتكم خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ (الزمر/٦) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ (الحج/٥) الآية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون/١٢-١٤) وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ (مريم/٦٧) وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام/١) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فالله تبارك وتعالى الخالق وكل ما سواه مخلوق له مربوب له لا خالق غيره، فجميع السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم كلها مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومبدئه ومعيده، فمنه مبدأها وإليه منتهاها ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ

تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى/٥٣).

(البارىء) أى المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل كما قيل :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري .

أى أنت تنفذ ما خلقت أى قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد فالخلق التقدير، والفري التنفيذ .

(المصور) الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، أى الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها، يقال هذه صورة الأمر أو مثاله فأولاً يكون خلقاً ثم برءاً ثم تصويراً، وهذه الثلاثة الأسماء التي في سورة الحشر في خاتمتها ﴿هو الله الخالق البارىء المصور﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أى الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى : ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ (الانفطار/٨) .

(باري البرايا) جميع الموجودات (منشئ الخلائق) أى جميع المخلوقات (مبدعهم) أى خالقهم ومنشئهم ومحدثهم، يفسر ذلك (بلا مثال سابق) أى بلا نظير سالف، ومنه سميت البدعة بدعة لأنها على غير مثال سبق في الشرع، وقال الله تعالى : ﴿بديع السموات والأرض﴾ (البقرة/١١٧) أى محدثها وموجدتها على غير مثال سبق . وهذا مفسر للبيت الذي قبله وقد تقدم الكلام عليه والله الحمد والمنة .

الأول المبدى بلا ابتداء والآخر الباقي بلا انتهاء

(الأول) فليس قبله شيء (المبدىء) الذي يبدئ الخلق ثم يعيده (بلا ابتداء) لأوليته تعالى (والآخر) فليس بعده شيء (الباقي) وكل ما سواه فان (بلا انتهاء) لأخريته تعالى قال الله عز وجل : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد/٣) وقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (يونس/٣٤) وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ

يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إنَّ ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إنَّ الله على كل شيء قدير ﴿ (العنكبوت/ ١٩ - ٢٠) وقال تعالى : ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخرَ لا إله إلا هو كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه له الحكمُ وإليه ترجعون﴾ (القصص/ ٨٨) وقال تعالى : ﴿كلُّ من عليها فان ويبقى وجهُ ربِّكَ ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن/ ٢٦ - ٢٧) وقال تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخفى على الله منهم شيء ، لِمَنِ المُلْكُ اليومَ لله الواحدُ القهار﴾ (غافر/ ١٦) وقال رسول الله ﷺ : «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(١) . وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب ، فأتاه ناس من بني تميم فقال : «أقبلوا البشرى يا بني تميم» قالوا : قد بشرتنا فأعطنا . مرتين . ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : «أقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا : قبلنا يا رسول الله ، قالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر ، قال : «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض»^(٢) الحديث . وقال عمر رضي الله عنه : قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن

(١) مسلم (٢٠٨٤/٤ ح ٢٧١٣) في الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع . وأبو داود (٣١٢/٥ ح ٥٠٥١) في الأدب ، باب ما يقال عند النوم . والترمذي (٤٧٢/٥ ح ٣٤٠٠) في الأدب ، باب ١٩ وقال حسن صحيح .

والنسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٧٩٠) . وابن ماجه (١٢٧٤/٢ ح ٣٨٧٣) في الدعاء ، باب ما يدعو إذا أوى إلى فراشه .

والبخاري في الأدب المفرد (ح ١٢١٢) وابن أبي شيبه في مصنفه (٢٥١/١٠ ح ٩٣٦٢) .

وابن حبان (الإحسان ٤٢٦/٧) .

(٢) البخاري (٢٨٦/٦) في بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وهو الذي يبدىء الخلق﴾ وفي =

بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري^(١). وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه تعالى يطوي السموات بيده ثم يقول: أنا الملك أنا الملك أنا الجبار المتكبر، أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون»^(٢). وفي حديث الصور: «أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه قائلاً: «الله الواحد القهار»^(٣) أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه. ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء والأموات. قال: وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار»^(٤).

= (٤٠٨/١٣) في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء.

ولم يروه مسلم في صحيحه كما ذكر المصنف.

ورواه أحمد (٤٢٦/٤) و٤٣١ و٤٣٣ و٤٣٦.

وابن أبي شيبة في العرش (ح ١).

والترمذي (٧٣٢/٥ ح ٣٩٥١) في المناقب، باب في ثقيف وبني حنيفة بقصة البشارة فقط.

وابن منده في الإيمان (ح ٨ و ٩).

وابن جرير في تاريخه (٣٨/١). وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٧٦) وغيرهم.

(١) البخاري معاً (الفتح ٢٨٦/٦ - ٢٨٧) في بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾.

ووصله الحافظ في تعليق التعليق وقال: قال ابن منده: هذا حديث صحيح غريب تفرد به عيسى بن موسى (عن رقة عن قيس بن سلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر رضي الله عنه وذكر الحديث. ورواه أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي حمزة السكري عن رقة عنه به لكن فيه النضر بن سلمة وهو مذكور بسرقة الحديث (الفتح ٩٠/٦ والتعليق ٤٨٨/٣).

(٢) البخاري (٣٩٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ ومسلم (٢١٤٨/٤ ح ٢٧٨٨) في صفات المنافقين.

(٣) قطعه من حديث طويل من رواية أبي هريرة رضي الله عنه. وسنأتي بتمامه في أحاديث الصور وكلام أهل العلم عليه.

(٤) ذكره ابن كثير بسنده في تفسيره (٨١/٤) ورجاله ثقات سوى عبيد بن عبيدة قال عنه ابن حجر: يغرب وذكره ابن حبان في الثقات وقال الدارقطني يحدث عن معتمر بغرائب لم يأت بها غيره =

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في أثناء كلامه على هذه الأسماء الأربعة وهي الأول والآخر والظاهر والباطن: هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه. واعلم أن لك أنت أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً بل كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس وأدنى من ذلك وأكثر، فأولية الله عز وجل سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شيء، وآخريته بقاءه بعد كل شيء، وظاهره سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة وهي إحاطتان زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعء، فكل سابق انتهى إلى أوليته وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قدمه والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته وعلا على كل شيء بظهوره ودنا من كل شيء ببطونه، فلا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا يحجب عنه ظاهر باطناً بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب والسر عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً. ثم ساق الكلام على التعبد بهذه الأسماء فشفي وكفي رحمه الله تعالى^(١)، ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسير رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم قريباً بأوجز عبارة وأخصرها فسبحان من خصه بجوامع الكلم ﷺ.

= (اللسان ت ٢٥٦). قلت: وقد تصحف راويه عن ابن عباس في المطبوع من ابن كثير إلى أبي النضر وهو أبو نضره العبدي.
(١) من طريق الهجرتين (ص ٢٤).

الأحدُ الفردُ القديرُ الأزلي الصَّمَدُ البَرُّ المهيمنُ العَلِيُّ
 علوُّ قهرٍ وعلوُّ الشَّانِ جَلُّ عَنِ الأَضْدَادِ والأَعْوَانِ
 كذا له العلوُّ والفوقية على عبادِهِ بلا كيفية

(الأحد الفرد) الذي لا ضد له ولا ند له ولا شريك له في إلهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته. فهو أحد في إلهيته لا معبود بحق سواه ولا يستحق العبادة إلا هو ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه، وهو أحد في ربوبيته فلا شريك له في ملكه ولا مضاد ولا منازع ولا مغالب. أحد في ذاته وأسمائه وصفاته فلا شبيه له ولا مثل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً. فكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات - من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق والرزق والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال والإسعاد والإشقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضر والنفع - فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إماتة من هو محييه أو إعزاز من هو مذلّه أو هداية من هو مضله أو إسعاد من هو مشقيه، أو خفض من هو رافعه أو وصل من هو قاطعه، أو إعطاء من هو مانعه أو ضر من هو نافعه أو عكس ذلك لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنّى لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، ماض فيهم حكمه عدل فيهم قضاؤه نافذة فيهم مشيئته لا امتناع لهم عما قضاه ولا خروج لهم من قبضته ولا تحرك ذرة في السموات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فسحقاً لأصحاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيته من هو مخلوق مربوب مثلهم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، واتخذوهم من دونه أرباباً وأنداداً سووهم به وعدلوهم به واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته وعبدوهم من دونه. وهم يرون ويعلمون أنهم محدثون بعد أن لم يكونوا، مسبوقون بالعدم عاجزون عن القيام بأنفسهم فقراء إلى من يقوم بهم. وألحدوا في أسماء الله وصفاته وآياته على اختلافهم في صناعة الإلحاد فبين مشبه له تعالى بالعدم وهم

نفاة أسمائه وصفاته بل هم نفاة وجود ذاته، وبين مشبه له بالمخلوقات ممثل صفاته تعالى بصفات الحادثات المحدثات حاكمين عليه بعقولهم واصفين له بما لم يصف به نفسه. وآخرون جحدوا إرادته ومشيتته النافذة وقدرته الشاملة وأفعاله وحكمته وحمده وجعلوا أنفسهم هم الفاعلين لما شاءوا الخالقين لما أرادوا من دون مشيئة الله ولا إرادة، وجحدوا أن يكون الله خلقهم وما يعملون. وآخرون جعلوا قضاءه وقدره حجة لهم على ترك أوامره ونواهيه، وأنهم لا قدرة لهم ولا اختيار، وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعله وترك ما لا يطاق تركه، وجعلوا معاصيه طاعات إذ وافقت مشيئته الكونية وقدره الكوني فخاصموه بمشيئته وأقداره وعطلوا أوامره ونواهيه ونسبوه إلى الظلم تعالى، وأن تعذيبه من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم يقيم الصلاة ولم يؤت الزكاة ولم يصم ولم يحج ولم يعمل الطاعات ولم يترك المعاصي كتعذيب الذكر لم يصبر أنثى والأنثى لم تصر ذكراً، وأن أمرهم بالصلاة وغيرها كآمر الأدمي بالطيران والأعمى بنقط المصاحف، أولئك خصماء الله يوم القيامة، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. ورضي الله عن المؤمنين إذ عرفوه حق معرفته وقدروه حق قدره ووحدوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأثبتوا له ما أثبتته لنفسه، ونفوا عنه التمثيل، وآمنوا بقضائه وقدره وتلقوه بالرضا والتسليم، وأن ذلك موجب ربوبيته ومقتضى إلهيته واللائق بحكمته وحمده، وتلقوا أمره بالسمع والطاعة والامتثال والانقياد، ووقفوا عند نواهيه وحدوده فلم يعتدوها، ونزلوا كلا من القدر والشرع منزلة ولم ينصبوا الخصام بينهما، فالقضاء والقدر يؤمن به ولا يحتج به، والأمر والنهي يطاع ويمتنع، فالإيمان بالقدر من كمال التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بالأمر والنهي موجب شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ. فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر وينقاد للأمر والنهي فهو مكذب بالشهادتين ولو نطق بهما بلسانه. وهذا البحث سيأتي تفصيله عن قريب إن شاء الله في موضعه، وإنما ساقنا إليه ها هنا الكلام على كمال أحدية الله عز وجل في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقدره وشرعه، وأنه لا معارض لمشيئته ولا معقب لحكمه، وأن المخلوق لا تصرف له في نفسه فضلاً عن غيره ولا قدرة له على ما لم يقدره الله تعالى عليه، فكيف يسوي به

ويعدل به ويشرك معه في إلهيته أو ينسب إليه التصرف في شيء من ملكوته، وكم يقيم الحجة تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهاً غيره بأحدثه في الربوبية والأسماء والصفات وإقرار المشرك بها، وأن آلهته التي أشرك لا تتصف بشيء منها ويلزمه إفراده بالالوهية الملازمة للربوبية كما قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم/٦٥) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/٤٠) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَتَى تَوْفُكُونَ. قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس/٣٤-٣٥) إلى غير ذلك من الآيات.

(القدير) الذي له مطلق القدرة وكمالها وتامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما، أي لا يكرثه ولا يثقله، الفعال لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أي وقت شاء، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ أَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ (النساء/١٣٣) وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (الحج/٦٢) الآية وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحج/٦) وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا

قديراً ﴿غافر/٨٢﴾ وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفْسٍ وَاحِدَةً﴾
 (لقمان/٢٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
 (يس/٨٢) وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ
 يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى، بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف/٣٣)
 وقال تعالى: ﴿أَفَعِيبَانَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق/١٥)
 وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ
 لُغُوبٍ﴾ (ق/٣٨) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ
 يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عِلْمًا﴾ (الطلاق/١١٢) وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ
 عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
 كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس/٨١-٨٢) وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (تبارك/١) وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا
 لِقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (المعارج/٤٠) وقال تعالى:
 ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾
 (المؤمنون/١٨) وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
 (فصلت/٣٩) وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ
 يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ
 وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ (العنكبوت/٢٠-٢٢) والآيات في هذا الباب كثيرة يطول
 ذكرها، بل كل آيات الله الظاهرة والمعنوية وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تدل
 على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة كما أنه لا يعزب عن علمه
 مثقال ذرة، وعبرة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم، وكفى العبد ذليلاً أن ينظر
 في خلق نفسه كيف قدره أحكم الحاكمين وخلقته في أحسن تقويم، وشق له

السمع فسمع والبصر فأبصر واللسان فنطق والفؤاد فعقل إلى غير ذلك، فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت، ونظر بعين بصيرته إلى مبدعات الحي الذي لا يموت ورأى الآيات الباهرة والبراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة والجبروت ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/١٨٥) وفي حديث الاستخارة المتفق عليه «اللهم إني استخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم»^(١) الحديث.

(الأزلي) بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته وليس شيء من أسمائه وصفاته متجدداً حادثاً لم يكن قبل ذلك، كذلك له كمال الربوبية ولا مربوب، واسم الخالق ولا مخلوق، وهو العليم قبل إيجاد المعلومات والسميع قبل إيجاد المسموعات، والبصير قبل إيجاد المبصرات، وكذلك سائر أسمائه وصفاته أزلية بأزلية ذاته، باقية ببقاء ذاته، لم يزل متصفاً بها في أوليته وكذلك لم يزل متصفاً بها في سرمديته، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا باحداثه البرية استفاد اسم الباري، بل هو سبحانه الخالق قبل خلق المخلوقين والرزاق قبل وجود المرزوقين، وهو المحيي المميت قبل خلقه الموت والحياة، وكذلك وصف نفسه تبارك وتعالى فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً قَدِيراً - وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً - وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً - وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً - وَكَانَ اللَّهُ لَطِيفاً خَبِيراً - إِنَّ

(١) البخاري (١٨٣/١١) في الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة.

وفي التطوع، باب مثني مثني.

وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾، ولم يروه مسلم في صحيحه كما ذكر المصنف.

وأبو داود (٨٩/٣ - ٩٠/٩٠ ح ١٥٣٨) في الصلاة، باب في الاستخارة.

والترمذي (٣٤٥/٢ - ٣٤٦/٣ ح ٤٨٠) في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة.

والنسائي (٨٠/٦ - ٨١) في النكاح، باب كيف الاستخارة.

وابن ماجه (٤٤٠/١ ح ١٣٨٣) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستخارة.

وأحمد (٣٤٢/٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٥/١٠ ح ٩٤٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

الله كان علياً كبيراً ﴿ إلى غير ذلك، قال ابن عباس: أي لم يزل كذلك ا. هـ. ولا يجوز أن يعتقد أن الله تعالى وصف بصفة لم يكن متصفاً بها لأن صفاته سبحانه كلها صفات كمال وفقدانها صفة نقص، ولا يجوز كونه قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده، وتقدم في الألفية حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما في بدء الخلق «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء»^(١).

(الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس: يعني الذي يُصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم^(٢). وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمتة والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤ وليس كمثل شيء سبحانه الله الواحد القهار^(٣). وعن أبي وائل: «الصمد» الذي قد انتهى سؤده. ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه^(٤). وعن زيد بن أسلم الصمد السيد^(٥). وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه^(٦). وقال الحسن أيضاً: الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له^(٧). وقال عكرمة: الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولم يطعم^(٨). وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضاً وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي: الصمد

(١) تقدم ذكره بتمامه.

(٢) ابن كثير (٦٠٩/٤).

(٣) الطبري (٣٤٦/٣٠) وفي سنده انقطاع بين علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وانظر ابن كثير (٦٠٩/٤).

(٤) ابن كثير (٦١٠/٤) من الطبري (٣٤٦/٣٠) وأبو وائل هو عاصم بن أبي وائل وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً وقال الحافظ: - وقد وصله الفريابي.

(٥) من طريق مالك عنه وهو من أخص أصحابه (ابن كثير ٦١٠/٤).

(٦) الطبري (٣٤٧/٣٠).

(٧) ابن كثير (٦١٠/٤).

(٨) الطبري (٣٤٥/٣٠).

الذي لا جوف له^(١). وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب^(٢). وقال عبدالله بن بريدة أيضاً: الصمد نور يتلأل^(٣). قال ابن كثير رحمه الله تعالى: روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده. وقال الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك^(٤). وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو سعد هو الصنعاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ والصمد الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء^(٥)، حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن النبي ﷺ ذكر آلهتهم فقالوا: أنسب لنا ربك، قال فأتاه جبريل عليه

(١) الطبري (٣٤٤/٣٠ - ٣٤٥) وابن كثير (٦١٠/٤).

(٢) الطبري (٣٤٥/٣٠).

(٣) ابن كثير (٦١٠/٤).

(٤) من تفسيره ج ٤/ص ٦١٠.

(٥) الترمذي (٤٥٢/٥ ح ٣٣٦٤) في تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص.

ورواه أحمد في مسنده (١٣٤/٥). وابن جرير في تفسيره (٣٤٢/٣٠) والحاكم (٥٤٠/٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٩ - ٥٠). وإسناده ضعيف فأبو جعفر الرازي سيء الحفظ وقد أعله الترمذي بأبي سعد الصنعاني وقد تابعه محمد بن سابق عند الحاكم في مستدركه فبقيت العلة الأولى فقط.

وللحديث شاهد من حديث جابر رضي الله عنه:

رواه أبو يعلى في مسنده وابن جرير (٣٤٣/٣٠) والطبراني في الأوسط.

وفيه مجالد بن سعيد وقد اتهم من جهة حفظه. وللحديث شواهد أخرى فيرتفع إلى درجة الحسن إن شاء الله تعالى.

السلام بهذه السورة ﴿قل هو الله أحد﴾ فذكر نحوه ولم يذكر فيه أبي بن كعب، وهذا أصح من حديث أبي سعدا. هـ. (١).

قلت: وهذه السورة العظيمة التي قال فيها النبي ﷺ: «إنها تعدل ثلث القرآن» (٢) مشتملة على توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات، جامعة بين الإثبات لصفات الكمال وبين التنزيه له تعالى عن الأشباه والأمثال، متضمنة الرد على جميع طوائف الكفر من الدهرية والوثنية والملاحدة من المشبهة والمعطلة وأهل الحلول والاتحاد ومن نسب له الصاحبة والولد وغيرهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والله أعلم.

(البر) وصفاً وفعلاً، قال ابن عباس: اللطيف (٣). وقال الضحاك: الصادق فيما وعد (٤).

(المهيمن) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل: هو الشهيد على عباده بأعمالهم (٥)، يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء كما قال تعالى: ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ (البروج/٩) وقوله: ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ (يونس/٤٦) وقال: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ (الرعد/٣٣) وقال الحسن: الأمين (٦)، وقال الخليل هو الرقيب الحافظ (٧)، وقال ابن زيد: المصدق (٨). وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي (٩). وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب (١٠)، والله أعلم بتأويله أ. هـ.

(١) الترمذي (٥/٤٥٢ ح ٣٣٦٥) في تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص وفيه أبو جعفر الرازي.

(٢) وردهذا اللفظ في عدة أحاديث منها ما رواه أبو سعيد الخدري: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد. يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له. وكان الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن.

البخاري: (٩/٥٩) في فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد. وأبو دادو (٢/٧٢ ح ١٤٦١) في الصلاة، باب في سورة الصمد. والنسائي (٢/١٧١) في الافتتاح، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد. والموطأ (١/٢٠٨) وأحمد (٣/٣٥ - ٤٣).

(٣، ٤) البغوي (٥/٢٣٦ معالم التنزيل).

(٥، ٦) البغوي (٥/٣٥٦ معالم التنزيل).

(٧، ٨، ٩، ١٠) البغوي (٥/٣٥٦ معالم التنزيل).

(العلي) فكل معاني العلو ثابتة له، (علو قهر) فلا مغالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت سلطان قهره ﴿قُلْ إِنَّمَا نَا مُنذِرٌ، وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (ص/٦٥). ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى، مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ، هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الزمر/٤) وقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام/١٨) أي وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شيء، وذلل لعظمته وكبريائه كل شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء.

(وعلو الشأن) فتعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنی وصفاته العلی. تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجبر. وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفو والنظير. وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثاً وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهى ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحداً مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئاً من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطعم أو يُرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد/١٩) وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (الأحقاف/٤) وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء/٢٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبا/٢٢) وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ (الإسراء/١١١) وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

﴿أحد﴾ (سورة الإخلاص) وقال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (الجن/ ٣) وقال تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم/ ٦٥) وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء/ ٢٨) وقال تعالى : ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس/ ٣) وقال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة/ ٢٥٤) وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (المؤمنون/ ٨٨) وقال تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان/ ٥٨) وقال تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة/ ٢٥٤) وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق/ ٣٨) وقال تعالى : ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق/ ١٥) وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى، بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف/ ٣٣) وقال تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (المؤمنون/ ١٧) وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ وقال تعالى عن موسى لما قال له فرعون : ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه/ ٥١-٥٢) وقال تعالى : ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ (سبا/ ٣) وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (ص/ ٢٧) وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان/ ٣٨-٣٩) وقال تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون/ ١١٥) وقال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة/ ٣٦) وقال تعالى : ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف/ ٤٩) وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَظَاعَفْهَا﴾ (النساء/ ٤٠) وقال تعالى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وقال تعالى :

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه/١١٢)
 وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا
 يُطْعَمُ﴾ (الأنعام/١٤) وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ
 مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
 (الذاريات/٥٦-٥٨) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ﴾ (فاطر/١٥) وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
 عِلْمًا﴾ (طه/١١) وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
 (الشورى/١١).

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، وهذان المعنيان من العلو لم يخالف فيهما
 أحد ممن يدعي الإسلام ويتنسب إليه، وإنما ضل من ضل منهم وأخطأ في
 التنزيه الذي هو مقصوده حيث لم يسلك الطريق الموصلة إليه، وأحسن الظن
 بنفسه وعقله ومتبوعه، وأسأه بالكتاب والسنة، وكثير منهم اغتر بقول كان مقصود
 قائله الزيف والفساد والكفران، فحسب - لإحسان الظن به - أن مقصوده التحقيق
 والإيمان والعرفان. واتبعوا السبل المضلة فتفرقت بهم عن صراط الرحمن، فمنهم
 من نزّهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائناً من خلقه ووقع في أعظم من ذلك حيث
 اعتقد أنه في كل مكان، ولم ينزّهه حتى عن الأماكن الخسيسة. ومنهم من نزّهه
 عن العلو والفوقية وجعله هو الوجود بأسره، ومنهم من نزّهه عن وجود ذاته ووصفه
 بالعدم المحض، ومنهم من نزّهه عن أفعاله ومشيتته فراراً من وصفه بالظلم، ووقع
 في تعطيله عن قدرته ونسبته إلى العجز، وغلا بعضهم في ذلك حتى أنكر علمه
 السابق ووصفه بضده، ومنهم من غلا في مسألة القدر وإثباته وخاصم به الأمر
 والنهي فراراً مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم ذلك تعطيل الشريعة ونسبته تعالى
 إلى الظلم وإلى تكليف عباده ما لا يطاق تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ففروا
 من الهدى إلى الضلالة ومن الرشd إلى الغي ومن الإسلام إلى الكفر ومن السنة
 إلى البدعة ومن النور إلى الظلمات وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
 أنهم يحسنون صنعاً، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه فجعلوا

إمامهم وقدوتهم الكتاب والسنة وساروا معهما حيث سارا ووقفوا حيث وقفوا. فأنبتوا لله ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلاء، وآمنوا بالقدر خيره وشره وتلقوه بالرضا والتسليم، وانقادوا للشرعية فقابلوا أوامرهم ونواهيها بالامتثال والتعظيم، فما أثبت الله لنفسه أثبتوه، وما نفاه عن نفسه نفوه، فإذا سمعوا آيات الصفات وأحاديثها قالوا آمنا به كل من عند ربنا، وإن أحسنوا قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وإن أساءوا قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

(كذا) ثابت (له العلو والفوقية) بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة (على عبادته) فوقهم مستوياً على عرشه عالياً على خلقه بائناً منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية، والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، والفطر السليمة، والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره. ولنشر إلى بعض ذلك إشارة تدل على ما وراءها وبالله التوفيق.

فمن ذلك أسماؤه الحسنى الدالة على ثبوت جميع معاني العلو له تبارك وتعالى كاسمه الأعلى واسمه العلي واسمه المتعالي واسمه الظاهر واسمه القاهر وغيرها. قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى/١) ولما نزلت قال النبي ﷺ اجعلوها في سجودكم^(١)، وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة/٢٥٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء/٣٤) وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْنُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥٥/٤) وأبو داود (٨٦٩) وابن ماجه (٨٨٧) والطحاوي (١٣٨/١) والحاكم (٢٢٥/١ و ٤٧٧/٢) والبيهقي (٨٦/٢) من طريق موسى بن أيوب الغافقي قال سمعت عمي أياس بن عامر يقول سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: فذكره.

وقال الحاكم: صحيح وقد اتفقا على الاحتجاج برواياته غير إياس بن عامر وهو مستقيم الإسناد ورده الذهبي بقوله: قلت إياس ليس بالمعروف. ولكن قال العجلي لا بأس به وأورده ابن حبان في الثقات وصح له ابن خزيمة في التهذيب وفي التقريب صدوق. أقول: فالحديث يحتمل التحسين.

هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿﴾ (الحج/٦٢) وقال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿﴾ (سبا/٢٣) وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴿﴾ (الشورى/٥١) وقال تعالى : ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿﴾ (الرعد/٩) وقال تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴿﴾ (الحديد/٣) وقال النبي ﷺ في دعائه «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»^(١). وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴿﴾ (الأنعام/١٨) وهذه الأسماء تدل على ثبوت جميع معاني العلوه تبارك وتعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

ومن ذلك التصريح بالاستواء على عرشه كما قال تعالى في سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿﴾ (الأعراف/٥٤) وقال تعالى في سورة يونس : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴿﴾ (يونس/٣) وقال تعالى في سورة الرعد : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿﴾ (الرعد/٢). وقال تعالى في سورة طه : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿﴾ (طه/٥) وقال تعالى في سورة الفرقان : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴿﴾ (الفرقان/٥٩) وقال تعالى في سورة ألم تنزيل السجدة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ . يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴿﴾ (السجدة/٤ - ٥) الآية وقال تعالى في سورة الحديد : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿﴾ (الحديد/٤).

وفي حديث أنس في فضل الجمعة وتسميته في الآخرة يوم المزيد الحديث بطوله وفي آخره قال : «وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش» وقد رواه

(١) تقدم ذكره.

الشافعي في مسنده وعبدالله بن أحمد في كتاب السنة وابن خزيمة وغيرهم^(١)، وقد جمع أبو بكر بن أبي داود طرده في جزء وسيأتي إن شاء الله تعالى بطوله وألفاظه في إثبات رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله تعالى الخلائق حاسبهم فيميز بين أهل الجنة وأهل النار وهو تعالى في جنته على عرشه» قال محمد بن عثمان الحافظ هذا حديث صحيح^(٢). وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه» رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري^(٣). وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود أتوا النبي ﷺ فسألوه عن خلق السموات والأرض، فذكر حديثاً طويلاً، قالوا: ثم ماذا يا محمد؟ قال: «ثم استوى على العرش». قالوا أصبت يا محمد، لو أتممت: ثم استراح، فغضب غضباً شديداً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق/٣٨) رواه ابن منده والحاكم وصححه، وفي إسناده البقال ضعفه ابن معين^(٤). وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض: قال: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش فاستوى عليه» رواه أبو داود

(١) الشافعي في مسنده (الترتيب ١/١٢٦ - ١٢٧). وفي سننه إبراهيم بن محمد شيخ الشافعي وهو متهم بالكذب.

ورواه عبدالله في السنة (ح ٤٦٠) وابن جرير (٢٦/١٧٥) والأجري في الشريعة وابن أبي شيبة في الرد على الجهمية (ح ١٤٥).

من طرق عن عثمان بن عمير أبو اليقظان وهو ضعيف قد اختلط وكان يدلّس.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني عن أنس ورجاله ثقات (المجمع ٢/١٦٤).

(٢) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٥٥) وذكر قول محمد بن عثمان هذا. ولم أجده عنده في كتاب العرش.

(٣) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٥٤) وقال: صحيح على شرط البخاري وقال الذهبي في العلو: رواه ثقات (العلو ص ٥٢) وانظر المختصر (ح ٣٨).

(٤) الحاكم (٢/٥٤٣) وذكره ابن القيم بسنده من طريق ابن منده (اجتماع الجيوش ص ٦٠). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يوافقوه الذهبي وقال: وأني ذلك والبقال قد ضعفه ابن معين والناس (العلو ص ٧٦).

وابن ماجه، وقال الذهبي إسناده حسن^(١)، ورواه الترمذي وحسنه لكن لفظه «وخلق عرشه على الماء» قال يزيد بن هارون: العماء، أي ليس معه شيء^(٢). وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ قال إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء ثم أيس الماء فجعله أرضاً ثم فتقها فجعلها سبع أرضين. الحديث. إلى أن قال: فلما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش. رواه السدي وابن جرير الطبري في تفسيره والبيهقي في الأسماء والصفات^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيده فقال: «يا أبا هريرة، إن الله تعالى خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع» الحديث بطوله رواه النسائي في تفسير سورة السجدة من سننه الكبرى^(٤). وفيه أخضر بن عجلان قال الذهبي وثقه ابن معين،

(٢٠١) رواه الترمذي (٢٨٨/٥) ح ٣١٠٩ وقال حديث حسن وابن ماجه في المقدمة (١/٦٤/ح ١٨٢).

وأحمد في المسند (١١/٤) وابن أبي شبة في العرش (٧) وابن جرير في تفسيره (٤/١٢) وعبدالله في السنة (ح ٤٥٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٧٨ - ٤٧٩) وسنده ضعيف فيه وكيع بن حدس ويقال عدس. قال الحافظ: مقبول (أي عند المتابعة وإلا فلين) ولم يتابع ولذلك قال الذهبي: لا يعرف وجهه ابن القطان.

قلت: لفظ ثم استوى على عرشه لم يرو إلا عند البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥١٤). ولم أجده عند أبي داود في سننه.

(٣) ابن جرير (١٩٤/١) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٥٧ و ٤٨٢) وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١/١٠٦).

من طريق اسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله.

واسباط هو بن نصر الهمداني: وثقه ابن معين وتوقف أحمد وضعفه أبو نعيم وقال النسائي: ليس بالقوي. والسدي هو الكبير: صدوق يرمي بالتشيع ومرة الهمداني: ثقة فسند مقبول إلى ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) النسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ح ١٤١٩٣) والعلو للذهبي (ص ٧٥) وقال الذهبي: حديث غريب من أفراد الأخضر بن عجلان.

قال الحافظ عنه: صدوق (وانظر كلام الألباني عليه في مختصر العلوح/٧١).

وقال أبو حاتم يكتب حديثه، ولينه الأزدي، وحديثه في السنن الأربعة وهذا الحديث غريب من أفراده.

ومن ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام/١٨) وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل/٥٠) ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغني أموالهم قال له النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» وفي لفظ «من فوق سبع سموات»^(١) وأصله في الصحيحين وهذا سياق ابن إسحاق. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوّجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات^(٢). وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلك الأنعام فاستسق الله لنا فإننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول» وسبح رسول الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجه أصحابه. ثم قال: «ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك. ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سمواته لهكذا» وقال بأصبعه مثل القبة عليه «وإنه ليضط به أطيظ الرحل بالراكب» قال ابن بشار في حديثه: «إن

= قلت: وقد روي من غير طريقه عند مسلم في التوبة دون قوله ثم استوى على العرش يوم السابع.

(١) ذكره الذهبي في العلو من حديثه من طريق محمد بن إسحق (ص ٣٢) وقال هذا مرسل. وذلك لانقطاعه بين معبد بن كعب بن مالك وبين سعد فمعبد تابعي وسعد توفي في حياة النبي ﷺ. ومن طريقه رواه المقدسي في إثبات العلو (ح ٣٩).

وللحديث شاهد عند النسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ح ٣٨٨١) والعلو (ص ٣٢) من طريق سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن عامر بن سعد عن أبيه عن سعد مرفوعاً. قال الذهبي هذا حديث صحيح.

(٢) البخاري (٤٠٣/١٣ - ٤٠٤) في التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم» والترمذي (٣٥٤/٥ - ٣٥٥/ح ٣٢١٣) في تفسير القرآن، باب ٣٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته»^(١) وساق الحديث. وله عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه» قالوا: السحاب. قال: والمزن قالوا: (والمزن) قال: والعنان قالوا: والعنان. قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيداً، قال: «هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا ندري، قال: «إن بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك - حتى عد سبع سموات - ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك» زاد أحمد «وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»^(٢). وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. قال: وذلك قول الله عز وجل: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»^(٣) وفي

(١) ضعيف رواه أبو داود (٢٣٢/٤ ح ٤٧٢٦) في السنة، باب في الجهمية. وأبو سعيد الدارمي (ح ٧١) وابن خزيمة (ص ١٠٣ - ١٠٤) وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٥ - ٥٧٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤١٧) والبقوي (شرح السنة / ١ - ١٧٥ / ١٧٦) وغيرهم.

وإسناده ضعيف: ففيه ابن إسحق وهو مدلس وقد عنعن وجبير بن محمد بن جبير قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليّن).

(٢) ضعيف رواه أحمد (٢٠٧/١) وأبو داود (٢٣١/٤ ح ٤٧٢٣) في السنة باب في الجهمية. وابن ماجه (١/٦٩ ح ١٩٣) في المقدمة. والدارمي في الرد على المريسي (ص ٩٠ - ٩١). وفي الرد على الجهمية (ح ٧٢) والحاكم (٤١٢/٢) وغيرهم.

من حديث عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد الله بن عميرة مقبول (إذا توبع وإلا فليّن).

(٣) ضعيف رواه ابن ماجه (١/ ٨٨ / ح ١٨٥) في المقدمة. والآجري في الشريعة (ص ٢٦٧) وابن عدي في كامله (٢٠٣٩/٦) والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢٧٤/٢ - ٢٧٥) وابن الجوزي في =

إسناده الرقاشي ضعيف، ومعناه ثابت في الكتاب والسنة. وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه» وذكر الحديث، وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه «فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه»^(١)، قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين: هكذا قال «في داره» في المواضع الثلاثة يريد مواضع الشفاعات الثلاث التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه. وعن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ حدثني عن ربه عز وجل فقال: «وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي فتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي» رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش والعسال في المعرفة وضعفه الذهبي^(٢). وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبخر، فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته، فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها»^(٣) رواه الدارمي، وله شاهد في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي حديث عمران بن حصين

= الموضوعات (٢٦١/٣ - ٢٦٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (خ ٨٣٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (ح ٩١) والديلمي في الفردوس (١٤/٢) كلهم من حديث الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر به والفضل: منكر الحديث.

(١) رواه المقدسي في إثبات صفة العلو (ح ٤٢) والذهبي (ص ٣٢ العلو) وسنده ضعيف فيه زائده بن أبي الرقاد وهو ضعيف قال عنه ابن حجر: منكر الحديث.

وقال الذهبي: وأخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة بإسناد قوي عن ثابت عن أنس وفيه: فأتني باب الجنة فيفتح لي، فأتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسية أو سريره فأخر له ساجداً.

(٢) البخاري (٤٢٢/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ وأحمد (٢٤٤/٣) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٤٨).

(٣) العرش لابن أبي شيبة (ح ١٩) والعسال في المعرفة (العلو ص ٥٣) وفيه الهيثم بن الأشعث قال الذهبي: مجهول وإسناده ضعيف.

(٤) الدارمي في الرد على المريسي (ص ٤٩) والمقدسي في صفة العلو (ح ٣٦) وأورده الذهبي في العلو (ص ٣٦). وقال إسناده لين.

قلت فيه: عبد السلام بن عجلان قال عنه ابن حبان: يخطيء ويخالف (اللسان ١٦/٤) والحديث صحيحه الدارمي في رده.

في بدء الخلق: «كان الله عز وجل على العرش وكان قبل كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون»^(١) حديث صحيح أصله في البخاري. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى يسر له نظر الله له من فوق سبع سموات فيقول للملائكة أصرفوه عنه فإن يسرته له أدخلته النار» رواه البغوي وسكت الذهبي عنه^(٢). وعنه رضي الله عنه قال: «العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» قال الذهبي رواه عبدالله بن أحمد في السنة وأبو بكر بن المنذر وأبو أحمد العسال وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ وأبو القاسم اللالكائي وأبو عمرو الطلمنكي وأبو بكر البيهقي وأبو عمر بن عبد البر في تواليهم، وإسناده صحيح^(٣). وأخرج ابن أبي شيبة أن حسان بن ثابت رضي الله عنه أنشد النبي ﷺ:

شهدت بإذن الله أن محمداً رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما يقول بذات الله فيهم ويعدل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل من ربه متقبل^(٤)
ومن ذلك التصريح بأنه تعالى في السماء قال الله تعالى: ﴿أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ. أَمْ أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ (الملك/ ٦-٧) وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروض لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة

(١) تقدم ذكره.

(٢) العلو للذهبي (ص ٤٨) ورجاله ثقات عند البغوي وفيه انقطاع بين خيشمة بن عبد الرحمن وابن مسعود رضي الله عنه فإنه لم يسمع منه. ورواه من طريق خيشمة ابن أبي شيبة في الرد على الجهمية (ح ٨٠). وقال الذهبي: أخرجه اللالكائي بإسناد قوي.

وقال ابن القيم في الجيوش الإسلامية: إسناده صحيح (ص ١٠٠).

(٣) العلو (ص ٦٣ - ٦٤) من طريق عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عنه - وعاصم حديث حسن.

(٤) ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٠٧/٨) والمقدسي في العلو (ح ٣٧) والذهبي في العلو (ص ٤٠) وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى (المجمع ٢٤/١). قال الهيثمي: وهو مرسل وكذا قال الذهبي. والإرسال هو بين حبيب بن أبي ثابت وحسان.

نفر: بين عينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً» قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشر الجبهة كثر اللحية مخلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله. فتنازل ﷺ: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟» قال فلما ولي الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم» قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «أنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»^(١). وعن معاوية بن الحكم في حديث طويل قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكن صككتها صكة. فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال «ائتني بها» فأتيتها بها فقال لها: «أين الله» قالت: في السماء. قال: «من أنا» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم^(٢). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاءاً

(١) البخاري (٣٧٦/٦) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإلى عادِ أخاهم هوداً﴾ ومسلم (٢/٧٤١/ح ١٠٦٤) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
(٢) مسلم (١/٣٨١-٣٨٢/ح ٥٣٧) في المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة. وأبو داود (١/٢٤٤-٢٤٥/ح ٩٣٠) في الصلاة، باب تسميت العاطس في الصلاة. والنسائي (٣/١٤-١٨) في الصلاة، باب الكلام في الصلاة. وغيرهم.

من شفائك على هذا الوجع. فيبراً^(١) رواه أبو داود. وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح^(٢). وله عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي «يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً» قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال ﷺ: «فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك» قال الذي في السماء. قال: «يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك» قال فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني. فقال ﷺ: «قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن

- (١) أبو داود (٣٨٩٢ ح / ١٢/٤) في الطب، باب كيف الرقى.
والنسائي في عمل اليوم والليلة (ح ١٠٣٨) والدارمي في الرد على المريسي (ص ١٠٤) وابن حبان في الضعفاء (١٠٨/١) والحاكم (٣٤٤/١) و(٢١٨/٤) وابن عدي في الكامل (٣/١٠٥٤).
وقال الحاكم: قد احتج الشيخان بجميع رواته غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث. قال الذهبي: زيادة منكر الحديث. وذكر في الميزان أنه انفرد به.
ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ١٠٣٥) من رواية طلق بن حبيب عن أبيه مرفوعاً وإسناده جيد إلى طلق وحبيب العنزي والد طلق. مجهول.
وروي عنده من طريق طلق عن رجل من أهل الشام عن أبيه (ح ١٠٣٦). وقال ابن حجر: وهو الأصح (الإصابة/٣١٠).
ورواه أحمد (٢٠/٦ - ٢١) من رواية فضالة بن عبيد وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف.
(٢) الترمذي (٣٢٣/٤ ح / ١٩٢٤) في البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين وقال حسن صحيح.

وأبو داود (٢٨٥/٤ ح / ٤٩٤١) في الأدب، باب في الرحمة.
وأحمد (١٦٠/٢) والحميدي في مسنده (ح ٥٩١) والبخاري في التاريخ الكبير (٦٤/٩) والدارمي في النقض (ص ١٠٤) والخطيب في تاريخه (٢٦٠/٣) والحاكم في مستدركه (٤/١٥٩) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأوسماء والصفات (ص ٤٢٣).
وفي سننه أبو قابوس قال عنه ابن حجر: مقبول (أي عند المتابعة وإلا فلين).
وللحديث شاهد من حديث جرير بن عبدالله مرفوعاً: من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء. أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٥/٢ ح / ٢٤٩٧). قال الذهبي في العلو: رواه ثقات (ص ٢٠).

وله شاهد من حديث عبدالله بن مسعود: أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٣/١٠ ح / ١٠٢٧٧) وفي =

عمران بن حصين من غير هذا الوجه^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» رواه مسلم في صحيحه^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة من بناته، فقال أبو سفيان: ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل الريحانة في وسط الزبل. فسمعت فأبلغته رسول الله ﷺ فخرج فصعد على منبره وقال: «ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله خلق سموات سبعة فاختار العليا فسكنها، وأسكن سمواته من شاء من خلقه، ثم اختار خلقه فاختار بني آدم فاختار العرب فاختار مضر فاختار قريشاً فاختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خياراً من خيار، فمن أحب قريشاً فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم». قال الذهبي هو حديث منكر رواه جماعة في كتب السنة وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل» وذكر باقي

= الصغير (١٠١/١) والحاكم (٢٤٨/٤) وصححه وافقه الذهبي.

والحديث مرسل فهو من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه (المجمع ١٨٧/٨) فالحديث صحيح. (١) الترمذي (٥١٩/٥ - ٥٢٠/٥ ح ٣٤٨٣) في الدعوات، باب ٧٠ وقال حسن غريب والبخاري في التاريخ الكبير (١/١/٢) والطبراني في الكبير (١٧٤/١٨ ح ٣٩٦) وهو من رواية الحسن البصري عن عمران وقد سمع منه كما تقدم وفيه شيب بن شيبه وهو صدوق يهم وقال عنه الذهبي: ضعيف. ورواه ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٢٠) والذهبي في العلو (ص ٢٤) من طريق عمران بن خالد بن طليق قال حدثني أبي عن أبيه عن جده عمران بن الحصين قال الذهبي وعمران ضعيف وخالد قال عنه الدارقطني: ليس بالقوي: (اللسان ت ١٥٦٨).

(٢) مسلم (١٠٦٠/٢ ح ١٤٣٦) في النكاح، باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها.

(٣) وأخرجه العقيلي (٣٨٨/٤) وابن عدي في كامله (٢٢٠٧/٦) والحاكم (٧٣/٤) و(٨٧ - ٨٦/٤) والبيهقي في مناقب الشافعي (٣٩/١).

وفيه محمد بن ذكوان قال عنه البخاري وأبو حاتم والنسائي: منكر الحديث ولذلك قال أبو حاتم: حديث منكر (العلل ٣٦٨/٢) وكذا قال الذهبي في العلو (ص ٢٣).

الحديث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له^(١)، وفي الباب أحاديث تأتي إن شاء الله تعالى في ذكر الموت وفتنة القبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: «لما أسري بي مررت برائحة طيبة، فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ قال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوق المشط من يدها، فقالت بسم الله تعالى، فقالت إبنته: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله. فقالت: أخبر بذلك أبي؟ قالت نعم: فأخبرته فدعا بها فقال: من ربك، هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها^(٢) وساق الحديث بطوله، رواه الدارمي وأبو يعلى الموصلي وقال الذهبي: هذا حديث حسن الإسناد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء وأنا واحد في الأرض أعبدك» رواه الدارمي في النقض وقال الذهبي حسن الإسناد^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبرائيل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» رواه

(١) أحمد (٣٦٤/٢ - ٣٦٥) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧٨/١٠). وابن ماجه (١٤٢٦/٢ ح ٤٢٦٨) في الزهد، باب ذكر القبر والبلى. وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٢٠) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٣٥) وإسناده على شرط الشيخين.

(٢) أحمد (٣٠١/١ - ٣٠٢) والطبراني في الكبير (٤٥٠/١١ - ٤٥١ ح ١٢٢٧٩). والحاكم (٤٩٦/٢ - ٤٩٧) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والبخاري (كشف الأستار ٣٧/١).

والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٩/٢) والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٤٣) والذهبي في العلو (ص ٤٥ - ٤٦) وقال حسن. وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط وهو من رواية حماد بن سلمة عنه وسماعه منه قبل الاختلاط.

(٣) والدارمي في الرد على الجهمية (٧٥) وأبو يعلى في مسنده كما في تفسير ابن كثير (٣٤٥/٥) والبخاري (كشف الأستار ١٠٣/٣) والخطيب في تاريخه (٣٤٦/١٠) وأبو نعيم في الحلية (١٩/١). وفيه أبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ ومع هذا قال الذهبي: هذا حديث حسن (العلو ص ٢١).

البخاري^(١). وعن النواس بن سميان رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سألها ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»^(٢) رواه ابن جرير وابن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ له.

ومن ذلك التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف/٢٠٦) وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (الأنبياء/١٩) وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (فصلت/٣٨) وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران/١٦٩) وقال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ (التحریم/١١) الآية. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»^(٣). ولمسلم عنه في حديث طويل: «وما اجتمع قوم في بيت من

(١) البخاري (٤٦١/١٣) في التوضيعة، باب كلام الرب مع جبريل. ومسلم (٢٠٣٠/٤) ح (٢٦٣٧) في البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده.

(٢) ابن جرير (٩١/٢٢) وابن خزيمة (ص ١٤٤) والطبراني (المجمع ٩٧/٧ - ٩٨). والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) وابن أبي حاتم وابن مردويه (الدر المنثور ٦/٦٩٨). وفيه الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد صرح بالتحديث كما ذكر الذهبي في العلو (ص ٧٩) وباقي رجاله ثقات.

(٣) البخاري (٣٨٤/١٣) في التوحيد، باب ويحذركم الله نفسه. ومسلم (٢١٠٧/٤) ح (٢٧٥١) في =

بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده»^(١). وفيهما عنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي فأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٢) وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، وذكر الحديث إلى أن قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها» فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف»^(٣)، ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى عند ربهما عز وجل، فحج آدم موسى»^(٤) وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء الله بتمامه.

ومن ذلك الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع:

منها رفعه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٥٧-١٥٨) وقال تبارك وتعالى ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَيْنَا وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران/٥٥) وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الأحاديث الواردة في نزوله إلى الأرض حكماً عدلاً في آخر هذه الأمة بشريعة نبيهم محمد ﷺ في أشراف الساعة.

= التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(١) مسلم (٢٠٧٤/٤) ح (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٢) البخاري (٥١٢/١٣-٥١٣) في التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه. مسلم (٢٠٦٧/٤) ح (٢٦٧٥) في الذكر والدعاء باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى.

(٣) مسلم (٣٢٢/١) ح (٤٣٠) في الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام.

(٤) سيأتي تخريجه.

ومنها صعود الأعمال إليه كما قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر/١٠) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه ، ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» ورواه مسلم أيضاً والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه^(١). وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الذين يذكرون من جلال الله عز وجل من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دويّ كدوي النحل يذكرن بصاحبهن . ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به» رواه أحمد وابن ماجه^(٢). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله عز وجل كأنها شرارة» قال الذهبي غريب وإسناده جيد^(٣). وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٤). وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل

(١) البخاري (٢٧٨/٣) في الزكاة ، باب لا يقبل الله صدقة من غلول .
مسلم (٧٠٢/٢ ح ١٠١٤) في الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب .
والنسائي (٥٧/٥) في الزكاة ، بال الصدقة من غلول .
الترمذي (٤٩/٣ - ٥٠ ح ٦٦١) في الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة .
ابن ماجه (٥٩٠/١ ح ١٨٤٢) في الزكاة ، باب فضل الصدقة . ابن خزيمة في صحيحه (٩٢/٤ - ٩٣ ح ٤٠٢) .

(٢) أحمد (٢٦٨/٤) وابن ماجه (١٢٥٢/٢ ح ٣٨٠٩) في الأدب ، باب فضل التسيح وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٢٩/١) وقال : قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه .
ووافقه الذهبي وهو كما قال : «أي على شرط مسلم» .
وقول الذهبي هذا في العلو (ص ٢٧) .

(٤) البخاري (٦٤/٨) في المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .
مسلم (٥٠/١ ح ١٩) في الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

النهار وعمل النهار قبل الليل، حجاباه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(١) وفي ذلك أحاديث لا تحصى في الصحيحين وغيرهما.

ومنها صعود الأرواح إلى الله عز وجل أعني أرواح المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف/٤٠). وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح - وفيه قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كف من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة، فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: «اكتبوا كتاب عبي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى»^(٢) وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء الله بطوله. وقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك وفيه أحاديث جمة سنذكر منها ما يسره الله تعالى في بابه إن شاء الله.

(١) مسلم (١/١٦١ - ١٦٢/ح ١٧٩) في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

(٢) أحمد (٤/٢٨٧ - ٢٨٨، ٢٨٨) والطبائسي (ح ٧٥٣) وأبو داود (٤/٢٤٠/ح ٤٧٥٣ و ٤٧٥٤)

والحاكم (١/٣٧ - ٣٨ و ٣٨ و ٣٩) وصححه ووافقه الذهبي.

ومنها عروج الملائكة والروح إليه قال الله تبارك وتعالى : ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج/ ٣- ٤) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ، وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادي ، فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»^(١) . وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم . قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي . قال يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، قال فيقول تعالى : هل رأوني ؟ قال فيقولون لا والله ما رأوك . قال فيقول وكيف لو رأوني ، قال يقولون لو رأوك كانوا لك أشد عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسييحاً ، قال يقول فما يسألوني ؟ قال يسألونك الجنة ، قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها ، قال يقول : فكيف لو أنهم رأوها ، قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة ، قال فمم يتعذون ؟ قال يقولون : من النار ، قال يقول : وهل رأوها ، قال يقولون : لا والله ما رأوها ، قال يقول : فكيف لو رأوها ، قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة ، قال فيقول : فأشهدكم أنني قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» متفق عليه^(٢) ، وهذا لفظ البخاري . وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى عليه الصلاة والسلام فلطمه فذهب بعينه ، فعرج إلى ربه عز وجل فقال : يا رب بعثني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه . قال

(١) البخاري (٣٣/٢) في مواقيت الصلاة ، فضل صلاة العصر .

مسلم (٤٣٩/١ ح ٦٣٢) في المساجد ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما .

(٢) البخاري (٢٠٨/١١ ح ٢٠٩) في الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل .

ومسلم (٢٠٦٩/٤ ح ٢٦٨٩) في الذكر والدعاء ، باب فضل مجالس الذكر .

ارجع إلى عبدي فقل له فليضع يده على ثور فله بكل شعرة وارت كفه سنة يعيشها، فاتاه فبلغه ما أمره فقال ثم ماذا بعد ذلك، قال الموت، قال الآن، فشمه شمة قبض فيها روحه، ورد الله على ملك الموت بصره» وفي لفظ «فلطم عينه ففققأها فرجع فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له إن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور». وفيه: «قال يا رب فالآن، وقال رب أدني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» متفق عليه^(١).

وعن ذلك معراج نبينا محمد ﷺ إلى سدة المنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة المشهورة في الصحيحين وغيرهما، قال البخاري رحمه الله تعالى: باب المعراج. حدثنا هُدْبَةُ بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: بينما أنا نائم في الحطيم - وربما قال في الحجر مضطجعا - إذ أتاني آت فقد قال وسمعتة يقول فشق ما بين هذه إلى هذه. فقلت للجارود وهو إلى جنبي قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعتة يقول من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد. ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة فقال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه. فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه، قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد

(١) البخاري (٤٤٠/٦ - ٤٤١) في الأنبياء، باب وفاة موسى عليه السلام.

وفي الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، أو نحوها (٢٠٦/٣).

ومسلم (١٨٤٢/٤) ح (٢٣٧٢) في الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام.

وأحمد (٢٦٩/٢) والنسائي (١١٨/٤) في الجنائز، باب نوع آخر من التعزية.

حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ﷺ ، قيل وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . ففتح فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت فردا ثم قالاً مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعدت إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ﷺ ، قيل وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ﷺ ، قيل وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا إدريس ، قال هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ﷺ ، قيل وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا هارون ، فقال هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ﷺ ، قيل وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا موسى ، قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى ، قيل له ما يبكيك ، قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ، قيل من هذا ، قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قال مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا إبراهيم ، قال هذا أبوك فسلم عليه ، قال فسلمت عليه فرد السلام . قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان ، فقلت ما هذان يا جبريل ، قال أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما

الظاهران فالليل والفراة، ثم رفع إلى البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك. ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت، قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت، قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال سألت ربي حتى استحيت ولكني أرضى وأسلم، قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي^(١).

ومن ذلك التصريحُ بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»^(١) وقد ثبت في ذلك أحاديث كثيرة عن نحو ثلاثين صحابياً، وقد ثبت أيضاً نزوله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان^(٢)، وعشية عرفة^(٣)، وعند فناء الخلق «حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملك اليوم لله الواحد

(١) البخاري (٢٠١/٧) في مناقب الأنصار، باب المعراج في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ.

(٢) البخاري (١٢٨/١١ - ١٢٩) في الدعوات، باب الدعاء نصف الليل.

ومسلم (١/٥٢١ ح ٧٥٨) في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه. وغيرهم.

(۳) سیاتی ذکرہ.

(۴) سیاتی ذکرہ.

القهار»^(١) وكذا نزوله تعالى لفصل القضاء بين عباده كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمته، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط ذلك كله في آخر هذا الفصل من المتن.

ومن ذلك تنزل الملائكة، ونزول الأمر من عنده، وتنزيل الكتاب منه تبارك وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل/٢) وقال حكاية عنهم: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (مريم/٦٤) وقال تعالى: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (السجدة/٥) الآية، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ (الطلاق/١٢) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/١٣٦) وقال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ (آل عمران/٣)، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ (إبراهيم/١)، ﴿وهذا ذِكْرٌ مَبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (الأنبياء/٥٠)، ﴿تنزيلُ الكتابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (السجدة/٢)، ﴿تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الزمر/١)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر/٢)، ﴿تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (غافر/٢)، ﴿تنزيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت/٢) ﴿تنزيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت/٤٢)، ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء/١٠٦)، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء/١٩٢)، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الشعراء/١٩٣) وغير ذلك من الآيات. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من

(١) تقدم ذكره.

السماء»^(١). وقد تقدم في حديث الذهبية قوله ﷺ: «يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»^(٢). وفي الصحيح قال المغيرة رضي الله عنه: «أخبرنا نبينا محمد ﷺ عن رسالة ربنا تبارك وتعالى أنه من قتل منا صار إلى الجنة»^(٣). وفيه: قالت عائشة رضي الله عنها من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٤). وفيه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قال رجل يا رسول الله أي الذنب أعظم - وذكر الحديث إلى أن قال - فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾^(٥) الآيات، وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

ومن ذلك رفع الأيدي إليه والأبصار كما في أحاديث القنوت^(٦) وأحاديث الاستسقاء^(٧). وحديث دعائه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريف سلا

(١) مسلم (٤/١٩٢٣ ح ٢٤٧٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه. وأحمد (٥/١٧٤).

(٢) تقدم ذكره.

(٣) البخاري (١٣/٥٠٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

(٤) البخاري (١٣/٥٠٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. ومسلم (١/١٩٥ - ١٩٦ ح ١٧٧) في الإيمان، باب معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾.

(٥) البخاري (١٣/٥٠٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

ومسلم (١/٩٠ - ٩١ ح ٨٦) في الإيمان، باب الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده.

(٦) قال أنس رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم - يعني الذين قتلوه - رواه البيهقي في السنة الكبرى (٢/٢١١). قال النووي: إسناده صحيح أو حسن (المجموع ٣/٥٠٠).

(٧) ورد رفع اليدين في دعاء الاستسقاء ومثاله حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه: فبينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قام إعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه...

البخاري (٢/٥٠١) في الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع.

ومسلم (٢/٦١٢ - ٦١٣ ح ٨٩٧) في الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء وغيرهم.

الجزور وهو ساجد^(١)، وحديث استغاثته ربه ببدر ومناشدته إياه حتى سقط رداؤه^(٢)، وكذا في أحد والخندق وحنين واستغفاره لرفيق أبي موسى يومئذ وغير ذلك^(٣)، فكتب السنة مملوءة بهذا النوع، وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة، وذلك معلوم بالفطر، فكل من حَزَبه أمر من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل. وكذلك رفع البصر ثبت في الدعاء بعد الوضوء في سنن أبي داود^(٤) وهو في الصحيح بدون رفع البصر^(٥). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طرف صاحب الصور من وكل به مستعداً ينظره نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يترد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان» أخرجه الحاكم وصححه^(٦). وأخرج البغوي عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول: «إليك رفعت رأسي يا

(١) البخاري (٣٤٩/١) في الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته.

وفي الجزية والمواعدة، باب طرح جيف المشركين في البئر (٣٨٢/٦ - ٣٨٣). ومسلم (١٤١٩/٣) ح (١٧٩٤) في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين. وغيرهم.

(٢) مسلم (١٣٨٣/٣) ح (١٧٦٣) في الجهاد والسير، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٣) رفيق أبي موسى رضي الله عنه هو عبيد بن عامر والقصة في غزوة أوطاس.

رواس البخاري (٤١/٨) في المغازي، باب غزوة أوطاس.

وذكره البخاري معلقاً في الدعوات، باب رفع الأيدي في الدعاء (١٤١/١١).

وانظر في رفع اليدين: ١ - فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء / للسيوطي.

٢ - باب رفع الأيدي في الدعاء في الأدب المفرد للبخاري.

٣ - باب رفع الأيدي في الدعاء في صحيح البخاري (١٤١/١١) وتعليق الحافظ عليه.

٤ - رفع اليدين في الدعاء في الأذكار للنووي وغيرها.

(٤) أبو داود (٤٤/١) ح (١٧٠) في الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا توضأ. وفيه ابن عم أبي عقيل وهو مجهول فهي زيادة منكورة.

(٥) مسلم (٢٠٩/١ - ٢١٠) ح (٢٣٤) في الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

(٦) الحاكم (٥٥٨/٤ - ٥٥٩) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي على شرط مسلم.

عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء» قال الذهبي إسناده صالح^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يُحشر الناس حفاةً عراةً مشاةً قياماً أربعمئة سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء. قد ألجمهم العرق من شدة الكرب، وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة^(٢). وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» الحديث بطوله، قاله الذهبي إسناده حسن^(٣). وفيه أحاديث غير ما ذكرنا.

ومن ذلك إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه، كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات. وذكر الحديث^(٤). وللبخاري من حديث ابن عباس في خطبته ﷺ يوم النحر - وفيه - ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»^(٥) الحديث.

ومن ذلك النصوص الواردة في ذكر العرش وصفته وإضافته غالباً إلى خالقه تبارك وتعالى وأنه تعالى فوقه، قال الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

(١) وأخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد (ح ٦٦٩) والذهبي في العلو (ص ٥٥) وقال إسناده صالح. وذكره في (ص ٩٦) وقال حديث صحيح في السنة للالكائي.

(٢) ذكره الذهبي في العلو (ص ٦٥) وسنده حسن.

(٣) أخرجه عبدالله في السنة (ح ١٢٠٣) والطبراني في الكبير (٩/٤١٧/ح ٩٧٦٣).

والدارقطني في الرؤية (ح ١٦٦ - ١٦٧) والحاكم في المستدرک (٤/٥٨٩).

وصححه وقال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده (التلخيص). وقال في العلو: إسناده حسن

(ص ٧٣).

(٤) مسلم (٢/٨٩٠/ح ١٢١٨) في الحج، باب حجة النبي ﷺ.

(٥) البخاري (٣/٥٧٣) في الحج، باب الخطبة أيام منى.

العظيم ﴿النمل/٢٦﴾ وقال تعالى : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون/١١٦) وقال تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (هود/٧) وقال تعالى : ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ (غافر/١٥) وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (البروج/١٤-١٥) إلى غير ذلك. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي ﷺ يقول عند الكري : «لا إله إلا الله العليم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم»^(١) وفيه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»^(٢). وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش»^(٣) الحديث. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار» وقال : «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه، وعرشه على الماء، ويده الأخرى الفيض أو القبض، يرفع ويخفض» وفي رواية ويده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»^(٤). وفيه عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله تعالى في

-
- (١) البخاري (١٤٥/١١) في الدعوات، باب الدعاء عند الكرب.
ومسلم (٢٠٩٢/٤ - ٢٠٩٣/٢) ح ٢٧٣٠ في الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب.
(٢) البخاري (١١/٦) في الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.
(٣) البخاري (٧٠/٥) في الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود.
ومسلم (١٨٤٤/٤) ح ٢٣٧٣ في الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام.
(٤) البخاري (٤٠٣/١٣) في التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم.
وباب قوله الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ وفي تفسير سورة هود باب قوله : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ وفي النفقات في فاتحته.
ومسلم (٦٩٠/٢ - ٦٩١/٢) ح ٩٩٣ في الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق.

ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(١) قال الذهبي إسناده صالح. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» رواه أبو داود^(٢) وابن أبي حاتم ولفظه «أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعدما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام» وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات^(٣)، وفيه جملة أحاديث غير ما ذكرنا وقد تقدم منها جملة وافية.

ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى عليه السلام في أن إلهه الله عز وجل العلي الأعلى خالق كل شيء وإلهه. قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص/٣٨) وقال تعالى في سورة المؤمن: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنْ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر/٣٦-٣٧) ففرعون لعنه الله تعالى كذب موسى في أن رب السموات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، فكل جهمي ناف لعلو الله عز وجل فهو فرعوني وعن فرعون أخذ دينه. وكل سني يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أنه استوى على عرشه بائن من خلقه فهو موسوي محمدي متبع لرسل الله وكتبه.

-
- (١) البخاري (١٤٣/٢) في الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، وفي الزكاة، باب الصدقة باليمين (٢٩٢/٣ - ٢٩٣) وفي الرقائق باب البكاء من خشية الله (٣١٢/١١) وفي الحدود، باب فضل من ترك الفوامس (١١٢/١٢).
- ومسلم (٧١٥/٢ ح ١٠٣١) في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.
- (٢) أبو داود (٢٣٢/٤ ح ٤٧٢٧) في السنة، باب في الجهمية وإسناده صحيح.
- (٣) ابن أبي حاتم (الدر المنثور ٢٧٤/٧) وصحح إسناده الذهبي في العلو (ص ٧٨).

ومن ذلك ما قصه الله تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلّى للجبل فاندك الجبل قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أُنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا﴾ (الأعراف/١٤٣) الآية. قال الترمذي في جامعه في تفسير سورة الأعراف: حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال حماد: هكذا - وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى - قال فساخ الجبل وخر موسى صعقاً. هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة^(١). ورواه أيضاً من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن حماد نحوه^(٢)، ومن طريق معاذ أيضاً رواه أحمد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ قال قال هكذا - يعني أنه أخرج طرف الخنصر - قال أحمد: أَرَأَنَا معاذ، فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ وتقول ما تريد إليه؟^(٣) ورواه أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية من طريق هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: «ووضع الإبهام قريباً من طرف خنصره» قال فساخ الجبل، قال حميد لثابت: يقول هكذا؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله ﷺ ويقول أنس وأنا أكتمه؟^(٤) ورواه الحاكم في

(١) الترمذي (٢٦٥/٥) ح (٣٠٧٤) في تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الترمذي (٢٦٦/٥) ح (٣٠٧٤) في تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف وقال: هذا حديث حسن.

(٣) أحمد (١٢٥/٣) وعبدالله في السنة (ح ٥٠٠) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٤٨١) وسنده على شرط مسلم عندهم.

(٤) الطبري (جامع البيان ٥٣/٩) ورواه ابن أبي عاصم (ح ٤٨٠) وإسناده كالذي قبله على شرط مسلم.

مستدرکه من طرق عن حماد بن سلمة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(١)، ورواه الخلال من طريق هبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لا علة فيه^(٢)، ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا حماد بن سلمة ومن طريق عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق الهيثم بن جميل قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حماد، ومن طريق حجاج يعني ابن منهال عن حماد بن سلمة، ومن طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة^(٣)، قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله تعالى على هذه الآية قبل سياق الحديث بهذه الطرق: أفليس العلم محيطاً يا ذوي الألباب أن الله عز وجل لو كان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة لكان متجلياً لكل شيء، وكذلك جميع ما في الأرض لو كان الله تعالى متجلياً لجميع أرضه سهلها ووعرها وجبالها وبراريها ومفاوزها ومدنها وقراها وعمارتها وخرابها وجميع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكاً كما جعل الله الجبل الذي تجلى له دكاً قال الله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ انتهى^(٤). وبالجمله فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام وجميع كتبه المنزلة وجميع أهل السموات ومؤمني أهل الأرض من الجن والإنس أتباع رسل الله وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تجتلها الشياطين عن دينها جميعها شاهدة حالاً ومقالاً أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تألّه وتفزع إليه وتدعوه رغباً ورهباً هو فوق كل شيء عال على جميع خلقه استوى على عرشه بائناً من مخلوقاته وهو يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم لا يخفي عليه منهم خافية، ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميتهم وحرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم كل منهم إذا دعا

(١) الحاكم في مستدرکه (٢/ ٣٢٠) من طرق عن حماد وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .
(٢) أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الخلال وقال: هذا إسناد صحيح لا علة فيه (ابن كثير ٢٥٤/٢ - ٢٥٥).
(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١١٣ - ١١٤).
(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١١٢).

الله تبارك وتعالى في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو إلى من يعلم سره ونجواه متوجهاً إليه بقلبه وقالبه يعلم أن معبوده فوقه وأنه إنما يدعي من أعلى، لا من أسفل كما يقوله الجهمية قبحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علواً كبيراً.

ذكر أقوال أصحاب رسول الله ﷺ في صفة العلو

روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: أيها الناس، إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يموت. ثم تلا: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ حتى ختم الآية^(١). وللبخاري في تاريخه عنه رضي الله قال: لما قبض رسول الله ﷺ دخل أبو بكر رضي الله عنه عليه فأكب عليه وقبل جبهته وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً. وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت^(٢). ولابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر رضي الله عنه: ألا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا فأشار بيده إلى السماء. قال الذهبي إسناده كالشمس^(٣). وروى الزهري عن سالم أن كعباً قال لعمر: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: إلا من حاسب نفسه. فكبر عمر ثم خر ساجداً^(٤). وعن

(١) وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٧٨) وإسناده حسن. ورواه الذهبي في العلو من طريق ابن أبي شيبة (ص ٦٢).

(٢) البخاري في التاريخ الكبير (٢٠١/١/١ - ٢٠٢) وفيه انقطاع بين البخاري وبين محمد بن فضيل بن غزوان ورواه من طريقه ابن قدامة في صفة العلو (٧٠) وهو صحيح بالذي قبله.

(٣) رواه الذهبي في العلو من طريقه (ص ٦٢) وقال: إسناده كالشمس ورواه الدارمي في الرد على المريسي (ص ١٠٥) وإسناده عندهما على شرط الشيخين.

(٤) الدارمي في الرد على الجهمية (ح ٨٩) والدارمي في الرد على المريسي (ص ١٠٤) وفي إسناده عبدالله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط وفيه غفلة وقد تابعه عبدالله بن بكير عند الخرائطي في فضيلة الشكر (٦٨) فهو صحيح به.

عبدالرحمن بن غنم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقاضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه، قال ابن غنم: فحدثت بهذا عثمان ومعاوية ويزيد وعبدالملك. رواه أبو نعيم^(١). وعن أبي يزيد المدني قال: لقيت عمر امرأة يقال لها خولة بنت ثعلبة، فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات. قال الذهبي هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر رضي الله عنه، وفي لفظ عن عمر رضي الله عنه أنه مرَّ بعجوز فاستوقفته فوقف يُحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز، فقال: ويلك أتدري من هي، هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة التي أنزل الله فيها: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ وهذا الحديث رواه عثمان بن سعيد الدارمي، وقال ابن عبد البر: حدثنا من وجوه عن عمر رضي الله عنه، فذكره^(٢). ومن شعر عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحملة ملائكة كرام ملائكة الإله مسومينا^(٣)

(١) أبو نعيم في الحلية (٣٨٩/٥) وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن كعب وهي مرسله ورواه سمويه في فوائده (العلو ص ٦٣) وإسناده صحيح.

(٢) الدارمي في الرد على الجهمية (٧٩) والذهبي في العلو (ص ٦٣) من طريقه وقال: هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر وكذلك قال ابن كثير في تفسيره وعزاه إلى ابن أبي حاتم. وعَلَّقَهُ ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٩١/٤) وقال: ورويناه من وجوه عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه الدارقطني في سننه (١٢٠/١) وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف. ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (٨٢) بسند ضعيف فيه قدامة بن إبراهيم: قال عنه الحافظ مقبول (إذا توبع وإلا فلين) ويحيى بن أيوب: صدوق، ربما أخطأ وسنده منقطع كما حكم الذهبي في العلو (ص ٤٢) وذلك بين قدامة بن إبراهيم وعبدالله بن رواحة. وقال ابن عبد البر: وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة رويناه من وجوه صحاح (الاستيعاب ٢/٢٩٦).

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: رويناه من وجوه صحاح. وروى الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»^(١). وروى الأعمش عن خيثمة عنه: «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: أصرفوه عنه، فإنه إن يسرته له أدخلته النار» أخرجه اللالكائي بإسناد قوي^(٢). وعنه رضي الله عنه قال: «إن الله تعالى يبرز لأهل جنته في كل جمعة وكثب من كافور أبيض فيحدث لهم من الكرامة ما لم يروا مثله ويكفون في الدنومنه كمسارعتهم إلى الجمع» أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى بإسناد جيد^(٣). وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: البحر المسجور يجري تحت العرش^(٤). وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «وينزل الله تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي»^(٥). وعن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قالت: كيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر. قال الذهبي: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه^(٦). وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قالت الملائكة يا ربنا منا الملائكة المقربون ومنا حملة العرش ومنا

(١) تقدم ذكره وأن إسناده حسن.

(٢) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٨٠) وإسناده حسن.

وقال الذهبي: أخرجه اللالكائي بإسناد قوي (العلو ص ٦٤).

(٣) ذكره الذهبي في العلو (ص ٦٥) وقال أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى بإسناد جيد.

(٤) رواه ابن جرير (٢٧/٢٠٠) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو سيء الحفظ وفيه مهران العطار سيء الحفظ. وليث بن أبي سليم قد اختلط فلم يتميز حديثه فترك.

ورواه ابن جرير الطبري عن عبدالله بن عمرو من طريق ابن حميد وفيه مهران وليث ورواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش من طريق آخر فيه الحكم بن ظهير وهو متروك.

(٥) تقدم ذكره.

(٦) رواه الذهبي في العلو (ص ٦٥) وقال قوله هذا فيه وقد رواه اللالكائي في السنة (ح ٦٦٣).

الكرام الكاتبون وذكر الحديث، قال الذهبي إسناده صالح^(١). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «وأيام الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته - يعني عثمان رضي الله عنه - ولكن علم الله من فوق عرشه أنني لم أحب قتله» رواه الدارمي^(٢). وعن أسماء بنت عميس أن جعفرًا رضي الله عنه جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت ما شأنك قال: «رأيت فتى مترفاً من الحبشة شاباً جسيماً مر على امرأة فطرح دقيماً كان معها فنسفته الريح فقالت أكلك إلى يوم يجلس الملك على الكرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم» رواه ابن ماجه وغيره^(٣). وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «لما لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: رب أخزيتني ولعنيتني وطردتني فمن سمواتك وجوارك، فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح في أجسادهم، فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السموات والأرض خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها حسنات»^(٤) وقد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لا أزال أغفر ما استغفروني»^(٥). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع قدميه، وما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه، وإن السموات في خلق الرحمن عز وجل مثل قبة في

(١) الدارمي في الرد على المريسي (ص ٣٤) وفي إسناده عبدالله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط وفيه غفلة ومع هذا قال الذهبي: إسناده صالح. قلت وقع في النسخ السابقة عن عبدالله بن عمر وهو خطأ والصحيح ما أثبتته إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ح ٨٣) وإسناده صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه بلفظ آخر فيه معناه (١٣٢٩/٢ / ح ٤٠١٠) في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. من حديث جابر وليس من حديثها وفي سننه سويد بن سعيد وحديثه ضعيف لآفة فيه خلّت. وفيه إرسال أبي الزبير عن جابر. وهو صحيح لمتابعاته أنظر مختصر العلو (ح ٥٩) واللفظ المذكور ذكره الذهبي في العلو (ص ٦٦) وفيه ضعف وهو صحيح لشاهده المذكور.

(٤) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٦٦) بغير سند ولم أجده مسنداً.

(٥) ذكره الذهبي في العلو (ص ٧٢) وقال فيه دراج وهو واه.

قلت: وفيه كذلك ابن لهيعة عنه وفيه مقال وقد اختلط.

صحراء» رواه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة^(١). وللدارمي عنه رضي الله عنه أنه استأذن على عائشة رضي الله عنها وهي تموت فقال: «كنت أحب نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار»^(٢). وذكر الطبراني في شرح السنة عن مجاهد قال: قيل لابن عباس إن ناساً يكذبون بالقدر، قال: «يكذبون بالكتاب، لأن أخذت شعر أحدهم لا ينبتونه، إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»^(٣). ولاسحق بن راهويه عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستطع أن يقول من فوقهم، علم أن الله تعالى من فوقهم^(٤). وليحيى بن سعيد الأموي عن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال: خرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ، فذكر قصة طويلة وقال فيها: فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته^(٥). وأقوال الصحابة في هذا الباب وتقاسيرهم أكثر من أن تحضر، وفيما ذكرنا كفاية.

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى

ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة في صفة العلو

عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: قال الله عز وجل في التوراة: «أنا الله

-
- (١) عبدالله في السنة (ح ٥٩٠) وإسناده صحيح وانظر مختصر العلو (ص ١٠٢) (ح ٤٥).
 - (٢) الدارمي في الرد على الجهمية (ح ٨٤) بإسناد حسن.
 - (٣) ورواه اللالكائي في السنة (ح ١٢٢٣) من طريقين عنه.
 - (٤) أخرجه عبد بن حميد (الدر المنثور ٤٢٧/٣) واللالكائي في السنة (ح ٦٦١).
 - (٥) رواه يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه من طريق ابن إسحق (اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٦٦) وفيه يزيد بن سنان وهو ضعيف.

فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي. ولا يخفى عليّ شيء في السماء ولا في الأرض» قال الذهبي رواه ثقات^(١). وعنه رحمه الله قال: إن الله تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه. وذكر الأثر. رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة، قال الذهبي إسناده نظيف، وأبو صالح لينه وما هو بمتهم بل سيء الاتقان^(٢). وعن مسروق رحمه الله تعالى أنه كان إذا حدث عن عائشة رضي الله عنهما قال: حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة الله المبرأة من فوق سبع سموات، قال الذهبي إسناده صحيح^(٣). ويروى عن عطاء بن يسار رحمه الله أن موسى عليه السلام قال: يا رب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلمهم في ظل عرشك؟ قال: هم الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوى النسور إلى أوكارها^(٤). وعن عبيد بن عمير قال: ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى سماء الدنيا فيقول: من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له، حتى إذا كان الفجر صعد الرب عز وجل. أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في رده على الجهمية^(٥). وعن شريح بن عبيد الله أنه كان يقول: ارتفع إليك ثغاء التسييح، وصعد إليك وقار التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملك والملوك والمفاتيح والمقادير. إسناده صحيح^(٦). وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال: «أهبط الله تعالى آدم. قال: يا آدم إني مهبط معك بيتاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلي عنده كما يصلي عند

(١) ذكره في العلو (ص ٩٢) وقال رواه ثقات. وانظر كلام العلامة الألباني في مختصره عليه (ص ١٢٨).

(٢) إسناده ضعيف فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو كثير الغلط.

وسعيد بن أبي هلال وقد اختلط قال الذهبي: وفيه كلمة منكرا لا تسوغ لنا.

(٣) ذكره الذهبي في العلو (ص ٩٢) وقال: إسناده صحيح وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (أنظر مختصر العلو ص ١٢٨).

(٤) ذكره الذهبي في العلو (ص ٩٣) بصيغة الضعيف.

(٥) ذكره الذهبي في العلو (ص ٩٣٠). ورجاله ثقات.

(٦) الذهبي في العلو (ص ٩٣) وانظر مختصره (ص ١٢٩).

عرشي» وذكر الأثر، قال الذهبي هو ثابت عن أبي قلابة^(١). وعن عمرو بن ميمون قال: «لما تعجل موسى إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً يغبطه، فسأل الله تعالى أن يخبره باسمه فقال: لا ولكني أحدثك بشيء من فعله، كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة» قال الذهبي إسناده قوي^(٢). وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: ما أخذت السموات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة^(٣). وعنه رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: يجلسه أو يقعده على العرش^(٤). قال الذهبي لهذا القول طرق خمسة. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروزي مصنفاً. وعن نوف البكالي: «أن موسى عليه السلام لما سمع الكلام قال: من أنت الذي تكلمني قال: أنا ربك الأعلى» قال الذهبي إسناده صحيح^(٥). وعنه قال: إني أجد في التوراة لو أن السموات والأرض كن طبقاً من حديد فقال رجل لا إله إلا الله لخرقتهن حتى تنتهي إلى الله عز وجل» رواه حماد بن سلمة^(٦). وعن أبي عيسى يحيى بن رافع رحمه الله تعالى أن ملكاً لما استوى الرب على كرسيه سجد فلا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة فيقول: لم أعبدك حق عبادتك^(٧). وعن قتادة رحمه الله تعالى قال:

(١) الذهبي في العلو (ص ٩٣ - ٩٤) وقال: وهو ثابت عن أبي قلابة وأين مثل أبي قلابة في الفضل والجلالة؟ هرب من توليته القضاء من العراق إلى الشام.

(٢) ذكره الذهبي في العلو معلقاً (ص ٩٤) وسنده ضعيف فزهير بن معاوية بن حُديج سمع من أبي إسحق بعدما اختلط وهو كذلك هنا فحديثه عنه لئ. ومع ذلك قال الذهبي: إسناده قوي.

(٣) ذكره الذهبي في العلو معلقاً (ص ٩٤) وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(٤) رواية مجاهد رواها ابن جرير في تفسيره (١٤٥/١٥) والذهبي في العلو (ص ٩٤) وهي رواية عنه ضعيفة فيها ليث وقد ضعف وهذا خلاف الثابت في تفسير المقام المحمود وأنه الشفاعة العظمى يوم القيامة.

(٥) الذهبي في العلو (ص ٩٤). وقال الذهبي إسناده صحيح ونوف من علماء التابعين وعواظهم.

قلت: هو تلميذ كعب الأحبار فعله أخذ هذا عنه من الإسرائيليات.

(٦) ذكره الذهبي في العلو معلقاً (ص ٩٥) ومنه علي بن زيد بن جدعان وقد ضُعب.

(٧) في العلو معلقاً (ص ٩٥) وفيه نعيم بن حماد وفيه ضعف من قبل حفظه مع تشدده في السنة ودفاعه

عنها. وهو من أمور الغيب التي لا تقال من قبل الرأي.

قالت بنو إسرائيل: «يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم» قال الذهبي هذا ثابت عن قتادة^(١). وعن عكرمة رحمه الله تعالى قال: بينما رجل في الجنة اشتهى الزرع، فيقول للملائكة ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول الرب عز وجل من فوق عرشه: «كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع» قال الذهبي إسناده ليس بذلك^(٢). وصح في السنة للالكائي عن ثابت البناني قال: كان داود عليه السلام يطيل الصلاة، ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء^(٣). وفي الحلية بإسناد صحيح عن مالك بن دينار أنه كان يقول: خذوا، فيقرأ ثم يقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه^(٤). وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ قال: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات^(٥). وعن سفيان قال: كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجل فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول. ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق»^(٦). وعن حسان بن عطية قال: حملة

-
- (١) في العلو معلقاً (ص ٩٦) ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (ح ٨٧) وسنده لا بأس به.
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/٣٣٤) والمقدسي في العلو (ح ٨٤) وعلقه الذهبي في العلو (ص ٩٦) وقال: إسناده ليس بذلك.
قلت فيه: إبراهيم بن الحكم وأبوه هو ضعيف وأبوه له أوهام.
(٣) اللالكائي في شرح السنة (ح ٦٦٩) والمقدسي في العلو (ح ٥٨) والذهبي في العلو (ص ٥٥) وعلقه في (ص ٩٦) وقال: صح في السنة للالكائي.
(٤) الحلية (٢/٣٥٨) وعلقه الذهبي في العلو (ص ٩٧) وقال: حديث في الحلية بإسناد صحيح: قلت فيه: سيار بن حاتم العنزي: قال عنه الحافظ: صدوق له أوهام.
(٥) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٩٦) والذهبي معلقاً في العلو (ص ٩٧ - ٩٨) وإسناده صحيح.
(٦) أخرجه اللالكائي في شرح السنة (ح ٦٦٥) والمقدسي في صفة العلو (ح ٩٠) والذهبي في العلو

العرش أقدامهم ثابتة في الأرض السابعة ورءوسهم قد جاوزت السماء السابعة وقرونهم مثل طولهم عليها العرش^(١). وذكر أيوب السخيتاني المعتزلة وقال: إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء. قال الذهبي: هذا إسناد كالشمس وضوحاً وكالأسطوانة ثبوتاً عن سيد أهل البصرة وعالمهم رحمه الله تعالى^(٢). وقرأ ابن محيصن رفيق ابن كثير بمكة ﴿وهي السماء رزقكم وما توعدون﴾^(٣). وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَآبِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ قال: هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا، وفي لفظ: هو فوق العرش وعلمهم معهم أين ما كانوا. أخرجه العسال وابن بطة وابن عبد البر بإسناد جيد^(٤). وعن سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال: لو سألت أين الله لقلت في السماء^(٥). وعن حبيب بن أبي حبيب قال شهدت خالد بن عبد الله القسري وخطبهم بواسط فقال: «أيها الناس ضحواً تقبل الله شحايكم، فإني مضح بالجعدي درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً» ثم نزل فذبحه^(٦).

= من طريقه (ص ٩٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٠٨).

وقال ابن تيمية رحمه الله: رواه الخلال بإسناد كلهم ثقات (الحموية ص ٢٧).

(١) ذكره الذهبي معلقاً (ص ٩٨) وسنده ضعيف فيه يحيى بن عبد الله البابلتي (في المطبوع البابلتي وهو خطأ) وهو ضعيف.

(٢) الذهبي في العلو (ص ٩٨) وقال: إسناده كالشمس وضوحاً. . .

(٣) قال الذهبي في العلو (ص ٩٨) وقرأ ابن محيصن رفيق ابن كثير بمكة ﴿وهي السماء رزقكم وما توعدون﴾ حرف ابن محيصن في كتاب المنهج لأبي محمد سبط الخياط، قال الأستاذ ابن مجاهد كان عالماً بالآثر والعربية لكن أكثر العلماء على أن قراءة ابن محيصن في عداد الشاذ.

(٤) ابن عبد البر في التمهيد معلقاً (١٣٩/٧) ووصله أحمد في السنة (ح ٥٩٢) وابن جرير في تفسيره (١٢/٢٨ - ١٣) والأجري في الشريعة (ص ٢٨٩) وإسناده حسن. وذكره الذهبي في العلو معلقاً (ص ٩٨ - ٩٩) وقال: أخرجه أبو أحمد العسال وأبو عبد الله بن بطة وأبو عمر بن عبد البر بإسناد جيد ومقاتل ثقة إمام.

(٥) رواه اللالكائي (ح ٦٧١) والمقدسي في صفة العلو (ح ٩١) وقال ابن القيم: أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه (اجتماع الجيوش ص ٤٢) وإسناده حسن.

(٦) البخاري في خلق أفعال العباد (ح ٣ و ٣٨٨) وفي تاريخه (٤/١٢٧) والدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٣) والخطيب في تاريخه (١٣/٣٨) والأجري في الشريعة (ص ٢٩٧ - ٣٢٨) والذهبي في

قال الذهبي والمعتزلة تقول هذا وتحرف نص التنزيل في ذلك، وزعموا أن الرب منزّه عن ذلك. وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في التمهيد: وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم أحد في ذلك يحتاج به^(١).

ذكر أقوال طبقة أخرى في صفة العلو

عن نوح الجامع قال: كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر جهنم، إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهماً فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس، فقبل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأتيه، فأتته فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبد؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتاباً إن الله عز وجل في السماء دون الأرض، فقال له رجل: رأيت قول الله عز وجل: ﴿وهو معكم﴾ قال: هو كما تكتب إلى الرجل أني معك، وأنت غائب عنه. رواه البيهقي ثم قال: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفي عن الله عز وجل من الكون في الأرض. وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء^(٢)، قلت وإنما أراد بقوله هو كما تكتب إلى الرجل الخ نفي الحلول، وإلا فربنا تبارك وتعالى سواء عنده الغيب والشهادة والسر والعلانية. وعن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال: «سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء أو في الأرض فقال قد كفر، لأن الله تعالى يقول: ﴿الرحمن على العرش

= العلو (ص ٩٩ - ١٠٠) وفي سنده محمد بن حبيب وعبد الرحمن بن محمد وهما مجهولان.

ورواه الذهبي (ص ١٠٠) بإسناد لا بأس به. ومن طريق عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧/١٣٨ - ١٣٩).

(٢) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٣٩ - ٥٤٠) وإسنادها ضعيف جداً. فنوح الجامع متهم بالوضع وفيها نعيم بن حماد وقد تكلم في حفظه. ولذلك قال البيهقي: إن صحّت الحكاية عنه.

استوى ﴿وعرشه فوق سمواته. فقلت إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض، قال إذا أنكر إنه في السماء فقد كفر﴾ رواه شيخ الإسلام الأنصاري في الفاروق^(١). وروى المقدسي عنه رحمه الله تعالى أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر^(٢).

وعن ابن جريج رحمه الله تعالى قال: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق^(٣). وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: «كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات^(٤). وللثعلبي عنه في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قال: هو على عرشه كما وصف نفسه^(٥). وسئل رحمه الله تعالى عن أحاديث الصفات فقال: أمرها كما جاءت^(٦). وعن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ قال: هو على عرشه وعلمه معهم، رواه عبدالله بن أحمد في السنة^(٧). وللبيهقي عنه قال: بلغنا والله أعلم في قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾: هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه^(٨). وعن سفیان الثوري في قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ قال علمه. وقال في جميع أحاديث الصفات أمرها كما جاءت^(٩).

(١) ذكر ذلك الذهبي في العلو (ص ١٠١).

(٢) المقدسي في صفة العلو (٩٧).

(٣) قال الذهبي: رواه أبو حاتم الرازي عن الأنصاري عن ابن جريج (العلو ص ١٠٢).

(٤) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥١٥) من طريق شيخه الحاكم وحكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بالصحة.

(٥) الذهبي في العلو (ص ١٠٢).

(٦) أخرجه الأجرى (ص ١٠٢) بإسناد صحيح وقد ذكره الذهبي في العلو (ص ١٠٢).

(٧) رواه عبدالله في السنة عن مقاتل عن الضحاك بإسناده الذي ذكره الذهبي في العلو (ص ١٠٢) عن مقاتل.

ورواه المقدسي في العلو (ح ١٠٣) عنه وإسناده حسن.

(٨) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٤٢). وانظر مختصر العلو (ص ١٣٩).

(٩) رواه عبدالله في السنة (ح ٥٩٧) والأجرى في الشريعة (ص ٢٨٩) واللالكاني (ح ٦٧٢) والبيهقي =

وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء^(١). وسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرخصاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه. وفي رواية قال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً وأمر به فأخرج^(٢). وقال سلام بن أبي مطيع: ويلكم ما تنكرون هذا الأمر، والله ما في الحديث شيء إلا وفي القرآن ما هو أثبت منه، قول الله تعالى: ﴿إن الله سميع بصير - ويحذركم الله نفسه - تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - ثم استوى على العرش والسموات مطويات بيمينه - ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي - وكلم الله موسى تكليماً - يا موسى إنني أنا الله﴾ فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب^(٣). وصح عن ابن الماجشون أنه سئل عما جحدت به الجهمية فقال: أما بعد فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعته الجهمية في صفة الرب العظيم الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير، وكلت الألسن عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره، فلم تجد العقول مساعداً فرجعت خاسئة حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق، وإنما يقال: «كيف» لما لم يكن مرة ثم كان، أما من لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو. وساق فصلاً طويلاً في هذا المعنى^(٤)، وذكر

= في الأسماء (ص ٥٤١). وذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٣٩/٧). والذهبي في العلو (ص ١٠٣).

- (١) عبد الله في السنة (ح ١١) والأجري (ص ٢٨٩) واللالكائي (ح ٦٧٣). وإسناده صحيح.
- (٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٠٤) واللالكائي (ح ٦٦٤) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (ح ٢٥) وأبو نعيم في الحلية (٣٢٥/٦ - ٣٢٦). وله طرق عدة تنبئ بثبوت هذه القصة عن مالك رحمه الله تعالى ولذلك قال الذهبي: هذا ثابت عن مالك (العلو ص ١٠٤).
- (٣) ذكره الذهبي معلقاً في العلو (ص ١٠٥) وقال العلامة الألباني: إسناده صحيح (مختصر العلو ص ١٤٤).

(٤) ذكره الذهبي في العلو (ص ١٠٥ - ١٠٦) وقال: صح عن ابن الماجشون...

جملة من نصوص الصفات رحمه الله. وقال حماد بن زيد: إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله، يعني الجهمية، رواه ابن أبي حاتم الرازي^(١). وقال محمد بن إسحق إمام أهل المغازي: كان الله تعالى كما وصف نفسه إذ ليس إلا الماء عليه العرش، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، الظاهر في علوه على خلقه فليس شيء فوقه، الباطن لإحاطته بخلقه فليس شيء دونه، الدائم الذي لا يبيد، وكان أول ما خلق النور والظلمة ثم السموات السبع من دخان، ثم دحى الأرض، ثم استوى إلى السماء فحبكهن وأكمل خلقهن في يومين، ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش^(٢).

طبقة أخرى

روى ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد قال: كلام الجهمية أوله غسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله^(٣). وصح عن علي بن الحسن بن شقيق قال: قلت لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه ها هنا في الأرض^(٤). فقليل هذا لأحمد بن حنبل فقال: هكذا هو عندنا. وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال له: يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء. رواه عبد الله بن أحمد^(٥). وقال نوح الجامع وسأله رجل عن الله عز وجل في السماء هو؟ فحدث بحديث النبي ﷺ حين سأل الأمة أين الله قالت في السماء

-
- (١) ذكر ذلك الذهبي في العلو (ص ١٠٦ - ١٠٧) ورواه عبد الله في السنة (ح ٤١). وإسناده صحيح.
(٢) ذكره الذهبي في العلو (ص ١٠٨) وقال عن محمد بن إسحق. كان يبالغ في نشر أحاديث الصفات ويأتي بغرائب. وذكره الذهبي عن سلم بن الفضل وهو ضعيف.
(٣) ذكر ذلك الذهبي في العلو (ص ١١١) من رواية ابن أبي حاتم بسند صحيح إليه.
(٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد تعليقاً (١٣) والدارمي في الرد على الجهمية (٦٧) وعبد الله بن أحمد في السنة (٢٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٢٧) والذهبي في العلو (ص ١١١) وإسناده صحيح. ونسبه ابن تيمية للخلال عن الأثرم في تعارض العقل والنقل (٣٤/٢).
(٥) عبد الله في السنة (١٨ و ٢٤) وإسناده صحيح.

قال «أعتقها فإنها مؤمنة» ثم قال: سماها النبي ﷺ مؤمنة أن عرفت أن الله عز وجل في السماء. رواه عبدالله بن أحمد أيضاً^(١). وقال عباد بن العوام كلمت بشراً المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء، أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا^(٢). وثبت عن أبي يوسف رحمه الله قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيماء أفلس، ومن تتبع غريب الحديث كذب^(٣). وقد ضرب علياً الأحوال وطوف به في شأن الكلام وضرب آخر كان معه^(٤). وقال محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء^(٥). وكتب بشر المريسي قبحه الله تعالى إلى منصور بن عمار رحمه الله تعالى يسأله عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فكتب إليه: استواؤه غير محدود والجواب فيه تكلف ومسألتك عن ذلك بدعة والإيمان بجملة ذلك واجب قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٦). وقيل ليزيد بن هارون: من الجهمي؟ قال: من زعم أن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ على خلاف ما يقر في

-
- (١) ذكره الذهبي في العلو (ص ١١١) وقال: رواه عبدالله في السنة عن أحمد. ونوح الجامع تقدم ذكره وأنه متهم بالوضع. وحديث الجارية تقدم ذكره.
- (٢) رواه عبدالله في السنة (٦٥) وذكره الذهبي في العلو معلقاً وفي سنده يحيى بن إسماعيل الواسطي قال عنه الحافظ: مقبول (وقد روى عنه جمع من الثقات).
- (٣) ذكره الذهبي في العلو (ص ١١٢) وقال: ثبت عن أبي يوسف رحمه الله.
- (٤) ذكره الذهبي في العلو (ص ١١٢) من رواية ابن أبي حاتم وفي سنده بشار الخفاف وهو كثير الغلط.
- (٥) قال أبو يوسف: جيئني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأنَّ ظهره وبطنه الشياطين، يقول في القرآن، يعني مخلوق، رواه عبدالله في السنة (٥٣) وإسناده صحيح.
- (٦) ذكره الذهبي في العلو (ص ١١٣) وعزاه للمقدسي واللالكائي.
- (٦) رواه الخطيب في تاريخه (٧٥/١٣ - ٧٦) وفي سنده أبو علي الكواكبي قال عنه ابن حجر: إخباري مشهور، رأيت في أخباره مناكير كثيرة بأسانيد جيد.

قلوب العامة فهو جهمي رواه عبدالله بن أحمد^(١). وقال سعيد بن عامر الضبي وذكر الجهمية فقال: هم شرُّ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش، وقالوا هم ليس على العرش^(٢). وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب جل جلاله على الكرسي» فأقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها^(٣). وقال مرة: نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كذا ولا لم كذا^(٤). وقال عبدالرحمن بن مهدي: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم^(٥). وقال وهب بن جرير: إياكم ورأي جهم فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء، وما هو إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر^(٦). وقال الأصمعي لما قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: مُحدود على محدود. قال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة^(٧). وقال الخليل بن أحمد في قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» يقول ارتفع^(٨). وقال الفراء صعد^(٩). وعن

(١) عبدالله في السنة (٥٤) وإسناده صحيح. ورواه البخاري في خلق أفعال العباد تعليقاً (٦٣) وأبو داود في المسائل مسنداً (ص ٢٦٨ - ٢٦٩).

(٢) ذكره الذهبي في العلو (ص ١١٧) من رواية ابن أبي حاتم وهي رواية مرسل.

(٣) عبدالله في السنة (٥٨٧) والحديث: إذا جلس... إسناده ضعيف فيه عبدالله بن خليفة قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليّن) وفي سماعه من عمر مقال. قال ابن كثير: منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً ومنهم يرويه عنه مرسل (٤٥٨/١) ورواه الدارمي في الرد على المريسي (ص ٧٤).

(٤) رواه عبدالله في السنة (ح ٤٩٥) وسنده إليه صحيح.

(٥) رواه عبدالله في السنة (٤٦، ٤٨) وذكره البخاري في خلق أفعال العباد (٧٥) ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٤٩) وسنده صحيح.

(٦) رواه المقدسي في العلو (١٠١) والذهبي في العلو (ص ١١٨) وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص ٧٢).

(٧) ذكره الذهبي في العلو معلقاً (ص ١١٨).

(٨) ذكره الذهبي في العلو (ص ١١٨) وفيه قصة وانظر مختصره (١٩٠).

(٩) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤١٢ - ٤١٣) وذكره الذهبي في العلو (ص ١١٨ - ١١٩).

عبدالله بن أبي جعفر الرازي أنه ضرب رأس قرابة له كان يرى رأي جهنم وكان يضرب بالنعل على رأسه ويقول: لا حتى تقول الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه^(١).

طبقة الشافعي وأحمد رضي الله عنهما^(*)

روى الحافظ المقدسي عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، وذكر سائر الاعتقاد^(٢). وقال عبدالله بن مسلمة القعنبي: من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي^(٣). وقال عاصم بن علي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى: ناظرت جهماً فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء رباً^(٤). وقال عبدالله بن الزبير الحميدي: نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، نقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي^(٥). وقال هشام بن عبيدالله الرازي وحُبس رجل في التجهم فجيء به إليه ليمتحنه فقال له: أتشد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه فإنه لم يتب بعد. وقال محمد بن

وانظر مختصره (١٩١).

(١) ذكره الذهبي معلقاً (ص ١١٩) وانظر مختصره (١٩٤).

(*) هذه الطبقة منقولة بأجمعها من العلو للذهبي فلتنظر هناك وهي في مختصره للمحدث الألباني كذلك.

(٢) المقدسي في صفة العلو (١٠٧ و ١٠٨) والذهبي في العلو (ص ١٢٠) وقال: إسناده واه. قلت: فيه أبو الحسن الهكاري قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: لم يكن موثقاً في روايته (٦٨/١٩).

وقل أعلّ الذهبي هذه الوصية في السير (٧٩/١٠) وقال: غير صحيحة.

(٣) ذكره الذهبي في العلو معلقاً (ص ١٢١).

(٤) ذكره الذهبي في العلو معلقاً (ص ١٢٢).

(٥) رواه الذهبي في العلو (ص ١٢٢ - ١٢٣) وانظر مختصره (٢٠٧).

مصعب العابد: من زعم أنك لا تتكلم ولا ترى في الآخرة فهو كافر بوجهك، أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سموات، ليس كما تقول أعداء الله الزنادقة. وقال أبو عمران الطرسوسي قلت لسنيد بن داود: هو عز وجل على عرشه بائن من خلقه؟ قال نعم. وقال نعيم بن حماد في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال معناه أنه لا يخفي عليه خافية بعلمه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية، وقال رحمه الله تعالى: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً. وقال بشر الحافي: والإيمان بأن الله تعالى على عرشه استوى كما شاء وأنه عالم بكل ما كان وأنه يقول ويخلق، فقلوه كن ليس بمخلوق، ومن دعائه: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنني لا أؤثر على حبك شيئاً، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في أحاديث الرؤية، والكرسي موضع القدمين^(١)، وضحك ربنا، وحديث أين كان ربنا^(٢)، فقال: هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل لنا كيف وضع قدمه وكيف يضحك قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره. وقال أحمد بن نصر وسئل عن علم الله - فقال: علم الله معنا وهو على عرشه. وقال مكِّي بن إبراهيم: دخلت امرأة جهم على زوجتي فقالت يا أم إبراهيم هذا زوجك الذي يحدث عن العرش من نجره؟ قالت: نجره الذي نجر أسنانك. قال وكانت بادية الأسنان. وقال قتيبة بن سعيد: قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة - نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال جل جلاله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. وقال أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي: آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله. وقال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهمي وكيف ينزل؟ فقل كيف يصعد؟ قلت: وكيف في الحاليين منفي

(١) لم يصح مرفوعاً وإنما الصحيح وقفه على ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث أبي رزين ضعيف كما تقدم والصحيح وكان عرشه على الماء وكان ولم يكن شيء معه.

عن الله تعالى لا مجال للعقل فيه . وعن علي بن المديني أنه سئل : ما قول أهل الجماعة؟ قال يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن الله عز وجل فوق السموات على عرشه استوى . فسئل عن قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فقال : اقرأ ما قبله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ . وسئل أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام أهل السنة : الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال : نعم هو على عرشه ، ولا يخلو شيء من علمه . وقيل له : ما معنى : ﴿ وهو معكم ﴾ قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة . وقال حرب بن إسماعيل الكرماني : قلت لإسحاق بن راهويه قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ كيف تقول فيه؟ قال : حيث ما كنت فهو أقرب إليك من جبل الوريد وهو بائن من خلقه ، ثم ذكر عن ابن المبارك قوله هو على عرشه بائن من خلقه ، ثم قال : أعلى شيء في ذلك وأبينه قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ رواه الخلال في السنة . وقال إسحاق بن راهويه : دخلت على ابن طاهر فقال : ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت : نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام . فقال : ينزل ويدع عرشه؟ فقلت يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال نعم . قلت فلم تتكلم في هذا؟ وروى الخلال عنه قال : قال الله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة . وقال رجل لابن الأعرابي رحمه الله تعالى : يا أبا عبد الله ما معنى قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾؟ قال : هو على عرشه كما أخبر . فقال الرجل : ليس كذا ، إنما معناه استولى . فقال : أسكت ما يدريك ما هذا ، العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب قيل استولى ، والله تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر ، ثم قال : الإستيلاء بعد المغالبة ، قال النابغة :

إلا لمثلك أو ما أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

وقال ذو النون المصري رحمه الله : أشرق لنور وجهه السموات ، وأنار لوجهه الظلمات ، وحجب جلاله عن العيون ، وناجاه على عرشه ألسنة الصدور .

طبقة أخرى(*)

وقال المزني في عقيدته: الحمد لله أحق ما بدى وأولى من شكر وعليه أُنِّي، الواحد الصمد، ليس له صاحبة ولا ولد، جل عن المثل فلا شبيه له ولا عدل، السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع عال على عرشه فهو دان بعلمه من خلقه، والقرآن كلام الله ومن الله، ليس بمخلوق فيبىد، وقدرة الله ونعته وصفاته كلمات غير مخلوقات. دائمات أزليات، ليس محدثات فتبىد، ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد، جلت صفاته عن شبه المخلوقين، عال على عرشه، بائن من خلقه. وذكر ذلك المعتقد. وقال: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على عرشه بصفاته. قلت: مثل أي شيء؟ قال: سميع بصير عليم قدير، رواه ابن منده. وسئل محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى عن حديث عبدالله بن معاوية عن النبي ﷺ: «ليعلم العبد أن الله معه حيث كان»^(١) فقال: يريد أن الله علمه محيط بكل ما كان والله على العرش. وقال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى في آخر الجامع الصحيح في كتاب الرد على الجهمية: باب قول الله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ قال أبو العالية: استوى على عرشه ارتفع، وقال مجاهد في استوى: علا على العرش. وقالت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها: زوجني الله من فوق سبع سموات^(٢). ثم إنه بوب رحمه الله تعالى على أكثر ما تنكره الجهمية من الصفات محتجاً بالآيات والأحاديث. وقال أبو زرعة الرازي وسئل عن تفسير ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فغضب وقال: تفسيره كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله. وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول

(*) هذه الطبقة كذلك هي في العلو للذهبي فانظره وانظر مختصره.

(١) رواه الطبراني في الصغير (٢٠٠/١) والبيهقي في السنة (٩٥/٤) وسنده صحيح وجود إسناده ابن حجر في التلخيص وأصل الحديث عند أبي داود بغير هذه اللفظة بسند منقطع.

(٢) البخاري (٤٠٣/١٣). والحديث تقدم وهو عنده في الكتاب والباب.

الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصرأً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً. وقال محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي. ونعتقد أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. رواه أبو القاسم الطبري. وقال يحيى بن معاذ الرازي: إن الله على العرش بائن من خلقه أحاط بكل شيء علماً، لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه رواه صاحب الفاروق. وعن محمد بن أسلم الطوسي رحمه الله تعالى قال: قال لي عبدالله بن طاهر: بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء. فقلت: وهل أرجو الخير إلا ممن هو في السماء. رواه الحاكم في ترجمته. وقال عبد الوهاب الوراق: من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث، إن الله عز وجل فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة. وكتب حرب الكرماني إلى عبدالرحمن بن محمد الحنظلي: إن الجهمية أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، ولا يرى في الآخرة، ولا يعرف لله مكان، وليس على العرش، ولا كرسي، وهم كفار فاحذرهم. وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في كتاب النقض: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته يعلم ويسمع من فوق العرش لا تخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء^(١). وقال أبو محمد بن قتيبة رحمه الله تعالى: كيف يسوغ لأحد أن يقول إن الله سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله ﴿الرحمن على العرش﴾ ومع قوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ كيف يصعد إليه شيء هو معه، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهو معه، قال: لو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها عجميها وعربيها تقول إن الله في السماء ما تركت على فطرها^(٢). وقال أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني:

(١) الرد على المريسي (ص ٢٥).

(٢) مختلف الحديث له (ص ٣٤٤).

جميع ما في كتابنا - كتاب السنة الكبير - من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقلها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كفيتهما^(١). فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش. وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله في جامعه لما روى حديث أبي هريرة وهو خبر منكر عند أهل الحديث «لو أنكم أدليتكم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله» فقال: قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه^(٢). وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في كتاب السنة من سننه - باب في الجهمية - وساق في ذلك حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله»^(٣) وفي رواية: «إذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ من الشيطان»^(٤) وذكر حديث الأوعال وحديث جبير بن مطعم وحديث أذن لي أن أحدث عن ملك^(٥)، الحديث وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتقدات أهل السنة وما ورد فيها من الأحاديث رحمه الله تعالى كالرؤية والنزول وطى السموات والأرض وتكلم الله عز وجل والشفاعة والبعث وخلق الجنة والنار وفتنة القبر وعذابه والحوض والميزان وغير ذلك ورد على طوائف الجهمية والمرجئة والخوارج والروافض رحمه الله تعالى. وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه: باب ما أنكرت الجهمية،

-
- (١) في كتاب السنة له أنظره بتحقيق المحدث الألباني.
(٢) الترمذي (٤٠٣/٥ ح ٣٢٩٨) في التفسير، باب ومن سورة الحديث.
والحديث رواه أحمد كذلك (٣٧٠/٢) وسنده ضعيف فيه الحسن البصري وهو مدلس وقد عنعن ولم يسمع من أبي هريرة وفي منته نكارة.
(٣) أبو داود (٢٣١/٤ ح ٤٧٢١) في السنة، باب في الجهمية.
ورواه البخاري (٣٣٦/٦) في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
ومسلم (١٢٠/١ ح ١٣٥) في الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان.
(٤) أبو داود (٢٣١/٤ ح ٤٧٢٢) في السنة، باب في الجهمية وفيه سلمة بن الفضل وهو صدوق كثير الخطأ كما قال الحافظ.
(٥) تقدم ذكرها.

فساق حديث الرؤية وحديث أبي رزين وحديث جابر: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، الحديث تقدم^(١)، وحديث الأوعال وغيرها. وكذلك مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهم من أهل السنن ساقوا أحاديث الصفات وأمروها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل. وقال ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى: ذكروا أن الجهمية يقولون ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش وأن يكون الله فوقه وقالوا إنه في كل مكان ففسرت العلماء (وهو معكم) يعني علمه ثم تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه فهو فوق العرش متخلصاً من خلقه بائناً منهم. وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: لا يجوز لمؤمن أن يقول كيف الاستواء لمن خلق الاستواء ولنا عليه الرضا والتسليم لقول النبي ﷺ: «إنه تعالى على العرش» قال: وإنما سمي الزنديق زنديقاً لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله، وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه.

طبقة أخرى(*)

قال زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء. وساق سائر الاعتقاد. وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين رحمه الله في عقيدته: وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر. ونقل في تفسيره ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في المواضع كلها أي علا وارتفع، وتفسيره مشحون بأقوال السلف على الإثبات. وقال حماد بن هناد البوشنجي: هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه وإيضاح منهاج العلماء وصفة السنة وأهلها، إن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وسلطانه وقدرته بكل مكان. وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: مَنْ لم يقر بأن

(١) تقدم ذكره.

(*) روايات هذه الطبقة في العلو للذهبي أنظره وانظر مختصره.

الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لثلا يتأذى برائحته أهل القبلة وأهل الذمة. وقال أبو العباس بن سريج: قد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة، مثل قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وذكر الاعتقاد. وقال ثعلب إمام العربية ﴿على العرش استوى﴾: علا. وقال أبو جعفر الترمذي وسأله سائل عن حديث نزول الرب: فالنزول كيف هو يبقى فوقه علو؟ فقال: النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وقال الطحاوي الإمام في عقيدته: والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه^(١). وقال أبو الحسن الأشعري في ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. قال: ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستوعب العرش الذي هو فوق السموات، فلو أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش^(٢). وقال أبو محمد البربهاري رحمه الله تعالى: الكلام في الرب محدثة وبدعة وضلالة، فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته لم ولا كيف، يعلم السر وأخفى وعلى عرشه استوى وعلمه بكل مكان.

طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة^(*)

قال أبو أحمد العسالي في باب تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فساق ما ورد فيه من أقوال السلف وأئمتهم وحديث ابن مسعود وقد مر.

(١) أنظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي.

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٢٩٠).

(*) روايات هذه الطبقة في العلل للذهبي أنظره وانظر مختصره.

وقال أبو بكر الصبغي في قوله تعالى : ﴿من في السماء﴾ أي من على العرش كما صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ . وقال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة : باب ما جاء في استواء الله على عرشه بائناً من خلقه ، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي وحديث الأوعال وغيرهما من أحاديث العلو . وقال أبو بكر الأجري : الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما خلق في سبع أرضين يرفع إليه أعمال العباد^(١) . وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة له : ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه . وساق جملة أحاديث في ذلك . وقال أبو بكر الإسماعيلي : استوى على العرش بلا كيف فإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه . وقال الأستاذ أبو منصور الأزهري : الله تعالى على العرش . وقال أبو الحسن بن مهدي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ : أعلم أن الله تعالى في السماء فوق كل شيء مستو على العرش بمعنى أنه عال عليه ، ومعنى الاستواء الاعتلاء . وإنما أمرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها نحو العرش الذي هو مستو عليه . وقال ابن بطّة رحمه الله : باب الإيمان بأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه ، أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه . وقال الدارقطني رحمه الله تعالى :

حديث الشفاعة في أحمد	إلى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث باقعاده	على العرش أيضاً فلا نجحده
امروا الحديث على وجهه	ولا تدخلوا فيما يفسده ^(٢)

(١) الشريعة له (ص ٢٨٥) .

(٢) حديث إقعاد النبي ﷺ على العرش وأنه هو المقام المحمود حديث ضعيف مع مخالفته للحديث الصحيح أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى أنظر السلسلة الضعيفة للمحدث الألباني (ح ٨٦٥) .

ورواية هذا الشعر للدارقطني لا يصح فقد رواه أبو محمد الدشتي (السلسلة الضعيفة ح ٨٦٥) وفيه أحمد بن عبيد الله بن كادش وهو مغلط .

وقال ابن منده رحمه الله تعالى: فهو تعالى موصوف غير مجهول، وموجود غير مدرك، ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، قال القلوب تعرفه والعقول لا تكيفه وهو بكل شيء محيط. وقال محمد بن أبي زيد المغربي: وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه. قلت: وقد أطلق هذه العبارة أعني قوله: «بذاته» أبو جعفر بن أبي شيبة والدارمي ويحيى بن عمار وأبو نصر السجزي وابن عبد البر وشيخ الإسلام الأنصاري وأبو الحسن الكرجي وأحمد بن ثابت الطريقي وعبد العزيز القحيطي، وعبد القادر الجيلي وطائفة. وقال ابن فورك رحمه الله: استوى بمعنى علا. وقال في قوله: «أأنتم من في السماء» أي من فوق السماء^(١). وقال ابن الباقلاني في إبانته: فإن قيل فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى: «الرحمن على العرش استوى» وقال: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» وقال: «أأنتم من في السماء» إلى آخر كلامه. وقال أبو أحمد القصاب في عقيدته: كان ربنا عز وجل وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا حاجة إليه فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق. قلت: تفسير الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة، ونحن لا نصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة، لا نزيد عليه ولا ننقص منه. وقال الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى: طريقنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالماً بعلم بصيراً ببصر سميعاً بسمع متكلماً بكلام. إلى أن قال: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويشبونها من غير تكيف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه. وقال معمر بن زياد في أثناء وصيته: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا

(١) نقله تلميذه البيهقي عنه في الأسماء والصفات (ص ٤١١).

تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه بائن من خلقه والخلق بائون منه. وذكر سائر الاعتقاد. وقال أبو القاسم اللالكائي في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وأن الله على عرشه: قال الله عز وجل: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقال: ﴿أأنتم من في السماء﴾ وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ فدلّت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه في كل مكان، روي ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة، ومن التابعين ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان، وبه قال مالك والثوري وأحمد. وقال يحيى بن عمار: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهذا الذي قلناه هو كما قال الله تعالى وقاله رسول الله ﷺ، قلت لفظه «بذاته» مستغنى عنها بصريح النصوص الكافية الوافية^(١). وقال القادر بالله أمير المؤمنين في معتقده المشهور: وأنه خلق العرش لا لحاجة، واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز. وقال أبو عمرو الطلمنكي رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه فوق سمواته. وقال أبو نصر السجزي: أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان. وقال أبو عمرو الداني في أرجوزته التي في عقود الديانة:

كلامه وقوله قديم وهو فوق عرشه العظيم^(٢)

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح حديث النزول: هذا حديث صحيح لم

(١) هي لفظ صحيح تفسيري والنصوص مؤيدة له وكلام الأئمة كابن المبارك وغيره.

(٢) وأنه تعالى يتكلم متى شاء بما شاء.

يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة. وقال أيضاً: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. وقال أبو يعلى رحمه الله بعد أن ذكر حديث الجارية: الكلام في هذا الخبر في فصلين أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء. وقد أخبرنا تعالى أنه في السماء فقال: ﴿أَأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وهو على العرش. وقال أبو بكر البیهقي رحمه الله تعالى في كتاب المعتقد له: باب القول في الاستواء، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، ﴿أَأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وأراد من فوق السماء كما قال تعالى: ﴿فِي جَذُوعِ النَّخْلِ﴾ وقال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي على الأرض، وكل ما علا فسر سماء، والعرش أعلى السموات، فمعنى الآية أأمتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات^(١).

طَبَقَةُ أُخْرَى*

قال أبو الفتح نصر المقدسي: وأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه. وقال شيخ الإسلام الأنصاري صاحب منازل السائرين^(٢) في التصوف، قال في كتاب له: باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائناً من خلقه من الكتاب والسنة، فساق الحجة من الآيات والأحاديث إلى أن قال: وفي أخبار شتى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان. وقال البغوي رحمه

(١) الاعتقاد له ص (٤٢ - ٤٣).

(*) كلام هذه الطبقة ورواياتهم في العلو للذهبي فانظره وانظر مختصره.

(٢) كتابه منازل السائرين شرحه الإمام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين وهو مطبوع وفي كلام الهروي ما يقدح فيه كقوله «ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحدّه جاحد».

الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد. وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة فإنهم يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل. ثم ذكر قول مالك المتقدم، وقال: وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمرؤها كما جاءت بلا كيف^(١). وقال أبو الحسن الكرجي في بانيته:

عقائدهم أن الإله بذاته على عرشه مع علمه بالغوايب
وأن استواء الرب يعقل كونه ويجهل فيه كيف جهل الشهاب

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى في كتاب الغنية: أما معرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد إلى أن قال: وهو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط بالأشياء، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، وينبغي إطلاق ذلك من غير تأويل. وكونه تعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل، على كل نبي أرسل، بلا كيف.

وقال أبو عبدالله القرطبي: وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا يعلم حقيقة كيفيته^(٢). قلت: أراد بالجهة إثبات العلو لله تعالى، أما لفظ الجهة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا يلزم من إثبات العلو إثباتها، لأن العرش سقف جميع

(١) في معالم التنزيل له (١/٤٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢١٩).

المخلوقات فما فوقه لا يسمى جهة، ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلو إثبات الجهة فلازم الحق حق، فما استلزمه صريح الآيات والأحاديث فهو حق بلا خلاف عند أهل السنة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية بعد سرد الآيات والأحاديث في الصفات: فصل وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وليس معنى قوله: ﴿وهو معكم﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجهه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافرين وغير المسافرين أينما كان، والله سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصاب عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله ﴿في السماء﴾ أن السماء ثقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله تعالى قد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره. هـ. ومصنفات هذا الإمام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى في الانتصار لمعتقد أهل السنة والجماعة قد طبقت المشارق والمغارب، ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم والدين من السلف والخلف لاحتجنا إلى عدة أسفار بل إلى عدة أحمال، وفيما ذكرناه كفاية.

ونحن نشهد الله تعالى وحملة عرشه وجميع ملائكته وأنبياء ورسله وجميع خلقه أننا نثبت لربنا عز وجل ما أثبتته لنفسه في كتابه وأثبتته رسوله ﷺ وأجمع عليه

أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً ممن ذكرنا وممن لم نذكر من أن ربنا وإلهنا فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منهم خافية، واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلى الوجه الذي عناه وأراده كما يليق بجلال ربنا وعظمته، لا تتكلف لذلك تأويلاً ولا تكييفاً بل نقول آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، ولا نطلب إماماً غير الكتاب والسنة، ولا نتخطاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطق بما نطقا به ونسكت عما سكتا عنه ونسير سيرهما حيث سارا ونقف معهما حيث وقفا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومع ذا مطلع إليهمو بعلمه مهيمن عليهم
 وذكره للقرب والمعية لم ينف للعلو والفوقية
 فإنه العلي في دنوه وهو القريب جل في علوه

(ومع ذا) الاتصاف بالعلو والاستواء على العرش والمباينة منه لخلقه تبارك وتعالى فهو (مطلع) سبحانه وتعالى (إليهمو) الواو للاشباع (بعلمه) المحيط بجميع المعلومات لا تخفى عليه منهم خافية، كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. له ما في السَّمَوَاتِ وما في الْأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا وما تَحْتَ الثَّرَى. وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿طه/ ٥-٧﴾ فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمه السر وأخفى، وكذلك جمع عز وجل بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد/ ٣) وهو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسر رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة عند مسلم^(١). وكذلك جمع تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وما يَخْرُجُ منها وما يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وما يَرْجُ فيها وهو

(١) تقدم ذكره.

مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿الحديد/٤﴾ وكذلك جمع النبي ﷺ بين هذين المعنيين في حديث الأوعال إذ يقول: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»^(١) وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماع المؤمنين.

(مهيمن) رقيب (عليهم) بواو الاشباع (وذكره) تبارك وتعالى (للمقرب) في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة/١٨٦) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ وقول النبي ﷺ في حديث الصحيحين: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(٢). (و) كذلك ذكره (المعية) العامة في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ (المجادلة/٧) وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/٤) وكذا المعية الخاصة في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل/١٢٨) وقوله: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/٤٦) وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه/٤٦) وقوله في قصة نبينا ﷺ مع الصديق رضي الله عنه: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة/٤٠) كل ذلك (لم ينف العلو) المذكور في النصوص السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - تعرج الملائكة والروح إليه - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض. (والفوقية) عطف على العلو وهو رديفه في المعنى أي ولم ينف قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام/١٨) وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل/٥٠) وقول النبي ﷺ: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»^(٣) بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه عز وجل وبين علوه (فإنه)

(١) تقدم ذكره وأن سنده ضعيف.

(٢) البخاري (١٨٧/١١) في الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة.

مسلم (٢٠٧٦/٤ ح ٢٧٠٤) في الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٣) تقدم ذكره في حديث الأوعال.

هو (العليّ) المتصف بجميع معاني العلو ذاتاً وقهراً وشأناً (في دنوه) فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء. وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافياً لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ومعيته العامة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ معناها إحاطته بهم علماً وقدرة كما يدل عليه أول السياق وآخره، وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل إجماعهم على ذلك. وأما معيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه، ويقصر تعريفه دونه، وكفاك قول الله عز وجل فيما رواه عنه نبيه ﷺ إذ يقول: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»^(١). وفي بعض الروايات «وقلبه الذي يعقل به، ولسانه الذي ينطق به»^(٢) وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإنما المراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قرب به إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة. وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «أحبوا الله من كل قلوبكم»^(٣) فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محاً ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه. فحيث لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله عز

(١) البخاري (٣٤٠/١١) في الرقاق، باب التواضع.

(٢) هي من رواية عائشة رضي الله عنها وحديثها أنظر تخريجه وكلام الأئمة عليه في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني (ح ١٦٣٨).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥٢٥/٢) مرسلًا من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً فسنده ضعيف.

وجل: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها». ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه.

(وهو القريب جل في علوه) فهو سبحانه وتعالى مستو على عرشه عال على جميع خلقه وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه. ويعلم سره ونجواه، وهو أقرب إلى داعيه من عنق راحلته. ويعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو أقرب إليه من جبل الوريد، فإن الذي عند عنق راحلته أو عند جبل وريده لا يعلم ما خفي عليه من كلامه، والله عز وجل على عرشه ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرته لا تخفى عليه منهم خافية وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فهو على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط، فهو سبحانه القريب في علوه، العلي في دنوه وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

حيّ وقيوم فلا ينام وجل أن يشبهه الأنام
لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ولا يكيف الحجا صفاته

(حيّ) لا يموت كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان/ ٥٨) وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فهو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء، هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»^(١).

(وقيوم) فهو القيوم بنفسه القيم لغيره فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها إلا به ولا قوام لها بدون أمره كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ

(١) البخاري (٣٦٨/١٣) في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. ومسلم (٢٠٨٦/٤) ح (٢٧١٧) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

السماء والأرض بأمره ﴿ وهو القائم على كل شيء والقائم بجميع أمور عباده والقائم على كل نفس بما كسبت. وفي الصحيحين من دعائه ﷺ في صلاة الليل: «اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض»^(١). الحديث. وقد جمع تعالى بين هذين الإسمين: «الحي القيوم» في ثلاثة مواضع من كتابه: الأول آية الكرسي من سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة / ٢٥٥) الثاني: أول سورة آل عمران ﴿أَلَمْ يَلَمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران (١ - ٢)، الثالث في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه / ١١١) وروى ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعاً قال: «إسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب في ثلاث سور: سورة البقرة وآل عمران وطه»^(٢). (فلا ينم) أي لا يعترية

(١) البخاري (٣٧١/١٣) في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾.

مسلم (٥٣٢/١ ح ٧٦٩) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) حديث حسن رواه ابن مردويه (تفسير ابن كثير ٣١٥/١) قال أخبرنا عبدالله بن نمير أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أنبأنا الوليد بن مسلم أخبرنا عبدالله بن العلاء بن زبر (في المطبوع زيد وهو خطأ) أنه سمع القاسم بن عبدالرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه - وذكره.

وإسحق بن إبراهيم بن إسماعيل لم أجد من ذكره إلا ابن حبان في الثقات. وقد ذكر ابن حجر أنه التبيسي في ترجمة هشام بن عمار.

وقد تابعه عمار بن نصر عند الحاكم (٥٠٦/١) وهو صدوق.

وقد رواه ابن ماجه (١٢٦٧/٢ ح ٣٨٥٦) من طريق أخرى فيه غيلان بن أنس قال عنه الحافظ مقبول (إذ يتويع وإلا فليّن). وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد:

رواه أحمد (٤٦١/٦) والدارمي (٤٥٠/٢) والترمذي (٥١٧/٥ ح ٣٤٧٨) في الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله. وابن ماجه (١٢٦٧/٢ ح ٣٨٥٥). في الدعاء، باب اسم =

نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه فإن ذلك نقص في حياته وقيوميته، ولهذا أردف هذين الإسمين بنفي السنة والنوم فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة/ ٢٥٥) أي لا تغلبه سنة وهو الوسن والنعاس، ولا نوم ونفيه من باب أولى لأنه أقوى من السنة، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية. وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(١).

(وجل) عن (أن يشبهه الأنام) في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله لأن الصفات تابعة لموصوفها فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات، ولو اهتمدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى الله إليه أهل السنة والجماعة لما نفوا عن الله ما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ ولما عطلوه عن صفات كماله ونعوت جلاله فراراً بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظم من ذلك ولزمهم أضداد ما نفوه من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وسبب ضلالهم أنهم تقدموا بين يدي الله ورسوله واتهموا الوحيين فيما نطقا به ووزنوهما بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة وقوانينهم الفاسدة التي هي ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسلام في ظل ولا فيء، وإنما هي أوضاع مختلفة أدخلها الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهار الفساد، ولغرس شجرة الالحاد، المثمرة تعطيل الباري عز وجل عن صفات كماله وعلوه واعتقاد الحلول والاتحاد.

جاءوا بها في قالب التنزيه لله كي يغوون كل سفيه
قالوا صفات كماله منفية عنه مخافة موجب التشبيه

= الله الأعظم. وأبو داود (٢/ ٨٠/ ح ١٤٩٦) في الصلاة باب في الدعاء. وفيه عبيد الله بن أبي زياد القداح وهو ليس بالقوي وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد.

(١) قد تقدم، وقد رواه مسلم دون البخاري.

تعطيلهم سموه «تنزيهاً» له ليرَوِّجوا فاعجب لذا التمويه
والوحي قالوا نصه لا يوجب العلم اليقين فأى دين فيه
ما الدين إلا ما عن اليونان قد جئنا به طوبى لمن يحويه
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم وبقوا حيارى في ضلال التيه

فسموا النور الذي أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ تفصيل كل شيء وتبياناً لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء وبيان النبي ﷺ من جوامع كلمه التي اختصه الله بها، فسموا ذلك كله «آحاداً ظنية لا تفيد اليقين»، وسموا زخارف أذهانهم ووساوس شيطانهم «قواطع عقلية»، لا والله ما هي إلا خيالات وهمية ووساوس شيطانية، هي من الدين بريئة وعن الحق أجنبية، توجب الحيرة وتعقب الحسرة كثيرة المباني قليلة المعاني كسراب بقية يحسبه الظمان ماء، ويا ليتة إذا جاءه لم يجده شيئاً لكن وجده السم النقيع والداء العضال، فخاب هلكة نصبها الأعداء لاصطياد الأغبياء، وخدعة مكر في صورة ناصح فعل عدو الله اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في دلالتهما على الشجرة التي نهاهما ربهما عنها: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، فدلاهما بغرور ﴿(الأعراف/ ٢١- ٢٢)﴾ إلى آخر الآيات، وكذلك كتب الكلام والمنطق اليوناني أدخله الأعداء علينا وسموه علم التوحيد تلبساً وتمويهاً وما هو إلا سلم الإلحاد والزندقة، وجحدوا صفات الباري عز وجل وسموا ذلك تنزيهاً ليغروا الجهال بذلك، وإنما هو محض التعطيل. وسموا أولياء الله المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته مشبهة لينفروا الناس عنهم مكرراً وخديعة، فأصبح المغرور بقولهم المخدوع بمكرهم حائراً مخذولاً لأنهم لما عزلوا كتاب الله عن البيان وحكموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات الديان لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التي منحه الله إياها ومتى شاء سلبه، ولم ينظروا المتصف بها من هو، فلذلك نفوها عن الله عز وجل لئلا يلزم من إثباتها التشبيه، فشبهوا أولاً وعطلوا ثانياً، فلما نفوا عن الله صفات كماله لزمهم إثبات ضدها وهو النقص، فمن نفى عن الله كونه سميعاً بصيراً فقد شبهه بما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئاً وكذلك سائر الصفات وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ كما شاء الله تعالى

وعلى الوجه الذي أراد، فجميع صفاته صفات كمال وجلال تليق بعظمة ذاته ونفيها ضد ذلك، ولا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات فإن الله تعالى قد سمى نفسه سمياً بصيراً، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سمياً بصيراً، وسمى نفسه الرؤوف الرحيم، وأخبر أن نبيه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، وسمى نفسه الملك فقال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف/ ٥٤) وهو العزيز وسمى بعض عباده عزيزاً وغير ذلك، فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها، فليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر ولا الرأفة كالرأفة ولا الرحمة كالرحمة ولا العزة كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول الآخر الظاهر الباطن، وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحي القيوم الغني عما سواه وكل ما سواه فقير إليه، فصفات الخالق الحي القيوم قائمة به لاثقة بجلاله أزلية بأزليته دائمة بديموميته، لم يزل متصفاً بها ولا يزال كذلك، لم تسبق بضد ولم تعقب به، بل له تعالى الكمال المطلق أولاً وأبداً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/ ٤٢)، فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه.

(لا تبلغ الأوهام كنه ذاته) أي نهاية حقيقتها كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه/ ٢٠) وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة/ ٢٥٥) وإنما نعرفه تعالى بما وصف به نفسه في كتبه المنزلة على رسله بأنه أحد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص/ ٣-٤)، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة/ ٢٥٥) إلى آخر الآية، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر/ ٢٢)، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر/ ٢٣)، ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر/ ٢٤)، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ (الحديد/٣) إلى غير ذلك من آيات الأسماء والصفات. (ولا يكيف الحجا) أي العقل (صفاته) لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو، فالواجب علينا أيها العبيد الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وإمرارها كما جاءت واعتقاد أنها حق كما أخبر الله عز وجل وأخبر رسوله ﷺ، وعدم التكيف والتمثيل لأن الله عز وجل أخبرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ولم يبين كيفيتها فنصدق الخبر ونؤمن به ونكل والكيفية إلى الله عز وجل، فصفت ذاته تعالى من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا والمجيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق على حقيقتها، علمنا اتصافه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتها ولم يحيطوا بها علماً كما قالت أم سلمة رضي الله عنها وربيعة الرأي ومالك بن أنس وغيرهم رحمهم الله تعالى: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم، وكذلك القول في جميع صفاته عز وجل، وإنا والله لكالون حائرون في كيفية سراية الدم في أعضائنا وجريان الطعام والشراب فينا وكيف يدبر الله تعالى قوت كل عضو فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروح التي هي بين جنيننا وكيف يتوفاها الله في منامها وتخرج إلى حيث شاء الله عز وجل ويردها إذا شاء، وفي كيفية إقعاد الميت في القبر وعذابه ونعيمه، وكيفية قيام الأموات من القبور حفاة عراة غرلاً وكيفية الملائكة وعظم خلقهم فكيف العرش الذي لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، كل ذلك نجهل كيفيته ونحن مؤمنون به كما أخبرنا الله عز وجل عنه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام إيماناً بالغيب وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنی وصفاته العلی، والله المثل الأعلى في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون، آمنا به كل من عند ربنا، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

[إنفراد عز وجل بالإرادة والمشئة]

باق فلا يفنى ولا يبید ولا يكون غير ما يريد
منفرد بالخلق والإرادة وحاكم - جل - بما أَراده

(باق) كما أنه الأول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء، كما لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته (فلا يفنى ولا يبید) بل هو المفني المبيد، وهو المبدئ المعيد، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص/ ٨٨) وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/ ٢٦، ٢٧). (ولا يكون) في الكون (غير ما يريد) والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدريّة الكونية التي لا بد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهي مشئة الله الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا نفوذ لإرادة أحد إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشئته، ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، وورود ذلك في نصوص الكتاب والسنة معلوم كقوله تبارك وتعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (البروج/ ١٦)، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ (الكهف/ ٨٢)، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء/ ١٦) وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفسق شرعاً ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمر تكوين، ألا ترى أن الفسق علة ﴿حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ علة لتدميرهم وهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له وذلك هو أمر التكوين، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة/ ١٨٥)، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس/ ٨٢)، ﴿وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (المائدة/ ٤١)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ (المائدة/ ٤١) وقول نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (هود/ ٣٤)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴿الأنعام/١٢٥﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (الرعد/١١) وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُ﴾، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (المائدة/١٧)، ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ (الأحزاب/١٧) وقوله تعالى: ﴿وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ (الفتح/١١) وقوله: ﴿يريدُ الله ألا يجعلَ لَهُمَ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ (آل عمران/١٧٦) وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ (الإسراء/١٨) وقول صاحب يس: ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُتَّقَدُونَ﴾ (يس/٢٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ (الزمر/٣٨) وقول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١)، «من يرد الله به خيراً يصب منه»^(٢)، «إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأقر عينه بهلاكها»^(٣)، «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد شراً أمسك عنه بذنوبه حتى يوافي به يوم القيامة»^(٤)، «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة»^(٥)، «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب

-
- (١) البخاري (٢١٧/٦) في فرض الخمس، باب قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ خَمْسَةٌ لِلرَّسُولِ﴾.
 مسلم (٧١٨/٢) ح ١٠٣٧ في الزكاة، باب النهي عن المسألة. من حديث معاوية رضي الله عنه.
 (٢) البخاري (١٠٣/١٠) في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض. والموطأ (٩٤١/٢) في العين، باب ما جاء في أجر المريض.
 (٣) مسلم (١٧٩١/٤ - ١٧٩٢/٤) ح ٢٢٨٨ في الفضائل، باب إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها. من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
 (٤) الترمذي (٦٠١/٤) ح ٢٣٩ في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء. والحاكم (٦٠٨/٤) عن أنس وإسناده حسن.
 (٥) الترمذي (٤٥٣/٤) ح ٢١٤٧ في القدر، باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها. والحاكم =

الرفق»^(١) «إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم»^(٢). والآثار النبوية في ذلك كثيرة، وكذلك لفظ «المشيئة» في الكتاب والسنة وروده معلوم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة/٢٥٣) وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران/٤٠) وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام/١٣٧)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾ (يونس/٩٩)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (هود/١١٨)، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ (الأنعام/٣٠)، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هِدَايَا﴾ (السجدة/١٣)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ (محمد/٤)، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الإسراء/٨٦)، ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشورى/٢٤)، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ (أيهما الناس وَيَأْتِ بآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ (النساء/١٣٣)، ﴿لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾ (الفتح/٢٧)، ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ (هود/٣٣) وقوله عن إمام الحنفاء: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرَكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (الأنعام/٨٠) وقوله عن الذبيح: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصفافات/١٠٢) وقوله عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (الأعراف/٨٩) وقوله عن يوسف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾ (يوسف/٩٩) وقوله عن موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ (الكهف/٦٩) وقوله عن قوم موسى: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ

= (٤٢/١) وإسناده صحيح عن أبي عزة رضي الله عنه.

وفي الباب عن مطرب بن عكاس وأبي هريرة وعروة بن مضرس.

(١) أحمد (٧١/٦) وسنده على شرط البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) البخاري (٦٠/١٣) في الفتن، باب إذا أراد الله بقوم عذاباً.

ومسلم (٢٢٠٦/٤ ح ٢٨٧٩) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى

عند الموت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الله لُمُهْتَدُونَ ﴿البقرة/ ٧٠﴾، وقوله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا
 إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الكهف/ ٢٤)، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾
 (يونس/ ٤٩) وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾
 (هود/ ١٠٧) وعن أهل النار مثل ذلك، وقال: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَاءُ يَرْحَمْكُمْ أَوْ
 إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ﴾ (الإسراء/ ٥٤) وقال: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾
 (المائدة/ ٤٠) وقال: ﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرٍ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى/ ٢٧) وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الإسراء/ ٣٠) وقال: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾
 (الرعد/ ٣٩) وقال: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ (يونس/ ١٦)
 وقال: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾
 (الإنسان/ ٢٨) وقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (المدثر/ ٥٦) وقال: ﴿وَمَا
 تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان/ ٣٠) فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على
 مشيئته لهم هذا وهذا. وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
 الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ﴾ (آل عمران/ ٢٦) وقال: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾
 (الأحزاب/ ٢٤) وقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (آل عمران/ ٧٤) وقال: ﴿وَلَكِنْ
 اللَّهُ يَرْزُقِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور/ ٢١) وقال: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة/ ٢٦١)
 وقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ (يوسف/ ٥٦) وقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾
 (يوسف/ ٧٦) وقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (يوسف/ ٥٦) وقال: ﴿وَلَكِنْ
 اللَّهُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (إبراهيم/ ١١) وقال: ﴿فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ
 بِأُسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمَجْرَمِينَ﴾ (يوسف/ ١١٠) وقال: ﴿اللَّهُ يَرْسُلُ الرِّيَّاحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا
 فَيَبْسُطُهُ فِي الْمَسَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (الروم/ ٤٨) وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾
 (يوسف/ ١٠٠) وقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة/ ٢٩٩) وقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ
 لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ (يس/ ٦٦)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾

(البقرة/٢٠) وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾
 (الشورى/٣٣) وقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ (الواقعة/٦٥)، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ
 أُجَاجًا﴾ (الواقعة/٧٠) وقال: ﴿فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ (التوبة/٢٨)
 وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَاوِدٍ﴾ (فاطر/١٦)، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
 وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام/١٣٣)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَفْنَا عَنْكُمْ﴾
 (البقرة/٢٢)، ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (الشورى/١٣) ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
 (البقرة/٢٦١)، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القصص/٦٨)،
 ﴿اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِمَّا نثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
 الذَّكَورَ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ (الشورى/٤٩)،
 ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نَوْرًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (الشورى/٥٢) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل
 عمران/٦)، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الأنفطار/٨) ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (إبراهيم/١١)، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (الشورى/١٩)،
 ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (القصص/٨٢) وغير ذلك من
 الآيات.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحواً من هذه الآيات:
 وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة
 مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه يخبر تارة أن كل ما
 في الكون بمشيئته، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف
 الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عصى وأنه لو
 شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته،
 وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه ﴿رب
 العالمين﴾ وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عبادِهِ، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا
 منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة

إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره اهـ. (١).

والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيراً جداً، منها قوله ﷺ في شأن الجنين: «فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك» (٢) وقوله: «اشفعوا تأجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء» (٣)، «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء» (٤)، «إن الله لو شاء لم تناموا عنها، ولكنه أراد ليكون لمن بعدكم» (٥)، «قولوا ما شاء الله وحده» (٦)، «قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء» (٧)، «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» (٨). وكان ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» (٩) وقوله عن الله عز وجل: «فذلك فضلي أوتيته من أشاء» (١٠) وقوله: «مثل

(١) أنظر كلامه هذا وغيره في طريق الهجرتين في فصل في بيان أن المنفعة والمضرة لا تكون إلا من الله وحده.

(٢) هذه اللفظة عند مسلم دون البخاري (٢٠٣٧/٤ ح ٢٦٤٥) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه. من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٤٤٨/١٣) في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة.

ومسلم (٢٠٢٦/٤ ح ٢٦٢٧) في البر والصلة، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٤٤٧/١٣) في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة وغيره.

(٥) رواه بهذا اللفظ البيهقي في دلائل النبوة (١٥٥/٤). ورواه أحمد في مسنده (٣٩١/١) بلفظ: لو أراد.

وفي سننه المسعودي وقد رواه عنه يزيد بن زريع عند أحمد ويونس بن بكير عند البيهقي. وأصل الحديث عند البخاري دون هذه الزيادة.

(٦) أحمد (٢١٤/١) و٢٢٤ و٢٨٣ وسنده صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤ ح ٢٦٥٤) في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

(٨) أحمد (١٨٢/٢) وابن ماجه (٧٢/١ ح ١٩٩) من حديث النواس بن سمعان وسنده صحيح.

(٩) الترمذي (٤٤٨/٤ ح ٢١٤٠) في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن وقال هذا حديث حسن وهو كما قال.

(١٠) البخاري (٣٨/٢) في المواقيت، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء»^(١) ، وقوله: «تعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله عز وجل سحائب من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»^(٢) ، وقوله في حديث البيعة: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»^(٣) ، وفي حديث احتجاج الجنة والنار قوله تعالى للجنة: ﴿أنت رحمتي أرحم بك من أشياء﴾ وللنار: «أنت عذابي أعذب بك من أشياء»^(٤) وقوله ﷺ: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت وارزقني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله تعالى لا مكره له»^(٥) وقوله: «ولكن قل قدر الله وما شاء فعل»^(٦) ، وقوله عن الله عز وجل: «ذلك بأني جواد أفعل ما أشاء، عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»^(٧) وقوله: «ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آية دون الموت»^(٨) وفي حديث الشفاعة:

- (١) البخاري (٤٤٦/١٣) في التوحيد، باب في المشيئة.
- (٢) ومسلم (٢١٦٣/٤) ح ٢٨٠٩ في صفات المنافقين، باب مثل المؤمن كالزروع. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٣) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (ص ٢٤) والبيهقي في شعب الإيمان (الكنزح ٣١٨٩) من حديث أبي هريرة. وإسناده ضعيف.
- (٤) وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى الفرج بعد الشدة من حديث أنس وهو غلط وهو كما بيناه وكذا قال العراقي في تخريج الأحياء (١٦٨/١).
- (٥) البخاري (٢١٩/٧) في مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي بمكة وبيعة العقبة من حديث عبادة بن الصامت.
- (٦) البخاري (٥٩٥/٨) في التفسير، باب وتقول هل من مزيد.
- (٧) ومسلم (٢١٨٦/٤) ح ٢٨٤٦ في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون.
- (٨) البخاري (٤٤٨/١٣) في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة.
- (٩) والترمذي (٥٢٦/٥) ح ٣٤٩٧ في الدعوات، باب ٧٨. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (١٠) مسلم (٢٠٥٢/٤) ح ٢٦٦٤ في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز. وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (١١) أحمد (١٥٤/٥) و١٧٧ والترمذي (٦٥٦/٤) ح ٢٤٩٥ في صفة القيامة باب ٤٨. وابن ماجه (١٤٢٢/٢) ح ٤٢٥٧ في الزهد، باب ذكر التوبة من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
- (١٢) رواه الطبراني في الصغير (٢١٢/١) والأوسط (مجمع الزوائد / ١٠ / ١٤٣) وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف.

«فيدعني ما شاء الله أن يدعني»^(١) وفي حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «فيسكت ما شاء الله أن يسكت»^(٢) وفيه قوله تعالى: «لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير»^(٣). وقال: «فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي»^(٤) وقال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد»^(٥)، وقال: «إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله ما بين أيلة إلى كذا»^(٦) وقال في المدينة: «لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله تعالى»^(٧)، وفي زيارة القبور: «وإننا إن شاء الله بكم لاحقون»^(٨) وفي حصار الطائف، «إنا قافلون غداً إن شاء الله»^(٩)، وفي قدومه مكة: «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة»^(١٠) وفي قصة بدر «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله وهذا مصرع فلان إن شاء الله»^(١١) وفي بعض أسفاره: «إنكم تأتون الماء غداً إن شاء الله»^(١٢) وقال: «من حلف فقال إن شاء الله فإن شاء

- (١) البخاري (٣٩٢/١٣) في التوحيد باب قول الله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾ ومسلم (١٨٠/١) ح (١٩٣) في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
- (٢) البخاري (٢٩٢/٢) في الأذان في باب فضل السجود. ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٦ / ح ١٨٢) في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٣) مسلم (١٧٤/١ - ١٧٥ ح ١٨٧) في الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
- (٤) البخاري (٩٦/١١) في الدعوات باب لكل نبي دعوة مستجابة ومسلم (١٨٨/١ ح ١٩٨) في الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٥) مسلم (١٩٤٢/٤ ح ٢٤٩٦) في فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم من حديث أم مبشر رضي الله عنهما.
- (٦) رواه البيهقي في الاسماء والصفات (ص ٢١٤) واستاده على شرط الشيخين (وفيه ما بين ابلة ودمشق) من حديث أبي هريرة.
- (٧) البخاري (٤٤٧/١٣) في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة.
- (٨) مسلم (٦٦٩/٢ ح ٩٧٤) في الجنائز، باب ما يقال عند دخول المقابر.
- (٩) البخاري (٤٤٨/١٣) في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة.
- ومسلم (١٤٠٢/٣ - ١٤٠٣ ح ١٧٧٨) في الجهاد والسير، باب غزوة الطائف.
- (١٠) البخاري (٤٤٨/١٣) في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة.
- (١١) مسلم (٢٢٠٢/٤ - ٢٢٠٣ ح ٢٨٧٣) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.
- (١٢) هي عين ماء تبوك وقد قالها ﷺ في غزوة تبوك رواه مسلم (١٧٨٤/٤ ح ٧٠٦) في الفضائل،

مضى وإن شاء رجع غير حنث»^(١) وقال: «لأغزون قريشاً» ثم قال في الثانية: «إن شاء الله»^(٢). وقال: «ألا مشمر للجنة» فقال الصحابة نحن المشمرون لها يا رسول الله، فقال: «قولوا إن شاء الله» قالوا إن شاء الله^(٣)، وغير ذلك من الأحاديث الثابتة.

(منفرد) ربنا عز وجل (بالخلق) فما من مخلوق في السموات والأرض إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه فهو خالق كل صانع وصنعه وخالق الكافر وكفره والمؤمن وإيمانه والمتحرك وحركته والساكن وسكونه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر/٦٢) وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر/٣) وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (التغابن/٢) ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن/٣) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات/٩٦) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الروم/٤٠) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ

باب معجزات النبي ﷺ من حديث رجاء بن حيوة.

(١) رواه أبو داود (٣/٢٢٥ ح ٣٢٦٢) في الإيمان والنذور، باب الاستثناء في اليمين.
وابن ماجه (١/٦٨٠ ح ٢١٠٥) في الكفارات، باب الاستثناء في اليمين ولكن بلفظ: من حلف واستثنى. وسنده حسن.

(٢) أبو داود (٣/٢٣١ ح ٣٢٨٥) في الإيمان، باب الاستثناء في اليمين بعد السكوت. من رواية عكرمة مرسلاً. وقال: وقد أسند هذا الحديث غير واحد عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس.

قال أبو حاتم: والمرسل أشبه (العلل ١/٤٤٠).

قلت: في سنده شريك القاضي وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن ماجه (٢/١٤٤٨ ح ١٤٤٩) و (٤٣٣٢ ح ٤٣٣٢) وابن حبان في صحيحه (موارد ٢٦٢٠) والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/٣٠٤).

وسنده ضعيف فيه الضحاك المعافري: مجهول، وسليمان بن موسى الأشدق في حديثه بعض لين وخولط قبل موته بقليل.

سَكَنَّا وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بَيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ ﴿النحل/ ٨٠- ٨١﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ أَهْطَالَكُمْ وَنَنْشِئَكُمْ فِيهَا مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ. أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ. أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ. أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ. نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَاعًا لِلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة/ ٥٨ - ٧٤) وفي الصحيح من حديث الأشعرين ما أنا أحملكم ولكن الله حملكم^(١). وفيه من حديث المصوريين «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقِي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيراً»^(٢). وفيه «من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»^(٣) وغير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة، فله الخلق والأمر وله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. (والإرادة) أي ومنفرد بالإرادة فلا مراد لأحد معه ولا إرادة لأحد إلا بعد إرادته عز وجل ومشيتته كما قال

(١) البخاري (٥٥/١) في الإيمان والنذور، باب قول الله تعالى: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم» وفي باب لا تحلفوا بآبائكم.

ومسلم: (١٢٦٨/٣) ح ١٦٤٩ في الإيمان، باب نذب من حلف يميناً. فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

(٢) البخاري (٣٨٥/١٠) في اللباس، باب نقض الصور، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون.

مسلم (١٦٧١/٣) ح ٢١١١ في اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٣) البخاري (٤٢٧/١٢) في التعبير، باب من كذب في حلمه.

ومسلم (١٦٧١/٣) ح ٢١١٠ في اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

والنسائي (٢١٥/٨) في الزينة، باب ذكر ما يكلف أصحاب الصور يوم القيامة.

تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (المذثر/٥٤-٥٦) وقال تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير/٢٧-٢٩) وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإنسان/٢٩-٣١) فللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيتهم، ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله عز وجل لهم إذا شاء وأراد.

(وحاكم جل بما أَرَادَهُ) فلا معقب لحكمه ولا راد لإرادته ولا مناقض لقضائه وقدره ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ بَلْ هُوَ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ - بِدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ - إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ لا ناقض لما أبرم ولا معارض لما حكم ولا يقال لم فعل كذا وهلا كان كذا لأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء/٢٣) وفي حديث أبي ذر عن الترمذي وغيره وفي آخره قال : «ذلك بآني جواد وأجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذايي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»^(١).

فَمَنْ يَشَاءُ وَفَقَهُ بِفَضْلِهِ وَمَنْ يَشَاءُ أَضْلَهُ بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمْ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ وَذَا مَقْرَبٌ وَذَا طَرِيدٌ

قال الله عز وجل : ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام/٥٩) وقال تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف/١٧٨) وقال تعالى : ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي

(١) تقدم ذكره قبل قليل.

طغيانهم يعمهون ﴿ (الأعراف/ ١٨٦) وقال تعالى : ﴿من يهد الله فهو المهتدى ومن يُضِلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ (الإسراء/ ٩٧) وقال تعالى : ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يُضِلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ (الكهف/ ١٧) وقال تعالى : ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ (فاطر/ ٨) وقال تعالى : ﴿فمن يرِد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ (الأنعام/ ١٢٥) وقال تعالى : ﴿قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ (الرعد/ ٢٧) وقال تعالى : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ (القصص/ ٥٦) وقال تعالى : ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (البقرة/ ٢٧٢) وقال تعالى : ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق، قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾ (يونس/ ٣٥) وقال تعالى : ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ (البقرة/ ١٢٠) وقال تعالى : ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ (آل عمران/ ٧٣) وقال تعالى : ﴿ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس/ ٦) وقال النبي ﷺ في خطبته : «من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له»^(١) وقال ﷺ : «اللهم آت نفسي تقواها، زكها أنت خير من زكاها. إنك أنت وليها ومولاها»^(٢).

(فمنهم) أي من عباده (الشقي) وهو من أضله بعدله (و) منهم (السعيد) وهو من وفقه وهداه بفضله، فالسعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله، فله الحمد على فضله وعدله (وذا مقرب) بتقريب الله إياه إليه وهو السعيد (وذا طريد) بإبعاد الله إياه وهو الشقي البعيد، فبيده تعالى الهداية والإضلال والإشقاء

(١) مسلم (٢/ ٥٩٣) ح (٨٦٨) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٨٨) ح (٢٧٢٢) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. وأحمد (٤/ ٣٧١) من حديث زيد بن أرقم.

والإسعاد، فهدايته العبد وإسعاده فضل ورحمة، وإضلاله وإبعاده عدل منه وحكمة، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، وهو الحكيم العليم الذي يضع الأشياء مواضعها. وهو أعلم بمن هو محل الهداية فيهديه، ومن هو محل الإضلال فيضله وهو أحكم الحاكمين، وهو عليم بالمتقين، وعليم بالظالمين، وعليم بالمهتدين، وهو أعلم بالشاكرين وأعلم بما في صدور العالمين، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولذا نقول:

لحكمة بالغة قضاها يستوجب الحمد على اقتضاها

أي إن جميع أفعاله من هدايته من يشاء وإضلاله من يشاء وإسعاد من يشاء وإشقاء من يشاء وجعله أئمة الهدى يهدون إلى الحق بأمره وأئمة الضلالة يهدون إلى النار، وإلهامه كل نفس فجورها وتقواها، وجعله المؤمن مؤمناً والكافر كافراً عاصياً مع قدرته التامة الشاملة وأنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتهم إلى ضال ومهتد وشقي وسعيد ومقرب وطريد وطائع وعاص ومؤمن وكافر وغير ذلك هو مقتضى حكمته وموجب ربوبيته، وحكمته حكمة حق وهي صفته القائمة به كسائر الصفات، وهي متضمن اسم «الحكيم»، وهي الغاية المحبوبة له ولأجلها خلق فسوى، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى، وخلق السموات والأرض والآخرة والأولى، فهو سبحانه الحكيم في خلقه وتكوينه الحكيم في قضاائه وقدره الحكيم في أمره ونهيه وجميع شرعه، فإن أسمائه وصفاته صفات كمال وجلال، وأفعاله كلها عدل وحكمة، والفعل لغير حكمه عبث، والعبث من صفات النقص، والله تعالى منزّه بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله عن جميع النقائص، فجميع ما خلقه وقضاه وقدره خير وحكمة من جهة إضافته إليه سبحانه وتعالى، وكذلك جميع ما شرعه وأمر به كله حكمة وعدل، وما كان من شرّ في قضاائه وقدره فمن جهة إضافته إلى فعل العبد لأنها معصية مذمومة مكروهة للرب غير محبوبة، وأما من جهة إضافته إلى الرب عز وجل فخير محض ولحكمة بالغة وعدل تام وغاية محمودة لا شر فيها البتة، ولهذا قال تعالى فيما قصه عن

الجن: ﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بَمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا﴾
 (الجن/١٠) فبنى الفعل في إرادة الشر للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى. وقال النبي
 ﷺ في دعاء الافتتاح في صلاة الليل «ليبك اللهم وسعديك، والخير كله في
 يدك، والشر ليس إليك»^(١) فنفى أن يضاف الشر إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان
 هو خالقه، لأنه ليس شراً من جهة إضافته إليه عز وجل، وإنما كان شراً من جهة
 إضافته إلى العبد. وذلك لأن الشر ليس إلا السيئات وعقوبتها، وموجب السيئات
 شر النفس وجهلها، ولهذا قال النبي ﷺ: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،
 ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»^(٢) وقال ﷺ في سيد الاستغفار الذي
 علمه أمته: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك
 ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء
 بذنبي فاغفر لي لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٣)، وقال تعالى في حكايته استغفار
 الملائكة للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ، وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر/٩) ومن وقاه الله السيئات، وأعاده منها فقد وقاه عقوباتها
 من باب الاستلزام، فإذا علم أن موجب السيئات هو الظلم والجهل وذلك من نفس
 العبد وهي أمور ذاتية لها، وأن السيئات، هي موجب العقوبة والعقوبة من الله عدل
 محض، وإنما تكون شراً في حق العبد لما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يده
 جزاء وفاقاً كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ
 كَثِيرٍ﴾ (الشورى/٣٠) وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾
 (الزخرف/٧٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ
 يَظْلِمُونَ﴾ (يونس/٤٤) فأفعال الله عز وجل كلها خير بصدورها عن علمه وحكمته
 وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته، فإذا أراد بعبده الخير أعطاه من فضله علماً

(١) مسلم (١/٥٣٥/ح ٧٧١) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) مسلم (٢/٥٩٣/ح ٨٦٧) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة وقد تقدمت.

(٣) البخاري (١١/٩٧-٩٨) في الدعوات، باب أفضل الاستغفار.

وأحمد (٤/١٢٢-١٢٥).

وعدلاً وحكمة فيصدر منه الإحسان والطاعة والبر والخير، وإذا أراد به شراً أمسكه عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها، فصدر منه موجب الجهل والظلم من كل شر وقبيح، وليس منعه لذلك ظمناً منه سبحانه فإنه فضله يؤتيه من يشاء، وليس من منع فضله ظالماً ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليق به، وأيضاً فإن هذا الفضل هو توفيقه وإرادته تعالى أن يلطف بعبده ويعينه ويوفقه ولا يخلي بينه وبين نفسه، وهذا محض فعله وفضله وهو أعلم بمن يصلح لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام/ ١٥٣) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ، وَلِئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ، وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (العنكبوت/ ١٠ - ١١) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلَ اللَّهِ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام/ ١٢٤) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ، إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام/ ١١٦) وقال تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (النحل/ ٣٧) وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ (النجم/ ٣٠) وقال تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة/ ١٠٥) وقال تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالْدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (التين/ ٧ - ٨) بلى ونحن على ذلك من الشاهدين وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدَ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (آل عمران/ ٧٣ - ٧٤) وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿النجم/٣٢﴾ وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد/٢٨ - ٢٩) اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض برحمتك نستغيث، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفه عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

(يستوجب) يستحق (الحمد على اقتضاها) الضمير للحكمة، فله الحمد على مقتضى حكمته في جميع خلقه وأمره، فجميع ما يفعله ويأمر به هو موجب ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته وله الحمد على جميع أفعاله وله الحمد على خلقه وأمره وهو المحمود على طاعة العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، وعلى خلقه الملائكة والشياطين، وعلى خلقه الرسل وأعداءهم، وهو المحمود على عدله وحكمته في أعدائه، كما هو المحمود على فضله ورحمته على أوليائه، وكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحكمته وحمده كما قال تعالى : ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء/٤٤) وقال : ﴿يَسْبِحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التغابن/١) وقال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص/٩٨)، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴿(القصص/٦٩ - ٧٠) وعلمنا النبي ﷺ في ذكر الاعتدال من الركوع : «ربنا لك الحمد ملء السموات

والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد»^(١) وفي الذكر عقب الصلوات «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»^(٢)، وفي التلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»^(٣)، وفي الدعاء المأثور: «اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله، أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله»^(٤) وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل: «اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والساعة حق والجنة حق والنار حق والنبون حق ومحمد ﷺ حق»^(٥) الحديث، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، والمقصود أن الرب عز وجل لا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا رباً وإلهاً، فله الحمد كله وله الملك كله لا شريك له في حمده كما لا شريك له في ملكه، وإن كان بعض خلقه محموداً كالرسل والعلماء فمرجع ذلك الحمد إليه، كما أن مصدره وموجبه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك، وهذا كما أنه الملك لا شريك له في ملكه ويرزق بعض عباده إذا شاء ملكاً وهو مالكة وملكه وكما أنه العليم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلم بعض عباده من علمه ما شاء. وقال في ذكر عبده يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ عَلَّمْنَاهُ﴾ (يوسف/٦٨)، وكذلك ما من

(١) مسلم: (١/٥٣٤ ح ٧٧١) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه وفي الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام.

(٢) البخاري (٢/٣٢٥) في الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، وفي الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة وفي الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال.

ومسلم (١/٤١٤ ح ٥٩٣) في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٣) البخاري (٣/٤٠٨) في الحج، باب التلبية وفي اللباس، باب التلبيد.

ومسلم (٢/٨٤١ ح ١١٨٤) في الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) عزاه صاحب الكنز للدليمي (ح ٥٠٩٧) ولم أجده عنده.

(٥) البخاري (٣/٣) في التهجد، باب التهجد بالليل وفي الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل.

ومسلم (١/٥٣٢ - ٥٣٣ ح ٧٦٩) في صلاة المسافرين، باب الدعاء من صلاة الليل.

محمود في السموات ولا في الأرض إلا وذلك الحمد راجع إلى الله عز وجل في الحقيقة، فحمد كل محمود داخل في حمده، كما أن كل مُلك داخل في ملكه، وكل شيء فمنه وله وإليه، فله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

(مسألة): فإن قيل قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفاته أنه يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين ولا يحب الظالمين ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد، فما الجواب؟ قلنا: إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كوني وشرعي، ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كقوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾، ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له﴾ وقوله تعالى: ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾. ومثال القضاء الكوني قوله تعالى: ﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ ومثال الأمر الكوني قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة وقدرته النافذة وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها. ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان والسيئات والطاعات، والمحجوب المرضي له والمكروه المبغض كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة. ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وقوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم﴾ وقوله تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾. ومثال القضاء الشرعي قوله تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ ومثال الأمر الشرعي قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ وهذه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدرى هو

المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه. ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته ولهذا قال تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فعمم الدعوة إلى جنته التي هي دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجب، وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾.

(مسألة): فإن قيل أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين؟ قلنا: بلى وقد قدمنا لك جملة وافية من الآيات والأحاديث في ذلك، ولكن قدمنا لك أيضاً أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، فحينئذ قول القائل لم كان من عباده الطائع والعاصي؟ كقول من قال لم كان من أسمائه الضار النافع والمعطي المانع والخافض الرافع والمنعم والمتنقم ونحو ذلك إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثار صفاته، فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراض على أسمائه وصفاته بل وعلى إلهيته وربوبيته، فسبحان رب العرش عما يصفون، لا يستل عما يفعل وهم يسألون.

(مسألة): واعلم أنه قد يوسوس الشيطان لبعض الناس فيقول: ما الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة الله تعالى إياها، وهل يأتي المكروه بمحجوب؟ فنقول: الحمد لله إيماناً بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، واستسلاماً لأقداره وإرادته، وتسليماً لعدله وحكمته. اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الواجب على العبد أمر أهم من ذلك البحث وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والتسليم لأقداره واليقين بعدله وحكمته والفرح بفضله ورحمته، ونحن لا نعلم من حكمة الله وسائر أسمائه وصفاته إلا ما علمناه ولا يحيط بكنه شيء منها ونهايته إلا الذي اتصف بها وهو الله الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علمنا الله تبارك

وتعالى أن السيئة لذاتها ليست محبوبة لله ولا مرضية كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ولكن يترتب عليها من محابه ومرضاته ما هو أعلم به إما في حق فاعلها من التوبة والإنابة والإذعان والاعتراف بقدرة الله عليه والخوف من عقابه ورجاء مغفرته ونفي العجب المحبط للحسنات عنه ودوام الذل والانكسار وتمحُّض الافتقار وملازمة الاستغفار وغير ذلك من الفرائض والطاعات المحبوبة للرب عز وجل التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غاية الثناء. وفي الصحيحين: «الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» أخرجه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(١). فالواجب على العبد كراهة ما يكرهه ربه وإلهه وسيده ومولاه من السيئات وعدم محبتها والنفرة منها، والاجتهاد في كف النفس عنها، وأطرها على محاب الله وأن لا يصدر عنها شيء يكرهه الله عز وجل، فإن غلبته نفسه بجهلها وشرارتها فصدر عنه شيء من ذلك المكروه فليبادر إلى دواء ذلك وليتداركه بمحابة الله عز وجل ومرضاته من التوبة والإنابة والاستغفار والأذكار وعدم الإصرار، فإن الله تعالى قد أرشد إلى ذلك وأثنى على من اتصف به، قال الله عز وجل: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذَّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ

(١) لم يخرج البخاري بطوله من حديث أنس بن مالك وإنما إلى قوله: في أرض فلاة. وحديث أنس أخرجه مسلم (٢١٠٤/٤) ح (٢٧٤٧) في التوبة، باب الحُضُّ على التوبة. وقد أخرجه البخاري بطوله من حديث الحارث بن سويد في الدعوات، باب في التوبة (١٠٢/١١).

من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴿١﴾ (آل عمران/ ١٣٣- ١٣٦) وغير ذلك من الآيات. وفي الحديث: «لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»^(١) أو كما قال. فإن ترتب على فعل السيئة من فاعلها هذه الأمور المحبوبة للرب عز وجل فذلك غاية مصلحة العبد وسعادته وفلاحه، وإن لم يقع منه ذلك فلخبث نفسه وعدم صلاحيتها للملاأ الأعلى ومجاورة المولى والله أعلم بالمهتدين، وحينئذ يترتب عليها فرائض الله عز وجل على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى الله عز وجل التي هي من وظائف الرسل عليهم السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم فرائض الله تعالى والجهاد في سبيله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وعليه يترتب لأوليائه الفتح أو الشهادة ويكفيك في فضل ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة/ ١١١- ١١٢) ولو سردنا ما في هذا الباب من الآيات والأحاديث لطال الفصل، ونحن نستغفر الله العظيم من الخوض في هذا الباب ولسنا من الراسخين في العلم، وسيأتي إن شاء الله مزيد بحث في هذا في باب الإيمان بالقدر، وهناك نذكر مراتبه ومذاهب من خالف فيه أهل السنة والجماعة إن شاء الله تعالى والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[إثبات البصر والسمع لله عز وجل]

وهو الذي يرى ديب الذرِّ في الظلمات فوق صم الصخرِ

(١) مسلم (٤/ ٢١٠٦/ ح ٢٧٤٩) في التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار.

وسامع للجهر والإخفات بسمعه الواسع للأصوات

في هذين البيتين إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات، وإثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات، وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى وهما متضمن اسميه «السميع البصير» قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء/٥٨) وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/١١) وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج/٦١) وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ﴾ (الكهف/٢٦) قال ابن جرير وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء، ثم روى عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ﴾: فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع، وقال ابن زيد: ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ﴾: يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم إنه كان سميعاً بصيراً^(١)، وقال البغوي رحمه الله تعالى: أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء^(٢). وقال تعالى لموسى وهرون عليهما السلام: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه/٤٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما^(٣). وقال تعالى لهما في موضع آخر: ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (الشورى/١٥) وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف/٨٠) وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التوبة/١٠٥) وقال

(١) ابن جرير (٢٣٢/١٥) جامع البيان.

(٢) البغوي (٥٦٢/٣) معالم التنزيل.

(٣) البغوي (١٥/٤) معالم التنزيل.

تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق/١٤) وقال تعالى : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقْلَبُ فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الشعراء/٢٢٠) وقال تعالى : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ (آل عمران/١٨١) وقال تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة/١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأُنزل الله عز وجل : ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاُ وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم^(١) ، وفي رواية له عنها رضي الله عنها أنها قالت : تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول : يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني ، اللهم إني أشكو إليك . قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية : ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ قالت : وزوجها أوس بن الصامت^(٢) . وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ وذكر خبر عائشة هذا معلقاً^(٣) . وروى عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال : «اربعوا على أنفسكم ،

(١) البخاري (٣٧٢/١٣) في التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ . ووصله النسائي في النكاح باب الظهار (١٦٨/٦) وأحمد في المسند (٤٦/٦) .
والحاكم في مستدركه (٤٨١/٢) وصححه ووافقه الذهبي وهو كذلك . ولم يروه ابن ماجه بهذا اللفظ إنما رواه باللفظ الآتي .

(٢) رواه ابن ماجه (٦٦٦/١ ح ٢٠٦٣) في الطلاق ، باب الظهار .

والحاكم في المستدرک (٤٨١/٢) وصححه ووافقه الذهبي وهو كذلك .

(٣) البخاري (٣٧٢/١٣) في التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ .

فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «يا عبدالله بن قيس، قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة»^(١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إن جبريل عليه السلام ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك»^(٢). وروى في باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت/٢٢) عن عبدالله رضي الله عنه قال اجتمع عند البيت ثقيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثيرة الشحم بطونهم قليلة الفهم قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآية^(٣). وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعاً بَصِيراً﴾ قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعه. قال ابن يونس قال المقرئ يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يعني أن الله سمعاً وبصراً: قال أبو داود رحمه الله تعالى، وهذا رد على الجهمية ا. هـ.^(٤).

قلت: يعني أبو داود رحمه الله أن الجهمية لا يثبتون لله تعالى اسماً ولا

(١) البخاري (٣٧٢/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾. ومسلم

(٢٠٧٦/٤) ح ٢٧٠٤ في الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٢) البخاري (٣٧٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

ومسلم (١٤٢٠/٣ - ١٤٢١/٤ ح ١٧٩٥) في الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٣) البخاري (٤٩٥/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ

سَمْعُكُمْ وَأَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ومسلم (٢١٤١/٤ ح ٢٧٧٥) في صفات المنافقين.

(٤) أبو داود (٢٣٣/٤ ح ٤٧٢٨) في السنة، باب في الجهمية وإسناده صحيح.

صفة مما سمى ووصف نفسه تعالى به وأثبتته له رسول الله ﷺ فلا يشتون أن الله هو السميع البصير، ولا أنه يسمع ويرى يسمع ويبصر، فراراً بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وشبهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام في دعوته أباه إلى الله عز وجل: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (مريم/٤٢) وقد أثبت الجهمية قبحهم الله حجة لعباد الأصنام وجواباً لإنكار خليل الله وجميع رسله عليهم، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودكم أيضاً لا يسمع ولا يبصر، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وقالت المعتزلة: سميع بلا سمع بصير بلا بصر واطردوا جميع أسمائه هكذا فأثبتوا أسماء ونفوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارة عن أثبات الألفاظ دون المعاني، وقولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمية مخالف كل منهما للكتاب والسنة والعقول الصحيحة والفطر السليمة. وهدى الله تعالى بفضلله أهل السنة لفهم كتابه وآمنوا بما وصف به نفسه وأقروا به كما أخبر ونفوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[العلم الإلهي]

وعلمه بما بدا وما خفى أحاط علماً بالجللي والخفي

أي ومما أثبتته الله عز وجل لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ أنه عليم بعلم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات وهو من صفاته الذاتية، وعلمه أزلي بأزليته، وكذلك جميع صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع لا تخفى عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب

والشهادة والسر والجهر والجليل والحقير لا يعُرب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٣٥) وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ (البقرة/١٩٧) وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢١٥) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُوا يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة/٢٨٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران/٥) وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابَسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾ (الأنعام/٥٩) وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة/١٨٧) وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾ (يونس/٦١) وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (هود/٥) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء/١٧٦) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (الرعد/٨ - ١٠) وقال عن نبيه شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الأعراف/٨٩) وقال تعالى عن خليله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَخْفِي وَمَا نَعْلُنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم/٣٨) وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (النحل/٢٣) وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(الإسراء/ ٥٥) وقال تعالى : ﴿وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه/ ٧)
 وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَحِطُونَ بِهِ﴾ (طه/ ١١٠)
 وقال تعالى : ﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
 (الأنبياء/ ٤) وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾
 (الأنبياء/ ١١٠) وقال تعالى : : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
 ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج/ ٧٠) وقال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور/ ٦٤) وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾
 (النمل/ ٧٤- ٧٥) وقال تعالى : ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي
 صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾
 (لقمان/ ١٦) وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
 (السجدة/ ٦) وقال تعالى : ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمًا﴾ (الأحزاب/ ٥٤) وقال تعالى : ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾
 (سبا/ ٣) وقال تعالى : ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ
 مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر/ ١١) وقال
 تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
 (فاطر/ ٣٨) وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر/ ١٩)
 وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (فصلت/ ٥٤) وقال تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
 لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد/ ٣٠) وقال تعالى : ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ
 بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
 (الحجرات/ ١٦) وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بما تعملون ﴿ (الحجرات/١٨) وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا
تُسْوِسُ بِهٖ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿ (ق/١٦) وقال تعالى :
﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴿ (ق/٤٥) وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿ (النجم/٣٠) وقال تعالى :
﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِكُمْ فَلَا
تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿ (النجم/٣٢) وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي
الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ (الحديد/٤) وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا
عَمَلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (المجادلة/٧) وقال تعالى : ﴿تُسِرُّونَ
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿ (المتحنة/١) وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ (التغابن/٤) وقال تعالى : ﴿عَالِمُ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴿ (سبا/٣) وقال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (التغابن/١٨) وقال تعالى : ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ (الطلاق/١٢) وقال تعالى : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ
اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿
(تبارك/١٣) وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ (القلم/٧) وقال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا
مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ
أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿
(الجن/٢٦ - ٢٨) وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ

وَنَصْفَهُ وَتُلْثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴿٢٠﴾ (المزمل/٢٠) الآية وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ (الأعلى/٧) وقال : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُم لِيُؤَادُّوا﴾ (النور/٦٣) وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/٣٤) وقال تعالى : ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ (آل عمران/١٦٦) وقال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فصلت/٤٧) وقال تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ بَعْلَمَ اللَّهِ﴾ (هود/١٤) وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ - إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ - إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ - إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا - إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا - إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ولو ذهبنا نسوق جميع الآيات في إثبات علم الله عز وجل لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول : «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب . اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر (ثم يسميه بعينه) خيراً لي في عاجل أمري وآجله - أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فأصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»^(١) وفيهما من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار «فيسألهم وهو أعلم بهم»^(٢) وفيهما من دعاء الكرب «لا إله إلا الله العليم

(١) تقدم ذكره .

(٢) البخاري (٣٣/٢) في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر .

الحليم»^(١) وفيهما من حديث الذي أوصى أن يحرق ويذري ثم قال: «لم فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم»^(٢) وفيهما من حديث قصة موسى والخضر «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله» وفي رواية «إليه» وفيه قول الخضر عليه السلام: «يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه» إلى أن قال: «فركبا في السفينة قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره» وفي رواية: «إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»^(٣). وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(٤) وفيهما من حديث أبي موسى الأشعري «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني»^(٥) إلى غير ذلك من

= ومسلم (١/٤٣٩/ح ٦٣٢) في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. (١) تقدم ذكره.

(٢) البخاري (٦/٥١٤-٥١٥) في أحاديث الأنبياء، باب ٥٤. (من أحاديث بني إسرائيل).

ومسلم (٤/٢١٠٩-٢١١٠/ح ٢٧٥٦) في التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

(٣) البخاري (١/٢١٧-٢١٨) في العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله. وفي تفسير سورة الكهف، باب «وإذا قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين» وباب «فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما».

ومسلم (٤/١٨٤٧/ح ٢٣٨٠) في الفضائل، باب فضل الخضر عليه السلام.

(٤) رواه البخاري فقط دون مسلم.

البخاري (٨/٥١٥-٥١٦) في تفسير سورة لقمان، باب قوله: إن الله عنده علم الساعة. وفي الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، وفي تفسير سورة الأنعام، باب وعنده مفاتيح الغيب وفي تفسير سورة الرعد، باب «الله يعلم ما تحمل كل أنثى» وفي التوحيد، باب قول الله تعالى «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً». وأحمد (٢/٢٤، ٥٢، ٥٨، ١٢٢).

(٥) البخاري (١١/١٩٦-١٩٧) في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت.

الأحاديث. وكما أخبر الله تعالى عن علمه بما كان وما سيكون كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات والمستحيلات لو كان كيف يكون فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملكٌ ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون، ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ (الأنعام/٩) وقال تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أَعْجَمِي وَعَرَبِي﴾ (فصلت/٤٤) الآية، وقال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، قل إنما الآيات عند الله وما يُشعِرُكُمْ أنها إذا جاءت لا يؤمنون، وَنَقُلُّبُ أَفْتَدَتْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأنعام/١٠٩-١١٠) وقال تعالى: ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ (الشعراء/١٩٨-١٩٩) إلى غير ذلك. وقال تعالى في المستحيلات لو قدر إمكانها: ﴿لو كان فيها آلهةٌ إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربَّ العرشِ عما يصفون﴾ (الأنبياء/٢٢) وقال تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كلُّ إلهٍ بما خلق ولعلنا بعضهم على بعضٍ سبحانه الله عما يصفون، عالمُ الغيبِ والشهادة فتعالى عما يشركون﴾ (المؤمنون/٩١) وقال تعالى: ﴿قل لو كان فيهما آلهةٌ كما يقولون إذاً لا ابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾ (الإسراء/٤٢-٤٣) إلى غير ذلك. وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله علم أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى الموصوف، فأنكروا أن يكون أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيء علماً، وحاربوا نصوص الكتاب والسنة وجميع سلف الأمة، فليس معبودهم هو العليم الخبير الذي هو بكل شيء عليم، وإنما يعبدون العدم المحض الذي لا حقيقة له ولا وجود، فليصفوه بما شاءوا فبعداً للقوم الظالمين.

= ومسلم (٢٠٨٧/٤) ح (٢٧١٩) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

وهو الغني بذاته سبحانه جل ثناؤه تعالى شأنه
وكل شيء رزقه عليه وكلنا مفتقر إليه

(وهو الغني بذاته) فله الغنى المطلق فلا يحتاج إلى شيء (سبحانه) وبحمده تنزيهاً له وتحميداً (جل ثناؤه تعالى شأنه) تعظيماً له وتمجيذاً (وكل شيء رزقه عليه) لا رازق له سواه ولا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله (وكلنا) معشر المخلوقات (مفتقر إليه) لا غنى لنا عنه طرفة عين، فكما أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها فلا وجود لها إلا به فهي مفتقرة إليه في قيامها فلا قوام لها إلا به فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فللخالق مطلق الغنى وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله وكماله، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (فاطر/ ١٥- ١٧) وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ (التغابن/ ٥- ٦) وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحج/ ٦٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ تَخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ﴾ (الأنعام/ ١٤) وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات/ ٥٦- ٥٨) وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (النساء/ ١٣١) وقال تعالى رداً على اليهود: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ (آل عمران/ ١٨٠) وقال رداً عليهم أيضاً:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ
يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة/ ٦٤) وقال تعالى رداً على المنافقين: ﴿هُمُ الَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون/ ٧) وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ
تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾
(الإسراء/ ١٠٠). والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، يخبر تعالى بكمال غناه عن
خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاع ولا ينقصه معصية من عصى، وأنه لم
يخلق الخلق لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلقهم ولو شاء لذهب بهم وجاء
بغيرهم ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من الأنفاس، وهم
يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قدرة
لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال
لما يريد.

وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله محمد ﷺ: «يا عبادي إني حرمت الظلم
على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته
فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم،
يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون
بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن
تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم
وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في
ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب
رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد فسالوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص
ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، ولو أن أولكم وآخركم
وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد
ذلك في ملكي جناح بعوضة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم

أوفيكُم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»
 رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه^(١). وفي رواية الترمذي
 «يقول الله عز وجل: يا عبادي كلّم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهديكم .
 وكلّم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم . وكلّم مذنب إلا من عافيت، فمن
 علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفروني غفرت له ولا أبالي . ولو أن
 أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد
 من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة . ولو أن أولكم وآخركم وجنكم
 وإنسكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل
 إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من
 ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بآني
 جواد واجد ماجد أفعل ما أريد، عطائي كلام وعذاي كلام، إنما أمري لشيء إذا
 أردته أن أقول له كن فيكون»^(٢) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
 النبي ﷺ قال: «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، أفرأيت ما
 أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغيض ما في يمينه»^(٣) وروى أبو
 داود بإسناد جيد من حديث عائشة، رضي الله عنها في الاستسقاء وفيه قول
 رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، لا إله
 إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء
 أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغاً إلى حين»^(٤). وفي بعض

-
- (١) مسلم (٤/١٩٩٤ - ١٩٩٥/ح ٢٥٧٧) في البر والصلة، باب تحريم الظلم.
 (٢) الترمذي (٤/٦٥٦/ح ٢٤٩٥) في صفة القيامة، باب رقم ٤٨. وفي سنده شهر بن حوشب
 وليث بن أبي سليم وهو ضعيف.
 (٣) البخاري (٨/٣٥٢) في تفسير سورة هود، باب قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ وفي النفقات في
 فاتحته، وفي التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.
 ومسلم (٢/٦٩٠ - ٦٩١/ح ٩٩٣) في الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلق.
 ولفظ مسلم «يمين الله».
 (٤) أبو داود (١/٣٠٤/ح ١١٧٣) في الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء وقال: هذا حديث
 غريب إسناد جيد.

الإسرائيليات يقول الله عز وجل: «يؤمل غيري للشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم، ويرجى غيري ويطرق بابه بالبكرات وييدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني. من ذا الذي أملني لثأبة فقطعت به، أو من ذا الذي رجاني لعظم فقطعت به، أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له، أنا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني، أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي فما يمنع المؤمنين أن يؤملوني، لو جمعت أهل السموات والأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع وبلغت كل واحد منهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة. كيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بؤساً للقائطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني وتوثب على محارمي. انتهى. وجاء في بعض ألفاظ حديث النزول: «من يقرض غير عديم ولا ظلوم»^(١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً لو أردنا استقصاءها لطلال الفصل وفيما ذكرنا كفاية، فسبحان من وسع خلقه بغناه، واقتصر كل شيء إليه وهو الغني عما سواه ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ (لقمان/١٢).

[كلام الله عز وجل]

كلم موسى عبده تكليماً ولم يزل بخلقه عليماً

أي ومما أثبتته ربنا عز وجل لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى بن عمران بدون واسطة رسول بينه وبينه بل أسمعته كلامه الذي هو صفته اللاتئة بذاته كما شاء وعلى ما أراد، قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ (البقرة/٢٥٣) وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء/١٦٤) فأكدته بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني﴾

(١) مسلم (٥٢٢/١ ح ٧٥٨) في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه رقم (١٧١).

ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخَرَّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبتُّ إليك وأنا أول المؤمنين. قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ﴿(الأعراف/ ١٤٣- ١٤٥)﴾ وقال تعالى في سورة مريم: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً. وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً. ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ (مريم/ ٥١- ٥٣) وقال تعالى في سورة طه: ﴿وهل أتاك حديث موسى. إذ رأى ناراً فقال لأهله امْكثُوا إِنِّي آنستُ ناراً لعلي آتيتكم منها بقَبَسٍ أو أجِدُ على النار هدىً. فلما أتاهانودي يا موسى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فاخلع نعليك إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طوى. وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى. إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فلا يصدنك عنها من لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى. وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى - الى قوله - ألقها يا موسى - إلى قوله - قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ (طه/ ٩- ٢١) إلى آخر الآيات. وقال في سورة الشعراء: ﴿وإذ نادى ربُّك موسى أَنِ اتَّبِعِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء/ ١٠- ١١) الآيات. وقال تعالى في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ ناراً سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أو آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مَّكْبُورٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فلما جاءها نودي أَن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين. يا موسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وألق عصاك، فلما رآها تهتز كأنها جانٌ وَلَّى مَدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ، يا موسى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. وأدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ (النمل/ ٧- ١٢) الآيات. وقال تعالى في سورة القصص: ﴿فلما قضى موسى الأجلَ وسارَ بأهله آنسَ من جانبِ الطورِ ناراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكثُوا إِنِّي آنستُ

ناراً لعلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فلما أَنَاها نودِي من شاطئ الوادِ الأيمنِ في البقعة المباركة من الشجرة أَن يا موسى إِنِّي أَنَا الله ربُّ العالمين . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يا موسى أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنين . وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقين ﴿ (القصاص/ ٢٩ - ٣٢) الآيات . والقرآن ممتلىء بذلك .

وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما وفيه قول آدم لموسى : «أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه»^(١) الحديث . وفيهما من حديث الشفاعة قول إبراهيم عليه السلام : «ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله»^(٢) وفي رواية : «ولكن اتنوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليماً»^(٣) وفي رواية : «ولكن اتنوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجياً»^(٤) . فقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليماً . وأخبرنا تعالى بما كلمه به ، وبالموضع الذي كلمه فيه ، وبالميقات الذي كلمه فيه . وأخبر عنه رسوله محمد ﷺ بذلك في أصح الروايات ، فأى كلام أفصح من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، وأي بيان أوضح من بيان الله ورسوله ، وبأي برهان يقنع من لم يقنع بذلك : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (البجائية/ ٦) وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء ، أسمعته موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد ، وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ

(١) سيأتي بتمامه .

(٢) سيأتي بتمامه وقد تقدم بعضه .

(٣) سيأتي بتمامه وقد تقدم بعضه .

(٤) سيأتي بتمامه وقد تقدم بعضه .

يقول: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنُهَاكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف/ ٢٢) وأن الملائكة تسمع كلام الله بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سبا/ ٢٣) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»^(١) الحديث وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جَبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ، فَيَحْبِبُهُ جَبْرِيلُ. ثُمَّ يَنَادِي جَبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبُوهُ، فَيَحْبِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(٢) وثبت بالكتاب والسنة كلامه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ، قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة/ ١٠٩) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (النحل/ ٨٣) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (النحل/ ٨٥) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (القصص/ ٦٢) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/ ٦٥) وأنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال

(١) البخاري (٤٥٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

ولم يروه مسلم في صحيحه كما ذكر المصنف.

(٢) البخاري (٤٦٠/١٣) في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة وفي الأدب، باب المحبة في الله تعالى.

ومسلم (٢٠٣٠/٤ ح ٢٦٣٧) في البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده.

تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ وأنه يقول لأهل النار: ﴿اٰخْسَآؤْا فِىْهَا وَلَا تَكْلُمُوْنَ﴾ (المؤمنون/١٠٨) والقرآن ممتلىء بذلك.

وفي الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»^(١) الحديث. وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار»^(٢) وفيه تعليقاً عن جابر عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعدكما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»^(٣) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٤) وفيه عنه رضي الله عنه قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا أنا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»^(٥) وفيه من حديث الشفاعة: «يقول الله عز

-
- (١) البخاري (٤٧٤/١٣) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل.
ومسلم (٧٠٣/٢ - ٧٠٤/٢) ح ١٠١٦ في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر.
- (٢) البخاري (٤٥٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله: «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له».
ومسلم (٢٠١/١ - ٢٠٢/٢) ح ٢٢٢ في الإيمان، باب قوله: «يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».
- (٣) البخاري تعليقاً (٤٥٣/١٣)، في التوحيد، باب «ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له». ووصله البخاري في خلق أفعال العباد (ح ٤٦٣) وفي الأدب المفرد (ح ٩٧٠).
وهو عند أحمد في مسنده (٤٩٥/٣) وأخرجه الحاكم (٤٣٧/٢ - ٤٣٨/٢) و٥٧٤/٤ - ٥٧٥) وصححه ووافقه الذهبي. والبيهقي في الأسماء (ص ٧٨).
- وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل قال عنه الحافظ: صدوق في حديثه لين. وجزم ابن حجر أن إسناده صالح في فتح الباري (١٧٤/١) وقال: وله طريق آخر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وتمام في فوائده... وإسناده صالح.
- (٤) البخاري (٥١٥ - ٥١٦) في تفسير سورة السجدة، باب «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين». ومسلم (٢١٧٤/٤) ح ٢٨٢٤ في الجنة وصفة نعيمها.
- (٥) البخاري (٢٤١/١١ - ٢٤٢) في الرقاق، باب العمل الذي يتغنى به وجه الله.

وجل: من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فأخرجوه»^(١) الحديث، وفيه من حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «فيقول الله تعالى: إذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»^(٢) وفيه من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»^(٣) وقوله عز وجل للمؤمنين «أنا ربكم»، وفيه في باب كلام الرب عز وجل مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٤) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: «أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(٥) وفيهما

(١) تقدم وسيأتي بتمامه.

(٢) البخاري (٤١٨/١١) في الرقاق، باب في صفة الجنة والنار، وفي التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

ومسلم (١٧٣/١ ح ١٨٦) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٤١٩/١٣ - ٤٢٠) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.

ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٧ ح ١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٤١٥/١١) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار وفي التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة (٤٨٧/١٣).

ومسلم (٢١٧٦/٤ ح ٢٨٢٩) في صفة الجنة ونعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(٥) البخاري تعليقاً (٤٩٩/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ من حديث أبي هريرة.

ورواه أحمد (٥٤٠/٢) وابن ماجه (١٢٤٦/٢ ح ٣٧٩٢) في الأدب، باب فضل الذكر والبغوي في شرح السنة (١٣/٥ ح ١٢٤٢).

كلهم من طريق الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن أبي هريرة مرفوعاً.

ورواه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٣٦ ح) وابن حبان (موارد ٢٣١٦). من طريق الأوزاعي عن =

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقول الله عز وجل: «إذا أراد عبيدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها»^(١) الحديث. وفيهما من حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال مه؟ قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»^(٢) الحديث. وفيه من حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: إذا أحب عبيدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه»^(٣). وفيه من حديثه أنت رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا عند ظن عبيدي بي»^(٤) وفيه من حديثه أيضاً في قصة المذنب المستغفر الحديث وفيه: «فقال ربه: أعلم عبيدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي»^(٥) وذكر الحديث وفيه من

= إسماعيل عن كريمة بنت الحساس عن أبي هريرة مرفوعاً. وكريمة مجهولة. وسماع إسماعيل من كريمة وإم الدرداء الصغرى ثابت وقد حدّث أبو هريرة هذا الحديث كريمة في بيت أم الدرداء كما روى الإمام أحمد: قالت كريمة: ثنا أبو هريرة ونحن في بيت هذه (يعني أم الدرداء) - وذكره (٢/ ٥٤٠). وهي من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل به وهي كذلك عند ابن حبان (موارد ص ٥٧٦). ومما يقوي رواية عبد الرحمن هذه موافقة ربيعة بن يزيد الدمشقي له. فيما رواه البيهقي في الدعوات (تغليق التعليق ٣٦٣/٥ - ٣٦٤). قال الحافظ: ويحتمل مع ذلك أن تكون أم الدرداء حدثت به إسماعيل أيضاً كما حدثت به كريمة فلا يكون هناك وهم والأول أقعد بطريقة المحدثين (التغليق ٣٦٣/٥). ورواه الحاكم من طريق بشر بن بكر عن الأوزاعي عن إسماعيل عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً (٤٩٦/١).

- قال المزني في تحفة الأشراف (١٠٩/١١): وليس بمحفوظ.
- (١) البخاري (٤٦٥/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾. ومسلم (١/ ١١٧/١ ح ١٢٨) في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب.
 - (٢) البخاري (٥٧٩/٨ - ٥٨٠) في التفسير، باب «تقطعوا أرحامكم». ومسلم (٤/ ١٩٨٠ - ١٩٨١ ح ٢٥٥٤) في البر والصلة، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها.
 - (٣) البخاري (٤٦٥/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾. مسلم (٤/ ٢٠٦٦ ح ٢٦٨٥) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله حب الله لقاءه.
 - (٤) تقدم ذكره.
 - (٥) البخاري (٤٦٦/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾. ومسلم (٤/ ٢١١٢ ح ٢٧٥٨) في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة.

حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: مطر النبي ﷺ فقال: «قال الله عز وجل: أصبح من عبادي كافري بي ومؤمن بي»^(١). وفيه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في ذكر طي الله تعالى السموات والأرض، وفيه: «ثم يهزمن ثم يقول: «أنا الملك، أنا الملك»^(٢) الحديث. وفيه من حديث عبدالله عن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سألَهُ كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقول تعالى أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، ويقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»^(٣) وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى لأهل النار عذاباً لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك - أحسبه قال ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك»^(٤). وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالاً قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول لا، فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني» رواه مسلم والترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب، ومعنى قوله: «اليوم أنساك كما نسيتني» اليوم أتركك في العذاب ا.هـ. (٥).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في قصة الأفك قالت: ولكن

(١) البخاري (٣٣٣/٢) في الآذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم وفي التوحيد باب يريدون أن يبدلوا كلام الله.

ومسلم (٨٣/١) ح (٧١) في الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا.

(٢) تقدم ذكره.

(٣) البخاري (٤٧٥/١٣) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

ومسلم (٢١٢٠/٤) ح (٢٧٦٨) في التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٤) تقدم ذكره.

(٥) مسلم (٢٢٧٩/٤) ح (٢٩٦٨) في الزهد والرقائق، والترمذي (٦١٩/٤) ح (٢٤٢٨) في صفة

القيامة باب ما جاء في العرض.

والله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي. وحيأ يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يرثني الله بها، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكَ﴾ العشر الآيات^(١). ولو ذهبنا ننقل الأحاديث في قال الله ويقول ويتكلم وينادي ونحو ذلك لطال الفصل ، وفيما ذكرنا كفاية .

وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وإرادته ، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى : ﴿وَالله يَقُولُ الْحَقُّ﴾ وقال : ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ وقال : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك ، وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه قريباً ، وكلامه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته والصفة تابعة لموصوفها ، فصفات البارئ تبارك وتعالى قائمة به أزلية بأزليته باقية ببقائه لم يزل متصفاً بها ولا يزال كذلك لم تجدد له صفة لم يكن متصفاً بها ، ولا تنفد صفة كان متصفاً بها ، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

كلامه جل عن الإحصاء والحصر والنفاد والفاء
لو صار أقلاماً جميع الشجر والبحر تلقى فيه سبعة أبحر
والخلق تكتبه بكل آن فنت وليس القول منه فان

قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ (الكهف/١٠٩) وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان/٢٧) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول الله تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنی وصفاته العلی

(١) البخاري (٢٦٩/٥ - ٢٧٢) في الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً .
ومسلم (٢١٢٩/٤ - ٢١٣٦/ح) (٢٧٧٠) في التوبة ، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(١) فقال تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً وجعل البحر مداداً وأمه سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله تعالى الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مدداً، وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ فليس المراد بقوله ﴿بمثله﴾ آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلم جراً لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته، قال الحسن البصري: لو جعل شجر الأرض أقلاماً وجعل البحر مداداً، وقال الله تعالى: إن من أمري كذا ومن أمري كذا، لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام. وقال قتادة: قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ أي لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر ما كانت لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه، وقال الربيع بن أنس رحمه الله: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية يقول: لو كان البحر مداداً لكلمات الله والأشجار كلها أقلاماً لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحداً لا يستطيع أن يقدره قدره ولا يشني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يشني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول. قال وقد روى أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود، قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: حدثني محمد بن

(١) مسلم (١/٣٥٢/ح ٤٨٦) في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود من حديث عائشة رضي الله عنها.

أبي محمد عن سعيد بن جبير - أو عكرمة - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد أرأيت قولك ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: كلاهما. قالوا ألسنت تملو فيما جاءنا أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم»^(١) وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية. وهكذا روي عن عكرمة وعطاء بن يسار^(٢)، وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية والله أعلم. وقوله: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف لأمره ولا معقب لحكمه، حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤونه انتهى^(٣). وعن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال الذي فارقتك عليها؟» قالت نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» رواه مسلم والأربعة^(٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: «أما لو قلت حين أمسيت

(١) سنده ضعيف محمد بن أبي محمد مجهول لم يرو عنه سوى ابن إسحق رحمه الله قال الذهبي لا يعرف (التهذيب ٣٨٤/٩).

ومن طريق ابن إسحق عن رجل من أهل مكة عن سعيد عنه به رواه ابن جرير الطبري (٨١/٢١) وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم (الدر المنثور ٥٢٦/٦ - ٥٢٧).

(٢) رواهما ابن جرير (٨١/٢١ - ٨٢) وهما مرسلان وفي حديث عطاء مجهول وهو الذي تقدم. (٣) ابن كثير (تفسيره ٤٦٠/٣ - ٤٦١).

(٤) مسلم (٢٠٩٠/٤ ح/٢٧٢٦) في الذكر والدعاء، باب التسييح أول النهار وعند النوم. والترمذي (٥٥٦/٥ ح/٣٥٥٥) في الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ.

وأبو داود (٨١/١٢ ح/١٥٠٣) في الوتر، باب التسييح بالحصى.

والنسائي (٧٧/٣) في السهو، باب نوع آخر من عدد التسييح وفي عمل اليوم والليلة (ح/١٦٢).

وابن ماجه (١٢٥١/٢ ح/٣٨٠٨) في الأدب، باب فضل التسييح.

وأحمد ٢٥٨/١ و٣٥٣ و٣٢٥/٦ و٤٣٠. وابن حبان (الإحسان ٩٩/٢).

أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر»^(١) والأحاديث في الباب كثيرة، والمقصود أن كلمات الله باقية لا تنفد أبداً تامة لا تنقص أبداً، وذلك لأن كلامه صفته وليس من صفاته شيء ينفد، ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلاماً والبحار وأضعافها مداداً يكتب بها كلماته لنفدت كلها وكلماته باقية لا تنفد، وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة والمخلوقات من لازمها النفاذ والفناء، وكلمات الله صفته وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه وصفاته أزلاً وأبداً ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ (القصص/٨٨).

[كلام الله الذي في كتابه عين كلامه ليس بمخلوق]

والقول في كتابه المفضل بأنه كلامه المنزل
على الرسول المصطفى خير الوري ليس بمخلوق ولا بمفتري

(والقول) الذي نعتقده وندين الله به (في) شأن (كتاب المفضل) بسكون اللام للروي وهو القرآن وصفة الله تعالى بذلك فقال: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود/١) وقال تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً﴾ (فصلت/٣) وقال تعالى: ﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي نزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾ (الأنعام/١١٤) وغير ذلك من الآيات (بأنه كلامه) حقيقة حروفه ومعانيه ليس كلامه الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف قال الله

(١) لم يرو بهذا اللفظ في الصحيح والسنن والذي في مسلم والسنن: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

مسلم (٤/٢٠٨١ ح/٢٧٠٩) في الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره وأبو داود (٤/١٣ ح/٣٨٩٩) في الطب، باب كيف الرقي.
والنسائي في عمل اليوم والليلة (ح/٥٨٥) ومالك في الموطأ (٢/٩٥١) في الشعر، باب ما يؤمر به من التعوذ.

وقريباً منه رواه أحمد في مسنده بقوله: «التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر» في حديث طلب الجنّي رسول الله ﷺ ليلة أسري به (المسند ٢/٤١٩) وسنده حسن.

تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة/٦) وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لَتَأْخُذْهُمَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (الفتح/١٥) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه» يعني القرآن. رواه أبو داود والحاكم وصححه^(١). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب^(٢). وروى ابن خزيمة عن نيار بن مكرم

(١) صحيح رواه أبو داود في المراسيل (١٠٣/٣).
والترمذي (١٧٧/٥ ح/٢٩١٢) في فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر. وأحمد في الزهد (ص ٣٥) في زهد يونس عليه السلام.

كلهم من حديث عبدالرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرقط عن جبير بن نفير مرفوعاً. وهو مرسل فجبير بن نفير تابعي ثقة. وروي موصولاً من طريق ابن مهدي هذه عند الحاكم (٥٥٥/١) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٣٦) من حديث أبي ذر. وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وأخرجه الحاكم من طريق عبدالله بن صالح عن معاوية عنه به ولكن من حديث عقبة بن عامر (٤٤١/٢) وعبدالله بن صالح كثير الغلط.

وللحديث شاهد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وفيه: وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه.

أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٨/٥) والترمذي (١٧٦/٥ ح/٢٩١١) وعبدالله والخطيب (٨٨/٧) و٢٢٠/١٢ تاريخه).

وفي سنده بكر بن خنيس: صدوق له أغلاط وليث بن أبي سليم صدوق اختلط فلم يتميز حديثه فترك.

(٢) الترمذي (١٨٤/٥ ح/٢٩٢٦) في فضائل القرآن باب ٢٥.

وعبدالله في السنة (ح ١٢٨) والدارمي في الرد على الجهمية (ح ٢٨٥) وابن أبي حاتم في العلل (٨٢/٢) وابن حبان في الضعفاء (٢٧٧/٢) والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٠١ - ١٠٢) وفي الأسماء والصفات (ص ٢٣٨).

وسنده ضعيف ففيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني وهو ضعيف وعطية العوفي وهو يخطيء كثيراً ويرسل وقد عنعن.

الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون﴾ إلى آخر الآيتين خرج رسول الله ﷺ فجعل يقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون﴾. في بضع سنين ﴿(الروم/ ١- ٢)﴾ فقال رؤساء مشركي مكة: يا ابن أبي قحافة، هذا مما أتى به صاحبك؟ قال: لا والله، لكنه كلام الله وقوله، وذكر الحديث^(١). وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقبل المصحف ويقول: كلام ربي، كلام ربي^(٢). وعن عمر رضي الله عنه قال: إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه^(٣). وقال خباب صاحب رسول الله ﷺ: تقرب إلى الله بما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه^(٤). وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: القرآن كلام الله، فمن رد منه شيئاً فإنما يرد على الله^(٥). وعنه رضي الله عنه قال: إن أحسن الكلام كلام الله^(٦). ويروي ذلك عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ وهو صحيح في الصحيح^(٧). وقال

(١) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٦٦).

وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ح ٩٢) وعبدالله في السنة (ح ١١٦) والبيهقي في الاعتقاد (ص ٣٧) وفي الأسماء والصفات (ص ٢٣٩) وابن الأثير في أسد الغابة (٥٩٨/٤). قال ابن حجر: رجاله ثقات (الإصابة ٥٧٩/٣).

(٢) رواه عبدالله في السنة (ح ١١٠) ورجال ثقات.

(٣) أخرجه عبدالله في السنة (ح ١١٨) والأجري في الشريعة (ص ٧٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣١٢) وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥١٠/١٠) وعبدالله في السنة (ح ٩٦، ١١١) والأجري في الشريعة (ص ٧٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣١١) وقال هذا إسناد صحيح قلت: وهو كذلك.

(٥) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ح ٣٦٠) وعبدالله في السنة (ح ١١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٤١) وفي سنده مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني وهو ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره.

(٦) أخرجه عبدالله في السنة (ح ١٢١) والبيهقي عنه في الأسماء والصفات (ص ٢٤١) وسنده صحيح. ورواه البخاري في صحيحه بلفظ: «إن أحسن الحديث كتاب الله» في الأدب باب الهدى الصالح (٥٠٩/١٠).

(٧) تقدم ذكر خطبته ﷺ.

عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما أحب أن يأتي علي يوم ليلة ولا أنظر في كلام الله^(١). يعني القراءة في المصحف. وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله^(٢). فهذا النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى : ﴿أَلَمْ، أَلَمْص، أَلْر، أَلْمَر، كَهْنِعِص، طه، طُس، طِسم، حُم عسق﴾ وليس كلام الله المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني، بل حروفه ومعانيه عين كلام الله.

(المنزل) من عند الله عز وجل (على الرسول المصطفى خير الوري) محمد ﷺ قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة/١٣٦) وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران/٧) وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء/١٠٥) وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (النساء/٦٠) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ،

(١) أخرجه عبد الله في السنة (ح ١٢٢) من حديث أبي معمر قال حدثنا سفيان قال : قال عثمان. وإسناده منقطع. ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣١٣) من طريق سفيان عن الحسن عن عثمان والحسن لم يسمع من عثمان.

(٢) أخرجه عبد الله في السنة (ح ١٢٥) وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن كهيل أبو إسحق الكوفي وهو ضعيف.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿النساء/١٣٦﴾ وقال تعالى : ﴿أَمِنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة/٢٨٥) وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/٩٧) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْطَحِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ (النساء/٤٧) الآية وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ (آل عمران/١٩٩) الآية وقال تعالى : ﴿لَكِنَّ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (النساء/١٦٢) وقال تعالى : ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أُنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء/١٦٦) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (النساء/١٧٤) وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (البقرة/٢٣١) وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨) . وقال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (المائدة/٥٩) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة/٦٧) وقال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الأنعام/٩٢) وقال تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ أَبْتَغِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (الأنعام/١١٤) وقال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام/١٥٥) وقال تعالى : ﴿الْمَصْ كِتَابٌ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . إِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا

ما تذكرون ﴿ (الأعراف/ ١- ٢) وقال تعالى : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
 عبدنا فاتوا بسورة من مثله﴾ (البقرة/ ٢٣) وقال تعالى : ﴿وإذا أنزلت سورة أن
 آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم﴾ (التوبة/ ٨٦) وقال
 تعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين
 آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ (التوبة/ ١٢٤) وقال تعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر
 بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا﴾ (التوبة/ ١٢٧) وقال تعالى :
 ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ (هود/ ١٤) وقال تعالى : ﴿الر
 كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط
 العزيز الحميد﴾ (إبراهيم/ ١) وقال تعالى : ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين، إنا
 أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (يوسف/ ٢) وقال تعالى : ﴿الر تلك آيات
 الكتاب والذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ (الرعد/ ١) وقال تعالى : ﴿وكذلك
 أنزلناه حكماً عربياً﴾ (الرعد/ ٣٧) وقال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
 لحافظون﴾ (الحجر/ ٩) وقال تعالى : ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من
 يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ (النحل/ ٢) وقال تعالى :
 ﴿وأنزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء﴾ (النحل/ ٨٩) وقال تعالى : ﴿وما أنزلنا
 عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ (النحل/ ٦٤) وقال تعالى :
 ﴿وأنزلنا عليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ (النحل/ ٤٤) وقال تعالى :
 ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا
 يعلمون. قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى
 وبشرى للمؤمنين﴾ (النحل/ ١٠- ١٢) وقال تعالى : ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل
 وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً. وقرآنأ فرقناه لتقرأه على الناس على مكث
 ونزلناه تنزيلاً﴾ (الإسراء/ ١٠٥) وقال تعالى : ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده
 الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قوما﴾ (الكهف/ ١) وقال تعالى : ﴿لقد أنزلنا إليك

كتاباً فيه ذُكِرْكُمْ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿الأنبياء/ ١٠﴾ وقال تعالى : ﴿وهذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ
 أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (الأنبياء/ ٥٠) وقال تعالى : ﴿وكذلك أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
 وَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُ﴾ (الحج/ ١٦) وقال تعالى : ﴿وكذلك أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ (طه/ ١١٣) وقال تعالى : ﴿ولقد أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
 وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَهَدَىٰ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (النور/ ٣٤) وقال تعالى :
 ﴿لقد أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
 (النور/ ٤٦) وقال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
 نَذِيرًا﴾ (الفرقان/ ١) وقال تعالى : ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان/ ٦) وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
 مُبِينٍ﴾ (الشعراء/ ١٩٢) الآيات وقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
 عَلِيمٍ﴾ (النمل/ ٦) وقال تعالى : ﴿طُسم، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، نَتْلُو عَلَيْكَ
 مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص/ ١-٣) وقال تعالى : ﴿وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ (لقمان/ ٢١) وقال
 تعالى : ﴿أَلَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ بَلْ
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (السجدة/ ١) وقال تعالى : ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾
 (الأحزاب/ ٢) وقال تعالى : ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
 هُوَ الْحَقُّ﴾ (سبا/ ٦) وقال تعالى : ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (يس/ ٥) وقال تعالى :
 ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (البجائية/ ٢) ، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ﴾ (النساء/ ١٠٥) وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾
 (الزمر/ ٤١) وقال تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الزمر/ ٥٥)
 وقال تعالى : ﴿حَم، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (غافر/ ١-٢) وقال
 تعالى : ﴿حَم، تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ﴾ (فصلت/ ١-٢) وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ

لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ﴿فصلت/ ٤١- ٤٢﴾ وقال تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ (الأنعام/ ١٥٥) وقال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولوا الألباب﴾ (ص/ ٢٩) وقال تعالى: ﴿حم، والكتاب المبين، إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ (الدخان/ ١- ٣) وقال تعالى: ﴿حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ (الزمر/ ١- ٢) وقال تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾ (الواقعة/ ٧٥- ٨٠) وقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد/ ٢٥) وقال تعالى: ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ (الحديد/ ٩) وقال تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ (التغابن/ ٨) وقال تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون. وما هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ (القلم/ ٥١- ٥٢) وقال تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون. إنه لقولٌ رسول كريم وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين﴾ (الحاقة/ ٣٨- ٤٣) وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يعني به محمداً ﷺ، وفي سورة التكويد يعني به جبريل. ومعنى الإضافة في كلا الآيتين إنما هو التبليغ لأن من حق الرسول أن يبلغ عن المرسل. لا أن القرآن كلام الرسول الملكي ولا البشري كما بين تعالى ذلك بقوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ وقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (القدر/ ١) وقال تعالى: ﴿الرحمن علّم القرآن﴾ (الرحمن/ ١- ٢) وقال تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ (يوسف/ ٣) وقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ (الشورى/ ٥٢). والآيات في هذا الباب كثيرة جداً بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يشهد بأنه كلام الله وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه، وإيجازه وإعجازه يرشد إلى أنه كلام الخالق عز وجل وصفته،

وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله، وقد أقر بذلك كل عاقل حتى المشركون كما قال أكفر قريش الوليد بن المغيرة لما قرأ عليه رسول الله ﷺ القرآن، فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يآثره عن غيره، فنزلت: ﴿فذرني ومن خلقت وحيداً، وجعلتُ له مآلاً ممدوداً، وبنيين شهوداً﴾ (المدر/ ١١- ١٢) الآيات رواه البيهقي وغيره^(١). ويروى عن عتبة حين قرأ عليه رسول الله ﷺ حم السجدة نحو ذلك^(٢). وكذا أبو جهل قبهم الله. فتبين بهذا أن قولهم فيه: سحر، شعر، كهانة، وغير ذلك من مفترياتهم إنما قالوه عناداً ومكابرة، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخل تحت طوق أحد من البشر.

ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذي أنزله بعلمه وشهد به، ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة، ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله عز وجل وتنزيله، وأنه تكلم به قولاً وأنزله على رسوله وحياً. ولا نقول إنه حكاية عن كلام الله عز وجل أو عبارة بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين، على محمد خاتم المرسلين،

(١) أخرجه الحاكم (٥٠٦/٢) وقال حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وهو كما قال.

ورواه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٨/٢ - ١٩٩) من طريق الحاكم عنه به.

(٢) رواه عبد بن حميد في مسنده (البداية والنهاية ٦٢/٣).

من طريق علي بن مسهر عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر به وعلي بن مسهر: ثقة له غرائب بعد أن أضر.

والذيال بن حرملة: لم يوثقه إلا ابن حبان (الثقات ٢٢٢/٤). ومن طريق الأجلح عنه به رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٢/٢).

وكل منهما مبلغ عن الله عز وجل. والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة/٦٧) وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (التغابن/١٢) وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (النور/٥٤) وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (الشورى/٤٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ (الجن/٢٣) والآيات في هذا كثيرة جداً، يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه مؤدٍ لما أرسله به، وهذا يعرفه كل أحد يعقل لفظة «رسول»، فإن الرسول لا بد له من مرسل برسالاته. فالمرسل الله عز وجل، والرسالة هي القرآن، والمرسل محمد ﷺ المبلغ رسالة ربه. وقال أنس: بعث النبي ﷺ خاله حراماً إلى قومه وقال أتؤمنوني بأبلغ رسالة رسول الله ﷺ؟ فجعل يحدّثهم^(١). وقال المغيرة رضي الله عنه: أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة^(٢). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٣). وفي خطبته في موقف الحج الأكبر قال ﷺ: «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت» وفيها إشارته ﷺ بيده إلى السماء قائلاً: «اللهم

(١) البخاري (٣٨٥/٧) في المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكون وبشر معونة وأحمد (٢١٠/٣).

(٢) البخاري (٢٥٨/٦) في الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (٥٠٣/١٣).

(٣) البخاري (٥٠٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

ومسلم (١٥٩/١ ح/١٧٧) في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾.

هل بلغت؟ اللهم اشهد» قالها مراراً^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاغ تحفق فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك» متفق عليه^(٢). وكان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويقول: «إني رسول الله وآتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي»^(٣) وغير ذلك من الأحاديث، يخبر ﷺ أنه مخبر عن الله ومبلغ رسالته وأن ما أمر به ونهى عنه وأخبر به هو تبليغ لأمر الله ونهيه وخبره، وأنه لم يقل شيئاً من عند نفسه فيقول هو من عند الله، ومن اعتقد ذلك فهو كافر من حزب أبي جهل والوليد بن المغيرة وملاهم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مَكَذِبِينَ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة/ ٤٤ - ٥٢).

(١) هذا اللفظ روي عند أبي داود (١٨٢/٢) ح ١٩٠٥ في المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ

وابن ماجه (١٠٢٢/٢) ح ٣٠٧٤ في المناسك باب حجة رسول الله ﷺ وسنده صحيح.

(٢) البخاري (١٨٥/٦) في الجهاد، باب الغلول.

مسلم (١٤٦١/٣) ح ١٨٣١ في الامارة، باب غلظ الغلول.

(٣) رواه الترمذي (١٨٤/٥) ح ٢٩٢٥ في فضائل القرآن، باب ٢٤ وقال هذا حديث غريب صحيح

وأبو داود (٢٣٤/٤) ح ٤٧٣٤ في السنة، باب في القرآن وهو على شرط البخاري.

(ليس بمخلوق) كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحادية والجهمية والمعتزلة وغيرهم تعالى الله عز وجل عن أن يكون شيء من صفاته مخلوقاً، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى/٥٢) وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف/٥٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس/٨٣) فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر وأن القرآن من أمره لا من خلقه وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل/٤٠) فكن من كلامه الذي هو صفته ليس بمخلوق، والشيء المراد المقول له «كن» مخلوق، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران/٩) فعيسى وآدم مخلوقان بكن و«كن» قول الله صفة من صفاته، وليس الشيء المخلوق هو كن، ولكنه كان بقول الله له كن.

وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن، وذلك لأنه لا يخلو قوله من إحدى ثلاث: إما أن يقول إنه خلقه في ذاته، أو في غيره، أو منفصلاً مستقلاً وكل الثلاث كفر صريح، لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاته محلاً للمخلوقات. وإن قال إنه خلقه في غيره فهو كلام ذلك الغير فيكون القرآن على هذا كلام كل تال له وهذا قول الوليد بن المغيرة فيما حكى الله عنه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، سَأَصْلِيه سَقَرًا، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرًا، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدرثر/١٨ - ٢٩) الآيات. وإن قال إنه خلقه منفصلاً مستقلاً فهذا جحود لوجوده مطلقاً إذ لا يعقل ولا يتصور كلام يقوم بذاته بدون متكلم، كما لا يعقل سمع بدون سميع ولا بصر بدون بصير ولا علم بدون عالم ولا إرادة بدون مريد ولا حياة بدون حي إلى غير ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، فهذه الثلاث لا خروج لزندق منها ولا جواب له عنها فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين، وقطع دابر القوم

الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

أصل القول بخلق القرآن

وأول ما اشتهر القول بخلق القرآن في آخر عصر التابعين لما ظهر جهم بن صفوان^(١) شقيق إبليس لعنهما الله وكان ملحداً عنيداً وزنديقاً زائغاً مبتغياً غير سبيل المؤمنين لم يثبت أن في السماء رباً ولا يصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه وينتهي قوله إلى جحود الخالق عز وجل. ترك الصلاة أربعين يوماً يزعم يرتاد ديناً، ولما ناظره بعض السمنية في معبوده قال قبحه الله: هو هذا الهواء في كل مكان، وافتتح مرة سورة طه فلما أتى على هذه الآية: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه/٥) قال: لو وجدت السبيل إلى حكها لحككتها، ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال ما كان أظرف محمداً حين قالها، ثم افتتح سورة القصص فلما أتى على ذكر موسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحف ثم قال: أي شيء هذا ذكره ههنا فلم يتم ذكره، وذكره ههنا فلم يتم ذكره. وقد روى عنه غير هذا من الكفريات، وهو أذل وأحقر من أن نشتغل بترجمته. وقد يسر الله تعالى ذبحه على يد سالم بن أحوز بأصبهان وقيل بمرو، وهو يومئذ نائبها رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيراً.

وقد تلقى هذا القول عن الجعد بن درهم^(٢) لكنه لم يشتهر في أيام الجعد كما اشتهر عن الجهم، فإن الجعد لما أظهر القول بخلق القرآن تطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقية فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ولم يكن له كثير أتباع غيره، ثم يسر الله تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبد الله القسري الأمير، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالداً خطب الناس فقال في خطبته تلك: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح

(١) أنظر ترجمته وعقائده في تاريخ الطبري (٣٣٠/٧) ومقالات الإسلاميين (٣٣٨/١) وميزان الاعتدال (٤٢٦/١) والفصل (١١١/٢ و ١٢٦/٢ و ١٨٨/٣ و ٢/٣ و ٢٢/٣ و ١٤٩/٢).

(٢) أنظر ترجمته في (الميزان ٣٩٩/١) ولسان الميزان (١٠٥/٢) وفي الفصل (٢٠٢/٤).

بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، روى ذلك البخاري في كتابه خلق أفعال العباد^(١)، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرهما، وهو مشهور في كتب التواريخ، وذلك سنة أربع وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعد بدعته هذه عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالون ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ وأنزل الله تعالى في ذلك سورة المعوذتين^(٢). ثم تقلد هذا المذهب المخذول عن الجهم بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي المتكلم^(٣)، شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون وجدد القول بخلق القرآن ويقال إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة وروى عنه أقوال شنيعة في الدين من التجهم وغيره مات سنة ثمانين عشرة ومائتين. ثم تقلد عن بشر ذلك المذهب الملعون قاضي المحنة أحمد بن أبي دؤاد^(٤) وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن وعلى أن الله لا يرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك، وقد ابتلاه الله تعالى بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى سنة أربعين ومائتين. ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفصيله فليقرأ كتب التواريخ ير العجب.

(١) البخاري في خلق أفعال العباد (٣).

وأخرجه البخاري في تاريخه (٦٤/١/١) وأبو سعيد الدارمي (٣٨٨/١٣) والأجري في الشريعة (ص ٩٧ و ٣٢٨) والبيهقي في سننه (٢٠٥/١٠ - ٢٠٦) وفي الأسماء (ص ٢٥٤). وفي سننه محمد بن حبيب وهو مجهول وعبد الرحمن بن محمد بن حبيب قال عنه ابن حجر: مقبول (إذا توبع وإلا فليّن).

(٢) سيأتي ذكر حديث سحر النبي ﷺ وبيانه.

(٣) أنظر ترجمته في تاريخ بغداد (٥٦/٧) والميزان (٣٢٢/١) والفصل (٢٢/٣).

(٤) أنظر ترجمته في تاريخ الطبري (١٩٧/٩) وتاريخ بغداد (١٤١/٤ و ١٥٦) وفي الميزان ٩٧/١ وفي لسان الميزان ١٧١/١ وفي سير أعلام النبلاء (١٦٩/١١).

ذكر ما قاله أئمة السنة في مسألة القرآن وحكم الجهمية

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله، وقال: إذا قال الرجل العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه، وقال رحمه الله تعالى من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (آل عمران/ ٦١)، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنَّ آتِبْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة/ ١٢٠) وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ، وَلَئِنْ آتَبْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/ ١٤٥) وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ (هود/ ١٧) قال أحمد قال سعيد بن جبیر: والأحزاب الملل كلها: ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ، إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾ (الرعد/ ٣٦) وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنَّ آتِبْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (الرعد/ ٣٧) وقال رحمه الله تعالى: من قال ذاك القول لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها فإن صلى خلفه أعاد الصلاة. يعني من قال القرآن مخلوق. وقال رحمه الله تعالى: إذا كان القاضي جهمياً فلا تشهد عنده، وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار والقدرية كفار. وقال سليمان التيمي رحمه الله تعالى: ليس قوم أشد بغضاً للإسلام من الجهمية والقدرية، فأما الجهمية فقد بارزوا الله، وأما القدرية فإنهم قالوا في الله، وقال سلام بن أبي مطيع: الجهمية كفار لا يصلي خلفهم، وقال خازن: الجهمية كفار بلغوا نساءهم أنهم طوالق وأنهن لا يحللن لأزواجهن. لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنازتهم. ثم تلا: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾ إلى قوله: ﴿الرحمن على

العرش استوى ﴿ وقال مالك رحمه الله : من قال القرآن مخلوق يوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب وقال سفيان الثوري رحمه الله : من زعم أن قول الله ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم ، وقال أيضاً : من قال إن ﴿قل هو الله أحد . الله الصمد﴾ مخلوق فهو كافر . وقال أبو يوسف القاضي : صنفان ما على وجه الأرض شر منهما الجهمية والمقاتلية .

قلت : وأظنه يعني بالمقاتلية اتباع مقاتل بن سليمان البلخي فإنه رماه الإمام أبو حنيفة بالتشبيه فإنه قال أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء ، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه ، وتابع أبا حنيفة على ذلك جماعة من أئمة الجرح والتعديل من أقرانه كأبي يوسف وغيره فمن بعدهم حتى قال ابن حبان : كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان يشبه الرب بالمخلوق ، وكذبه وكيع وغيره والله أعلم بحاله ، قال وكيع : مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة . هـ .

وقال عبدالله بن المبارك : الجهمية كفار ، وقال : ليس تعبد الجهمية شيئاً . وقال : من قال القرآن مخلوق فهو زنديق . وقال : إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية . وقال سفيان بن عيينة : القرآن كلام الله ، من قال مخلوق فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر . وقال : من قال القرآن مخلوق يحتاج أن يصلب على ذياب ، يعني جبل . وقال عبدالله بن إدريس رحمه الله وقد سئل : ما تقول في الجهمية يصلي خلفهم ؟ فقال : أمسلمون هؤلاء ، أمسلمون هؤلاء ؟ لا ولا كرامة ، لا يصلي خلفهم . وقال له رجل : يا أبا محمد إن قبلنا ناساً يقولون القرآن مخلوق . فقال من اليهود ؟ قال لا ، قال فمن النصارى ؟ قال لا ، قال فمن المجوس ؟ قال لا ، قال فمن ؟ قال من الموحدين . قال كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة هؤلاء زنادقة . وقرأ ابن إدريس ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقال : الله مخلوق ؟ والرحمن مخلوق ؟ والرحيم مخلوق ؟ هؤلاء زنادقة . وسئل عن قوم يقولون القرآن مخلوق ، فاستشنع ذلك وقال : سبحان الله ، شيء منه مخلوق ؟ وقال وكيع فإني أستتيبه ، فإن تاب

وإلا قتلته، وقال من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث، ومن زعم أنه محدث فقد كفر، وقيل له: إن فلاناً يقول إن القرآن محدث. فقال: سبحانه الله، هذا الكفر. قال السويدي وسألت وكيعاً عن الصلاة خلف الجهمية، فقال: لا تصل خلفهم. وقال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وقال زهير بن حرب: اختصمت أنا ومثنى فقال مثنى: القرآن مخلوق. وقلت أنا: كلام الله. فقال وكيع وأنا أسمع: هذا كفر، وقال من قال القرآن مخلوق هذا كفر. فقال مثنى: يا أبا سفيان قال الله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾ (الشعراء/٥) فأيش هذا؟ فقال وكيع: من قال القرآن مخلوق هذا كفر، وقال: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وقال رحمه الله: القرآن كلام الله أنزله جبريل على محمد ﷺ، كل صاحب هوى يعرف الله ويعرف من يعبد، إلا الجهمية لا يدرون من يعبدون، بشر المريسي وأصحابه. رقييل لو كيع في ذبائح الجهمية، قال لا توكل هم مرتدون. وقال: من قال إن كلامه ليس منه فقد كفر، وقال: من قال إن منه شيئاً مخلوقاً فقد كفر.

وقال فطر بن حماد سألت معتمر بن سليمان فقلت: يا أبا محمد إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال: ينبغي أن تضرب عنقه. قال فطر: وسألت حماد بن زيد فقلت يا أبا إسماعيل إمام لنا يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال صل خلف مسلم أحب إلي. وسألت يزيد بن زريع فقلت: يا أبا معاوية إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ قال لا ولا كرامة. وقال عبدالرحمن بن مهدي: من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وقال مرة: لا أرى أن أستتيب الجهمية. وقال رحمه الله: لو كان لي من الأمر شيء لقت على الجسر فلا يمر بي أحد من الجهمية إلا سألته عن القرآن فإن قال مخلوق ضربت رأسه ورميت به في الماء. وقال أبو بكر بن الأسود: لو أن رجلاً جهماً مات وأنا وارثه ما استحللت أن آخذ من ميراثه. وقال أبو يوسف القاضي: جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوق. وقال يزيد بن هارون وذكر الجهمية فقال: هم والله زنادقة، عليهم لعنة الله. وقال رحمه الله: والله الذي لا

إله إلا هو عالم الغيب والشهادة من قال القرآن مخلوق فهو زنديق. وسئل عن الصلاة خلفهم قال لا. وقال معاذ بن معاذ: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. وقال شبابة بن سوار: اجتمع رأيي ورأي أبي النضر هاشم بن القاسم وجماعة من الفقهاء على أن المريسي كافر جاحد نرى أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وكان أبو توبة الحلبي ونعيم بن حماد وإبراهيم بن مهدي يكفرون الجهمية. وقال بشر بن الحارث: لا تجالسوهم ولا تكلموهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟ قال يعني الجهمية. وقال ابن أبي مريم: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر. وقال أبو الأسود النضر بن عبد الجبار: القرآن كلام الله، من زعم أنه مخلوق فهو كافر. هذا كلام الزنادقة. وقال عباد بن العوام: كلمت بشر المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء. وقال عمرو بن الربيع بن طارق: القرآن كلام الله من زعم أنه مخلوق فهو كافر. وقال هارون أمير المؤمنين: بلغني أن بشراً المريسي يزعم أن القرآن مخلوق، لله عليّ أن أظفرني الله به إلا قتلته قتلة ما قتلها أحداً قط. وقال هارون بن معروف: من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنماً. وقال يحيى بن معين رحمه الله: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. وقال رجل لهشيم: إن فلاناً يقول القرآن مخلوق، فقال: إذهب إليه فاقراً عليه أول الحديد وآخر الحشر، فإن زعم أنهما مخلوقان فاضرب عنقه. وقال أبو هاشم الغساني مثله. وقال أبو عبيد: من قال القرآن مخلوق فقد افتري على الله وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى. وقال إسحاق بن البهلول لأنس بن عياض أبي ضمرة: أصلي خلف الجهمية؟ قال لا ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/ ٨٥) وسئل عيسى بن يونس رحمه الله عمن يقول: القرآن مخلوق، فقال: كافر، أو كفر فقليل له: تكفرهم بهذه الكلمة؟ قال: إن هذا من أيسر أو أحسن ما يظهرون وكان يحيى بن معين رحمه الله يعيد صلاة الجمعة مذ أظهر عبدالله بن هارون المأمون ما أظهر. يعني القول بخلق القرآن.

وقال الحسين بن إبراهيم بن أشكاب وعاصم بن علي بن عاصم وهارون

الفروي وعبدالوهاب الوراق وسفيان بن وكيع: القرآن كلام الله وليس بمخلوق. وسئل جعفر بن محمد رحمه الله عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله. وروى عن أبيه علي بن الحسين أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله. وقال الزهري: سألت علي بن الحسين عن القرآن فقال: كتاب الله وكلامه. وعن إبراهيم بن سعد وسعيد بن عبدالرحمن الجمحي ووهب بن جرير وأبي النضر هاشم بن القاسم وسليمان بن حرب قالوا: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. وقال سفيان بن عيينة: لا نحسن غير هذا، القرآن كلام الله ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وقال الإمام مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا: كلام الله وهو منه، وليس من الله شيء مخلوق. وقال حماد بن زيد رحمه الله: القرآن كلام الله أنزله جبريل من عند رب العالمين. وقال أبو بكر بن عياش: من زعم أن القرآن مخلوق فقد افترى على الله. وقال وكيع: القرآن من الله، منه خرج وإليه يعود. وقال يحيى بن سعيد: كيف يصنعون بقل هو الله أحد، كيف يصنعون بهذه الآية ﴿إني أنا الله﴾ يكون مخلوقاً؟ وقال وهب بن جرير ومحمد بن يزيد الواسطي وابن أبي إدريس وأبو بكر بن أبي شيبة وأخوه عثمان بن أبي شيبة وأبو عمر الشيباني ويحيى بن أيوب وأبو الوليد وحجاج الأنماطي ويحيى بن معين وأبو خيثمة وإسحاق بن أبي إسرائيل وأبو معمر: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. وقال أبو عمرو الشيباني لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة - وقال القرآن مخلوق - فقال الشيباني: خلقه قبل أن يتكلم به أو بعدما تكلم به؟ قال فسكت. وقال حسن بن موسى الأشيب أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فقال حسن: مخلوق هذا؟ وقال محمد بن سليمان لوين: القرآن كلام الله غير مخلوق، ما رأيت أحداً يقول القرآن مخلوق، أعوذ بالله ا. هـ. من كتاب السنة^(١).

(١) السنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل (١٠٢/١ - ١٦١) وفيه تراجم هؤلاء الأعلام النبلاء فانظره مختاراً بتحقيق الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في وصيته : القرآن كلام الله غير مخلوق .
 وقال عفان بن مسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يريدون أن يدلوا كلام الله -
 الله لا إله إلا هو الحي القيوم - قل هو الله أحد﴾ أمخلوق هذا؟ أدركت شعبة
 وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . وقال
 يحيى بن يحيى : من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آية مخلوقة فهو كافر .
 وقال هشام بن عبيد الله : القرآن كلام الله غير مخلوق . فقال له رجل : أليس الله
 تعالى يقول : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾؟ فقال : محدث إلينا ،
 وليس عند الله بمحدث . وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رحمه الله : ليس بين
 أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، فكيف يكون شيء خرج
 من الرب عز وجل مخلوقاً . وقال أبو جعفر النخعي : من قال إن القرآن مخلوق
 فهو كافر ، فقل له : يا أبا جعفر الكفر كفران ، كفر نعمة وكفر بالرب عز وجل؟
 قال لا بل كفر بالرب عز وجل ، ما تقول فيمن يقول : ﴿الله أحد ، الله الصمد﴾
 مخلوق ، أليس كافراً هو؟ وقال عبد الله بن محمد العيشي : يستحيل في صفة
 الحكيم أن يخلق كلاماً يدعي الربوبية ، يعني قوله تعالى : ﴿إنني أنا الله﴾ وقوله :
 ﴿أنا ربك﴾ .

قلت : والمعتزلة يقولون إن كلام الله لموسى خلقه في الشجرة ، فعلى هذا
 تكون الشجرة هي القائلة : ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ قبحهم الله في
 الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص . والقرآن
 كلام الله غير مخلوق بجميع صفاته وحيث تصرف . وأما كلام البخاري رحمه الله
 تعالى ومثانته في هذه المسألة فأشهر من أن يحتاج إلى تعريف ، وله في ذلك
 (كتاب خلق أفعال العباد) وقد بَوَّبَ في صحيحه على جملة وافية تدل على غزارة
 علمه وجلالة شأنه . وقال أبو حاتم وأبو زرعة : أدركنا العلماء في جميع الأمصار
 فكان من مذاهبهم أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير
 مخلوق بجميع جهاته ، والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وأن الله تعالى على

عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وقال محمد بن أسلم الطوسي: القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلى وحيثما كتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل أ. هـ. من العلو للذهبي^(١).

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى عليه السلام: وتكلم الله بالوحي وصفة نزول الوحي وتكليم الله عباده يوم القيامة وتقرير البحث في ذلك، ثم قال: باب ذكر البيان في كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ ومن سنة نبينا محمد ﷺ على الفرق بين كلام الله عز وجل الذي به يكون خلقه وبين خلقه الذي يكون بكلامه وقوله، والدليل على نبذ قوله الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله تعالى مخلوق، جل ربنا وعز عن ذلك. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف/٥٤) ففرق الله تعالى بين الخلق والأمر الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف وأعلمنا الله جل وعلا في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل/٤٠) فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كل مكون من خلقه بقوله كن فيكون وقوله «كن» هو كلامه الذي به يكون الخلق، وكلامه عز وجل الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكوناً بكلامه فافهم ولا تغلط ولا تغالط، ومن عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكون الشيء بقوله كن أن القول الذي هو كن غير المكون بكن المقول له كن، وعقل عن الله أن قوله كن لو كان خلقاً على ما زعمت الجهمية المفترية على الله أنه إنما يخلق الخلق ويكونه بخلق لو كان قوله كن خلقاً، فيقال لهم: يا جهلة، فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقاً بم يكونه؟ أليس قود مقالكم التي تزعمون أن قوله كن إنما يخلقه بقول قبله وهو عندكم خلقه وذلك القول

(١) العلو للذهبي (ص ١٢٠ - ١٤١) وفيه كلام غيرهم فانظره. وانظر مختصره للعلامة الألباني (ص ١٧٦ - ٢١٠) وتعليقه عليه.

يخلقه بقول قبله وهو خلق حتى يصير إلى ما لا غاية له ولا عدد ولا أول، وفي هطإبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية وإحداث ما لم يكن قبل، يحدث الله الشيء ونشئه^(١)، وهذا قول لا يتوهمه ذولب لو تفكر فيه ووفق لإدراك الصواب والرشاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِ﴾ (الأعراف/٥٤) فهل يتوهم مسلم أن الله تعالى سخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بخلقه، أليس مفهوماً - عند من يعقل عن الله خطابه - أن الأمر الذي سخر به غير المسخر بالأمر وأن القول غير المقول له؟ فتفهموا يا ذوي الحجا عن الله خطابه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانه، لا تصدوا عن سواء السبيل فتضلوا كما ضلت الجهمية عليهم لعائن الله، فاسمعوا الآن الدليل الواضح البين غير المشكل من سنة النبي ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه على الفرق بين خلق الله وبين كلام الله تعالى^(٢). ثم ساق الأحاديث في ذكر كلمات الله تعالى إلى حديث: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»^(٣) ثم قال: أفليس العلم محيطاً يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه، هل سمعت عالماً يجيز أن يقول أعوذ بالكعبة من شر خلق الله، أو يجيز أن يقول أعوذ بالصفاء والمروة أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه^(٤). ثم ساق بحثاً طويلاً فليراجع منه.

وقال أبو معاوية بن خازم الضرير رحمه الله: الكلام فيه بدعة وضلالة: ما تكلم فيه النبي ﷺ ولا الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون ولا الصالحون رحمهم الله تعالى. يعني قول القرآن مخلوق. وذكر عند أبي نعيم هو الفضل بن دكين من يقول القرآن مخلوق، فقال: والله والله ما سمعت بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهم. وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول ذكره ولو أردنا

(١) سقطت كلمة «ويخلقه».

(٢) التوحيد لابن خزيمة (ص ١٦١ - ١٦٢).

(٣) تقدم ذكره وأنه في الصحيح (مسلم).

(٤) التوحيد لابن خزيمة (ص ١٦٥ - ١٦٦).

استيعابه لطال الفصل . وقد تكرر نقل الإجماع منهم على إثبات ما أثبت الله عز وجل لنفسه وأثبتته رسوله ﷺ والصحابة فمن بعدهم ونفى التكييف عنها، لا سيما في مسألة العلو وفي هذه المسألة مسألة القرآن وتكليم الله تعالى موسى، لأنها أول ما جحدته الزنادقة قبحهم الله تعالى، وفي ذكر من سمينا كفاية، ومن لم نسّم منهم أضعاف ذلك، ولم يختلف منهم إثنان في أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، من الله بدأ وإليه يعود. وتقلدوا كفر من قال بخلق القرآن ومنعوا الصلاة خلفه وأفتوا بضرب عنقه وبتحريم ميراثه على المسلمين وحرّموا ذبيحته وجزّموا بأنها ذبيحة مرتد لا تحل للمسلمين. فانظر أيها المنصف أقوالهم ثم اعرضها على نصوص الكتاب والسنة هل تجدهم حادوا عنها قيد شبر، أو قدموا عليها قول أحد من الناس كائناً من كان؟ حاشا وكلا ومعاذ الله، بل بها اقتدوا ومنها تضلعوا، وبنورها استضاءوا وإياها اتبعوا، فهدهم الله بذلك لما اختلفت فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هذا مقال المؤمنين جميعهم	وعصاة التوحيد أعلام الهدى
الكاشفين عوار كل مشبه	والقامين لك من قد ألحد
زَن قَوْلهم بالوحي، وانظر هل ترى	مِلاً لهم عَمّا إليه أرشدا
حاشاهم عن أن يميلوا خطوة	عما إليه الله إياهم هدى
بل أثبتوا لله ما قد أثبتت	آي الكتاب وكل نص أسندا
ومن النفاة تبرأوا وكذاك من	قول الممثل إذ تغالى واعتدى
جعلوا إمامهم الكتاب وسنة المختار	يا طوبى لمن بهما اهتدى
ولذاك أعلى الله جل منارهم	والملحدون بناءهم قد هددا
وأتم نورهم الإله وغيرهم	في ظلمة إذ لم يكن بهم اقتدى
يا رب ألحقنا بهم واجعل لنا	نوراً نَمِيزُ به الضلال من الهدى

وقضى السلف الصالح رحمهم الله تعالى على الطائفة الواقعة وهم القائلون: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، بأن من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام منهم بل علم أنه كان جاهلاً جهلاً

بسيطاً فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن كلام الله تعالى، وإلا فهو شر من الجهمية، وسيأتي إن شاء الله الكلام على اللفظية قريباً وسنذكر إن شاء الله تعالى في آخر الفصل سائر الفرق المخالفين للسنة في القرآن وغيره من الصفات، لأننا أحببنا تجريد مذهب أهل السنة على حدته لقصد التيسير وبالله التوفيق.

(ولا بمفتري) أي وليس القرآن بمفتري كما قاله كفار قريش وغيرهم من أعداء الله تعالى حيث قالوا فيه: **إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ** (المدثر/٢٤)، وقالوا: **إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ** (الفرقان/٤)، **﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾** (الفرقان/٥)، **﴿وَيَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾** (النحل/١٠٣) وقالوا شعر، وقالوا كهانة، وقالوا: **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾** (ص/٧). وقالوا: **﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلٌ هَذَا﴾** (الأنفال/٣١)، وغير ذلك من مفترياتهم وإفكهم، وكل ذلك إنما قالوه عناداً ومكابرة **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾** (النمل/١٤) وقد كشف الله تعالى شبههم وأدحض حججهم وبيتهم وقطعهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد وبين عجزهم وكشف عوارهم في جميع ما انتحلوا فقال تعالى لمن قال: **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾** قال الله تعالى: **﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا﴾** وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر، لَوَاحَةٌ للبشر، عليها تسعة عشر إلى آخر الآيات. وقال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾** فرد الله ذلك عليهم بقوله: **﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾**، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً **﴿فرد الله ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** وقال تعالى: **﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾** فرد الله ذلك عليهم بقوله عز وجل: **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾** قال المفسرون إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي كان بين ظهرهم غلام لبعض بطون قريش قيل اسمه

بلعام، وقيل يعيش وقيل عائش، وقيل جبر وقيل يسار وقيل غير ذلك^(١)، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، فرد الله عز وجل عليهم ذلك الافتراء بقوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل/١٠٣) أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل، وقال في رد قولهم شعر وكهانة ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ. لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (يس/٦٩-٧٠) وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ، أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمَتَرَبِّصِينَ. أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الطور/٢٩-٣٣) الآيات وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تَأْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ. وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الحاقة/٤١-٤٨) إلى آخر الآيات. وقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آخِثِلَاقٌ، أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (ص/٧-٨) فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (ص/٨-٩) إلى آخر الآيات. ورد عليهم تعالى في قولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ بقوله عز وجل: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء/٨٨) وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله ففعلوا عن ذلك كله وبأن كذبهم قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦٠٨/٢). والبغوي في معالم التنزيل (٤٤٨/٣).

إِنَّ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ (الطور/٣٣) وقال تعالى وتقدس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا
 بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَرياتٍ وادعوا من استطعتم من دونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ
 لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أُنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴿ (هود/١٣-١٤) وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ
 تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿
 (البقرة/٢٣-٢٤) فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَمْ يَطْمَعُوا فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، مَعَ أَنَّهُمْ فَحُولُ
 اللُّغَةِ وَفِرْسَانِ الْفَصَاحَةِ وَأَهْلِ الْبَلَاغَةِ وَأَعْلَمَ النَّاسُ بِنَشْرِ الْكَلَامِ وَنَظْمِهِ وَهَجْزِهِ
 وَرَجْزِهِ ، مَعَ شِدَّةِ مَعَانِدَتِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ وَحَرَصَهُمْ عَلَى مَعَارَضَتِهِ
 بِكُلِّ مُمْكِنٍ ، وَلَكِنْ جَاءَهُمْ مَا لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهِ وَأَتَاهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ ، كَلَامُ ذِي
 الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْعِظْمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَالْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ وَالْكَمَالِ رَبِّ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَاءِ وَرَبِّ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى مِنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى وَالْمَثَلُ
 الْأَعْلَى ، الَّذِي لَا سَمِيَّ لَهُ وَلَا كَفُولَهُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .
 فَلَمَّا رَأَوْا وَجْهَ إِيجَازِهِ وَإِعْجَازِهِ وَمَبَانِيهِ الْكَامِلَةِ وَمَعَانِيهِ الشَّامِلَةِ ، وَإِخْبَارَهُ عَنِ
 الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْغِيُوبِ الْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَالْأَحْكَامِ الْوَاقِعَةِ ، وَنَبَأِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ
 وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالتَّهْدِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ وَأَوْضَحِ بَيَانٍ وَأَعْلَى
 قِصَصٍ وَأَعْظَمِ بَرْهَانٍ ، عَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ وَلَا يَشْبَهُ كَلَامَ
 الْمَخْلُوقِينَ وَعَلِمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَإِنَّمَا رَمَوْهُ بِالْأَفْكَ وَالْبَهْتَانِ بِقَوْلِهِمْ كَاهِنٌ شَاعِرٌ
 مَجْنُونٌ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مَكَابِرَةٌ وَعِنَادٌ مَعَ الْإِعْتِرَافِ بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ كَمَا تَقْدُمُ
 عَنْ الْوَلِيدِ وَعُتْبَةَ وَأَبِي جَهْلٍ قَبَحَهُمُ اللَّهُ وَغَيْرَهُمْ ، وَلَوْ كَانَ تَقْوِيلُهُ كَمَا زَعَمُوا هُمْ
 لَا اسْتَطَاعُوا مَعَارَضَتَهُ وَلَمْ يَنْقُطُوا عَنْ مَقَاوِمَتِهِ لِأَنَّهُمْ عَرَبٌ فَصَحَاءُ مِثْلَهُ عَارِفُونَ
 بِوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ كُلِّهَا لَا يَجْهَلُونَ مِنْهَا شَيْئاً ، وَلَمَّا عَدَلُوا إِلَى الْمَكَابِرَةِ وَالتَّبَجُّحِ
 بِالْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ أَمْقَتُ شَيْءٍ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ . وَلَكِنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
 نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ ، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ
 هَدَى وَبَشَّرَ لِلْمُسْلِمِينَ . وَتَبَيَّاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَذِكْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾
 (فصلت/٤٢) فلا يأتي مبطل بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض
 حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول، ويكفيك في ذلك قوله الله عز
 وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان/٣٣).
 يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ يُتْلَى كَمَا يُسْمَعُ بِالْأَذَانِ
 كَذَا بِالْأَبْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ وَبِالْأَيْدِي خُطَّه يَسْطَرُ
 وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٍ حَقِيقُهُ دُونَ كَلَامِ بَارِيءِ الْخَلِيقَةِ
 جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحَدِثَانِ
 فَالصَّوْتُ وَالْأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي لَكِنَّمَا الْمَتْلُو قَوْلُ الْبَارِي
 مَا قَالَهُ لَا يَقْبَلُ التَّبْدِيلَ كَلَّا وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلَا

(يُحْفَظُ) بالبناء للمفعول أي القرآن (بالقلب) كما قال تبارك وتعالى: ﴿نَزَّلَ
 بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾
 (الشعراء/١٩٣) وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت/٤٩) وقال: ﴿سَنَقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾
 (الأعلى/٦) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي
 لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرَابِ» قال الترمذي هذا حديث
 صحيح^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو
 عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على
 رجل من أحدثهم سنّاً فقال: «ما معك يا فلان» فقال: معي كذا وكذا وسورة
 البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة» قال نعم، قال: «إذهب فأنت أميرهم» فقال
 رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها، فقال
 رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن وقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به

(١) الترمذي (١٧٧/٥ ح ٢٩١٣) في فضائل القرآن، باب ١٨ وقال هذا حديث حسن صحيح.
 وأحمد (٢٢٣/١) والدارمي (٤٢٩/٢) في فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن والحاكم
 (٥٥٤/١) وابن عدي في الكامل (٢٠٧٢/٦). وقال الحاكم: صحيح ولم يوافقه الذهبي.
 وفيه قابوس بن أبي ظبيان وهو لين الحديث.

كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان. ومثل من تعلمه فيرقده وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك» قال الترمذي هذا حديث حسن^(١). وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه المتفق عليه في قصة الواهبة نفسها وفيه قال: «ما معك من القرآن» قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: «تقرأهن عن ظهر قلبك»؟ قال نعم، قال: «إذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن»^(٢) ولأبي داود قال: سورة البقرة والتي تليها، قال: «قم فعلهما عشرين آية»^(٣). وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن»^(٤). ولهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا»^(٥) والأحاديث في هذا كثيرة جداً.

(١) الترمذي (١٥٦/٥ ح ٢٨٧٦) في ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي وقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه ابن ماجه (٧٨/١ ح ٢١٧) في المقدمة (مختصراً دون ذكر القصة).
والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ١٠/٢٨٠). وفيه عطاء مولى أبي أحمد ولا يعرف.
وللحديث شاهد ضعيف جداً من حديث عثمان رضي الله عنه: رواه الطبراني في الأوسط (المجمع ١٦٤/٧) والدارقطني في الأفراد (كنز العمال ح ٤٠٢٠) وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو شيعي متروك. فالحديث ضعيف. إذ لا يصلح شاهداً له.

(٢) البخاري (١٣١/٩) في النكاح، باب تزويج المعسر، وفي باب إذا قال الخاطب للولي زوجني (١٩٨/٩). ومسلم (١٠٤٠/٢ ح ١٤٢٥) في النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم القرآن.
(٣) أبو داود (٢٣٦/٢ ح ٢١١٢) في النكاح، باب في التزويج على العمل بعمل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي سنده عسل التميمي وهو ضعيف والحديث صحيح لشواهد كشافه السابق.

(٤) البخاري (٧٩/٩) في فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاذه.
ومسلم (٥٤٣/١ ح ٧٨٩) في صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن.
(٥) البخاري (٩٥/٩) في فضائل القرآن، باب نسيان القرآن، وفي باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا (٨٧/٩).
ومسلم (٥٤٣/١ ح ٧٨٨) في صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن.

(وباللسان يتلى) قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الكهف/ ٣٧) وقال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (الإسراء/ ١٠٦) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (الإسراء/ ٤٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ. لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ (فاطر/ ٢٩) إلى آخر الآية، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة/ ١٦ - ١٩) وقال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل/ ٤) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء/ ١١٠) وغير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له» إلى آخر الحديث رواه البخاري^(١). وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال: «الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته» ورواه ابن ماجه^(٢) وله عن المهاجر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن لا تَوَسَّدُوا القرآن، واتلوه حق تلاوته آناء الليل

(١) البخاري (٧٣/٩) في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن. وفي التمني، باب تمني القرآن والعلم (٢٢٠/١٣). وفي التوحيد، باب قول النبي ﷺ، رجل أتاه القرآن (٥٠٢/١٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٩/٦) والحاكم (٥٧١/١) والبيهقي (السنن ٢٣٠/١٠). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يوافق الذهبي بل قال هو منقطع. قلت: إنقطاعه بين إسماعيل بن عبيد الله وفضالة بن عبيد.

وقد وصله أحمد (٢٠/٦) وابن ماجه (٤٢٥/١ ح ١٣٤٠) في إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن. وابن حبان (الإحسان ٦٦/٢). والطبراني في الكبير (٣٠١/١٨ ح ٧٧٢) والبيهقي في السنن (٢٣٠/١٠).

ما بين إسماعيل وفضالة ذكر ميسرة مولى فضالة وميسرة قال عنه الحافظ مقبول (إذا توبع وإلا فليُن). والحديث كما قال البوصيري: حسن.

والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون»^(١) والأحاديث في هذا كثيرة جداً سيأتي ما تيسر منها في ذكر الصوت.

(كما يسمع بالأذان) قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة/٦)، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة/٨٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف/٢٠٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف/٢٩ - ٣٠) الآيات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ (الجن/١ - ١٢) الآيات، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر/١٨) وغير ذلك من الآيات. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «إقرأ عليّ القرآن» قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمع من غيري» الحديث متفق عليه^(٢). وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة» فقال: أما والله لو أعلم أنك تسمع قراءتي لحبّرتها لك تحبيراً. رواه

(١) ورواه البخاري في تاريخه (٨٣/٢/٣) وأبو عبيد في فضائل القرآن (فضائل القرآن لابن كثير ٤٨/٧) والطبراني في الكبير (المجمع ٥٥٥/٢) والبيهقي في الشعب (الكنزح ٢٨٠٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٤٤٦/٣). وفي سننه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (الفتح ٩٣/٩) في فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره وفي باب قول المقرئ للقارئ حسبك (٩٤/٩) وفي باب البكاء عند قراءة القرآن ومسلم (٨٠٠/٥٥١/١) في صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن.

مسلم^(١). ولأبي عبيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت، فقال: «أين كنت» قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت فقام رسول الله ﷺ وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا» إسناده جيد^(٢)، والأحاديث في هذا كثيرة.

(كذا بالابصار إليه متعلقان بـ (ينظر) أي إلى القرآن في المصحف وهو من أفضل العبادات وأجلها. وروى أبو عبيد بأسناد فيه ضعف عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة^(٣)). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف^(٤). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا دخل نشر المصحف فقرأ فيه^(٥). وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا

(١) ليس عند مسلم بهذا اللفظ إنما هو دون قوله: «لو أعلم أنك تسمع قراءتي لجبرته لك تحبيراً» مسلم (٥٤٦/١ ح ٧٩٣) في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وأما لفظ: «أما إني يا رسول الله لو علمت...» فقد رواه أبو يعلى في مسنده وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف (المجمع ١٧٤/٧). قال ابن حجر: وللروائي من طريق مالك ابن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه وقال فيه لو علمت...». قلت: رجاله ثقات إذا سلم ممن تحت مالك. ورواه بقي بن مخلد (فضائل القرآن لابن كثير ٤٦١/٧) وسنده حسن. وروى ابن سعد في الطبقات عن أنس أن أبا موسى قام ليلة يصلي فسمع أزواج النبي ﷺ صوته وكان حلو الصوت فقمّن يسمعن فلما أصبح قيل له إن النساء كن يستمعن فقال: لو علمت لحبرتكن تحبيراً ولشوقتكن تشويقاً (الطبقات ٣٤٥/٢). قال ابن حجر: إسناده على شرط مسلم (الفتح ٩٣/٩).

(٢) أبو عبيد في فضائل القرآن (فضائل القرآن لابن كثير ٤٨٠/٧)، ورواه ابن ماجه (٤٢٥/١ ح ١٣٣٨) في إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن والحاكم (٢٢٥/٣) - (٢٢٦) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد (ابن كثير فضائل القرآن ٤٨٩/٧) وسنده ضعيف وضعفه الحافظ في الفتح (٧٨/٩) قلت في سنده معاوية الصدفي وهو ضعيف وبقية وقد عنعن.

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (ح ٥٩٨٨) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٨٦٩٦) وعزاه صاحب الكنز لابن أبي داود في المصاحف (ح ٤١٣٦) ولم أجده عنده في المطبوع. وقال الحافظ: إسناده صحيح (الفتح ٧٨/٩).

(٥) الذي وجدته من قول ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب إذا دخل... «الكنز (ح ٤١٠٨) وعزاه لابن أبي داود ولم أجده عنده في المطبوع.

المصحف فقرأوا وفسر لهم^(١). وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا رجع أحدكم من سوقه فليشر المصحف وليقرأ^(٢). وذهب كثير من السلف أن قراءة القرآن في المصحف أفضل من على ظهر قلب، لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وكرهوا أن يمضي على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه. (وبالأيادي خطه يسطر) كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة/ ٧٧ - ٧٩) وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً، فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (البينة/ ٢) وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ، فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (عبس/ ١١/ ١٤) وقد كتبه الصحابة في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكر وعثمان، وإلى الآن يكتبه المسلمون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين^(٣). وقال علي بن أبي طالب نحو ذلك، وقال أبو بكر رضي الله عنه معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحد خلافه. ولو لم يكن الذي في المصحف كلام الله لم يحرم مسه على أحد ولم يكن من شأنه أن ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ بل ولا كان يحرم توسده، ولذا أجاز الزنادقة ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتاب الله، وهذا من أسفل دركات الكفر قبحهم الله.

(وكل ذي) المذكورات من القلب وحافظته وذاكركه واللسان وحركته والآذان وأسماعها والأبصار ونظرها والأيادي وكتابتها وأدوات الكتابة من أوراق وأقلام ومداد، كلها (مخلوقة حقيقة) ليس في ذلك توقف، (دون) القرآن الذي هو (كلام) الله تعالى (بارئ الخليفة). قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد. فالقلب مخلوق والمحمفوظ غير

(١) ذكره ابن كثير في فضائل القرآن وفي سننه ابن أبي ليلى وقد ضَعَف.

(٢) عزاه صاحب الكنز لابن أبي داود في المصاحف (ح ٤٠٣٤) ولم أجده عنده في المطبوع وفي سننه ثوير مولى جعده بن هبيرة وهو ركن من أركان الكذب. وذكره ابن كثير في فضائل القرآن.

(٣) البخاري (٦٤/٩ - ٦٥) في فضائل القرآن، باب من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين.

مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق. انتهى. فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلي كلام الله تعالى غير مخلوق.

جلت صفات ربنا الرحمن عن وصفها بالخلق والحدثان

فليس من صفات الله تعالى شيء مخلوق، تعالى الله عن ذلك وتعالى عن أن تكون ذاته محلاً للمخلوقات، بل هو الأول بأسمائه وصفاته قبل كل شيء، والآخر بأسمائه وصفاته بعد كل شيء، لم يسبق شيء من صفاته بالعدم، ولم يعقب بالفناء، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. (فالصوت) من جهوري وخفي (والألحان) من حسن وغيره (صوت القاري لكنما المتلو) المؤدّي بذلك الصوت هو (قول الباري) جل وعلا.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنّى بالقرآن»^(١) ولا بن ماجه بإسناد جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»^(٢) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن وابكوا فإن لم تقدرُوا على البكاء فتباكوا» رواه البغوي، ولأبي داود نحوه^(٣)، وله عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) أخرجه البخاري (٦٨/٩) في فضائل القرآن، باب الوصاة بكتاب الله عز وجل. وفي التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَفْنَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (٤٥٣/١٣) ومسلم (٥٤٥/١) ح (٧٩٢) في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٢) تقدم ذكره وأن إسناده حسن.

(٣) البغوي (فضائل القرآن لابن كثير ٤٨٠/٧) ورواه ابن ماجه (٤٢٤/١) ح (١٣٣٧) في إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن والبيهقي في السنن (٢٣١/١٠). وفيه أبو رافع وهو متروك.

ورواية أبي داود مختصرة بقوله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» من حديث سعد (٧٤/٢) ح (١٤٦٩) في الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة. وأحمد (ح) ١٤٧٦ نسخة أحمد شاكر والحاكم (٥٧٠/١). وإسناده صحيح.

ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(١) وله للنسائي وابن ماجه بإسناد جيد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٢) وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً - أو قراءة - منه»^(٣) الحديث، ولابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»^(٤) ولأبي عبيد عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين. وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»^(٥). وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لقد أوتيت زمزماراً من مزامير آل

(١) أبو داود (٧٤/٢ ح ١٤٧١) في الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة. وإسناده صحيح.

(٢) أبو داود (٧٤/٢ ح ١٤٦٨) في الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة.

والنسائي (١٧٩/٢ - ١٨٠) في الصلاة، باب تزيين القرآن بالصوت.

وابن ماجه (٤٢٦/١ ح ١٣٤٢) في إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن.

وأحمد: (٢٨٣/٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤) والدارمي (٤٧٤/٢) وابن حبان (الإحسان ٦٥/٢).

والحاكم (٥٧١/١). وإسناده صحيح.

(٣) تقدم ذكره.

(٤) ابن ماجه (٤٢٥/١ ح ١٣٣٩) في إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن.

وفيه ابراهيم بن إسماعيل بن مجمع وعبدالله بن جعفر الراوي عنه وهو والد ابن المديني وهما

ضعيفان وللحديث شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الأوسط (المجمع ١٧٣/٧).

وقال الهيثمي: فيه حميد بن حماد بن أبي الخوار وثقه ابن حبان وقال ربما أخطأ وبقية رجاله

رجال الصحيح.

ورواه البزار في مسنده (كشف الأستار ٩٨/٣) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٠٢/٢).

ورواه الدارمي مرسلاً من حديث طاووس (٤٧١/٢) ورجاله ثقات فالحديث حسن إن شاء الله

تعالى.

(٥) في فضائل القرآن (ابن كثير ٤٨٣/٧) رواه الطبراني في الأوسط (المجمع ١٧٢/٧) والبيهقي في

شعب الإيمان (المشكاة ٦٧٦/١) ورزين (جامع الأصول ٤٥٩/٢) وابن الجوزي في العلل

المتناهية (١١٨/١).

وسنده ضعيف جداً ففيه: رجل لم يسم. وبقية بن الوليد روى عن حصين بن مالك الفزاري وقد

تفرد عنه بقية (ميزان الاعتدال ٥٥٣/١).

داود^(١). ففي جميع هذه الأحاديث التصريح بإضافة الصوت والألحان والتغني إلى العبد لأنه عمله، والقرآن المؤدَّى بذلك الصوت هو كلام الله حقيقة، وكذلك المهارة بالقرآن والتتبع فيه هو فعل العبد وسعيه لما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران»^(٢) وهذا الفرق واضح والله الحمد وعليه أهل السنة والحديث كأحمد بن حنبل وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما رحمهم الله تعالى، ولو كان الصوت هو نفس المتلو المؤدَّى به كما يقوله أهل الاتحاد لكان كل من سمع القرآن من أي تال وبأي صوت كليّم الرحمن فلا مزية لموسى عليه السلام على غيره، اللهم لك الحمد ربنا، لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

(مسألة): اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي وجماعة أئمة الحديث أن اللفظية جهمية، واللفظية هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال أئمة السنة رحمهم الله تعالى: ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون غير بدعية الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين: أحدهما الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام الله ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له، والثاني التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه، فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية. وهذا ظاهر عند كل عاقل، فإنك إذا سمعت رجلاً يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ تقول هذا لفظ سورة الإخلاص، وتقول هذا لفظ فلان بسورة الإخلاص، إذ اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو كلام الله عز

(١) البخاري (٩٢/٩) في فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن. ومسلم (١/٥٤٦/ح ٧٩٣) في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٢) البخاري (٦٩١/٨) في التفسير، باب سورة عبس. ومسلم (١/٥٤٩ - ٥٥٠/ح ٧٩٨) في صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه.

وجل^(١). وهذا بخلاف ما ذكر السلف بقولهم: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري، فإن الصوت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلو المؤدى بالصوت البتة، ولا يصلح أن تقول هذا صوت قل هو الله أحد ولا يقول ذلك عاقل، وإنما تقول هذا صوت فلان يقرأ قل هو الله أحد ونحو ذلك. نعم، إذا سمع كلام الله عز وجل منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاة والسلام وسماع جبريل عليه السلام وسماع أهل الجنة كلامه منه عز وجل فحينئذ التلاوة والمتلو صفة الباري عز وجل ليس منها شيء مخلوق. تعالى الله علواً كبيراً.

(ما قاله لا يقبل التبديلاً) قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ﴾ (ق/٢٩) وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الكهف/٢٧) وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام/١١٥) وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (يونس/٦٤).

(كلا) أي لا يكون ذلك (ولا أصدق منه) أي من الله تعالى (قيلاً) أي قولاً وهو تمييز محول عن اسم لا، والتقدير لا قيل أصدق من قبله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء/٨٧) وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء/١١٢) أي من أصدق من الله تعالى في حديثه وخبره ووعدته ووعيده؟ والجواب: لا أحد. وفي خطبة رسول الله ﷺ قال: «إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ»^(٢) الحديث.

وقد روى الثقات عن خير الملا بأنه عز وجل وعلا
في ثلث الليل الأخير ينزل يقول هل من نائب يقبل

(١) أنظر تفصيل هذه المسألة في كتابي: خلق أفعال العباد للإمام البخاري والاختلاف في اللفظ لابن قتيبة الدينوري.

(٢) تقدم ذكره.

هل من مسيء طالب للمغفرة يجد كريماً قابلاً للمعذرة
يمنُّ بالخيرات والفضائل ويستر العيب ويعطي السائل

أي ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء صفة النزول للرب عز وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن فضلاء الصحابة كأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وعمر بن عبد الله بن عتبة، ورفاعة الجهني، وعثمان بن أبي العاص الثقفي، وأبي الدرداء، وابن عباس، وعباد بن الصامت، وأبي الخطاب، وعمر بن عامر السلمي، وغيرهم رضي الله عنهم.

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحنا أو شرك»^(١) رواه جماعة عن ابن وهب. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء الأخيرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل هبط الله عز وجل إلى سماء الدنيا لم يزل بها حتى يطلع الفجر فيقول: ألا سائل يعطى، ألا داع فيجاب، ألا مذنّب يستغفر فيغفر له، ألا سقيم يستشفى فيشفى»^(٢) رواه الطبراني في السنة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» أخرجاه في الصحيحين^(٣). وفي رواية عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (ح ٥٠٩) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٣٦) والدارمي في الرد على الجهمية (١٣٦) وابن عدي في الكامل (١٩٤٦/٥) والعقيلي في الضعفاء (٢٩/٣) وأبو نعيم في تاريخ اصبهان (٢/٢) والبخاري (كشف الأستار ٤٣٥/٢).
وسنده ضعيف ففيه عبد الملك بن عبد الملك قال البخاري في حديثه نظر وقال ابن حبان: لا يتابع على حديثه.

عن مصعب بن أبي ذئب: وهو مجهول. وللحديث شواهد عدة بها يرتفع إلى درجة الحسن. (أنظر تعليق العلامة الألباني عليه في تخريج السنة لابن أبي عاصم).

(٢) ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٣٣) واللالكائي (ح ٧٤٩) وسنده حسن.

(٣) تقدم ذكره.

أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يمهل، حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى السماء الدنيا فنادى: هل من مذنّب يتوب، هل من مستغفر، هل من سائل»^(١). وفي مسند أحمد رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له»^(٢) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات، وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد من أكثر من ثلاثين طريقاً عن أبي هريرة رضي الله عنه إلى النبي ﷺ^(٣). وفي رواية عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسیه ثم مد ساعديه فيقول: من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلم، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه. فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسیه»^(٤) رواه ابن منده قال وله أصل مرسل. وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له» حديث صحيح رواه النسائي وأبو الوليد الطيالسي^(٥). وعن جابر رضي الله عنه أن

(١) مسلم (١/٥٢٣/ح ٧٥٧) في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

(٢) أحمد (٢/٤١٩) وسنده على شرط الشيخين. وقد أخرجه دون قوله: أنا الملك.

(٣) أنظرها في التوحيد (ص ١٢٦ - ١٣١) وفي عمل اليوم والليلة للنسائي أكثرها باب الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار وفي النزول للدارقطني.

(٤) ابن مندة في الرد على الجهمية (ح ٥٦) وسنده ضعيف فيه محفوظ بن أبي توبة وقد ضعف أحمد أمره جداً.

وقال ابن منده: وله أصل عند سعيد بن المسيب مرسل.

قلت: قول ابن منده هذا فيه إشارة إلى ضعفه موصولاً كما قدمت.

(٥) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٤٨٧) وأحمد في المسند (٤/٨١).

وأبو يعلى في مسنده (١/٣٤٩) والطبراني في الكبير (٢/١٣٤/ح ١٥٦٦). والبخاري (كشف الأستار ٤/٤٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٥١). قال الهيثمي: رجالهم رجال =

رسول الله ﷺ قال: «إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لثلاث الليل فيقول: ألا عبد من عبيدي يدعوني فأستجيب له، أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مقتر عليه رزقه، ألا مظلوم يستنصرني فأنصره، ألا عان يدعوني فأفك عنه، فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسیه» رواه الدارقطني^(١). وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر» حديث حسن رواه أحمد في مسنده ورجاله أئمة^(٢)، ورواه أبو معاوية بلفظ: «إن الله تعالى يفتح أبواب السماء، ثم يهبط إلى السماء الدنيا، ثم يسط يده فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر» وعن رفاعة الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل نزل الله إلى سماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، حتى ينفجر الفجر» حديث صحيح رواه أحمد في مسنده^(٣). وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من داع فأستجيب له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له. وأن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، إلا أن يكون ساحراً أو عشاراً» رواه الإمام أحمد بنحوه^(٤)، وعن أبي

= الصحيح (المجمع ١٠/١٥٧).

- (١) النزول للدارقطني (ح ٧) وفي سنده من لم أجد لهم ترجمة.
- (٢) أحمد (١/٣٨٨ و ٤٠٣) ورجاله ثقات غير أن أبا إسحق الهمداني مدلس وقد عنعن وله طريق أخرى من حديث معاوية بن عمرو عن زائدة عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عنه به والهجري فيه مقال وهو إبراهيم بن مسلم وفي التقريب: لين الحديث.
- فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر رواية أبي معاوية عند الدارقطني في النزول (ح ٩ و ١٠).
- (٣) أحمد (٤/١٦) والطيالسي (١٢٦١) ورجاله ثقات وفيه يحيى بن أبي كثير وهو مدلس وقد صرح بالتحديث عند ابن خزيمة وعند الدارقطني في النزول (ح ٦٩) فأما تدليسه.
- (٤) ليس عند أحمد بهذا اللفظ فليس فيه ذكر النزول إنما هو قوله: «إن في الليل ساعة تفتح فيها أبواب السماء ينادي مناد هل من سائل فأعطيه هل من داع... الحديث. المسند (٤/٢١٨) =

الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت. ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم ير أحد ولم يخطر على قلب بشر. ثم يهبط في آخر ساعة من الليل يقول ألا مستغفر فأغفر له، ألا سائل فأعطيه، ألا داع فأستجيب له» رواه عثمان بن سعيد الدارمي^(١). وروى موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: ألا عبد يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأقبله فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على كرسيه»^(٢). وعن أبي الخطاب رضي الله عنه أنه قال وقد سئل عن الوتر: أحب أوتر نصف الليل، فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنّب، هل من مستغفر، هل من داع، حتى إذا طلع الفجر ارتفع» رواه محمد بن سعد في طبقاته^(٣). وعن عمرو بن عامر السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذهب ثلث الليل - أو قال نصف

= وهي عند ابن خزيمة بذكر النزول (التوحيد ص ١٣٥). وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

ورواه دون ذكر داود عليه السلام (المسند ٢٢/٤) والدارقطني في النزول (ح ٧٢) من طريق علي بن زيد. والحديث صحيح لشواهده.

(١) الدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٢٨) وابن جرير في تفسيره (١٣/١٧٠ و ١٣٩/١٥). وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٣٥ - ١٣٦) واللالكائي (ح ٧٥٦) والدارقطني في النزول (ح ٧٣) وإسناده ضعيف فيه زيادة بن محمد وهو منكر الحديث. قال الذهبي بعد أن أورد هذا الحديث: فهذه ألفاظ منكّرة لم يأت بها غير زيادة (الميزان ٩٨/٢).

(٢) سنده ضعيف فإسحق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت: مجهول الحال وهو يرسل عن عبادة (التقريب ت ٣٩٢).

(٣) ابن سعد في الطبقات (٥٧/٦) وأخرجه الطبراني (٢٢/٣٧٠ ح ٩٢٧) وابن السكن وابن أبي خيثمة والبغوي وعبدالله في السنن (الإصابة ٥٣/٤) وسنده ضعيف فيه ثوير بن أبي فاختة وهو ضعيف.

الليل - ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: هل من عان فأفكه، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له» رواه ابن منده^(١). وعن عبيد بن السباق أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا من آخر الليل فينادي مناد في السماء العليا: ألا نزل الخالق العليم. فيخرج أهل السماء وينادي فيهم مناد بذلك، فلا يمر بأهل سماء إلا وهم سجود» رواه أبو داود^(٢).

وروى أبو اليمان ويحيى بن أبي كثير وعبد الصمد بن النعمان ويزيد بن هارون - وهذا سياق حديثه - أخبرنا حريز بن عثمان حدثنا سليم بن عامر عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله جعلني الله فداك، شيء تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرني، ما ساعة أقرب من ساعة وما ساعة تبقى فيها؟ يعني الصلاة. فقال: «يا عمرو بن عبسة، لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك. إن الرب تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر، إلا ما كان من الشرك والبغي، والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس فإنها تطلع على قرن الشيطان وهي صلاة الكفار، فأقصر عن الصلاة حتى ترتفع الشمس، فإذا استعلت الشمس فالصلاة مشهودة حتى يعتدل النهار، فإذا اعتدل النهار فأخر الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم، فإذا فاء الفياء فالصلاة مشهودة حتى تدلى للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصر عن الصلاة حتى تجب الشمس»^(٣) وهو في مسلم مطولاً. قلت وهذا في معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾

(١) ورواه الدارقطني في كتاب السنة له من طريق عثمان البتي (في مختصر الصواعق التيمي وهو خطأ) عن عبد الحميد بن سلمة عن أبيه عن عمرو بن عامر السلمي. وقال الدارقطني عبد الحميد وأبوه لا يعرفان. أنظر تهذيب التهذيب (١٠٥/٦). فسنده ضعيف.

(٢) المراسيل لابي داود (ح ٧٤) رجاله ثقات وهو مرسل فعبيد بن السباق تابعي ثقة ولم أجد الحديث عند أبي داود في سننه (انظر مختصر الصواعق ٢/٢٣٣) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (ح ٥٠٦) وقال العلامة الألباني: إسناده ضعيف لإرساله... والحديث بهذا السياق منكر.

(٣) أحمد (٣٨٥/٤) عن يزيد بن هارون به وأخرجه من طريقهم جميعاً الدارقطني في النزول (ح ٦٦) اللالكائي (ح ٧٦١) وإسناده منقطع فسلم بن عامر (في الأصل سليمان بن عامر وهو نقل من مختصر الصواعق ٢/٢٣٥ وكلاهما خطأ) لم يسمع من عمرو بن عبسة.

وفي المطبوع يحيى بن أبي بكر وجريير بن عثمان وهو خطأ والصواب ما أثبتناه وليس أصل الحديث عند مسلم حتى يرد عنده مطولاً.

للدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً. ومن الليل فتَهَجَّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» (الإسراء/ ٧٧ - ٧٨) وفي كتاب السنة للخلال عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الأوسط فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ويترك أهل الحقد لحقدهم»^(١) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى لم يره أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما شاء، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبى لمن دخلك. ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول: قيومي بعزتي. ثم يطلع إلى عبادته فيقول: هل من مستغفر أغفر له، هل من داع أجيبه، حتى تكون صلاة الفجر» وكذلك يقول: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ فيشاهده الله وملائكة الليل والنهار» رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد^(٢)، وقد تقدم قريباً بغير هذا اللفظ. وله عن القاسم بن محمد عن أبيه - أو عمه - عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل ليلة النصف فيغفر للمؤمنين» الحديث^(٣) رواه ابن زنجوية. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان هبط الله تعالى إلى سماء الدنيا فيغفر لأهل الأرض إلا لافر أو مشاحن»^(٤) رواه محمد بن الفضل البخاري. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٣٤) وإسناده حسن.

(٢) تقدم قبل قليل وأن إسناده ضعيف وهو عند ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٣٥ - ١٣٦). ورواه ابن جرير الطبري (١٣٩/١٥) والدارقطني في النزول.

(٣) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٣٦) واللالكائي (ح ٧٥٠). وقد تقدم أن إسناده ضعيف وهو حسن لشواهد كما أشرنا هناك. ورواه الدارقطني في النزول (ح ٧٥ و٧٦) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٥٠٩).

(٤) سنده موضوع فحمد بن الفضل البخاري كذاب وجعفر بن الزبير متروك الحديث (أنظر مختصر الصواعق ٢/٢٤٧).

عنه سمعت النبي ﷺ يقول: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن»^(١). قلت ولا منافاة بين أحاديث تخصيص النزول بليلة النصف من شعبان وبين الأحاديث القاضية أنه في كل ليلة فإن النزول في ليلة النصف من شعبان مطلق والنزول في كل ليلة مقيد بالنصف في لفظ وبالثالث في آخر^(٢)، على أنه ليس في تخصيص النزول بنصف شعبان نفي له فيما عداها، والأحاديث التي فيها النزول كل ليلة أكثر وأشهر وأصح بلا شك ولا مرية. وقد ثبت النزول أيضاً في عشية عرفة كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: «أنظروا إلى عبادي، أتوني شعثاً غبراً، أشهدكم أنني قد غفرت لهم»^(٣). ورواه الخلال في السنة من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عنه يرفعه «أفضل أيام الدنيا أيام العشر» قالوا يا رسول الله ولا مثلهن في سبيل الله قال: «إلا من عفر وجهه في التراب، إن عشية عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة: «أنظروا إلى عبادي هؤلاء شعثاً غبراً جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي. فلا يرى يوماً أكثر عتيقاً ولا عتيقة»^(٤) وروى خلاد بن يحيى حدثنا عبد الوهاب عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء رجلان أحدهما أنصاري والآخر ثقف فذكر الحديث وفيه: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، اشهدوا أنني قد غفرت لهم ذنوبهم»^(٥) رواه طلحة بن مصرف عن مجاهد به. وقد

(١) أخرجه ابن ماجه (١/٤٤٥/١ ح ١٣٩٠) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٥١٠) واللالكائي (ح ٧٦٣) وسنده ضعيف فيه ابن لهيعة وجهالة عبد الرحمن بن عرزب.

(٢) قال الترمذي: وقد روي هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ينزل الله عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر وهو أصح الروايات (ح ٤٤٦).

(٣) ورواه الدارقطني في السنة (الفتح ٣/٣٠) واللالكائي (ح ٧٥١) من طريق ابن أبي حاتم وسنده حسن

(٤) ذكره ابن القيم في الصواعق المرسله (المختصر ٢/٢٣٥) ومثته هذا هو متن اللالكائي (ح ٧٥١) وكما قدمنا فإن سنده حسن.

(٥) ذكره ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/٢٤٤ - ٢٤٥) ورجاله ثقات إن سلم ممن تحته.

روى النزول في رمضان، وليس هو نافياً له في غيره. فروى علي بن معبد عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن طارق عن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في شهر رمضان، إذا ذهب الثلث الأول من الليل هبط إلى السماء الدنيا ثم قال: هل من سائل يعطي، هل من مستغفر يغفر له، هل من تائب يتاب عليه»^(١). وروى عبيد الله بن موسى قال ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم/٢٧) قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمر السنة فيمحو ما يشاء غير الشقاوة والسعادة والموت والحياة»^(٢) وإسناده حسن. وهذا الموقوف له حكم المرفوع عند المحدثين لأنه لا يقال من قبل الرأي. وقد ثبت النزول لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنة كما ستأتي الأحاديث إن شاء الله تعالى في ذلك.

ونحن نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جل وعلا من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته عز وجل غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، فنسير بسير النصوص حيث سارت ونقف معها حيث وقفت لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصر عنها. وقد تكلفت جماعة من مثبي

(١) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٣) واللالكائي (ح ٧٦٦) قال العلامة الألباني: إسناده صحيح.

(٢) وعزاه السيوطي إلى ابن جرير في تفسيره (ولم أجده بلفظه عنه وعند قريباً منه من كلام مجاهد) والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب (الدر المنثور ٤/٦٥٩) وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ والمنهال: ربما وهم فسنده ضعيف. وقوله: إسناده حسن هو كلام ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/٢٤٥) والأثر ليس في تفسير «يثبت الله الذين آمنوا» إنما في قوله: «يمحو الله ما يشاء ويثبت...» (الرعد/٣٩).

المتكلمين فحاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمه، وفي خلو العرش منه وعدمه نفيًا وإثباتًا وذلك تكلف منهم، ودخول فيما لا يعنيه، وهو ضرب من التكليف لم يأت في لفظ النصوص ولم يسأل الصحابة النبي ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك ونصدق به كما آمنوا وصدقوا. فإن قال لنا متعنت أو متنطع: يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله، قلنا له أنت لا تلزمنا نحن فيما تدعيه وإنما تلزم قائل ذلك وهو رسول الله ﷺ، فإن كان ذلك لازماً لما قاله حقيقة وجب الإيمان به إذ لازم الحق حق، وإن لم يك ذلك لازماً له فأنت معترض على النبي ﷺ كاذب عليه متقدم بين يديه. وروى البيهقي عن الحاكم عن محمد بن صالح بن هانيء سمع أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم بن أبي صالح - مجلس الأمير عبدالله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال ابن أبي صالح كبرتُ برب ينزل من سماء إلى سماء. فقلت آمنتُ برب يفعل ما يشاء^(١). وقال إسحاق رحمه الله تعالى: دخلت على ابن طاهر فقال ما هذه الأحاديث يروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام. فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال نعم. قلت فلم تتكلم في هذا^(٢) وقال إسحق أيضاً قال لي ابن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الذي تروونه: «ينزل ربنا كل ليلة» كيف ينزل؟ قلت: أعز الله الأمير، لا كيف، إنما ينزل بلا كيف^(٣). وقال أحمد بن سعيد الرباطي: حضرت مجلس ابن طاهر وحضر إسحق، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ قال نعم، فقال له بعض القواد: كيف ينزل؟ فقال أثبتته فوق حتى أصف لك النزول. فقال الرجل أثبتته فوق، فقال إسحاق قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/٢٢) فقال ابن طاهر: هذا يا أبا

(١) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٦٨).

(٢) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٦٨).

(٣) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٦٨) وقريباً منها رواها اللالكائي (٧٧٤) وانظر شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤١) والفتوى الحموية (ص ٤١).

يعقوب يوم القيامة. فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ ١. هـ. (١). من كتاب العلو.

وهذا الذي قاله إسحاق رحمه الله تعالى هو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة كما قدمنا عنهم في جميع نصوص الصفات، وأن مذهبهم إمرارها كما جاءت، والإيمان بها بلا كيف.

وأنه يجيء يوم الفصل كما يشاء للقضاء العدل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة/٩٠) وقال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ (الأنعام/١٥٨) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان/٢٥) وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/٢١-٢٢) وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (الزمر/٦٩).

وفي حديث الصور المشهور الذي ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه: «إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً من آدم فمن بعده، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها أنا لها، فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعدما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون. قال: وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة

(١) العلو (ص ١٣٣) وانظر تعليق العلامة الألباني على هذه النصوص في مختصره (ص ١٩١ - ١٩٣).

والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميئ الخلائق ولا يموت، سبح قدوس رب الملائكة والروح، سبح قدوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي السلطان والعظمة، سبحانه سبحانه أبداً أبداً^(١). وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجمعُ الله الأولينَ والآخرينَ لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» رواه ابن منده وقال الذهبي إسناده حسن^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد» رواه مسلم^(٣). وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يهبط الرب تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمه، ثم يخرج عنق من النار فيظل الخلائق كلهم فيقول: أمرت بكل جبار عنيد، ومن زعم أنه عزيز كريم، ومن دعا مع الله إلهاً آخر» رواه أبو أحمد العسالى في كتاب السنة^(٤). وفي الصحيحين من حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يتبع الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها - أو منافقوها، شك إبراهيم، يعني ابن سعد الراوي عن ابن شهاب - فيأتهم الله

(١) سيأتي إن شاء الله في الجزء الثاني بطوله وكلام الأئمة عليه وأن في ألفاظه نكارة وتفرد بعض الرواة به.

(٢) ذكره الذهبي في العلو (ص ٧٣) وفي (٧٤) من طريق ابن منده وقال: إسناده حسن وهو كذلك.
(٣) أخذه المنصف من العلو للذهبي (ص ٧٣) واللفظ هذا ليس عند مسلم من حديث ابن جريج أنبأنا يونس بن يوسف عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة به مرفوعاً كما ذكر الذهبي إذ ليس عند مسلم من هذه الطريق إلا حديثاً واحداً هو: أول ما يقضي يوم القيامة عليه ثلاث... الحديث.
وليس فيه هذا اللفظ (مسلم ح ١٩٠٥) وانظر تحفة الأشراف (ح ١٣٤٨٢). وقد ورد هذا الحديث بزيادة فيه عند الترمذي وفيه هذا اللفظ (ح ٢٣٨٢) وقال الترمذي: حديث حسن غريب. قلت فيه الوليد بن أبي الوليد وهولن الحديث.

(٤) ذكره ابن القيم في الصواعق (مختصره ٢/٢٤٦) وعزاه إليه وفي سنده شهر بن حوشب وقد ضعف حديثه وعنه أبان بن أبي عياش وهو متروك الحديث. فسند ضعيف جداً.

تعالى فيقول: أنا ربكم. فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه. ويضرب الصراط بين ظهري جهنم^(١) وذكر الحديث بطوله. ولهما نحوه من حديث أبي سعيد، وفيه: «حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي ليلاحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا. فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن. ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً^(٢) وذكر الحديث، والأحاديث في هذا كثيرة، قال الذهبي رحمه الله تعالى: أحاديث نزول الباري متواترة قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أسأل عنه يوم القيامة^(٣).

[رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة]

وأنه يرى بلا إنكار	في جنة الفردوس بالأبصار
كل يراه رؤية العيان	كما أتى في محكم القرآن
وفي حديث سيد الأنعام	من غير ما شك ولا إيهام
رؤية حق ليس يمترونها	كالشمس صحوا لا سحب دونها
وخص بالرؤية أولياؤه	فضيلة وحجبوا أعداؤه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجْوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾ (القيامة/ ٢٣ - ٢٤) وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس/ ٢٦)

(١) البخاري (٢٩٢/٢ - ٢٩٣) في الآذان، باب فضل السجود. ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٦/١ ح ١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) البخاري (٤٢٠/١٣ - ٤٢٢) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجْوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾. ومسلم (١٦٧/١ - ١٧١) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٣) العلو (ص ٧٣).

وقال تعالى : ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق/٣٥) وقال تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين/١٥) فإذا حجب أولياؤه فأَي فضيلة لهم على أعدائه، وقال تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ. سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (يس/٥٥-٥٨) وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (المطففين/٢٣) وهذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفاً، ولا تأويلاً ولا يردّها إلا مكابر قد ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله .

وقد تواترت الأحاديث بمعنى ما تضمنته هذه الآيات رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلائهم: كأبي بكر الصديق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجريير بن عبد الله، وصهيب، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى، وأنس، وبريدة بن الحصيب، وأبي رزين، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامة، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وعمار بن روية. وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبي الدرداء. وفضالة بن عبيد، وعدي بن أرطاة، وأبي موسى الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم. وهذا أوان سردها فائق سمعك وأحضر قلبك، وتأملها تأمل طالب للحق لا نافر عنه، وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإياك وسوء الظن بكلام الله وكلام رسوله فذلك الهلكة وما ضل من ضل وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به. فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى، والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر

رضي الله عنه: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه، صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط . قال فسأله فقال: نعم عُرض عليّ ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل، اشفع لنا إلى ربك عز وجل . قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انظروا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح ﷺ إِنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿آل عمران/ ٣٣﴾ قال فينطلقون إلى نوح ﷺ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً، فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلاً فينطلقون إلى إبراهيم ﷺ فيقول: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله عز وجل كلمه تكليماً، فيقول موسى ﷺ: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى عيسى بن مريم ﷺ فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل . قال فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل: ائذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجداً قدر جمعة ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع، قال فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه عز وجل خر ساجداً قدر جمعة أخرى فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع . قال فيذهب ليضع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط فيقول أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه يرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة . ثم يقال ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبي ومعه العصابة والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال فإذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً . قال فيدخلون الجنة . قال ثم يقول الله عز وجل: أنظروا في أهل النار هل تلقون من عمل خيراً قط؟

قال فيجدون في النار رجلاً فيقولون له هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أنني كنت أسامح الناس في البيع. فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي. ثم يخرجون من النار رجلاً فيقولون له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أنني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح فوالله لا يقدر عليّ رب العالمين أبداً. فقال الله عز وجل له: لم فعل ذلك؟ قال من مخافتك. قال فيقول الله عز وجل أنظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك؟ قال ﷺ وذلك الذي ضحكت منه الضحى» رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر» قالوا لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحب» قالوا لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرائي جهنم فأكون أنا وأمتي

(١) أحمد في مسنده (٤/١ - ٥) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٨١٢) وأبو يعلى (ح ٥٦ و ٥٧) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٠٢ - ٢٠٣) وأبو عوانة (١/١٧٥ - ١٧٨) وابن حبان / موارد (٢٥٨٩) والبخاري في مسنده (كشف الاستار ٤/١٦٨ ح ٣٤٦٥) والدولابي في الكنى (٢/١٥٥ - ١٥٦). كلهم من طريق البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر مرفوعاً. قال ابن حبان: قال إسحق (ابن راهوية): هذا من أشرف الحديث وقد روى هذا الحديث عده عن النبي ﷺ بنحو هذا منهم: حذيفة وأبو مسعود وأبو هريرة وغيرهم. قلت: ... وقد صحح الحديث جماعة منهم: إسحق بن راهوية وابن حبان والهيثمي وأحمد شاكر وناصر الألباني.

أول من يخير، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازي. فإذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله. فيعرفونهم بأثر السجود وتآكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحدقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعو، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول لا أسألك غيره، فيعطي ربه من عهود وموآثيق ما شاء الله فيصرف وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكنت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله تعالى: أليس قد أعطيت عهودك وموآثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويليك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول أي رب فيدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء من عهود وموآثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فيرى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيت عهودك وموآثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت، ويليك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك. فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال: أدخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمن. فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول له تمن كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه. قال

عطاء بن يزيد: وأبو سعيد مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً، حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله، قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه»، قال أبو سعيد: أشهد أنني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة وذلك آخر أهل الجنة دخولاً الجنة^(١). ولهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس فيها سحب؟» قالوا لا يا رسول الله. قال: «ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيز ابن الله. فيقال كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون. قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم ماذا تبغون. فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال فما تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول أنا ربكم. فيقولون نعوذ بالله منك ولا نشك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد

(١) البخاري ٢٩٢/٢ - ٢٩٣ في الأذان، باب فضل السجود. ومسلم (١/١٦٣ - ١٦٦ ح ١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء
 إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون
 رءوسهم وقد تحول في صورته التي رآوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون
 أنت ربنا. ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة. قيل يا رسول الله
 وما الجسر؟ قال دحض مزلة وخطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة
 يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد
 الخيل والركاب، فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم. حتى إذا
 خلاص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في
 استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون:
 ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم
 فيحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى أنصاف
 ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا. فيقول: ارجعوا
 فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً.
 ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في
 قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم
 نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من
 خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً قط.
 وكان أبو سعيد رضي الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن
 شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا
 عَظِيمًا﴾ (النساء/٤٠) فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع
 المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً
 لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقاهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر
 الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى
 الحجر أو الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخضر. وما يكون منها إلى
 الظل أبيض؟ فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال فيخرجون كاللؤلؤ
 في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة. فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين

أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً^(١). وفيهما عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا^(٢). وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٣). وللطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى، قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون: فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز، ويبقى

(١) البخاري (٤٢٠/١٣ - ٤٢٢) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرٌ﴾. ومسلم (١٦٧/١ - ١٧١) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) البخاري (٤١٩/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ﴾. ومسلم (٤٣٩/١ ح ٦٣٣) في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٣) مسلم (١٦٣/١ ح ١٨١) في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم عز وجل.

محمد ﷺ وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه. قال فيقول ما هي؟ فيقولون يكشف عن ساق، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ثم يقول: ارفعوا رءوسكم، فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطي نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطي نوراً أصغر من ذلك، ومن من يعطي نوراً مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطي نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطي نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه ومشى وإذا طفىء قام، والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول: مروا، فيمرون على قدر نورهم، منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب. ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل، حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتها، قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيها. قال فيدخل الجنة. قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه.

قال فيعطاه فينزله، قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول:

أي رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله عز وجل: فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره. قال: لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه. قال فيعطاه فينزله. قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول: أب أعطني ذلك المنزل. فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره. قال لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه؟ قال فيعطاه فينزله ثم يسكت. فيقول الله عز وجل: مالك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله عز وجل: ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيها وعشرة أضعافه. فيقول: أتستهزئ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب عز وجل من قوله. قال فرأيت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت. فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه. قال فيقول الرب عز وجل: لا ولكني على ذلك قادر، سل. فيقول: ألحقني بالناس. فيقول الحق بالناس. قال فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً، فيقال له: ارفع رأسك مالك؟ فيقول: رأيت ربي، أو تراءى لي ربي. فيقال: إنما هو منزل من منازل. قال ثم يلقي فيها رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال له مه. فيقول رأيت أنك ملك من الملائكة، فيقول له: إنما أنا خازن من خزانك، عبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه. قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر، قال وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدنان حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددت في عيني

سبعين ضعفاً. فيقال له: أشرف قال فيشرف، فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره» قال فقال عمر رضي الله عنه: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً، فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فام يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة. ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واهل لهذه الريح، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه. فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها. فقال كعب: والذي نفسي بيده إن لجهم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الله يقول: «رب نفسي نفسي» حتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنك لا تنجو^(١). قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبدالله بن أحمد والطبراني والدارقطني رحمهم الله تعالى. وروى يعقوب بن سفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة» وذكر ما يعطون قال: «ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجاباً، فيكشف حجاب ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَدِينَا مَزِيدٌ﴾^(٢) وفي الصحيحين

(١) الطبراني في الكبير (٩/٤١٧/٩ ح ٩٧٦٣) ورواه عبدالله في السنة (ح ١٢٠٣). والدارقطني في الرؤية (١٦٦/١٦٧) والحاكم في مستدركه (٤/٥٨٩) وقال: صحيح الإسناد. قال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده.

قلت: إسناده حسن ففيه المنهال بن عمرو ربما وهم.

(٢) أخرجه اللالكائي (ح ٨٥٢) وسنده موضوع فيه عمر بن خالد القرشي كذاب وسويد بن عبد العزيز ضعيف جداً.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(١). ولأحمد عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله عز وجل الأمم في صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدا الله عز وجل أن يصدع بين خلقه مثل لك قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول ما تنتظرون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل، فيقول وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لا عدل له، فيتجلى لنا ضاحكاً فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منك أحد إلا جعلت في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه»^(٢) وفي رواية: «يتجلى لنا ربنا عز وجل ضاحكاً يوم القيامة». وللدارقطني عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه عز وجل»^(٣) رواه الإمام أحمد وابن وهب. وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة. ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل. فقال يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبت عنها. قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله عز وجل - قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَارِطِي الذين سعروا البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت كسرى بن هرمز؟

(١) البخاري (٦٢٣/٨ - ٦٢٤) في التفسير - تفسير سورة الرحمن، باب: «ومن دونهما جنتان. وباب حور مقصورات في الخيام. ومسلم (١/١٦٣ ح ١٨٠) في الإيمان، باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.

(٢) أحمد (٤٠٧/٤ - ٤٠٨) والأجري في الشريعة (ص ٢٦٣) وابن خزيمة في التوحيد مختصراً (ص ٢٣٦) وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ورواه عبد الله في السنة (ح ٤٦٣) رجاله ثقات.

(٣) ابن جرير في تفسيره (١٠٥/١١) والدارقطني في الرؤية واللالكائي (ح ٧٨٢) وإسناده ضعيف جداً ففيه إبان بن أبي العياش وهو متروك الحديث.

قال كسرى بن هرمز. ولئن طال بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه. وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول بلى يا رب. فيقول ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. قال عدي بن حاتم سمعت رسول الله ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة. قال عدي: فرأيت الطعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طال بك حياة لترون ما قال النبي ﷺ^(١). وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظ فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا عز وجل حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناك، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربّه منها. ولكن اتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل. قال فيأتون نوحاً فيقول: لست هناك، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربّه منها، ولكن اتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً. فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربّه منها، ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله تكليماً وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربّه منها، ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناك ولكن اتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: قال رسول الله ﷺ: فيأتوني فأستأذن على ربي فيأذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطى واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن

(١) البخاري (٦١٠/٦) في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام وأحمد (٢٥٧/٤).

يدعني ثم يقال: أرفع رأسك يا محمد، قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن^(١) أي وجب عليه الخلود، وفي رواية لابن خزيمة: «يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس، فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا - فذكر الحديث إلى أن قال - فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربني على عرشه فأخر ساجداً^(٢) وذكر الحديث، وفي رواية: «فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً^(٣) وفي رواية: «فأتي ربي وهو على سريره - أو كرسيه - فأخر له ساجداً^(٤). وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه: «فأستفتح، فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجداً^(٥) وفي حديث أبي هريرة: «أخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً^(٦). وللدارقطني عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «النظر إلى وجه الله عز وجل»^(٧). وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء. فقلت ما هذه التي في

(١) البخاري (٤٧٣/١٣ - ٤٧٤) في التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ومسلم: (١٨٠/١ - ١٨١/ح ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٠٠ - ٣٠١) وسنده صحيح.

(٣) هي رواية البخاري ومسلم المتقدمه.

(٤) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٥٣ - ٢٥٤) وسنده صحيح.

(٥) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٠٣) وسنده صحيح.

(٦) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٤٣) وسنده صحيح.

(٧) الدارقطني في الرؤية (حادي الأرواح ص ٣٥٣) وفيه عمر بن سعيد البصري الأبح (وفي المطبوع الأشج وهو خطأ) قال عنه البخاري: منكر الحديث.

وأخرجه الحسن بن عرفة في جزئه (ح ٢٣) ومن طريقه ابن منده في الرد على الجهمية (ح ٨٥). واللالكائي في السنة (ح ٧٧٩) والخطيب في تاريخه (١٤٠/٩). وإسناده ضعيف فيه سلم بن سالم البلخي ضعفه غير واحد ونوح بن أبي مريم وقد كُذِّب.

يدك يا جبريل؟ قال هذه الجمعة. قلت وما الجمعة؟ قال لكم فيها خير كثير، قلت وما يكون لنا فيها؟ قال يكون عيداً لكم ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعاً لكم. قلت وما لنا فيها؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له تقسم إلا ذخره له في آخرته ما هو أعظم منه. قلت ما هذه النكتة التي فيها؟ قال هي الساعة، ونحن ندعوه يوم المزيد. قلت وما ذاك يا جبريل؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه كثران من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثران، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة. ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة» هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي مسنده^(١). ورواه محمد بن إسحاق^(٢) وعمر بن أبي قيس، وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم

(١) الدراقطني في الرؤية (حادي الأرواح ص ٣٥٣ - ٣٥٤) وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٠/٢ - ١٥٢) وابن جرير (١٧٥/٢٦). وإسناده ضعيف فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وعثمان بن أبي حميد ويقال بن عمير ضعيف اختلط وكان يدلس. ورواه الشافعي في مسنده (١٢٦/١ - ١٢٧) من طريق أخرى عن أنس وإسناده ضعيف جداً فيه إبراهيم بن محمد وهو شيخ الشافعي متهم بالكذب وموسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

(٢) محمد بن إسحاق (حادي الأرواح ص ٣٥٤ - ٣٥٥) وإسناده ضعيف فهو من طريق ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به.

حف الكراسي بمنابر من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها. ويجيء أهل
الغرف حتى يجلسوا على الكتب. قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى
فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا
محل كرامتي، سلوني. فيسألونه الرضا. قال: رضاي أنزلكم داري وأنالكم
كرامتي. سلوني. فيسألونه الرضا. قال فيشهدهم بالرضا. ثم يسألونه حتى تنتهي
رغبتهم^(١). وذكر الحديث.

ورواه علي بن حرب^(٢) والحسن بن عرفة^(٣) وفي روايته: «ثم يرتفع على
كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى
غرفهم» ورواه الدارقطني أيضاً من طريق آخر عن أنس رضي الله عنه قال: بينا
نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: «أتاني جبريل في يده كالمرأة البيضاء في
وسطها كالنكتة السوداء، قلت يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة يعرضه
عليك ربك ليكون لك عيداً ولأمتك من بعدك. قال قلت: يا جبريل ما هذه
النكتة السوداء؟ قال: هي الساعة، وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا
ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيّد. قال قلت: يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيّد
قال: إن الله اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة
نزل ربنا عز وجل على كرسية أعلى ذلك الوادي وقد حف الكراسي بمنابر من
ذهب مكللة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكارسي من نور، ثم يؤذن لأهل
الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة
وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جلوساً
بعث الله عز وجل عليهم ريحاً يقال لها المثيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض في
وجوههم وثيابهم، وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على
صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل، فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضواناً - وهو

(١) عمرو بن أبي قيس (حادي الأرواح ص ٣٥٥) وإسناده ضعيف فهو من طريق عثمان بن عمير وهو
ضعيف.

(٢) حادي الأرواح (ص ٣٥٥) من طريق عثمان بن عمير.

(٣) حادي الأرواح (ص ٣٥٥) من طريق ليث عن عثمان.

خازن الجنة - فيقول: يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري. فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاء ونوره هموا له بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رءوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء. سلوني ما شئتم. فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي، فسلوني ما شئتم، فيقولون: ربنا وأي خير لم تفعله بنا، أألمت أعتتنا على سكرات الموت، وأنست منا الوحشة في ظلمات القبور، وآمنت وحشتنا عند النفخة في الصور؟ ألمت أقلت عثارتنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألمت الذي أدبنا من جوارك، وأسمعتنا لذاذة منطقتك، وتجلت لنا بنورك؟ فأأي خير لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عز وجل. فيناديهم بصوته: أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي، فسلوني. فيقولون: نسألك رضاك. فيقول تعالى: برضائي عنكم أقلتكم عثارتكم وسترت عليكم القبيح من أموركم وأدبنا مني جواركم وأسمعتكم لذاذة منطقتي وتجلت لكم بنوري، فهذا محل كرامتي، فسلوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم. ثم يقول عز وجل: سلوني، فيقولون: رضينا ربنا وسلمنا، فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة. قال أنس رضي الله عنه فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، وما مقدار تفرقهم؟ قال: كقدر الجمعة إلى الجمعة. قال ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون، ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته». قال أنس رضي الله عنه: سمعته من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد^(١). ورواه أيضاً من طريق آخر^(٢).

(١) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٥٥ - ٣٥٧) من طريق قتادة عن أنس ولم يذكر سنده. وطرق هذا الحديث لا تخلو من ضعف.

(٢) ذكرها ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٥٧) وفي إسناده مقال.

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر بن خزيمة وابن بطة في الإبانة وغيرهم وقد جمع ابن أبي داود طرده^(١). ولإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن بريدة بن الخصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»^(٢). ولإمام أحمد وأبي داود عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال: «نعم» قلت: وما آية ذلك في خلقه قال: «أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟ قلنا نعم، قال: «الله أكبر وأعظم»^(٣). ولإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه وقد سئل عن الورود فقال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا. أي فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا عز وجل، فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك. قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل

(١) هذا الحديث رواه جمع من الأئمة في مصنفاتهم:

ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٠/٢ - ١٥١ و ١٥١) وأبو يعلى في مسنده (ح ٤٢٢٨) وسنده صحيح وعبدالله في السنة (ح ٤٦٠) والشافعي في الأم (٢٠٨ - ٢٠٩) والأجري في الشريعة (ص ٢٦٥ - ٢٦٦) وأحاديثهم لا تخلو من مقال وسند أبي يعلى صحيح.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٥٠) وسنده حسن. وأصله عند البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم. البخاري (٤٢٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾. ومسلم (٧٠٣/٢ - ٧٠٤/٢) ح ١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة.

(٣) أحمد (١١/٤، ١٢) وأبو داود (٢٣٤/٤) ح ٤٧٣١) في السنة، باب في الرؤية وأخرجه الطيالسي (٢٢٨٤) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٧٩ و ٣٨٢) وابن حبان (موارد - ٣٩) والأجري (ص ٢٦٢) والحاكم (٥٦٠/٤). وإسناده ضعيف فيه وكيع بن حذس ويقال عدس وهو مجهول.

ويذهب حرقه، ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها» ورواه مسلم في صحيحه^(١). وفي رواية: «نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق» ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين. ولعبد الرزاق عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة»^(٢). وللدارقطني عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً»^(٣). ولأبي قرّة عنه رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم» فذكر الحديث وفيه: «فيقول أتعرفون الله عز وجل إن رأيتموه؟ فيقولون نعم، فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولونه نعلم أنه لا عدل له. قال فيتجلى تبارك وتعالى فيخرون له سجداً»^(٤). وفي سنن ابن ماجه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال تعالى: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قوله عز وجل: ﴿سَلامٌ قَولاً مِن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره»^(٥). وللبیهقي عنه رضي

(١) أحمد (٣/٣٤٥) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن ابن لهيعة عن روح بن عبادة عند أحمد (٣/٣٨٣).

وأخرجه مسلم (١/١٧٧ - ١٧٨ / ح ١٩١) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) عبد الرزاق في مصنفه وسنده صحيح.

(٣) الدارقطني في الصفات (ح ٣٣) وفي سنده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ وهو صحيح بما تقدم من شواهد.

(٤) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٥٩) ورجاله ثقات.

(٥) ابن ماجه (١/٦٥ - ٦٦ / ح ١٨٤).

ورواه العقيلي في الضعفاء (٢/٢٧٤) وابن عدي في الكامل (٦/٢٠٣٩ / ٢٠٤٠). والأجري في الشريعة (ص ٢٦٧) واللالكائي في السنة (ح ٨٣٦). وابن الجوزي في الموضوعات (٣/٢٦٠ - ٢٦٢).

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله. قلت: وفي سنده أبو عاصم العباداني وهو لئيم الحديث والفضل الرقاشي وهو ساقط.

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أهل الجنة في مجلس فهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف، فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرضا عنا. قال تعالى: رضائي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني. قالوا: نسألك الزيادة. قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار، فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نباس ونحن الخالدات فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فتشير عليهم رحيماً يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم، فيقول: مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين. قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً. ثم يقول: أرجعوههم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً» فقال رسول الله ﷺ: فذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت/ ٣١) رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية^(١). وللدارقطني عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة»^(٢). ولابن وهب والدارقطني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ويحدثنا عنه، حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذرته أمته، وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث

(١) البيهقي في البعث والنشور (ق ١٤٧) والدارقطني في الرؤية (٥٢/أ) وسنده كسابقه وعلمته علته.
(٢) الدارقطني في الرؤية (حادي الأرواح ص ٣٦٠) وإسناده موضوع فيه علي بن عبدة التميمي أبو الحسن قال الدارقطني: كان يضع الحديث. ورواه ابن عدي في كامله (١٨٥٨/٥) من طريقه وقال: هذا حديث باطل بهذا الإسناد وعلي بن عبدة هذا مقدار ماله.

شمالاً: يا عباد الله أثبتوا. وإنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي. ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تتروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه «كافر» يقرأه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتل في وجهه وليقرأ فواتح سورة الكهف. وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها، وإنه لا يعدو ذلك، ولا يسلط على نفس غيرها. وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاماً كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يوماً: يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر» قالوا فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدرون كما تقدرون في الأيام الطوال»^(١). ولإمام أحمد وأبي داود عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال: «قل حين تصبح: لبيك اللهم لبيك وسعديك، والخير في يديك، ومنك وإليك، اللهم وما قلتُ من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتُك بين يديه، ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير. اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنتُ من لعنة فعلى من لعنتُ، أنت ولي في الدنيا والآخرة، توفي مسلماً وألحقني بالصالحين. أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يُعتدي عليّ أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنباً لا تغفره. اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة،

(١) ابن وهب والدارقطني (حادي الأرواح ص ٣٦٠ - ٣٦١) وإسناده ضعيف فيه عمرو بن عبد الله الحرمي قال عنه الحافظ: مقبول: «إذا توبع وإلا فلين». والحديث رواه ابن ماجه (١٣٥٩/٢ - ١٣٦٣/١ ح ٤٠٧٧) في الفتن، باب فتنة الدجال من حديث يحيى بن أبي عمرو عن أبي أمامة. دون ذكر عمرو بن عبد الله الحضرمي وإسناده منقطع فيحيى لم يسمع من ذي مخبر (أنظر التهذيب). وألفاظ الحديث رويت في عدة أحاديث صحيحة وخاصة حديث النواس بن سمعان عند مسلم وغيره.

ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً، أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، وأن لقاءك حق، والجنة حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور. وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أن، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»^(١). وللإمام أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن أبي مجلز قال: صلى بنا عمار رضي الله عنه صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى. قال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين».

وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد^(٢). وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «يا جابر، ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بخير. قال شعرت أن الله أحيا أباك، قال فأقعدته بين يديه فقال: تمنّ عليّ عبدي ما شئت أعطكه. قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك، أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى. قال تعالى: إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع» وهو في المسند من حديث جابر^(٣). وللترمذي عنه

(١) أحمد (١٩١/٥) واللالكائي (ح ٨٤٦) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف. والحديث لم أجده عند أبي داود. والجملة الشاهدة صحيحة لما سيأتي وشواهدا.

(٢) أحمد (٢٦٥/٤) والنسائي (٥٥/٣) وفي سنده شريك وهو ضعيف. ورواه النسائي (٥٤/٣). (٥٥) والحاكم (٥٢٤/١) وابن حبان (الإحسان ٢١٢/٣) من طريق حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار. وعطاء قد اختلط وحَدَّث عنه حماد قبل الاختلاط فسندُه صحيح.

(٣) الحائث في مستدركه (٢٠٣/٣). وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يوافقه الذهبي وقال فيض (ابن وثيق) كذاب.

رضي الله عنه قال: لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله: يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قال بلى. قال: ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً فقال: يا عبدي تمن علي أعطك، قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائي. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ الآية. قال الترمذي هذا حديث حسن غريب. قلت وإسناده صحيح^(١). وللترمذي والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين»^(٢). وفي رواية ابن عرفة: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾^(٣)، وفي رواية سعيد بن هشيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

= قلت: هذا قول الإمام في التلخيص أما قوله في الميزان بعد أن ساق قول ابن معين وهو الذي تقدم قال: وهو مقارب الحال إن شاء الله. قال ابن حجر في اللسان أخرج له الحاكم في المستدرک محتجاً به وذكره ابن حبان في الثقات وذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه. وخديث جابر عند أحمد (٣٦١/٣) ورجاله ثقات سوى عبدالله بن محمد بن عقيل وهو لئى الحديث والحديث حسن بالذي بعده.

(١) الترمذي (١٣٠/٥ - ١٣١/١٣١) ح (٣٠١٠) في تفسير القرآن، باب سورة آل عمران وابن ماجه (١٦٨/١) ح (١٩٠) في المقدمة. والحاكم (٢٠٤/٣) وإسناده حسن. وقوله: إسناده صحيح هو قول ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٦٢).

(٢) الترمذي (٦٨٨/٤) ح (٢٥٥٣) في صفة الجنة، باب ١٧ وفي (٤٣٠/٥) ح (٣٣٢٨) في تفسير القرآن، باب ومن سورة المدثر. وأخرجه أحمد ٢ (١٣، ٦٤) وأبو يعلى في مسنده (٥٧١٢) و٥٧٢٩ والطبري في التفسير (١٠٤/٢٩) والبخاري في شرح السنة (٢٣٢/١٥ - ٢٣٣) وفي التفسير (١٨٦/٧) والطبراني (المجمع ٤٠٤/١٠) (وذكره في الزوائد هو خلاف ما التزمه الهيثمي).

والحاكم (٥٠٩ - ٥١٠) واللالكائي (ح ٨٤١). وإسناده ضعيف في ثوير بن أبي فاخته وهو واه الحديث.

(٣) الحسن بن عرفة (حادي الأرواح ص ٣٦٣) وسنده ضعيف للعلّة التي في قبله. وهذه الزيادة هي عند الترمذي كذلك.

«يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى» ورواه الدارقطني^(١). وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة؟» قالوا بلى يا رسول الله، فذكر الحديث إلى أن قال: «حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول: يا أهل الجنة، هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليل الرحمن، فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني، فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل»^(٢). وروى عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: «إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن عز وجل فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن عز وجل»^(٣). وقال الترمذي رحمه الله: حدثنا محمد بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أخبرنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أخبرنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة: أتسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دنيء - على كثران المسك

(١) الدارقطني في الرؤية (حادي الأرواح ص ٣٦٣) والخطيب في تاريخه (٣٥٢/١٠) وسنده ضعيف جداً فيه كثر بن حكيم وهو منكر الحديث كما قال الإمام البخاري. وهيثم بن حكيم: متروك الحديث.

(٢) الدارقطني في الرؤية (حادي الأرواح ص ٣٦٣) وإسناده ضعيف منقطع فهو من رواية حماد بن جعفر عن ابن عمر وبينهما مفاوز وحماد بن جعفر منكر الحديث.

(٣) عثمان بن سعيد في النقض (ص ١٦١) وسنده ضعيف وعلته حماد بن جعفر وهو منكر الحديث عن ابن عمر ولم يدركه.

والكافور. وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً. قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله، وهل نرى ربنا. قال: نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا. وقال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يقي في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله تعالى محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيت حابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول: عز وجل: قوموا إلي ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوط قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على الخلوب، فيحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشتري. وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً. قال فيقبل الرجل ذو المنزل المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنيء، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقنا عليه. فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: ابن أبي العشرين كاتب الأوزاعي. قال أحمد وأبو حاتم ثقة، وقال النسائي ليس بذاك القوي، وقال البخاري ربما يخالف في حديثه، وفي التقريب صدوق ربما أخطأ، وأما بقية رجاله فلا يسأل عنهم. ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم^(١). ولا بن بطة عن عمار بن ربيعة رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن

(١) الترمذي (٦٨٥/٤ ح ٢٥٤٩) في صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة. وابن ماجه (١٤٥٠/٢ - ١٤٥١/١ ح ٤٣٣٦) في الزهد، باب صفة الجنة. وفي سننه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين. وتابعه عند ابن أبي الدنيا هقل بن زياد (الترغيب والترهيب ٥٤١/٤). فإسناده حسن إن شاء الله تعالى.

استطعتم على أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا»^(١). وفي رواية له عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا»^(٢). ولأبي معاوية عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك. فيقول: نعم أنا صاحبكم، فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع، فيقال من هذا، فيقول محمد ﷺ، قال فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيستأذن في السجود فيؤذن له»^(٣) الحديث. ولابن بطة والبخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء، قال: قلت يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها. قال: قلت وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة. قال قلت وما الجمعة؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة. أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق، وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه، وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز - أو يخرج - فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة أخرجوا إلى دار

(١) ابن بطة في الإبانة (حادي الأرواح ص ٣٦٤) وفي إسناده أبو بكر بن عمارة بن ربيعة قال عنه الحافظ مقبول: «إذا توبع وإلا فليّن». والحديث في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) ابن بطة في الإبانة (حادي الأرواح ص ٣٦٤) وفيه المسعودي صدوق وقد اختلط وأبو بكر بن عمارة بن ربيعة قال عنه الحافظ: مقبول: «إذا توبع وإلا فليّن». والحديث في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٩٤) وسنده على شرط الشيخين. وقد تقدم حديث أنس وأبي هريرة في الصحيحين في الشفاعة.

المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله تعالى في كتمان من المسك. قال فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور. ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت. قال فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى ريحاً تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى.

قال ثم يوحى الله سبحانه وتعالى إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري؟ فسلوني فهذا يوم المزيد. قال فيجتمعون على كلمة واحدة: ربنا رضينا عنك فارض عنا. قال فيرجع الله تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لما أسكتكم جنتي، فهذا يوم المزيد فسلوني قال فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك، رب وجهك، أرنا ننظر إليه. قال فيكشف الله تبارك وتعالى الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لا حترقوا مما غشاهم من نوره. قال ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم، قال فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشاهم من نوره، فإذا صاروا إلى منازلهم يزداد النور وأمكن، ويزاد وأمكن، حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال فيقولون: ذلك بأن الله تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكن. قال فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه، قال وذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١). ولا ين مهدي عنه رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

(١) ابن بطّة (حادي الأرواح ص ٣٦٥ - ٣٦٦) والبزار (حادي الأرواح ص ٣٦٥ - ٣٦٦) وسنده ضعيف فيه القاسم بن مطيب وهو يستحق الترك (أنظر الميزان ٣/ ٣٨٠) وقد تقدم حديث أنس في هذا الباب فانظره.

قال: النظر إلى وجه الله عز وجل^(١). قال الحاكم رحمه الله تعالى وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع. ولابن خزيمة عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا. وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فأتي باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال؛ من أنت: فأقول أنا محمد، فأتي ربي وهو على كرسيه - أو على سريره - فيتجلى لي ربي فأخبر له ساجداً^(٢). ولأبي بكر بن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة، وأبكرهم غدواً^(٣). وللصنعاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً فإن منهم لملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك^(٤). وللدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن فضالة - يعني ابن عبيد رضي الله عنه - كان يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق

(١) أخرجه اللالكائي (ح ٧٨٣) من طريق ابن مهدي... وفيه عن عنة أبي إسحق. وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٩١) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٤٧٣) والطبري (١١/١٠٤) (١٠٥) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٨٣) والأجري في الشريعة (ص ٢٥٧) والدارقطني في الرؤية (ق ١٢٠ أ، ١٢٣ أ). من غير طريق ابن مهدي وفيه عن عنة أبي إسحق وهو صحيح لشواهده.

(٢) رواه أحمد (١/٢٨١ و ٢٩٥) والدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٨٤). في سننه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وقد اضطرب فيه فمرة رواه عن ابن عباس ومرة عن أبي موسى. والحديث قد ورد في الصحيحين من حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٦٧) وفيه الحسن البصري وهو مدلس وقد عنعن. وهو عند الأجري في الشريعة (ص ٢٦٥).

(٤) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٦٧) وفي سننه من لم أجد له ترجمة كصدقة بن عمرو العقدي.

إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة^(١). وللإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قد حدثكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجرا، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»^(٢). وقال الصاغاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة بخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يعظ حتى بكى وأبكى ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة، ولقد سمعت فلاناً - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكاً يسبح الله تعالى». قال: وملائكة سجود منذ خلق السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبدك»^(٣). فثبت بهذه الأحاديث المتواترة الصحيحة الصريحة أن الله عز وجل يرى في الآخرة كما يشاء، وأن الشهداء بعد موتهم يرونه، وأن الملائكة يرونه، وأن النبي ﷺ يراه عند استئذانه في الشفاعة، وأن أمة محمد ﷺ برهم وفاجرهم يرونه في عرصات القيامة، وهي للفاجر والمنافق ابتلاء وامتحان ونوع من العقوبة، وأما رؤية الفرح والسرور والتلذذ بالنظر إلى وجه الله عز وجل فهي

(١) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٢٧) والطبراني في الكبير (٣١٩/١٨) ح (٨٢٥) والدارقطني في الرؤية (ق ١٢٣، ب) وسنده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أحمد (٣٢٤/٥) ورواه أبو داود (٤٣٢٠) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٤٢٨) والأجري في الشريعة (ص ٣٧٥) واللالكائي (ح ٨٤٨). وسنده فيه بقية وقد صرح بالتحديث.

(٣) رواه الخطيب في تاريخه (٣٠٦/١٢ - ٣٠٧) من طريق الصاغاني عنه به وقد تحرف الصاغاني في المطبوع إلى الصنعاني والمصنف قد تابع هذا التصحيح من المطبوع في حادي الأرواح وعباد بن منصور يدلّس وقد صرح بالتحديث. والجمهور على توهينه من جهة حفظه.

خاصة لأوليائه المؤمنين الذين يؤذن لهم في السجود ويعطون النور التام على الصراط فيتبعونه . ثم يتجلى لهم في الجنة فيروونه كما يشاء ، وهي الزيادة في يوم المزيد كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها ، وقد جاءت أحاديث صحيحة في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل ، منها حديث أبي موسى وحديث أنس وحديث حذيفة وحديث صهيب ، وقد تقدم ذكرها قريباً . وللدارقطني عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال : النظر إلى وجه الله عز وجل^(١) . ولابن جرير عنه رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن «الزيادة» في كتاب الله عز وجل قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال ﷺ : «الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل»^(٢) . ولابن جرير عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال : «الزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل جلاله» . ورواه ابن حميد عنه بلفظ : «الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى»^(٣) . وللحسن بن عرفة عن أنس رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال : «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَل فِي الدُّنْيَا ، وَالْحُسْنَى هِيَ الْجَنَّة ، وَالزِّيَادَةُ وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٤) وقد روي تفسير «الزيادة» بالنظر إلى وجه الله عز وجل عن أبي بكر رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وأبي موسى ، وعن عبادة بن الصامت

(١) الدارقطني في الرؤية (١١٩ - ب) وسنده ضعيف . ورواه اللالكائي (ح ٧٨٠) وفيه مجاهيل وفي (ح ٨٤٩) وسنده سند الدارقطني . وهو صحيح لشواهد و خاصة حديث صهيب في صحيح مسلم والذي تقدم ذكره .

(٢) ابن جرير (١٠٧/١١) وسنده ضعيف فيه رجل مبهم وهو حديث صحيح لشواهد .

(٣) ابن جرير (١٠٧/١١) وعبدالله في السنة .

واللالكائي (ح ٧٨١) وسنده ضعيف فيه محمد بن حميد الرازي وفيه مقال شديد وإبراهيم بن المختار قال عنه البخاري : فيه نظر . وهو من رواية عطاء الخراساني عن كعب وروايته عن الصحابة مرسله وابن جريج وهو مدلس وقد عنعن . وهو صحيح لشواهد .

(٤) جزء الحسن بن عرفة (ح ٢٣) وأخرجه اللالكائي (ح ٧٧٩) وسنده ضعيف جداً فيه نوح بن أبي مريم وهو متروك الحديث ومسلم بن سالم البلخي وهو ضعيف . والحديث صحيح لشواهد .

وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وعن التابعين عن سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن السباط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق ومقاتل وغيرهم رحمهم الله من السلف والخلف ولولا خشية الإطالة لنقلنا أقوالهم بأسانيدها^(١)، وفيما ذكرنا من المرفوع كفاية وبالله التوفيق.

ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب

قال أبو بكر رضي الله عنه وقرأ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى^(٢). وقال علي رضي الله عنه: من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته^(٣). وقال حذيفة رضي الله عنه: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى^(٤). وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: والله ما منكم من إنسان إلا أن

(١) أنظرها جميعاً وغيرها، عند اللالكائي في السنة (ص ٤٩٦ - ٥٠٠). بأسانيدها. وكذلك في حادي الأرواح لابن القيم (ص ٣٦٩ - ٣٧٣).

(٢) رواه ابن جرير (١٠٤/١١ - ١٠٥) والدارمي في الرد على الجهمية (١٩٠) من طريق أبي إسحق السبيعي عن سعيد بن نمران عنه به وسعيد بن نمران مجهول وأبو إسحق مدلس وقد عنعن. ورواه عبدالله في السنة (ح ٤٧٠ و ٤٧١) وابن أبي عاصم في السنة (ح ٤٧٤) وابن جرير (١٠٤/١١) وابن خزيمة في (التوحيد ص ١٨٣) والأجري في الشريعة (ص ٢٥٧) والدارقطني في الرؤية (١٢١/ب ١٢٢/أ) واللالكائي (ح ٧٨٤) والبيهقي في الأسماء (ص ٣٠٧) من طرق عن أبي إسحق عن عامر بن سعد عن أبي بكر به.

وعامر بن سعد قال عن ابن حجر: مقبول (إذا توبع وإلا فلين) وأبو إسحق مدلس وقد عنعن فسندُه ضعيف وهو حديث صحيح بشواهده.

(٣) ابن أبي حاتم في تفسيره (حادي الأرواح ص ٣٦٩) واللالكائي في السنة (ح ٨٥٩) وسنده ضعيف فيه عمارة بن عبد قال عنه الحافظ؟ مقبول (إذا توبع وإلا فلين). وصالح بن أبي خالد لم أجده إلا في الجرح والتعديل (ت ١٧٥٢) وسكت عنه. والحديث صحيح بشواهده.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ح ٤٧٣) وابن جرير (١٠٥/١١) والدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٩١) وعبدالله في السنة (ح ٤٧٣). وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٨٣) والأجري (ص ٢٥٧) والدارقطني في الرؤية (١٢٠ - أ) واللالكائي (ح ٧٨٣ و ٧٨٤). والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٠٧ - ٣٠٨) وسنده فيه عننة أبي إسحق وهو حديث صحيح لشواهده.

ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، قال فيقول: ما غرك بي يا ابن آدم (ثلاث مرات). ماذا أجبت المرسلين (ثلاث مرات). ماذا عملت فيما علمت؟^(١). وقال رضي الله عنه: الزيادة النظر إلى وجهه الله عز وجل^(٢). وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: كل من دخل الجنة يرى ربه عز وجل؟ قال: نعم^(٣). وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد، فينادي: أين المتقون؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن تعالى، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر. قال أبو عفيف وهو الراوي عنه: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة، فيمرون إلى الجنة^(٤). وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت^(٥). وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجهه الله جل جلاله في كل يوم مرتين^(٦). وكان فضالة بن عبيد رضي الله عنه يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك، وقد تقدم هذا الدعاء عنه^(٧)، وتقدم مرفوعاً من حديث زيد بن ثابت وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما. وقال أبو موسى رضي الله عنه: ﴿للذين

-
- (١) أخرجه اللالكائي في السنة (ح ٨٦٠) وأخرجه أبو عوانة (حادي الأرواح ص ٣٦٩) وسنده صحيح عند أبي عوانة.
 - (٢) اللالكائي في السنة (ح ٧٨٧) وأبو بكر بن أبي داود (حادي الأرواح ص ٣٦٩) وسنده ضعيف وهو صحيح لشواهده.
 - (٣) الأجري في الشريعة (ص ٢٥٧) وسنده ضعيف فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو ضعيف عن أبيه وله أوهام. وهو صحيح لشواهده.
 - (٤) اللالكائي في السنة (ح ٨٦٤). من طريق ابن أبي حاتم وقد رواه في تفسيره (حادي الأرواح ص ٣٦٩). وسنده ضعيف فيه ميمون (أبو حمزة) وهو ضعيف. وأبو عفيف هذا لا يعرف.
 - (٥) اللالكائي في السنة (ح ٨٦٥). وفيه ابن لهيعة وقد روى عنه ابن وهب. وهو من رواية سالم بن أبي أمية عن أبي هريرة وسالم يرسل عمّن لم يلقه. والحديث صحيح لشواهده.
 - (٦) اللالكائي في السنة (ح ٨٦٦) وفي سنده ثوير بن أبي فاختة وهو ضعيف وقد تقدم الحديث مرفوعاً من طريقه فانظره.
 - (٧) تقدم ذكره.

أحسنوا الحسنى ﴿﴾ قال: الجنة، و«الزيادة» هي النظر إلى وجه الله عز وجل^(١). وكان رضي الله عنه يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا الهلال. قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله تعالى جهرة؟^(٢). وقال أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق/٣٥): يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة^(٣). وعن جابر رضي الله عنه قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جادتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة، فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار جل وعلا فإذا تجلّى لهم خروا له سجداً فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم، فقد رضيت عنكم رضاء لا سخط بعده^(٤).

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى في ذلك

قال سعيد بن المسيب والحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وكعب رحمهم الله تعالى: الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل. وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله: أما بعد فإنني أوصيك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته، والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حَمَلَك الله من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته نجا أولياؤه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نضرت

-
- (١) الدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٩٥) والطبري في التفسير (١١/١٠٥) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٤٨) والدارقطني في الرؤية (٤٩ - أب) واللالكائي (ح ٧٨٦) وإسناده ضعيف فيه أبو بكر الهذلي وهو متروك الحديث والحديث صحيح لشواهد.
- (٢) أخرجه عبد الله في السنة (ح ٤٦٥) والدارمي في الرد على الجهمية (ح ١٩٦) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٨٠) والأجري في الشريعة (ص ٢٦٤) واللالكائي (ح ٨٦٢). وإسناده ضعيف فيه أبو مراية قال عنه الحافظ يروي عنه أسلم العجلي (ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديل) فهو مجهول.
- (٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٩٨) سنده ضعيف فيه شريك القاضي وأبو اليقظان وهو عثمان بن عمير وهو ضعيف وقد تقدم من طريقه مرفوعاً.
- (٤) الأجري في الشريعة (ص ٢٦٧) وسنده ضعيف جداً فهو من رواية الحسن البصري وهو مدلس وقد عنعن والحكم بن أبي خالده (وهو ابن ظهير): قال عنه الحافظ: متروك رمي بالرفض واتهمه ابن معين.

وجوههم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة. وقال الحسن رحمه الله تعالى: لو علم العابدون في الدين أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا. وقال الأعمش وسعيد بن جبير رحمهما الله: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غداة وعشية. وقال كعب رحمه الله تعالى: ما نظر الله عز وجل إلى الجنة قط إلا قال طيبي لأهلك، فزادت ضعفاً على ما كانت، حتى يأتيها أهلها. وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك، ولا يسألون الرب تبارك وتعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك. وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاوس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة. وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى. وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى أنه تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا، فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه، فيتجلى لهم تبارك وتعالى فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَرَهُقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ (يونس/ ٢٦) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى. وقال علي بن المديني: سألت عبدالله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (الكهف/ ١١٠) قال عبدالله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً. وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ

(١) أنظر هذه الأقوال وغيرها في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي.

لصالوا الجحيمَ، ثُمَّ يَقَالُ هَذَا الَّذِي كُتِمَ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿ (المطففين/١٥) قال: بالرؤية. وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبدالله منذ خمسين سنة فقلت: يا أبا عبدالله، إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟ وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح بن حيٍّ، وحدثنا شريك بن عبدالله النخعي، هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة، حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى (يعني بشر المريسي قبحه الله).

ذكر أقوال الأئمة الأربعة وطبقاتهم ومشايخهم رحمهم الله تعالى

قال مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالى: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم. وسئل رحمه الله عن قوله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة/٢٣): أتنظر إلى الله عز وجل؟ قال نعم، قال أشهب: فقلت إن أقواماً يقولون تنظر ما عنده. قال بل تنظر إليه نظراً، وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرْنِي أُنْظِرْ إِلَيْكَ. قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ (الأعراف/١٤٣) وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. وذكر الطبراني وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك: السيف السيف. وقال أبو صالح كاتب الليث: أملي علي عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملئ لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر/٢٥) فارب السماء والأرض

ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم ﴿عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ لا يرونه، كما يزعمون أنه لا يرى، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أوليائه حين يقول: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾ فجد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله تعالى أوليائه. وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا تمرُّ بلا كيف. وقال سفيان بن عيينة: من لم يقل إن القرآن كلام الله، وأن الله يرى في الجنة فهو جهمي. ذكره الطبري. وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلي خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة. وذكر ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه الله عز وجل، فأنكره رجل، فصاح به وأخرجه من مجلسه. وذكر أيضاً عن ابن المبارك أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن «خداراً بأن جهان جون بيند» ومعناه: كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين. وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون. وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله تعالى: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية، والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية: هي عندنا حق، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا. إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفسر منها شيئاً ولكن نمضيها كما جاءت. وقال عبد الوهاب الوراق: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: أحلف عليها أنها حق. وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾؟ فقال الشافعي رحمه الله تعالى: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أوليائه يرونه في الرضا، قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟

قال نعم، وبه أدين الله عز وجل، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل. رواه الحاكم عن الربيع عنه. وروى الطبراني وغيره عن المزي قال سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول في قوله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾: فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة. وقال محمد بن عبد الله بن الحكم: سئل الشافعي رحمه الله تعالى عن الرؤية، فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل. رواه أبو زرعة الرازي. ولابن بطة عنه رحمه الله تعالى قال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم. وقال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد صحيح. وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله - وقيل له تقول بالرؤية - فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي. وقال: سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ثم قال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس، أليس يقول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. وقال أبو داود: سمعت أحمد رحمه الله تعالى وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال: من قال إن الله لا يرى فهو كافر. وقال أيضاً: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطف أن الله لا يرى في الآخرة فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال: أخزي الله هذا. وقال أبو بكر المروزي: قيل لأبي عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطف عن أبي الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة؟^(١) فغضب أبو عبد الله غضباً شديداً

(١) فيه أبو العطف وهو الجراح بن المنهال قال ابن حبان: كان يكذب في الحديث ويشرب الخمر وقال النسائي والدارقطني: متروك (الميزان ت ١٤٥٣).

حتى تبين في وجهه، وكان قاعداً والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال: أخزي الله هذا، هذا لا ينبغي أن يكتب. ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال: هذا جهمي كافر خالف ما قال الله عز وجل: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ أخزي الله هذا الخبيث. قال أبو عبدالله: ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر. وقال أبو طالب قال أبو عبدالله: قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ (البقرة/ ٢١٠) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فمن قال إن الله لا يرى فقد كفر. وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء سمعت أبا عبدالله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر. وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبي عبدالله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا. وقال حنبل بن إسحاق سمعت أبا عبدالله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم، ينكرون الرؤية والآثار كلها، وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم. قال حنبل وسمعت أبا عبدالله يقول: من زعم أنه الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي، فقد كفر ورد على الله وعلى الرسول. ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله. قال أبو عبدالله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقرُّ بها ونمرُّها كما جاءت. وقال الأثرم سمعت أبا عبدالله رحمه الله يقول: فأما من يقول: إن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي. قال أبو عبدالله: وإنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق. وقال حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق. وقال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً، أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يَمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين. وقال أبو عبدالله رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى/ ٥٢)، وكلم الله موسى من وراء حجاب، فقال: ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ، قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى

الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴿ فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في
 الآخرة، وقال: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ ولا يكون حجاب إلا
 لرؤية، أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه، والكفار لا يرونه.
 قال حنبل وسمعت أبا عبدالله يقول: قال الله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة، إلى
 ربها ناظرة ﴾ والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن
 عبدالله وغيره: «تنظرون إلى ربكم» أحاديث صحاح. وقال تعالى: ﴿ للذين
 أحسنوا الحسنی وزيادة ﴾ النظر إلى وجه الله عز وجل. قال أبو عبدالله: نؤمن بها
 ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية، ونؤمن بأن الله يرى. نرى ربنا يوم القيامة لا
 نشك فيه ولا نرتاب. قال وسمعت أبا عبدالله يقول: من زعم أن الله لا يرى في
 الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن، ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا
 قتل، قال حنبل قلت لأبي عبدالله في أحاديث الرؤية، قال: هذه صحاح نؤمن
 بها ونقر بها وكل ما روي عن النبي ﷺ أقرنا به. قال أبو عبدالله: إذا لم نقر بما
 جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره، قال الله عز وجل: ﴿ وما أتاكم
 الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (الحشر/٧). وقال عبدالله بن طاهر أمير
 خراسان لإسحاق بن راهويه: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي يروونها في
 النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة
 والأحكام - وذكر أشياء - فإن يكونوا في هذه عدولاً وإلا فقد ارتفعت الأحكام
 وبطل الشرع. فقال: شفاك الله كما شفيتني. أو كما قال، ذكره الحاكم. وقال
 إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن
 المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.
 وقال نعيم بن حماد للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلام الله.
 فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق. قال: وتقول إن الله يرى يوم القيامة؟
 قال: نعم. فلما افرق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبدالله شهرتني على
 رءوس الناس. فقال: إن الناس قد أكثروا فيك، فأردت أن أبرئك. وقال أبو
 العباس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله تعالى: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً. تَحِيَّتُهُمْ
 يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ (الأحزاب/٤٤) أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون

إلا معاينة ونظراً بالأبصار. قلت: واللقاء ثابت بنص القرآن هذه الآية وغيرها، وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة بئر معونة: «إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»^(١)، وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»^(٢) وحديث أنس: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله ﷺ»^(٣) وحديث أبي ذر رضي الله عنه: «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٤) وحديث أبي موسى: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»^(٥) وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد، فهذا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة، وهذه

-
- (١) البخاري (٣٨٨/٧ - ٣٨٩) في المغازي، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان وبئر معونة.
 (٢) أ - حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه:
 رواه البخاري (٣٥٧/١١) في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
 ومسلم (٢٠٦٥/٤) ح (٢٦٨٣) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
 ب - حديث عائشة رضي الله عنها:
 أخرجه البخاري (٣٥٧/١١) في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
 ومسلم (٢٠٦٥ - ٢٠٦٦ / ح ٢٦٨٤، ٢٦٨٥) في الذكر والدعاء باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
 ج - حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أخرجه البخاري (٤٦٤/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.
 ومسلم (٢٠٦٦/٤) ح (٢٦٨٥) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
 د - وفي الباب عن أبي موسى الأشعري:
 أخرجه البخاري (٣٥٧/١١) في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
 ومسلم (٢٠٦٧/٤) ح (٢٦٨٥) في الذكر والدعاء، باب فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
 (٣) أخرجه مسلم (٧٣٣/٢ - ٧٣٤) ح (١٠٥٩) في الزكاة، باب إعطاء المؤلفات قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه وفي (٧٣٨/٢ - ٧٣٩) ح (١٠٦١).
 (٤) أخرجه مسلم (٢٠٦٨/٤) ح (٢٦٨٧) في الذكر، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، وأحمد (١٥٣/٥ و ١٦٩).
 (٥) أخرجه الطبراني في الكبير (مجمع الزوائد ٣٧٢/١٠). وقال الهيثمي: رجاله ثقات.
 وأخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه (٩٤/١) ح (٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهدى، كلها مجتمعة على أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى في الجنة، ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك غاية النعيم وأعلى الكرامات وأفضل فضيلة، ولذا يذهلون بالنظر إليه عن كل ما هم فيه من النعيم، فنحن نؤمن بذلك كله ونشهد الله تعالى وملائكته وأنبياءه ورسله وامؤمنين على ذلك، ونضرع إلى الله تعالى وندعوه بأسمائه الحسنی أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه تعالى في جنة عدن، وأن لا يحجبنا عنه فنكون من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون نعوذ بالله من ذلك، ومن جحد الرؤية فهو كاذب على الله تعالى مكذب بالصدق إذ جاءه راد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مخالف لجماعة المؤمنين كافر بلقاء الله عز وجل متبع غير سبيل المؤمنين، وسيوليه الله ما تولى ويصليه جهنم إن مات مصراً على جحوده، أليس في جهنم مثوى للكافرين؟ وقد وعد الله عز وجل أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة فقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ، ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾، وتقدم تفسير ابن المبارك قوله: ﴿تَكْذِبُونَ﴾ بالرؤية. وقد ورد حديث في وعيد منكري اللقاء وهو متناول منكر الرؤية بلا شك ولا مرية، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا لا. قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا لا. قال: فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى. فيقول أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا، فيقول: فإنني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا. فيقول إني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع. فيقول ها هنا إذا. ثم يقال: الآن

نبعث شاهداً عليك . فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي ، فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذ له ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه^(١) ومن تراجم أئمة السنة على هذا الحديث : باب وعيد منكري الرؤية^(٢) ، والدلالة منه واضحة منطوقاً ومفهوماً والله الحمد ولا خلاف في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في دار الآخرة . وكذا لا خلاف بينهم في أنه لا يراه أحد قبل الموت ، وإنما وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج كما سيأتي إن شاء الله بحث ذلك في موضعه وبالله التوفيق .

[وجوب الإيمان بالصفات الواردة في القرآن وصحيح السنة وإقرارها كما أتت]

وكل ماله من الصفات أثبتها في محكم الآيات
أو صحَّ فيما قاله الرسول فحقه التسليم والقبول

(وكل ما) ثبت (له) أي لله عز وجل (من الصفات) الثابتة التي (أثبتها) هو سبحانه وتعالى لنفسه وأخبرنا باتصافه بها (في محكم الآيات) من كتابه العزيز مما ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكر كقوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة/ ١١٥) وقوله : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص/ ٨٨) وقوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/ ٢٦- ٢٧) وقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ (الروم/ ٣٩) وقوله : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل/ ١٩) وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان/ ٩)

(١) مسلم (٤/ ٢٢٧٩ ح ٢٩٦٨) في الزهد والرقائق .

(٢) مثاله الإمام ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٧٩) وقال : ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث : باب في الوعيد لمنكري الرؤية كما فعل شيخ الإسلام وغيره (حادي الأرواح ص ٣٨٠) .

وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ﴾ (الكهف/٢١) وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه/٤١) وقوله
 تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران/٢٨) وقوله عن عيسى عليه السلام:
 ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾
 (المائدة/١١٦) وكقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه/٣٩) وقوله تعالى:
 ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور/٤٨) وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى
 ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر/١٣) وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ
 تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ (ص/٧٥) وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾
 (المائدة/٦٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
 وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر/٦٧) وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ
 كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف/١٤٥) وكقوله تعالى: ﴿فَسُوفَ
 يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/٥٤) وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف/٤) وقوله:
 ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة/٢٠٥)، ﴿وَاللَّهُ لَا
 يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان/١٨) وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح/١٨)، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (البينة/٨) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة/٩٦)، ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾
 (الزمر/٧) وكقوله تعالى: ﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة/٨٠) وكقوله: ﴿كَرِهَ اللَّهُ
 أَنْبَاءَهُمْ﴾ (التوبة/٤٦) وقوله في اليهود: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (المتحنة/١٣) وفي
 قاتل النفس المحرمة: ﴿فَجَزَاؤُهُ جُهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾
 (النساء/٩٣) وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ
 غَضَبِي وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه/٨١) وكقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف/١٥٦) وكقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً

وعلماء ﴿غافر/٧﴾ وكقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام/٥٤) وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وقوله: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ﴾ (آل عمران/١٥٩) وكقوله: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص/٨٢) وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات/١٨٠) وكقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور/٣٥) الآية، وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (المائدة/٩٥) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمَجْرَمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة/٢٢) وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (آل عمران/٤) وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر/٢٣) وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران/٢٦-٢٧) وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الأنعام/١٩) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (الحديد/٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم/٦٤-٦٥) وقوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر/٤٩-٥٠) وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ (غافر/٢) وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَسْطُ﴾ (البقرة/٢٤٥) وقوله: ﴿وَنَقْلُبُ أَلْسِنَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام/١١٠) وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد/١٣) وغير ذلك من آيات الأسماء والصفات، صفات ذاته تعالى وأفعاله عز وجل.

ناراً لعلِّي آتِيكُمْ منها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فلما أتاها نودِيَ من شاطئ الوادِ الأيمنِ في البقعة المباركة من الشجرة أنْ يا موسى إني أنا الله ربُّ العالمين . وأن ألقِ عصاكَ فلَمَّا رآها تهتَرُ كأنَّها جانٌّ ولى مدبراً ولم يعقَّبْ يا موسى أقبلْ ولا تخفِ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ . وأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿القصص/ ٢٩ - ٣٢﴾ الآيات . والقرآن ممتلئٌ بذلك .

وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما وفيه قول آدم لموسى : «أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه»^(١) الحديث . وفيهما من حديث الشفاعة قول إبراهيم عليه السلام : «ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله»^(٢) وفي رواية : «ولكن اتنوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليماً»^(٣) وفي رواية : «ولكن اتنوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجياً»^(٤) . فقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليماً . وأخبرنا تعالى بما كلمه به ، وبالموضع الذي كلمه فيه ، وبالميقات الذي كلمه فيه . وأخبر عنه رسوله محمد ﷺ بذلك في أصح الروايات ، فأَي كَلام أفصح من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، وأي بيان أوضح من بيان الله ورسوله ، وبأي برهان يقنع من لم يقنع بذلك : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (البجائية/ ٦) وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء ، أسمعته موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد ، وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ

(١) سيأتي بتمامه .

(٢) سيأتي بتمامه وقد تقدم بعضه .

(٣) سيأتي بتمامه وقد تقدم بعضه .

(٤) سيأتي بتمامه وقد تقدم بعضه .

يقول: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف/٢٢) وأن الملائكة تسمع كلام الله بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سبا/٢٣) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»^(١) الحديث وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَهُ، فَيَحِبُّهُ جَبْرِيلُ. ثُمَّ يَنَادِي جَبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(٢) وثبت بالكتاب والسنة كلامه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ، قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة/١٠٩) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (النحل/٨٣) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (النحل/٨٥) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (القصص/٦٢) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/٦٥) وأنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال

(١) البخاري (٤٥٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَعَّلُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

ولم يروه مسلم في صحيحه كما ذكر المصنف.

(٢) البخاري (٤٦٠/١٣) في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة وفي الأدب، باب المحبة في الله تعالى.

ومسلم (٢٠٣٠/٤ ح ٢٦٣٧) في البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده.

تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ وأنه يقول لأهل النار: ﴿اٰخَسَاوْا فِيْهَا وَلَا تَكْلُمُوْنَ﴾ (المؤمنون/١٠٨) والقرآن ممتلىء بذلك.

وفي الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»^(١) الحديث. وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار»^(٢) وفيه تعليقاً عن جابر عن عبدالله بن أنيس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعدكما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»^(٣) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٤) وفيه عنه رضي الله عنه قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا أنا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»^(٥) وفيه من حديث الشفاعة: «يقول الله عز

-
- (١) البخاري (٤٧٤/١٣) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل.
ومسلم (٧٠٣/٢ - ٧٠٤/٢ ح ١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر.
- (٢) البخاري (٤٥٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله: «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له».
ومسلم (٢٠١/١ - ٢٠٢/٢ ح ٢٢٢) في الإيمان، باب قوله: «يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».
- (٣) البخاري تعليقاً (٤٥٣/١٣)، في التوحيد، باب «ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له». ووصله البخاري في خلق أفعال العباد (ح ٤٦٣)، وفي الأدب المفرد (ح ٩٧٠).
وهو عند أحمد في مسنده (٤٩٥/٣) وأخرجه الحاكم (٤٣٧/٢ - ٤٣٨/٤ و ٥٧٤ - ٥٧٥) وصححه ووافقه الذهبي. والبيهقي في الأسماء (ص ٧٨).
- وفيه عبدالله بن محمد بن عقيل قال عنه الحافظ: صدوق في حديثه لين. وجزم ابن حجر أن إسناده صالح في فتح الباري (١٧٤/١) وقال: وله طريق آخر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وتمام في فوائده... وإسناده صالح.
- (٤) البخاري (٥١٥/٨ - ٥١٦) في تفسير سورة السجدة، باب «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين». ومسلم (٢١٧٤/٤ ح ٢٨٢٤) في الجنة وصفة نعيمها.
- (٥) البخاري (٢٤١/١١ - ٢٤٢) في الرقاق، باب العمل الذي يتغنى به وجه الله.

وجل: من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فأخرجوه»^(١) الحديث، وفيه من حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة: «فيقول الله تعالى: إذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»^(٢) وفيه من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»^(٣) وقوله عز وجل للمؤمنين «أنا ربكم»، وفيه في باب كلام الرب عز وجل مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٤) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: «أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(٥) وفيهما

(١) تقدم وسيأتي بتمامه.

(٢) البخاري (٤١٨/١١) في الرقاق، باب في صفة الجنة والنار، وفي التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

ومسلم (١/١٧٣ ح ١٨٦) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٤١٩/١٣ - ٤٢٠) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.

ومسلم (١/١٦٣ - ١٦٧ ح ١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) البخاري (٤١٥/١١) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار وفي التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة (٤٨٧/١٣).

ومسلم (٤/٢١٧٦ ح ٢٨٢٩) في صفة الجنة ونعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(٥) البخاري تعليقاً (٤٩٩/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ من حديث أبي هريرة.

ورواه أحمد (٥٤٠/٢) وابن ماجه (٢/١٢٤٦ ح ٣٧٩٢) في الأدب، باب فضل الذكر والبغوي في شرح السنة (١٣/٥ ح ١٢٤٢).

كلهم من طريق الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن أبي هريرة مرفوعاً.

ورواه البخاري في خلق أفعال العباد (ح ٤٣٦) وابن حبان (موارد ٢٣١٦). من طريق الأوزاعي عن =

موسى رضي الله عنه^(١). وقوله ﷺ: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره»^(٢) الحديث وقوله ﷺ: «عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» رواه أحمد والبخاري من حديث ابن مسعود^(٣). وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه من حديث أبي هريرة^(٤). وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله»^(٥). وقوله ﷺ: «من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله» رواه أبو داود بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي رواية: «من خاصم في باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع»^(٦). وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها»^(٧). وقوله ﷺ: «وإذا أبغض

-
- (١) البخاري (٣٦٠/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾. ورواه مسلم (٢١٦٠/٤) ح ٢٨٠٤ في المنافقين، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل.
- (٢) رواه أحمد (١١/٤ - ١٢) وابن ماجه (١/٦٤ ح ١٨١) في المقدمة. وابن أبي عاصم في السنة (ح ٥٥٤) والدراقطني في الصفات (ح ٣٠) من حديث أبي رزين وسنده ضعيف فيه وكيع بن عدس (وقيل حدس) قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليّن).
- (٣) أحمد (٣٠٢/٢، ٤٠٦، ٤٤٨، ٤٥٧) والبخاري (١٤٥/٦) في الجهاد باب الأسارى في السلاسل من حديث أبي هريرة عندهما.
- (٤) البخاري (٣٩/٦) في الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم.
- ومسلم (١٥٠٤/٣ ح ١٨٩٠) في الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة.
- (٥) تقدم ذكره.
- (٦) أبو داود (٣٠٥/٣ ح ٣٥٩٨) في الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها وفي سنده المثنى بن يزيد وهو مجهول ومطر بن طهمان الوران وهو صدوق كثير الخطأ. وتابع حسين بن ذكوان المعلم المثنى كما عند ابن ماجه (٢/٧٧٨ ح ٢٣٢٠) في الأحكام، باب من ادعى ما ليس له وخاصم فيه.
- ورواه الحاكم من طريق أخرى (٩٩/٤) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وهو عند أحمد من طريق أخرى (٨٢/٢) فالحديث صحيح إن شاء الله وله شاهد وهو الذي يليه.
- (٧) أبو داود (٣٠٥/٣ ح ٣٥٩٧) في الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها. وأحمد (٧٠/٢) والحاكم (٢٧/٢) وإسناده حسن.
- (٨) تقدم ذكره.

عبدًا دعا جبرائيل فيقول إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل. ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض» رواه مسلم^(١). وقوله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه^(٢). وقوله ﷺ في قصة أصحاب بئر معونة: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» وهو في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه^(٣)، وهو من التنزيل المنسوخ تلاوة. وقوله ﷺ في قصة سبي هوازن «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» أخرجه من حديث عمر رضي الله عنه^(٤)، وقوله ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ونزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٥).

ولمسلم معناه من حديث سلمان رضي الله عنه، وفيه: «كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فإذا كان يوم القيامةكملها بهذه الرحمة»^(٦) وقوله ﷺ: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون» أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٧). وقوله ﷺ عن أيوب عليه السلام: «وعزتك لا غنى بي عن بركتك» أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم قريباً.

(٤) البخاري (٤٢٦/١٠ - ٤٢٧) في الأدب، رحمة الولد وتقبيله ومعانفته. ومسلم (٢١٠٩/٤)

ح ٢٧٥٤) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

(٥) البخاري (٤٣١/١٠) في الأدب، باب جعل الله الرحمة من مائة جزء.

ومسلم (٢١٠٨/٤) ح ٢٧٥٢) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

(٦) مسلم (٢١٠٨/٤) ح ٢٧٥) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٧) البخاري (٣٦٨/١٣ - ٣٦٩) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وأخرجه مسلم كذلك (٢٠٨٦/٤ ح ٢٧١٧) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن

شر ما لم يعمل.

رضي الله عنه^(١). وقوله ﷺ: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن» أخرجاه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٢)، وقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك» لمسلم والأربعة عن عائشة^(٣)، وقوله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود/١٠٢) أخرجاه من حديث أبي موسى رضي الله عنه^(٤)، وقوله ﷺ: «فإن الله لم يك لينسى شيئاً، وما كان ربك نسياً» رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه^(٥). وقوله ﷺ في حلقه: «لا ومقلب القلوب» أخرجاه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما^(٦). وقوله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، فإذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاعه» رواه أحمد والشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها^(٧)، وفي صدره: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». وقوله ﷺ في صفة الجنة والنار: «لا يزال يلقي فيها - يعني النار - وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قد قد بعزتك وكرمك» وفي

-
- (١) البخاري (٤٦٤/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.
 - (٢) البخاري (٤٦٥/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.
 - ومسلم (٥٣٢/١ - ٥٣٣/٥ ح ٧٦٩) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.
 - (٣) مسلم (٣٥٢/١ ح ٤٨٦) في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.
 - وأبو داود (٢٣٢/١ ح ٨٧٩) في الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود.
 - والترمذي (٥٢٤/٥ ح ٣٤٩٣) في الدعوات، باب رقم ٧٦.
 - والنسائي (٢٢٣/٢ ح ٢٢٥) في الافتتاح، باب نوع آخر من الدعاء في السجود.
 - وابن ماجه (١٢٦٢/٢ - ١٢٦٣/١ ح ٣٨٤١) في الدعاء، باب ما تعوذ به رسول الله ﷺ.
 - (٤) البخاري (٣٥٤/٨) في التفسير، باب: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.
 - ومسلم (١٩٩٧/٤ - ١٩٩٨/٤ ح ٢٥٨٣) في البر والصلة، باب تحريم الظلم.
 - (٥) البزار (كشف الأستار ح ٢٢٣١) والحاكم (٣٧٥/٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والبيهقي (١٢/١٠) والطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٥/٥٣١).
 - (٦) تقدم ذكره.
 - (٧) تقدم ذكره.

رواية «قط قط» بالطاء أخرجه من حديث أنس^(١). وقوله ﷺ: «لا شخص أغير» من الله» علقها البخاري بلفظ الترجمة ووصلها الدارمي في مسنده^(٢). وقوله ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة» رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة في الترجمة السابقة^(٣). والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، يحتاج استقصاؤها إلى بسط طويل وفيما ذكرنا كفاية، وما أشبهه فسيبيله سبيله.

(فحقه التسليم) له (والقبول) الفاء واقعة في جواب كل ما، فنقول في ذلك: ما ذكره الله تعالى عن الراسخين في العلم حيث قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران/ ٧-٨) ولا تضرب كتاب الله بعضه ببعض فتتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما يفعل الذين في قلوبهم زيغ، أعاذنا الله وعصمنا من ذلك بمنه وكرمه وفضله، إنه سميع مجيب.

نَمِرُهَا صَرِيحَةٌ كَمَا أَتَتْ	مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ	وَغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ
بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أُمَّةٍ الْهَدَى	طَوْبَى لِمَنْ بِهِدِيهِمْ قَدْ اهْتَدَى

أي جميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها (نمرها صريحة) أي على

(١) تقدم ذكره.

(٢) البخاري تعليقاً (٣٩٩/١٣) في التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله» وقد رواه موصولاً في النكاح، باب الغيرة (٣١٩/٩) ومسلم (ح ٢٧٦٠) في التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش بلفظ: لا شيء أغير من الله تعالى.

(٣) البخاري (٣٩٩/١٣) في التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله». ومسلم: (١١٣٦/٢) ح (١٤٩٩) في اللعان في فاتحته.

ظواهرها (كما أتت) عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل متصلاً إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحواً ليس دونها سحب، (مع اعتقادنا) إيماناً وتسليماً (لما له اقتضت) من أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفات كماله ونعوت جلاله كما يليق بعظمته وعلى الوجه الذي ذكره وأراد (من غير تحريف) لألفاظها كمن قال في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء/١٦٤) أن التكليم من موسى، وأن لفظ الجلالة منصوب على المفعولية فراراً من إثبات الكلام كما فعله بعض الجهمية والمعتزلة، وقد عرض ذلك على أبي بكر بن عياش فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ يعني برفع لفظ الجلالة على الفاعلية، وهو مجمع عليه بين القراء، روى ذلك ابن مردويه عن عبد الجبار بن عبد الله عن ابن عياش رحمه الله تعالى^(١). وروى ابن كثير أن بعض المعتزلة قرأ على بعض المشايخ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فقال له يا ابن اللخاء كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف/١٤٣) يعني أن هذا لا يقبل التحريف ولا التأويل^(٢). وكما قال جهم بن صفوان لعنه الله في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/٥) حيث قال: لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها ولأبدلتها استولى. وله في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه حيث قال الله تعالى لهم: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (البقرة/٥٨) فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: «حنطة»^(٣) فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجداً وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فكان

(١) ابن مردويه (ابن كثير ١/٦٠١).

(٢) ابن كثير (١/٦٠١).

(٣) رواه محمد بن إسحق ورجاله ثقات (ابن كثير ١/١٠٣). ورواه البخاري: إلا أنهم قالوا فيه حبة في شعيرة (١٦٤/٨) في التفسير، باب: «وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم». وروي غير ذلك أنظر ابن كثير (١/١٠٣).

جزاؤهم ما ذكره الله تعالى حيث يقول: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة/٥٩) وجعلهم الله عبرة لمن بعدهم، فمن فعل كما فعلوا فسيبيله سبيلهم كما مضت سنة الله بذلك: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (القمر/٤٣).

و (من غير تحريف) لمعانيها كما فعله الزنادقة أيضاً كتأويلهم «نفسه» تعالى بالغير وأن إضافتها إليه كإضافة بيت الله وناقة الله، فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران/٢٨) أي غيره وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام/٥٤) أي على غيره، ويكون قوله تعالى عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة/١١٦) أي ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قوله تعالى لموسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه/٤١) أراد واصطنعتك لغيري، وهذا لا يقوله عاقل، بل ولا يتوهمه ولا يقوله إلا كافر، وكتأويلهم «وجهه» تعالى بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البين، وهذا يكفي حكايته عن رده. أما من أثبت النفس وأول الوجه بذلك فيقال له: إن الله تعالى قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/٢٧) فذكر الوجه مرفوعاً على الفاعلية ولفظ رب مجروراً بالإضافة وذكر ذو مرفوعاً بالتبعية نعتاً لوجه، فلو كان الوجه هو الذات لكانت القراءة «ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام» بالياء لا بالواو كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/٧٨) فخفضه لما كان صفة للرب فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعاً تبين أن الوجه صفة للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فساد تأويلهم بالذات أو الغير لجأوا إلى طاغوت المجاز فعدلوا إلى أن تأويله به أولى وأنه كما يقال: «وجه الكلام» و«وجه الدار» و«وجه الثوب» ونحو ذلك، فتكلفوا الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ كل التكلف ثم نكسوا على رؤوسهم فوقعوا فيما فروا منه، فيقال لهم: أليس الثوب والدار والكلام مخلوقات كلها وقد شبهتهم وجه الله تعالى بذلك؟ فأين الفكاك والخلاص ولات حين مناص: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت/٢٣) وكما أولوا اليد بالنعمة واستشهدوا بقول العرب: «ليك

يد عندي» أي نعمة فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة/٦٤) يعني نعمته فلم يشبوا الله إلا نعمتين والله تعالى يقول : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان/٢٠) ويكون قوله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾ (ص/٧٥) أراد بنعمتي ، فأَي فضيلة لآدم على غيره على هذا التأويل ، وهل من أحد لم يخلقه الله بنعمته؟ ويكون قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر/٦٧) أراد مطويات بنعمته ، فهل يقول هذا عاقل؟ وقال آخرون منهم «بقوته» استشهاداً بقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (الذاريات/١٤٧) أي بقوة فيقال لهم : أليس كل مخلوق خلقه الله بقوة؟ فعلى هذا ما معنى قوله عز وجل : ﴿مَّا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِيَّ﴾ وأي فضل لآدم على إبليس إذ كل منهما خلقه الله بقوته؟ وما معنى قوله تعالى للملائكة : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان . أفلم يخلق الملائكة بقوته ، وأي فضل لآدم عليهم إن لم يكن خلقه الله بيده التي هي صفته ، نبشوني بعلم إن كنتم صادقين . وكما تأولوا الاستواء بالاستيلاء واستشهدوا ببيت مجهول مروي على خلاف وجهه وهو ما ينسب إلى الأخطل النصراني :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهوراق

فعدلوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج ليس على دين الإسلام ولا على لغة العرب ، فطفق أهل الأهواء يفسرون به كلام الله عز وجل ويحملونه عليه ، مع إنكار عامة أهل اللغة لذلك وأن الاستواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه البتة . وقد سئل ابن الأعرابي وهو إمام أهل اللغة في زمانه فقال : العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب قيل استولى ، والله سبحانه وتعالى لا مغالب له . هـ .^(١) وقد فسر السلف الاستواء بعدة معان بحسب أداته المقتترنة به ، وبحسب تجريده عن الأداء ، ولم يذكر أحد منهم أنه يأتي بمعنى الاستيلاء حتى

(١) العلو للذهبي (مختصره ص ١٩٤ - ١٩٥) .

انتحل ذلك أهل الأهواء والبدع لا باشتقاق صغير ولا كبير، بل باستنباط مختلق وافق الهوى المتبع. وقد بسط القول في رد ذلك ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه الصواعق وبين بطلانه من نيف وأربعين وجهاً فليراجع^(١). وكما أولوا أحاديث النزول إلى سماء الدنيا بأنه ينزل أمره، فيقال لهم: أليس أمر الله تعالى نازلاً في كل وقت وحين؟ فماذا يخص السحر بذلك؟ وقال آخرون: ينزل ملك بأمره، فنسب النزول إليه تعالى مجازاً. فيقال لهم: فهل يجوز على الله تعالى أن يرسل من يدعي ربوبيته، وهل يمكن للملك أن يقول: «لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له»^(٢) وهل قصرت عبارة النبي ﷺ عن أن يقول ينزل ملك بأمر الله فيقول إن الله تعالى يقول لكم كذا، أو أمرني أن أقول لكم كذا حتى جاء بلفظ مجمل يوهم بزعمكم ربوية الملك، لقد ظننتم بالله تعالى ورسوله ﷺ ظن السوء وكنتم قوماً بوراً. وكما أولوا المجيء لفصل القضاء بالمجاز فقالوا يجيء أمره واستدلوا بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ (النحل/٣٣) فقالوا في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة/٢١٠) فقالوا هو من مجاز الحذف والتقدير يأتي أمر الله. فيقال لهم: أليس قد اتضح ذلك غاية الاتضاح أن مجيء ربنا عز وجل غير مجيء أمره وملائكته، وأنه يجيء حقيقة، ومجيء أمره حقيقة، ومجيء ملائكته حقيقة، وقد فصل تعالى ذلك وقسمه ونوعه تنوعاً يمتنع معه الحمل على المجاز فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه ومجيء الملائكة وكذا في آية الفجر، وذكر في النحل مجيء ملائكته ومجيء أمره، وذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التي هي من أمره. ثم يقال: ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة؟ أليس أمره آتياً في كل وقت، متنزلاً بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل نفس ولحظة: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن/٢٩). وتأولوا النظر إلى الله عز وجل في الدار الآخرة بالانتظار قالوا إنه كقوله: ﴿انظرونا نَقْتَسِمَ مِنْ

(١) مختصر الصواعق (٢/٣٦ - ١٥٢).

(٢) تقدم ذكره ورواياته.

نُورُكُمْ ﴿ (الحديث/١٣) فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظار تعدى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله ﴿أَنْظُرُونَا﴾ ألم يضيف الله تعالى النظر إلى الوجوه التي فيها الإبصار، ويعدّه بإلى التي تفيد المعاينة بالبصر عند جميع أهل اللغة ﴿قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمَ اللَّهُ﴾، أو لم يفسره النبي ﷺ بالرؤية الجليلة عياناً بالأبصار في أكثر من خمسين حديثاً صحيحاً: حتى شبه تلك الرؤية برؤيتنا الشمس صحواً ليس دونها سحاب، تشبيهاً للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، ولم يزل الصحابة مؤمنين بذلك، ويحدثون به من بعدهم من التابعين، وينقله التابعون إلى من بعدهم وهلم جراً، فنحن أخذنا ديننا عن حملة الشريعة، عن الصحابة، عن النبي ﷺ. فأنتم عمن أخذتم؟ ومن شبهاتهم في نفي الرؤية استدلالهم بقوله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام/١١٣) وهذه الآية فيها عن الصحابة تفسيران: أولهما لا يرى في الدنيا، وهو مروى عن عائشة رضي الله عنها^(١)، وبذلك نفت أن يكون رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج. ثانيهما تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ أي لا تحيط به، فالنفي للإحاطة لا للرؤية^(٢)، وهذا عام في الدنيا والآخرة. ولم ينقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيح ولا ضعيف أنه أراد بذلك نفي الرؤية في الآخرة، فهذا تفسير الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب هل بينهم من أحد فسر الآية بما افترىتموه؟ ومن إفكهم ادعائهم معنى التأييد في نفي ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ (الأعراف/١٤٣) حتى كذبوا على رسول الله ﷺ حديثاً مختلقاً لفظه: لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة، وهو موضوع مكذوب على النبي ﷺ باتفاق أئمة الحديث والسنة، ولم يقل أحد من أئمة اللغة العربية إن نفي «لن» للتأييد مطلقاً إلا الزمخشري من المتأخرين قال ذلك ترويحاً لمذهبه في الاعتزال وجحود صفات الخالق جل وعلا، وقد ردّه عليه أئمة التفسير كابن كثير وغيره^(٣)، ورده ابن مالك في الكافية حيث قال:

(١) تفسير ابن كثير (١٦٨/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٧/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٥٤/٢).

ومن يرى النفي بلن مؤبداً فقلوه اردد وسواه فاعضدا
والقائل لموسى ﴿لن تراني﴾ هو المتجلي للجبل حتى اندك، وهو الذي
وعد المؤمنين ﴿الحسنى وزيادة﴾ وهو الذي قال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى
ربها ناظرة﴾ فاتضح بذلك أن قوله لموسى ﷺ: ﴿لن تراني﴾ إنما أراد عدم
استاعته رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القوى البشرية فيها عن ذلك كما
قرر تعالى ذلك بقوله جل جلاله: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ
فَسَوْفَ تَرَانِي. فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا﴾
(الأعراف/١٤٣) الآية، فإذا لم يثبت الجبل لتجلي الله تعالى فكيف يثبت موسى
لذلك وهو بشر خلق من ضعف؟ وأما في الآخرة فيخلق الله تعالى في أوليائه قوة
مستعدة للنظر إلى وجهه عز وجل، وبهذا تجتمع نصوص الكتاب والسنة وتأتلف
كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وأما من اتبع هواه بغير هدى من الله،
ونصب الخصام أو الجدل والمعارضة بين نصوص الكتاب والسنة، واتبع ما
تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، وضرب كتاب الله
بعضه ببعض وآمن ببعض وكفر ببعض وشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
واتبع غير سبيل المؤمنين، وأضل الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله؟ أعاذنا الله وجميع المؤمنين من ذلك.
ولا يتأتى لأحد من أهل التأويل مراده ولا يستقيم له تأويله إلا بدفع النصوص
بعضها ببعض لا محالة ولا بد، فإن كتاب الله تعالى يصدق بعضه بعضاً لا يكذبه
كما هو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه. وكذلك سنة النبي ﷺ
تبين الكتاب وتوضحه وتفسره وتدل عليه وترشد إليه، ولا يشك في ذلك ولا
يرتاب فيه إلا من اتخذ إلهه هواه، وأدلى بشبهاته لغرض شهواته: ﴿بل الذين
كفروا في تكذيبِ والله من ورائهم محيط﴾ (البروج/١٩ - ٢٠) وهذا دأبهم في
جميع نصوص الأسماء والصفات. وإنما ذكرنا هذه الجملة مثلاً وتنبهاً على ما
وراء ذلك، فمن عوفي فليحمد الله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله.

(ولا تعطيل) أي للنصوص بنفي ما اقتضته من صفات كمال الله تعالى

ونعوت جلاله فإن نفي ذلك من لازمه نفي الذات ووصفه بالعدم المحض، إذ ما لا يوصف بصفة هو العدم، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. ولهذا قال السلف الصالح رحمهم الله تعالى في الجهمية: إنهم يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبدو ذلك لجحودهم صفات كماله ونعوت جلاله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وذلك يتضمن التكذيب بالكتاب والسنة، والافتراء على الله كذباً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ، والذي جاء بالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. لهم ما يشاءون عِنْدَ رَبِّهِمْ، كذلك جزاء المحسنين. ليَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الزمر/ ٣٢ - ٣٥).

(وغير تكييف) تفسير لُكنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا، أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا ونحو ذلك من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل واعتقاد ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوباً من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة/ ٢٥٤) وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (البقرة/ ٢٥٥) فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه كهذه الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه ككيفية ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/ ٧).

(ولا تمثيل) أي ومن غير تشبيه لشيء من صفات الله بصفات خلقه، فكما أننا نثبت له ذاتاً لا تشبه الذوات فكذلك نثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات ونعتقد تنزهه وتقديسه عن مماثلة المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/ ١١). وإذا كان القول على الله بلا علم في أحكام

الشرعة هو أقبح المحرمات كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/ ٣٣) فكيف بالقول على الله بلا علم في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته من تشبيه خلقه به أو تشبيهه لخلقه في اتخاذ الأنداد معه وصرف العبادة لهم، وإن اعتقاد تصرفهم في شيء من ملكوته تشبيه للمخلوق بالخالق، كما أن تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيه للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفر بالله عز وجل أقبح الكفر، وقد نزه الله تعالى نفسه عن ذلك كله في كتابه كما قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وقال تعالى : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم/ ٦٥) وقال تعالى : ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وقال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل/ ٦٠) وقال تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل/ ٧٤) وغير ذلك من الآيات، بل جميع القرآن من أوله إلى خاتمته في هذا المعنى، بل لم يرسل الله تعالى رسله ولم ينزل كتبه إلا بذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب/ ٤).

(بل قولنا) الذي نقوله ونعتقد وندين الله به هو (قول أئمة الهدى) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة كأبي حنيفة ومالك والأوزاعي والثوري وابن عيينة والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأصحاب الأمهات الست وغيرهم من أئمة المسلمين^(١) قديماً وحديثاً الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف وتلا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن

(١) أنظر أقوالهم في كتاب العلل للذهبي.

الله عز وجل فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة تفسيرها قراءتها، وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله تعالى: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه مما وردت به الآيات الصريحة ووصفه به رسوله ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ. وقال أيضاً رحمه الله: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وضح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعدور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها وتثبت هذه الصفات وينفى عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وقال الإمام أحمد رحمه الله: ليس كمثلته شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة: ليس يشبهه شيء. وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه. قال فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصف بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنت. وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه، فهذا كله يدل على أن الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل متكلماً، عالماً، غفوراً، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب. فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد، وهو

على العرش بلا حدّ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميع بصير بلا حدّ ولا تقدير، لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبّهة. قلت له: والمشبّهة ما يقول؟ قال من قال بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي فقد شبه الله تعالى بخلقه، انتهى. وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثير منه في الاستواء والكلام والنزول والرؤية وغير ذلك.

(طوبى لمن يهديهم قد اهتدى) إذ هم خير القرون وأعلم الأمة بشريعة الإسلام وأولاهم باتباع الكتاب والسنة واقتفاء آثار رسول الله ﷺ، وبهم حفظ الله الدين على من بعدهم، فرحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم وألحقنا بهم سالمين غير مفتونين إنه سميع الدعاء.

وسم ذا النوع من التوحيد توحيد إثبات بلا ترديد
قد أفصح الوحي المبين عنه فالتمس الهدى المنير منه

(وسم ذا النوع) والإشارة بذا إلى ما تقدم من قوله «إثبات ذات الرب» إلى هنا وما يدخل في ذلك من معاني الربوبية والأسماء والصفات (من) نوعي (التوحيد) المشار إليهما بقول: وهو نوعان (توحيد إثبات) لاشتماله على إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبتته له رسوله ﷺ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين من معاني ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته ونفي ما يناقض ذلك كما نفاه عن نفسه تبارك وتعالى، فنؤمن بالله تعالى، وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على السنة رسله من صفات كماله ونعوت جلاله بلا تكيف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأبين دليلاً من غيره، وقد عكس الزنادقة الأمر فنفوا عنه ما أثبتته تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأثبتوا له ما نزه نفسه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه وصفاته، وكذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فبعداً لقوم لا يؤمنون.

فائدة

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمرُّ كما جاءت ولا تؤوّل مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد. فتنفّر من هذا أن الظاهر يعني به أمران: أحدهما أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال السلف الصالح: الاستواء معلوم، وكما قال سفيان وغيره: قراءتها تفسيرها، يعني أنها بينة واضحة في اللغة لا يبتغى بها مضايق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف مع اتفاقهم أيضاً أنها لا تشبه صفات البشر بوجه، إذ الباري لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته. الثاني أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله تعالى فرد صمد ليس له نظير، وإن تعددت صفاته فإنها حق، ولكن ما لها مثل ولا نظير، فمن ذا الذي عاينه ونعته لنا، ومن ذا الذي يستطيع أن ينعت لنا كيف سمع موسى كلامه؟ والله إنا لعاجزون كالون حائرون باهتون في حد الروح التي فينا وكيف تعرج كل ليلة إلى بارئها، وكيف يرسلها، وكيف تستقل بعد الموت، وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله، وكيف حياة النبيين الآن، وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلي في قبره قائماً^(١)، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار إليه بمراجعة رب العالمين وطلب التخفيف منه على أمته^(٢)، وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجه آدم بالقدر السابق وبأن اللوم بعد لتوبة وقبولها لا فائدة فيه^(٣)، وكذلك نعجز عن وصف هيتتنا في الجنة ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتها وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النوراني، فالله أعلى وأعظم، وله المثل

(١) أخرجه مسلم (٤/١٨٤٥/ح ٢٣٧٥) في الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) البخاري (١/٤٥٨ - ٤٥٩) في الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ ومسلم (١/١٤٨ - ١٤٩/ح ١٦٣) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ من حديث أنس.

(٣) سيأتي بطوله وهو في الصحيحين.

الأعلى والكمال المطلق ولا مثل له أصلاً: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/ ٥٢) انتهى كلامه بحروفه .

قلت قوله: من ذا الذي عاينه فنعته، هذا لا معنى له، فإن المؤمنين يرونه تعالى في الجنة عياناً بأبصارهم ولا يستطيع أحد منهم نعته تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾. ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ وكان حقه أن يقول: من ذا الذي أحاط به علماً فنعته، وقوله الثاني أن ظاهرها الذي يتشكل في الخيال الخ قد قدمنا أن هذا التصور الفاسد هو الذي يعمل جهلة النفاة على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلا ما يقوم بالمخلوق ولم يتدبروا من هو الموصوف فأساءوا الظن بالوحي ثم قاسوا وشبهوا بعد أن فكروا وقدروا ثم نفوا وعطلوا، فسحقاً لأصحاب السعير.

(قد أفصح الوحي المبين) من الكتاب والسنة وكذلك الصحف الأولى (عنه) غاية الإفصاح وشرحه الله تبارك وتعالى أكثر من شرح بقية الأحكام لعظم شأن متعلقه، (فالتمس) اطلب (الهدى المنير) أي من الوحي المبين لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا منه، ومن خرج عن الوحي مثقال ذرة ضل وغوى ولا بد، فانا لا نعلم من علم الله سبحانه إلا ما علمنا هو، فنصدق بما أخبر به عن نفسه وأخبرت به رسله عنه كما نقاد ونسلم ونمثّل لما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، بل إن تأويل الأمر والنهي أخف جرماً من تأويل معاني الربوبية والأسماء والصفات والتكذيب بالبعث والنشور والوعد والوعيد دون التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى وأخبرت عنه به رسله من ذلك مع أن جرم كل منهما عظيم. أعاذنا الله وجميع المسلمين من الزيغ والضلال، آمنا بالله وأشهد بآنا مسلمون.

لا تتبع أقوال كل ما رد غاو مضل ما رق معاند
فليس بعد رد ذا التبيان مشقال ذرة من الإيمان

(لا تتبع) أيها العبد (أقوال كل ما رد) على بدعته وزندقته واتباع هواه.
(غاو) زائع في دينه مفتون في عقيدته (مضل) لغيره (مارق) من الإسلام (معاند)

لنصوص الكتاب والسنة وما دلت عليه . مكذب بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله ، (فليس) للهيبقى (بعد رد ذا التبيان) الذي جاء في الكتاب والسنة من الآيات المحكمة الصريحة والأحاديث الثابتة الصحيحة (مثقال ذرة من الإيمان) في قلب من رد ذلك لأن الله تعالى هو الحق وقوله الحق : ﴿وماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس/٣٢) وقال تعالى : ﴿وما نرسلُ المرسلينَ إلا مبشرينَ ومنذرينَ ويجادلُ الذين كفروا بالباطلِ ليدحضوا به الحقَّ واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾ (الأنعام/٤٨) وقال تعالى : ﴿ما يجادلُ في آياتِ الله إلا الذين كفروا فلا يغفرُكَ تقلُّبهم في البلاد﴾ (غافر/٤) وقال تعالى : ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾ (فصلت/٤٠) وقال تعالى : ﴿ويوم نحشرُ من كل أمة فوجاً ممَّن يكذبُ بآياتنا فهمُ يوزعون . حتى إذا جاءوا قالَ أكذبتُم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون . ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون﴾ (النمل/٨٣ - ٨٥) وهذه الآيات يدخل فيها كل مكذب بأي شيء من الكتاب ، فكيف إذا كذب بصفات منزل الكتاب ، بل جحد أن يكون الله تعالى تكلم بالكتاب ، ألا لعنة الله على الظالمين .

فصل

[الملاحظة خمس طوائف في توحيد المعرفة والإثبات]

والملاحظة في توحيد المعرفة والإثبات فرق كثيرة وأشياء متفرقة ، ولكن رءوسهم خمس طوائف :

الأولى سلبية محضاً يثبتون إثباتاً هو عين النفي ويصفون الباري تعالى بصفات العدم المحض الذي ليس هو بشيء البتة ، وليس له عندهم حقيقة غير أنهم يقولون هو موجود لا داخل العالم ولا خارجاً عنه ولا مбайناً له ولا محايثاً وليس على العرش ولا غيره ولا يثبتون له ذاتاً ولا إسماء ولا صفة ولا فعلاً بل ذلك عندهم هو عين الشرك ، وهذا هو الذي صرح به غلاة الجهمية ، وقد كان قداماؤهم يتحاشون عنه ويتسترون منه ، وكان السلف من أئمة الحديث يتفرون

فيهم ذلك وأنهم يبطنونه ولا يبوحون به ، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قولهم في الجهمية : إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد ، ويقول بعضهم : إنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء ، ولكنه لم يصرح بذلك ويظهره إلا ابن سينا صاحب الإشارات تلميذ الفارابي ، وهو منسوب إلى أرسطو اليوناني ، وهو يرجع إلى مذهب الدهرية الطباعية في المعنى ، وهو الذي نصره الملحد الكبير نصير الشرك الطواسي^(١) وأشباهه ، قبحهم الله تعالى .

الطائفة الثانية : الحلولية الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته وينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه ، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرهما ، وهؤلاء هم قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة الحديث كأحمد بن حنبل وغيره ، ولهذا قال جهم بن صفوان لما ناظره السمنية في ربه وحرار في ذلك ففكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر فقال : هو هذا الهواء الذي هو في كل مكان ، وكذلك كان يقول كثير من أتباعه ، ولم يكن ولا هم يريدون ذلك وإنما كانوا يتوسلون به إلى السلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام رحمهم الله كلما أفصحوا به من نفي أسماء الباري وصفاته وكلامه ورؤيته في الدنيا والآخرة وأفعاله وحكمته وغير ذلك كما تقدم حكايته عنهم قريباً ورد شبهاتهم الداحضة .

الطائفة الثالثة : الاتحادية وهم القائلون : إن الوجود بأسره هو الحق ، وأن الكثرة وهم ، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارضة الكل شيء واحد هو معبودهم في زعمهم ، وهم طائفة ابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما مما حرف فيه الكلم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعاني الآيات وأتى بكفر لا يشبه كفر اليهود الذين قالوا عزيز ابن الله ، ولا النصاري الذين قالوا المسيح ابن الله وقالوا هو الله وقالوا ثالث ثلاثة ، فإن النصاري وأشباههم خصوا الحلول والاتحاد بشخص معين وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه وتقابل أضداده مما لا يسوغ التلفظ بحكايته هو المعبود ،

(١) إمام أهل الرضا وزير التار في دمار بغداد وقتل المسلمين ، عامله الله بما يستحق .

فلم يكفر هذا الكفر أحد من الناس، وكان هذا المذهب الذي انتحله ابن عربي ونظمه ابن الفارض في تائيته (نظم السلوك)، وأصل هذا المذهب الملعون انتحله ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوتي نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمائة واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة فتولد له الإلحاد من ذلك وصنف فيه، وكان يعرف السيمياء ويلبس بذلك على الأغنياء من الأمراء والأغنياء، ويزعم أنه حال من أحوال القوم. وله من المصنفات كتاب البدو، وكتاب الهو. وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها أبي نمنى، وجاور في بعض الأوقات بغار جراء يرتجى فيه الوحي أن ينزل عليه كما أتى النبي ﷺ بناء على ما يعتقد من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك، وكان إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت^(١)، فالله يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظام من الأقوال والأفعال. توفي يوم ثمانية وعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة.

الطائفة الرابعة: نفاة القدر وهم فرقتان :

فرقة نفت تقدير الخير والشر بالكلية وجعلت العباد هم الخالقين لأفعالهم خيرا وشرا، ولازم هذا القول أنهم هم الخالقون لأنفسهم لأن في قولهم نفي تصرف الله في عبادهم وإخراج أفعالهم عن خلقه وتقديره، فيكون تكونهم من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليق هم بأنفسهم تطوروا، وبطبيعتهم تخلقوا، وهذا راجع إلى مذهب الطبائعية الدهرية الذين لم يثبتوا خالقاً أصلاً كما قدمنا مناظرة أبي حنيفة لبعضهم فأسلموا على يديه.

(١) أنظر أقوال هذه الطائفة تفصيلاً في : الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود القاسم. ففيه ما يغنيك ويشفيك ويكشف لك عوارهم وضلالهم إن شاء الله تعالى.

وفرقه نفت تقدير الشر دون الخير فجعلوا الخير من الله وجعلوا الشر من العبد، ثم منهم من ينفي تقدير الشر من أعمال العباد دون تقديره في المصائب، ومنهم من غلا فنفي تقدير الشر من المصائب والمعائب. وعلى كل حال فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقاً بل جعلوا العباد معه خالقين كلهم، ونفوا أن يكون الله هو المتفرد بالتصرف في ملكوته، وهذا راجع إلى مذهب المجوس الثنوية الذين أثبتوا خالقين خالقاً للخير وخالقاً للشر قبهم الله تعالى.

الطائفة الخامسة: الجبرية الذين يعتقدون أن العبد مجبور على أفعاله قسراً ولا فعل له أصلاً بل إثبات الفعل للعبد هو عين الشرك عندهم بل هو كالهواوي من أعلى إلى أسفل وكالسعفة تحركها الريح لم يعمل باختياره طاعة ولا معصية ولم يكلفه الله وسعه بل حمله ما لا طاقة له به، ولم يخلق فيه اختياراً لأفعاله ولا قدرة له عليها بل الطاعة والعصيان من الأقوال والأعمال هي عندهم عين فعل الله عز وجل، فرفعوا اللوم عن كل كافر وفاسق وعاص وأنه يعذبهم على نفس فعله لا على أعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصي التي نهى الله عنها في كتبه وعلى السنة رسله إذا عملوها صارت طاعات لأنهم يقولون أطعنا مشيئة الله الكونية فينا، بل لم يثبتوا الإرادة الشرعية البتة ومن يثبتها منهم يقول في الطاعات أطعنا الإرادة الشرعية وفي المعاصي التي سماها الله معاصي أطعنا الإرادة الكونية وأما هم فلم يثبتوا معصية أصلاً بل أفعالهم جميعها حسناتها وقبيحتها كلها عندهم طاعات على أصلهم هذا الفاسد، وفي ذلك رد منهم على الله تعالى أمره ونهيه ووعدته ووعيده وفرضه على عباده جهاد الكفار وإقامة الحدود بل في إرساله الرسل وإنزاله الكتب، فيجب عندهم تعطيل الشرائع بالكلية والاحتجاج على نفيها بالقدر الكوني ومحاربتها به وإثبات الحجة على الله لكل كافر وفاسق وعاص وهذا كفر لم يسبقهم إليه غير إمامهم إبليس اللعين إذ يحتج على الله تعالى بحجتهم هذه فقال: ﴿فبما أغويتني﴾ والعجب أن هذا المذهب المخذول موروث عن جهم بن صفوان مع تناقضه في إثبات أفعال الله عز وجل فإنه لا يثبت لله تعالى فعلاً يقوم بذاته أصلاً بل أفعاله خارجة عنه قائمة بغيره من المخلوقات، ثم ينقض ذلك بجعله أفعال العباد أفعال الله، وهذا تناقض بين

لكل عاقل فإن الفعل إنما يضاف إلى من قام به والقول إلى من قاله وكذا السمع والبصر والقدرة وغيرها محال أن تضاف إلى غير من قامت به ومحال أن يسمى فاعلاً بدون فعل يقوم به، ولو ذهبنا نعد تشعب الفرق من هذه الطوائف ولوازم كل قول مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد، وقد أفرد ذلك بالتصنيف غير واحد من الأئمة، وقد قدمنا البعض من ذلك وذكرنا أمثلة من تحريفهم النصوص، وسيأتي الكلام على الدهرية في الإيمان بالبعث، وعلى نفاة القدر والغلاة فيه في باب القدر، والكلام على الخوارج والمرجئة والمعتزلة وأشباههم في باب الإيمان والدين، والكلام على الروافض والنواصب في باب ذكر الصحابة. وهذه الطوائف التي خالفت في توحيد المعرفة والإثبات مرجعها إلى ثلاث: فالحلولية والاتحادية والسلبية ومن في معناهم مرجعهم إلى الطبايعية الدهرية، والقدرية النفاة بجميع فرقهم مرجعهم إلى المجوس الثنوية، والجبرية الغلاة مرجعهم إلى النزعة الجهمية الإبليسية وقد قدمنا قول المؤمنين أتباع الرسل مبسوطاً بما فيه كفاية.

فصل

والمخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج^(١) وابن القيم في الصواعق وهذا نصه، قال رحمه الله تعالى:

«فصل^(٢). اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى، فذهب (الاتحادية) القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش وأضداده كله عين كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصّلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله وكلامه هو كلام الله وأصل هذا المذهب

(١) أي منهاج السُّنة النبوية.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (من ٢/ص ٢٨٧).

إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصّلوا أن الله تعالى غير مبين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة: أحدهما أنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجوداً لكان إما داخل العالم وإما خارجاً عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائماً بنفسه فأما أن يكون مبيناً للعالم أو محايثاً له إما داخلاً فيه وإما خارجاً عنه. الأمر الثاني أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مبايناً له ولا حالاً فيه، إذ هو عينه، والشيء لا يباين نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده والحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مبين له ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه فراراً إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما: أحدهما أن يكون سارياً فيه حالاً فيه فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين. الوجه الثاني أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج فيكون وجوده سبحانه وجوداً عقلياً إذ لو كان موجوداً في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائناً عنه أو حالاً فيه وكلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم فله حينئذ كل اسم حسن وقبيح وكل صفة كمال ونقص وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

المذهب الثاني مذهب (الفلاسفة) المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين
يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه. ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير. فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عن غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتصور المعقول صوراً نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الأذان، وهو عندهم كلام الله، ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية قالوا

وربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصورة العقلية لعين الرائي، فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج. فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته ورسله وأنبيائه، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه وهو القائم بنفسه المبين لخلقه العالي فوق سمواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيتته العالم بجميع المعلومات القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

المذهب الثالث مذهب (الجهمية) النفاة لصفات الرب تعالى القائلين: إن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه. قال الأشعري في كتاب المقالات^(١): اختلفت المعتزلة في كلام الله تعالى هل هو جسم أو ليس بجسم وفي خلقه على ستة أقاويل: فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن كلام الله جسم وأنه مخلوق وأنه لا شيء إلا جسم. والفرقة الثانية زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة، وأن كلام الخالق جسم وأن ذلك الجسم صوت منقطع مؤلف مسموع وهو فعل الله وخلق، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه. وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه. والفرقة الثالثة من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه تال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال والفرقة الرابعة يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق، وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين. والفرقة الخامسة أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان:

(١) المقالات (ص ٥٨٨ وما بعدها).

قسم منهما يفعله الأحياء، وقسم منهما يفعله الأموات ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلاً للأحياء. والقرآن مفعول وهو عرض ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلاً لله وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه إذا سمع من الشجرة فهو فعل لها، وحيث سمع فهو فعل المحل الذي حل فيه. الفرقة السادسة يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي. واختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى، وإنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك. وهذا المذهب هو من فروع ذلك الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله ولصريح المعقول والفطر من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه وصفاته ونفي قيام الأفعال به، فلما أصّلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعلاً مدبراً متصرفاً في خلقه يعلم ويقرر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمهما وذلك ينفي حقيقة الألية، فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالمين ولا إله فضلاً عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

المذهب الرابع مذهب (الكلاية) أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة وهو أربعة معاني في نفسه: الأمر، والنهي، والخبر، والاستفهام. فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلوّ المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة. وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلاً للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق.

المذهب الخامس مذهب (الأشعري) ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب تعالى، لأنه ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم ولا له أبعاد ولا له أجزاء وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل واحد، وهو عين التوراة وعين الإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء وكونه قرآناً وتوراة وإنجيلاً تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً، وإذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً والمعنى واحد وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي ولا سمع من الله، وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة ويجوز أن يرى ويشم ويذاق ويلمس ويدرك بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة الرائي وأنه يرى حقيقة وليس مقابلاً للرائي. هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام. والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ وأنه جاء بهذا ودعاً إليه الأمة وأنهم أهل الحق ومن عداهم أهل الباطل. وجمهور العقلاء يقولون إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات. وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشئته.

[التنبيه إلى أن الأشعرية غير الأشعري]

وأقول والحق يقال لا نشك أن ابن القيم هذا وشيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى من أعلم من صنف في المقالات والملل والنحل وأدراهم بمواردها ومصادرها وأبصرهم برد الباطل منها وإدحاضه وأوفاهم تقريراً لمذهب السلف أهل السنة والجماعة وأشدّهم تمسكاً به ونصرة له، وأكملهم تحريراً لبراهينه عقلاً ونقلاً، وأكثرهم اشتغالاً بهذا الباب وتنقياً عن عامل البدع فيه واجتثاثاً

لأصولها، ولكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالى عن الأشعري في مسألة القرآن هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشعري ويسمون أنفسهم أهل الحق ويقرون ذلك ويكررونه في كتبهم وينظرون عليه . وأما أبو الحسن الأشعري نفسه رحمه الله تعالى فالذي قرره في كتابه (الإبانة) الذي هو من آخر ما صنف هو قول أهل الحديث ساقه بحروفه وجاء به برمته واحتج فيه ببراهينهم العقلية والنقلية ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كأحمد بن حنبل ومالك بن أنس والشافعي وأصحابه والحماديين والسفيانيين وعبد العزيز بن الماجشون والليث بن سعد وهشام وعيسى بن يونس وحفص بن غياث وسعد بن عامر وعبدالرحمن بن مهدي وأبي بكر بن عياش ووكيع وأبي عاصم النبيل ويعلى بن عبيد ومحمد بن يوسف وبشر بن المفضل وعبد الله بن داود وسلام بن أبي مطيع وابن المبارك وعلي بن عاصم وأحمد بن يونس وأبي نعيم وقبيصة بن عقبة وسليمان بن داود وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم، ولولا خوف الإطالة لسقنا فصول كلامه بحروفه، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات وأجمل في بعض المواضع فكلامه يدل على أنه مخالف للمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء والنزول والرؤية والوجه واليدين والغضب والرضا وغير ذلك، وقد صرح في مقالاته بأنه قائل بما قال الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث معتقد ما هم عليه مثبت لما أثبتوه محرم ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن مواضعه وصرف اللفظ عن ظاهره وإخراجه عن حقيقته، وبالجمله فيبينه وبين المنتسبين إليه بون بعيد بل هو بريء منهم وهم منه برآء والموعود الله وكفى بالله حسيباً، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : المذهب السادس مذهب (الكرامية) وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى ، وهو حروف وأصوات مسموعة ، وهو حادث بعد أن لم يكن ، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلاً ، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام فهو لازم لهم في مسألة الفعل ، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم ، فإنهم أثبتوا كلاماً وفعلاً حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل ، وجعلوا لها أولاً فراراً من القول بحوادث لا أول

لها، ومنازعوهم أبطلوا حقيقة الكلام والفعل وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائماً بنفسه سبحانه فلو كان ما أثبتته مفعولاً لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئاً خارجاً عنهما، فهم لم يثبتوا لله كلاماً ولا فعلاً، وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً كما جعله خصومهم فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً

المذهب السابع مذهب (السالمية) ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبريل منه وسمعه موسى بلا واسطة ويسمعه سبحانه من يشاء. وإسماعه نوعان: بواسطة وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم بطلانه، والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة بطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل. والعجب إنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها. ثم ذكر رحمه الله تعالى قول أتباع الرسل وأطال على ذلك. ثم مسألة تكلم العباد بالقرآن وساق فيه كثيراً من كلام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه وفي كتاب خلق أفعال العباد لأنه من أحسن الأئمة توضيحاً وتفصيلاً في هذه المسألة لما جرى عليه من المحنة في شأنها. ثم ذكر الكلام على حروف المعجم وساق فيه أقوال الأئمة. ثم ذكر اللفظية في أثناء ذلك والواقفة. ثم ذكر فصلاً في الكتابة له في الرق وغيره، ثم فصلاً في السماع، ثم فصلاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أول من أظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المئة الثالثة ابن كلاب وأنكر عليه ذلك أئمة الحديث كأحمد والبخاري وغيرهما. وفي غضون هذه الفصول أبحاث نفيسة لا يستغنى عنها فلتراجع منه^(١).

(١) أنظره في مختصر الصواعق (من ٢٩٣/٢ - ٣٢٩/٢).

ثم قال رحمه الله تعالى : فصل^(١). منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته؟ على قولين، فقالت طائفة كلامه بغير مشيئته واختياره. ثم انقسم هؤلاء أربع فرق. قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو. وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم وهو قول الكلائية ومن تبعهم. وانقسم هؤلاء فرقتين: فرقة قالت هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذه الأربعة. وفرقة قالت بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض. وفرقة قالت كلامه هو هذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار بها متكلماً، وهذا قول المعتزلة، وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم. وفرقة قالت يتكلم بقدرته ومشيئته كلاماً قائماً بذاته سبحانه كما يقوم به سائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً كما قاله من لم نصفهم من المتكلمين أنه صار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً. فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية. وفرقة قالت يتكلم بمشيئته، وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه كما يقوله طوائف الاتحادية. وقال أهل الحديث والسنة إنه لم يزل سبحانه متكلماً إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتحدد له هذه الصفة بل كونه متكلماً بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه ليس متحداً بهم ولا حالاً فيهم. واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة؟ فقال فرقة لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما تسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلائية ومن تبعهم. وقالت بقية الطوائف بل يسمع كلامه حقيقة. ثم اختلفوا فقالت فرقة يسمعه كل أحد من الله تعالى، وهذا قول الاتحادية. وقالت فرقة بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم أن موسى لم يسمع كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة. وقال أهل السنة والحديث: يسمع

(١) مختصر الصواعق من (٢/٣٢٩).

كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبريل وغيرهما وكما يكلم عباده يوم القيامة ويكلم أهل الجنة ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغاً عنه وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول ﷺ عن الله فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي. فإذا قيل المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عن الله تعالى فهو كلامه غير مخلوق، وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل إن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق وإن سألت عن الكلام المؤدى بذلك الصوت فهو غير مخلوق. والذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربع فرق: فرقة قالت يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه وهم المعتزلة. وفرقة قالت يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال وهم السالمية والاقترانية. وفرقة قالت يتكلم بصوت حادث في ذاته بعد أن لم يكن وهم الكرامية. وقال أهل السنة والحديث لم يزل الله تعالى متكلماً بصوت إذا شاء. والذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان: أصحاب الفيض، والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس^(١). انتهى ما أردنا إيراده من كلامه رحمه الله تعالى وقد أودع هذه الأقوال وغيرها في مسألة القرآن وغيرها في نونته الشافية الكافية. وأما مذهب أتباع الرسل فقد قدمنا فيه الشفاء الكافي من نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة بما لا يحتاج معه إلى غيره. وبالله التوفيق.

انتهى المجلد الأول
ويليه المجلد الثاني وأوله
فصل في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد

(١) مختصر الصواعق: (٣٣١/٢).

فهرس المجلد الأول

٥	المقدمة (للمحقق)
١١	ترجمة المؤلف
٢٧	نص منظومة سُلَّم الوصول
٤٧	(خطبة الكتاب) وفيها تحميد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا
٥٥	في أنه لا صلاح ولا سعادة ولا نجاح إلا بمعرفة الله عز وجل وتوحيده
٥٩	اختلاف الفرق الإسلامية
٦١	الفرقة الناجية
٦٢	سبب نظم المتن (سلم الوصول) وتأليف الشرح (معارض القبول)
٦٦	خلاصة القول في تفسير البسملة
٦٨	القول في حمد الله وشكره والاستعانة به
٧٣	القول في كلمة الشهادة
٧٥	القول في الصلاة، والتعريف بالآل والأصحاب
٧٦	التعريف بموضوع الكتاب
٧٩	(مقدمة): تعرف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله عليه
	العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه (وانظر فصل العبادة في
٨٢	المجلد الثاني)
	آية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
٨٤	على أنفسهم﴾

- بعد هذا الميثاق الذي أخذه الله على البشر أرسل إليهم الرسل ٨٩
- انقسام التوحيد إلى نوعين: أولهما توحيد المعرفة والإثبات
- (النوع الثاني في توحيد القصد والطلب) ٩٧
- ذكر مناظرة بين رسل الله وأعدائه ﴿ألم تر إلى الذي
- حاجَّ إبراهيم في ربه﴾ ١٠٧
- مناظرة أخرى بين موسى وفرعون ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ ١٠٨
- ما نقل عن الأئمة وغيرهم في هذا الباب ١١٠
- أسماء الله الحسنى ١١٢
- أسماء الله ليست منحصرة في التسعة والتسعين ١١٧
- دلالة أسماء الله حق على حقيقتها مطابقة وتضمناً والتزاماً ١١٩
- أسماء الله غير مخلوقة ١٢٠
- معنى الحديث «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها
- وحفظها دخل الجنة» ١٢٥
- تفسير الآية ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ ١٢٨
- إثبات صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ١٢٩
- إثبات ربوبية الله ١٢٩
- الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء ١٣٠
- الأحد الفرد في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ١٣٦
- القدير الذي له مطلق القدرة وكلها وتماها ١٣٨
- الأزلي بذاته وأسمائه وصفاته، الصمد الذي يصمد إليه الخلائق
- في حوائجهم ١٤٠
- البروصفاً وفعلاً، المهيمن على عباده بأعمالهم ١٤٣
- العليّ علوّ قهر وعلوّ شأن ١٤٤
- الذي له العلوّ والفوقية بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة
- والمرسلين وأتباعهم ١٤٧
- استواؤه على العرش ١٤٨

١٥١	تصريح القرآن بفوقية الله عز وجل
١٥٢	تصريح القرآن والسنة بأن الله عز وجل في السماء
١٥٩	التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده
١٦٠	الرفع والصعود والعروج إليه
١٦٤	معراج نبينا ﷺ إلى سدرة المنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل
١٦٦	حديث «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»
١٦٨	رفع الأيدي إليه تعالى والأبصار في أحاديث القنوت والاستسقاء والدعاء
١٧٠	إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبة حجة الوداع بإصبعه وبرأسه الشريف
١٧٠	النصوص في ذكر العرش وصفته وإضافته إلى خالقه وأنه تعالى فوقه
١٧٢	تكذيب فرعون لموسى في أن إلهه في السماء
١٧٥	أقوال الصحابة في صفة العلو
١٧٩	أقوال التابعين ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة في صفة العلو
١٨٤	أقوال طبقة أخرى: أبي حنيفة، وابن جريح، والأوزاعي وأضرابهم
	طبقة أخرى: جرير بن عبد الحميد، وابن شقيق،
١٨٧	وأحمد بن حنبل وأضرابهم
١٩٠	طبقة الشافعي، وأحمد، والقعني، ومحمد بن مصعب العابد
١٩٣	طبقة المزني، ومحمد بن يحيى الذهلي، والإمام البخاري
١٩٦	طبقة زكريا بن يحيى الساجي، وحماد البوشنجي، وابن خزيمة
١٩٧	طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة
٢٠١	طبقة نصر المقدسي، وعبد القادر الجيلاني في كتاب الغنية، والقرطبي
٢٠٤	القرب والمعية لا ينافي العلو والفوقية
٢٠٧	القيوم قيوم بنفسه قيم لغيره وجميع الموجودات مفتقرة إليه
٢١٣	انفراده عز وجل بالإرادة والمشئته
٢٢٣	معنى الآية ﴿من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾
٢٢٨	ما يجب لله على عباده من الحمد على حكمته في خلقه وأمره
٢٣٠	التوفيق بين كون الله لا يحب الفساد وكون ذلك بمشيئته

لماذا لم يجعلهم كلهم طائعين مهتدين؟ وما الحكمة في تقدير السيئات

- مع كراهة الله إياها ٢٣١
- إثبات البصر والسمع لله عز وجل ٢٣٣
- الكلام على العلم الإلهي ٢٣٧
- الله سبحانه غني بذاته، وكل شيء غيره مفتقر إليه ٢٤٤
- كلام الله عز وجل ٢٤٧
- تكليم الله عبده ورسوله موسى بن عمران ٢٤٧
- الكلام الإلهي يجل عن الإحصاء والحصص والفناء ٢٥٥
- كلام الله الذي في كتابه الحكيم عين كلامه، ليس بمخلوق
- ولا حكاية عن كلامه ٢٥٨
- أصل القول بخلق القرآن ٢٧٠
- ما قاله أئمة السنة في مسألة القرآن وحكم الجهمية ٢٧٢
- اللفظية جهمية، وهم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق ٢٧٣
- عود إلى حديث النزول ٢٨١
- آية ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ ٣٠٣
- رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ٣٠٥
- «الزيادة» في آية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾
- هي النظر إلى وجه الله الكريم ٣٠٥
- المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب ٣٣٥
- أقوال التابعين في ذلك ٣٣٧
- أقوال الأئمة الأربعة وطبقاتهم ومشايخهم ٣٣٩
- وجوب الإيمان بالصفات الواردة في القرآن وإمرارها كما أتت ٣٤٦
- وجوب الإيمان بالصفات الواردة في صحيح السنة وإمرارها كما أتت ٣٤٩
- اجتناب التحريف والتعطيل والتكليف والتمثيل ٣٥٦
- عدول أهل التأويل عن ألف دليل وتمسكهم بما ينسب
- إلى الأخطل النصراني في الاستواء ٣٥٩

- هذا النوع من التوحيد هو توحيد الإثبات ٣٦٦
- زيادة المتأخرين عن الصفات «أن ظاهرها غير مراد» ٣٦٨
- الملاحظة خمس طوائف في توحيد المعرفة والإثبات:
- الأولى سلبية تثبت إثباتاً هو عين النفي ٣٦٩
- الطائفة الثانية الحلولية الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته ... ٣٧٠
- الطائفة الثالثة الاتحادية القائلون الوجود بأسره هو الله ٣٧٠
- الطائفة الرابعة نفاة القدر وهم فرقان ٣٧١
- الطائفة الخامسة الجبرية الذين يرون أن إثبات الفعل للعبد عين الشرك .. ٣٧٢
- المخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف: ٣٧٣
- الأولى (الاتحادية) الذين يقولون: كل كلام في الوجود كلام الله
- حتى السبّ والشتم ٣٧٣
- الثانية (الفلاسفة) أتباع أرسطو يقولون: كلام الله فيض فاض من العقل
- الفعال ٣٧٤
- الثالثة (الجهمية) نفاة الصفات القائلون: كلام الله مخلوق ٣٧٥
- الرابعة (الكلاوية) يقولون: القرآن معنى قائم بالنفس
- لا يتعلق بالقدرة والمشيئة ٣٧٦
- الخامسة (الأشعرية) يقولون: إنه معنى واحد قائم بذات الرب ٣٧٧
- التنبية إلى أن الأشعرية غير الأشعري، وأن الأشعري رجع
- إلى مذهب السلف ٣٧٧
- السادسة (الكرامية) يقولون: إنه متعلق بالمشيئة وحادث بعد أن لم يكن . ٣٧٨
- السابعة (السالمية) يقولون: أنه صفة قديمة لا يتعلق بالقدرة
- والمشيئة الخ ٣٧٩
- منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب هل يتكلم بمشيئته أم بغير مشيئته ... ٣٨٠

مَعَالِجُ الْقَبُولِ

بشرح سُلَيْمِ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ
(فِي التَّوْحِيدِ)

تَأَلِيفُ
الْشَيْخِ حَافِظِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَكِيِّ
(١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ)

المجلد الثاني

ضبط نصّه وعلّم عليه وفتح أمارته
عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو عُمَرَ

دَارُ ابْنِ الْقَيِّمِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَعَالِجُ الْقَبُولِ
بشرح سُلَيْمِ الْوُضُولِ إِلَى عِلْمِ الْأَصُولِ
(فِي التَّوْحِيدِ)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

مزيّدة بفهارس علمية

دار ابن القيم

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

ص.ب ١٨٦٥ - الدمام الرمز البريدي ٣١٩٨٢

هاتف: ٨٢٦٨٣٤٣ - فاكس: ٨٢٦٩٨٦٤

فصل

في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد وأنه معنى لا إله إلا الله

هذا وثاني نوعي التوحيد إفراد رب العرش عن نديد
أن تعبد الله إلهاً واحداً معترفاً بحقه لا جاحداً

(هذا) أي الأمر والإشارة إلى ما تقدم من تحقيق النوع الأول من نوعي التوحيد (وثاني نوعي التوحيد) هو (إفراد رب العرش عن نديد) شريك مساو، السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوِنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ. وهو الذي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وفي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صَنْوَانٌ وَغَيْرُ صَنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضٍلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿الرعد/ ٢- ٤﴾ وقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ. خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ - إِلَى قَوْلِهِ - أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ١- ١٧) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا

يا موسى . قال رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى . قال فما بال القرون الأولى . قال عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولَى النَّهْيِ ﴿طه/ ٤٩ - ٥٤﴾ وقال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/ ٤٠ - ٤١) وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسِّهِ ، كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (يونس/ ١٢) وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس/ ٢٢ - ٢٣) وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ . وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ . وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء/ ٣٠ - ٣٣) وقال تبارك وتعالى : ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ مَلَكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ . بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ

من إله إذا لذهب كُلُّ إلهٍ بما خلق وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴿ (المؤمنون/ ٨٤-٦٢) وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. يَقْلُبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ. وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور/ ٤٢-٤٥) وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء/ ٧-٩) وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، اللَّهُ خَيْرٌ أَمَ مَا يَشْرِكُونَ﴾ (النمل/ ٥٩) إلى قوله: ﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ هُوَ (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (إِلَهًا) حَالٌ مِنْ لَفْظِ الْجَلَالَةِ (وَاحِدًا) لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِنْ تَوْحِيدُ الْإِثْبَاتِ هُوَ أَعْظَمُ حُجَّةٍ عَلَى تَوْحِيدِ الْطَلْبِ وَالْقَصْدِ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ وَبِهِ احْتِجَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ عَلَى وَجُوبِ إِفْرَادِهِ تَعَالَى بِالْإِلَهِيَّةِ لِتَلَازِمِ التَّوْحِيدِينَ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَهًا مُسْتَحَقًّا لِلْعِبَادَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ خَالِقًا رَازِقًا مَالِكًا مُتَصَرِّفًا مُدَبِّرًا لِجَمِيعِ الْأُمُورِ حَيًّا قَيُومًا سَمِيعًا بَصِيرًا عَلِيمًا حَكِيمًا مَوْصُوفًا بِكُلِّ كِمَالٍ مُنْزَهًا عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، غَنِيًّا عَمَّا سِوَاهُ، مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ، فَاعِلًا مُخْتَارًا لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ وَلَا رَادَ لِقَضَائِهِ وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَهَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تَبْغِي إِلَّا لَهُ وَلَا يَشْرِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ. فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ وَلَا تَجُوزُ لغيرِهِ فَحَيْثُ كَانَ مُتَفَرِّدًا بِالْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءِ وَالْبَدءِ وَالْإِعَادَةِ لَا يَشْرِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ وَجِبَ إِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ دُونَ مَنْ

سواه لا يشرك معه في عبادته أحد كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٢١- ٢٢) . وقال تبارك وتعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدَبِّرُ الْأُمْرَ فسيقولون الله فقل أ فلا تتقون . فذلکم الله ربکم الحق فمأذا بعد الحق إلا الضلال فأنی تصرفون - إلى قوله - قل هل من شركائکم من یدأ الخلق ثم یعیده قل الله یدأ الخلق ثم یعیده فأنی تؤفکون . قل هل من شركائکم من یهدی إلى الحق قل الله یهدی للحق أفمن یهدی إلى الحق أحق أن یتبع أم من لا یهدی إلا من یهدی فما لکم کیف تحکمون﴾ (یونس/ ٣١- ٥٣) وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . إِلَیْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ یدأ الخلق ثم یعیده لیجزی الذین آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذین کفروا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا کَانُوا یَکْفُرُونَ . هُوَ الَّذی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِینَ وَالْحِسَابَ ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِکَ إِلَّا بِالْحَقِّ یَفْصَلُ الْآیَاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ﴾ (یونس/ ٣- ٥) وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهَارَ یَطْلُبُهُ حَثِثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مَسْجَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِینَ﴾ (الأعراف/ ٥٤) وقال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الذین کفروا بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ . هُوَ الَّذی خَلَقَکُمْ مِنْ طِینٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ .

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿الأنعام/ ١- ٣﴾ وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ لِقَايَ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً لَنَّا أَنْجِيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيْكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/ ٥٩- ٦٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام/ ١٦٤- ١٦٥) إلى آخرها وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهِ مَعِ اللَّهُ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل/ ٦٤) وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، فَأَنِّي يُؤْفِكُونَ. اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت/ ٦٠- ٦٣) وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت/ ٦٥) وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ - إِلَى قَوْلِهِ - أَلَمْ

تر أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
 يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي
 الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيَرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، فَإِذَا
 غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ
 مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿لَقْمَان/ ٢٥ - ٣٢﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ
 لَطِيفٌ خَبِيرٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. أَلَمْ
 تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ
 السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ. هُوَ الَّذِي
 أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿الْحَج/ ٦٣ - ٦٦﴾ وَقَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ
 خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ
 لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
 لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ. وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ
 الْخَلْقِ غَافِلِينَ. وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ
 بِهِ لِقَادِرُونَ. فَأَنْشَأْ لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
 تَأْكُلُونَ. وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ. وَإِنَّ لَكُمْ
 فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.
 وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكَ تَحْمَلُونَ ﴿الْمُؤْمِنُونَ/ ١٢ - ٢٢﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ
 مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿السَّجْدَة/ ٤﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ. وَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

الآخرة وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ. يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿سبأ/ ١- ٢﴾ وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيدُ في الخلقِ ما يشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر/ ١- ٢) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يَرْسُلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ﴾ (الروم/ ٤٨ - ٤٩) إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا. فَسَقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ. مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ - إِلَى قَوْلِهِ - وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ (فاطر/ ٩- ١٣) إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/ ٤٠) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ

نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل الله أنداداً ليضلَّ عن سبيله، قل
 تمتع بكفرِك قليلاً إِنَّكَ من أصحاب النار ﴿ (الزمر/٨) وقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم
 مَنْ خَلَقَ السموات والأرض ليقولنَّ الله، قل أفرأيتُمْ ما تدعون من دون الله إن
 أرادني الله بضرٍّ هل هنَّ كاشفاتُ ضره، أو أرادني برحمةٍ هل هن ممسكات
 رحمته، قل حسبي الله، عليه يتوكل المتوكلون ﴿ (الزمر/٣٨) وقال تعالى: ﴿الله
 الذي جَعَلَ لَكُم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا، إنَّ الله لذو فضل على الناس
 ولكن أكثر الناس لا يشكرون. ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى
 تؤفكون، كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون. الله الذي جَعَلَ لَكُم
 الأرض قراراً والسماء بناءً وصوَّرَكُم فأحسن صوَرَكُم ورزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ،
 ذلك الله ربُّكم فتبارك الله رب العالمين ﴿ (غافر/٦٢-٦٤) إلى آخر الآيات. وقال
 تعالى: ﴿قل أئنكُم لتكفرون بالذي خَلَقَ الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً
 ذلك ربُّ العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقَدَّرَ فيها أقواتها
 في أربعة أيامٍ سواءٍ للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ فقال لها
 وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهنَّ سَبْعَ سمواتٍ في يومين
 وأوحى في كلِّ سماءٍ أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً، ذلك تقدير
 العزيز العليم ﴿ (فصلت/٩-١٢) وقال: ﴿ولئن سألتهم مَنْ خَلَقَ السموات
 والأرض ليقولنَّ خلقهنَّ العزيز العليم، الذي جَعَلَ لَكُم الأرض مهدياً وجعل لَكُم
 فيها سبلاً لعلَّكُم تهتدون. والذي نَزَلَ مِنَ السماء ماءً بقدرٍ فأنشَرنا به بلدةً ميتاً
 كذلك تُخرجون. والذي خَلَقَ الأزواجَ كُلَّها وجعل لَكُم من الفلك والأنعام ما
 تركبون، لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربِّكم إذا استويتم عليه وتقولوا
 سبحان الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴿ (الزخرف/٩-١٣) الآيات، وقال
 تعالى: ﴿ولئن سألتهم مَنْ خَلَقَهم ليقولنَّ الله فأنى يؤفكون ﴿ (الزخرف/٨٧) وغير
 ذلك من الآيات التي يقرر الله تعالى فيها ربوبيته ويمتن بنعمه وتفرد به بأنواع

التصرفات، وعباد الأوثان يقرون بها الله عز وجل، ويقرون بأن أوثانهم التي يدعون من دونه مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئاً، ويقرون أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شيء، بل هو الخالق وما عداه مخلوق، وهو الرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء سووهم به في استحقاق العبادة وأنكروا أن يكون تفرد بها وقالوا لمن قال لهم قولوا لا إله إلا الله: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (ص/٥) فألزمهم الله تعالى بما أقروا به من التفرد بالربوبية ان يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمه من توحيد الإلهية وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه كما أقروا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة بل هم أقل وأذل وأحق وأعجز عن أن يخلقوا ذباباً أو أن يستنقذوا منه شيئاً سلبه. ومن تدبر هذه الآيات التي ذكرنا وما في معناها حق التدبر علم يقيناً أن عباد الأوثان مقرون بتوحيد الربوبية وشاهدون بتفرد الله بذلك وأنهم إنما أشركوا بالله تعالى في الإلهية حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر وإلا فأنواع التوحيد متلازمة، من أشرك غير الله معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في بيان الشرك. ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه: «كم تعبد اليوم من إله» قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال ﷺ: «فمن تعد لرغبتك ورهبتك» قال الذي في السماء^(١). وتقدم أيضاً في هذه الآية أنهم إنما كان شركهم بالله في إلهيته في حالة الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدين لله لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيره، وأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع شيئاً كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفَلَكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَلَمْ نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ

(١) حديث تقدم في إثبات علو الله تعالى.

يشركون. ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ﴿ (العنكبوت/ ٦٥- ٦٦)
وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا ومما لم نذكر. والمقصود أن الربوبية
والإلهية متلازمان لا ينفك نوع منهما عن الآخر، وأن توحيد الربوبية لم ينكره
أحد إلا مكابرة كفرعون ونمرود، والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين
تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

(معترفاً) حال من فاعل تعبد (بحقه) تعالى عليك، وعلى جميع عبادته (لا
جاحداً) وحقه عليك أن تعبد لا تشرك به شيئاً كما قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئاً﴾ (النساء/ ٣٦) وقال: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾
(الإسراء/ ٢٣) وقال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (المؤمنون/ ٣٢)
وغيرها من الآيات سنذكر ما تيسر منها قريباً إن شاء الله تعالى. وفي الصحيحين
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال
لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله تعالى على العباد، وما حق العباد على الله؟»
قلت الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به
شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»^(١) الحديث.

وهو الذي به الإله أرسله رسله يدعون إليه أولاً
وأُنزل الكتاب والتبيان من أجله وفرق الفرقانا

(وهو) أي توحيد الإلهية (الذي به الإله) عز وجل (أرسله رسله) من أولهم
إلى آخرهم (يدعون إليه أولاً) قبل كل أمر فلم يدعوا إلى شيء قبله، فهم وإن
اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام لم يختلفوا في
الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بتلك العبادات افرقت أو اتفقت، لا يشرك

(١) البخاري (٣٤٧/١٣) في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك
وتعالى.

ومسلم: (٥٨/١ ح ٣٠) في الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

معه فيها غيره، كما قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد»^(١) وقد أخبر الله عز وجل عن اتفاق دعوة رسله إجمالاً وتفصيلاً فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى/١٣) وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وكذلك بقية الرسل، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف/٤٥) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/٢٥) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل/٣٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. وَرَسُولًا قَدْ قُصَصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٦٣-١٦٥) وفي الصحيح عن المغيرة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»^(٢) وأما في مقامات التفصيل فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ

(١) البخاري (٤٧٧/٦) في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا نوحًا بِأَنَّا جاعلون لك عتقاً﴾ (الشورى/١٣) في الكتاب مريم.
مسلم (١٨٣٧/٤) ح ٢٣٦٥ في الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم قبل قليل.

فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴿الأعراف/ ٥٩﴾ إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ (الأعراف/ ٦٥) إلى آخر الآيات وقال تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الأعراف/ ٧٣) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (الأعراف/ ٨٥) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه أزرأت اتخذ أصناماً إلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين. وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الأفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ (الأنعام/ ٧٤-٧٨).

وهذا في مقام مناظرته عليه الصلاة والسلام لعباد الكواكب على سبيل الاستدراج أو التويخ ليين لهم سخافتهم وجهلهم وضعف عقولهم في عبادتهم هذه الكواكب المخلوقة لحكمة الله عز وجل المسخرة بقدرته وغفلتهم عن خالقها ومسخرها والمتصرف فيها وتركهم عبادته أو إشراكهم معه فيها غيره عز وجل فلما أقام عليهم الحجة: ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. وحاجة قومه قال أتجأونني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تدكرون. وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً، فأني الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام/ ٧٨-٨٢) أي ﴿الذين آمنوا﴾ يعني صدقوا ووجدوا ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ أي شرك إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل، وفي الصحيح عن

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: أئینا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣)^(١) فالذين آمنوا بالإيمان التام الذي لم تشبه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه، ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله، ولا معاصي الله المحبطة لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة. وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء، باجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تمامهما. ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام/٨٣) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا مِنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَلَّاتِ فَعَلَتْ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ، أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(١) البخاري (٨٧/١) في الإيمان، باب ظلم دون ظلم.
ومسلم (١١٤/١ - ١١٥/١ ح ١٢٤) في الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(الأنبياء/ ٥١- ٦٧) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِيَيْنَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَأُرِيتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَأَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ. وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء/ ٦٩- ٨٢) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَإِفْكَاءُ آلِهَتِهِ دُونَ اللَّهِ تَعْبُدُونَ. فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ. فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ. فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ. قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ. قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات/ ٨٣- ٩٧) إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم/ ٤١- ٤٥).

فبين لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تقدر على جلب خير ولا دفع شر ولا تغني عنه شيئاً. فبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال. ثم بين له أن عنده دواء ذلك الداء، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالى: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ وبين أن فعله ذلك عبادة للشيطان، موجب لعذاب الرحمن وولاية الشيطان، عياداً بالله من ذلك. وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ

لكم إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿الْعنكبوت/ ١٥-١٧﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ﴾ (الزخرف/ ٢٦-٢٨) وَقَالَ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ (يوسف/ ٣٧-٤٠) الْآيَاتِ وَغَيْرَهَا. وَكَذَلِكَ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا عَنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ. قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصَدُّونَا عَمَّا كَانَ أَبَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم/ ٩-١٢) الْآيَاتِ. وَلَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ قِصَصَ الرُّسُلِ وَمَحَاوِرَتِهِمْ مَعَ قَوْمِهِمْ وَعَوَاقِبَ ذَلِكَ لَطَالَ الْفُصْلُ. وَأَمَّا نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَسِيرَتُهُ فِي قَوْمِهِ وَصَبْرُهُ عَلَى أَذَاهِمَ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَهُمْ فَأَجْلَى مِنَ الشَّمْسِ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مِنْ

فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك .

(وأنزل) الله عز وجل (الكتاب) اسم جنس لكل كتاب أنزله الله عز وجل على رسله وأشهرها الأربعة وهي التوراة على موسى موعظة وتفصيلاً لكل شيء . والإنجيل على عيسى فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . والزبور على داود الذي كان إذا قرأه أُوْبِت معه الجبال والطير، والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه . (والتبيان) من عطف التفسير الذي هو أعم من المفسر لأن التبيان منه المتعبد بتلاوته والعلم به وهو الكتاب . ومنه المتعبد بالعمل به فقط وهو السنة وما في معناها . (من أجله) أي من أجل التوحيد (وفرق الفرقاناً) إذ يقول تعالى : ﴿وَقَرَأْنَا قُرْآنَهُ لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء/ ١٠٦) الآيات . وسنذكر إن شاء الله تعالى أصل عبادة الأصنام وغيرها في فصل بيان ضد التوحيد الذي هو الشرك وبالله التوفيق .

وكلف الله الرسول المجتبي	قتال من عنه تولى وأبى
حتى يكون الدين خالصاً له	سراً وجهراً دقه وجله
وهكذا أمته قد كلفوا	بذا وفي نص الكتاب وصفوا

(وكلف الله) تعالى أي أمر أمر افتراض (الرسول المجتبي) نبينا محمد ﷺ (قتال) مفعول كلف الثاني (من عنه) عن التوحيد (تولى وأبى) أي أعرض وامتنع (حتى) غاية للقتال (يكون الدين خالصاً له) أي لله عز وجل (سراً وجهراً) لا معارض له ولا مشاق (دقه وجله) أي قليل العبادة وكثيرها وصغيرها وكبيرها . قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة/ ٧٣) الآية ، وقال تعالى : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (النساء/ ٨٤) وقال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/ ١٩٣) وقال تعالى : ﴿قُلْ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ، وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ اللَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعَمَ الْمَوْلَى وَنَعَمَ النَّصِيرُ ﴿الأنفال/ ٣٨ - ٤٠﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَقَعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا ﴿التوبة/ ٥﴾ يعني رجعوا عن الشرك إلى التوحيد ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وغير ذلك من الآيات في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والقتال والحديد والصف وغيرها، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل»^(١) الحديث في الصحيح، ولو ذهبنا نذكر آيات الجهاد وأحاديثه لطال الفصل وليس هذا موضع بسطها.

(وهكذا) كما كلف ﷺ بجهاد الكفار (أمته) المستجيبون له (قد كلفوا بذا) أي الذي كلف به (وفي نص الكتاب) القرآن (وصفوا) أي بذلك كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ (الفتح/ ٢٩) الآية، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة/ ٥٤) والآيات قبلها وبعدها، ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ

(١) البخاري (٧٥/١) في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم. ومسلم (٥٣/١ ح ٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. من حديث ابن عمر وفي الباب من حديث عمر بن الخطاب وأوس بن حذيفة والنعمان بن بشير وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهدِهِ من الله، فاستبشروا ببِيعُكُمْ الذي بايعتُم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿ (التوبة/١١١) لكنت هذه الآية كافية في نعش القلوب وتهيج النفوس وتشويقها وحملها على تلك البيعة الرابعة التي لا خطر لها ولا يحاط بعظم فضلها، والله المستعان.

[فضل شهادة أن لا إله إلا الله]

وقد حوته لفظة الشهادة	فهي سبيل الفوز والسعادة
من قالها معتقداً معناها	وكان عاملاً بمقتضاها
في القول والفعل ومات مؤمناً	يبعث يوم الحشر ناج آمناً

(وقد حوته) أي جمعته واشتملت عليه (لفظة الشهادة) أي شهادة أن لا إله إلا الله (فهي) أي هذه الكلمة (سبيل الفوز) بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ زُحِرَاحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران/١٨٥). (و) هي سبيل (السعادة) في الدارين أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار. وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنهما السؤال يوم التلاق. إذ يقول تعالى: ﴿فَورِّبُكَ لِنَسْأَلَهُم أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/٩٢) وقال تعالى: ﴿فَلِنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلِنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف/٦) فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يناديهم فيقولُ ماذا أُجِبتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/٦٥) والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك. وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرِّسْلَ فيقولُ ماذا أُجِبتُمُ، قالوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

علام الغيوب ﴿ (المائدة/١٠٩) وغير ذلك من الآيات، وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده إن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولاً قبل كل نعمة فقال تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل/٢) وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقيّة أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها. مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، فهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة/٢٥٦) قاله سعيد بن جبيرة والضحاك^(١)، وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم/٨٧) قال ذلك عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله عز وجل^(٢). وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى، فَسَنِيْرَهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل/٥-٧) الآيات، قاله أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك ورواه عطية عن ابن عباس^(٣). وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف/٨٦) قال ذلك البغوي^(٤). وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (الفتح/٢٦) روى ذلك ابن جرير وعبدالله بن أحمد والترمذي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(٥).

(١) أنظر ابن كثير (١/٣١٩).

(٢) هو من رواية علي بن أبي طلحة عنه وروايته عنه منقطعة أنظر ابن كثير (٣/١٤٥).

(٣) ابن كثير (٤/٥٥٣-٥٥٤) والبغوي (معالم ٥/٥٨٣) وعطية العوفي فيه مقال معروف.

(٤) البغوي (معالم التنزيل ٥/١١٠).

(٥) ابن جرير (٢٦/١٠٤) وعبدالله في زوائد المسند (٥/١٣٨) والترمذي (٥/٣٨٦ ح ٣٢٦٥) ونال هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة والبيهقي في الأسماء =

وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم/ ٢٧) أخرجه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(١). وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً قبل ذلك إذ يقول تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم / ٢٤) قاله علي بن طلحة عن ابن عباس^(٢)، أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل. وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد وغير واحد^(٣). وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل إذ يقول : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍهَا﴾ (الأنعام/ ١٦٠) وقال تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ﴾ (النمل/ ٨٩) قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي، وعن أبي ذر مرفوعاً «هي أحسن الحسنات»^(٤) وهي تمحو الذنوب والخطايا. وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الروم/ ٢٧) قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير^(٥)، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر^(٦). وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذناً يقول : «أشهد أن لا إله إلا الله» فقال ﷺ : «خرجت من

= والصفات (ص ١٣٢ - ١٣٣).

وسنده ضعيف فيه ثوير بن أبي فاختة وهو ضعيف.

(١) البخاري (٣٧٨/٨) في تفسير سورة إبراهيم، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.

ومسلم (٢٢٠١/٤ ح ٢٨٧١) في صفة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار.

(٢) ابن كثير (٥٤٩/٢) وروايته عنه مرسلة.

(٣) ابن كثير (٥٤٩/٢).

(٤) ابن جرير (١١٠/٨) وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (الدر المنثور ٤٠٤/٣) وسنده ضعيف (أنظر ابن كثير ٢٠٥/٢).

(٥) ابن جرير (٣٨/٢١) وابن كثير (٤٤٠/٣).

(٦) أنظر ابن كثير (٤٤١/٣).

النار»^(١) وفيه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار»^(٢) وفي حديث الشفاعة الآتي إن شاء الله تعالى: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله. وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»^(٣). وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»^(٤). وفي رواية: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»^(٥). وهي أفضل ما ذكر الله عز وجل به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في المسند عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كل حلقة مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله»^(٦). وفيه عنه أيضاً عن النبي ﷺ: «أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله. قال موسى: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، إنما أريد

(١) مسلم (١/٢٨٨/٣٨٢) ح ٣٨٢ في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان. من حديث أنس.

(٢) مسلم (١/٥٧ - ٥٨/٢٩) ح ٢٩ في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(٣) سيأتي إن شاء الله تعالى.

(٤، ٥) البخاري (٦/٤٧٤) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾. ومسلم (١/٥٧/٢٨) ح ٢٨ في الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٦) أحمد (٢/٢٢٥). وسنده صحيح.

شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله^(١). وفي الترمذي والنسائي وفي المسند عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب^(٢). وهي التي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل كما في الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه»^(٣) وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش»^(٤)، وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأنني بأهل لا إله إلا الله وقد قاموا ينفضون التراب

(١) لم أجده في مسند أحمد ولم يعزه الهيثمي إليه وإنما عزاه إلى أبي يعلى فقط (المجمع ٨٥/١٠) وقال في رجال إسناده ضعف وهو عنده في مسنده (٥٢٨/٢).

(٢) أحمد (٢١٣/٢، ٢٢١ - ٢٢٢) والترمذي (٢٤/٥ - ٢٥ / ح ٢٦٣٩). في الإيمان باب ١٧. وابن ماجه (١٤٣٧/٢ ح ٤٣٠٠) في الزهد، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة. وسنده صحيح. ولم أجده عند النسائي (أنظر تحفة الأشراف ٢٧٠٣/٦).

(٣) الترمذي (٥٣٦/٥ ح ٣٥١٨) في الدعوات، باب ٨٧. وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي.

(٤) الترمذي (٥٧٥/٥ ح ٣٥٩٠) في الدعوات، باب رقم ١٢٧، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قلت: إسناده حسن.

عن رءوسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»^(١).

واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية، وسنذكر إن شاء الله تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب والسنة، وكيفيك في فضل لا إله إلا الله اخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» الحديث^(٢). وهذا لفظ مسلم.

(من قالها) أي قال هذه الكلمة حال كونه (معتقداً) أي عالماً ومتيقناً (معناها) الذي دلت عليه نفيًا وإثباتاً (وكان) مع ذلك (عاملاً بمقتضاها) على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم العمل به (في القول) أي قول القلب واللسان (والفعل) أي عمل القلب واللسان والجوارح قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف/٢-٣) (ومات مؤمناً) أي على ذلك، وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال ﷺ: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله^(٣) (يبعث يوم الحشر) أي يوم الجمع (ناج) من النار (آمناً) من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ. لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ

(١) لم أجده في مسند أحمد ولم أر أحداً عزاه إليه غيره ورواه ابن أبي حاتم وابن عدي في الكامل (١٥٨٢/٤) وفي سننه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ضعيفين (المجمع ٨٦/١٠).

(٢) البخاري (٥١/١) في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم (١/٦٣ ح ٣٥) في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

(٣) البخاري (٢٨٢/١٠) في اللباس، باب الثياب البيض وغيره، ومسلم (١/٩٥ ح ١٥٤) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

الذي كُتِمَ تَوَعِدُونَ ﴿ (الأنبياء/ ١٠١- ١٠٣) وقال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون ﴾ (النحل/ ٨٩).

[معنى شهادة أن لا إله إلا الله]

فإن معناها الذي عليه دلت يقيناً وهدت إليه
أن ليس بالحق إله يعبد إلا الإله الواحد المتفرد
بالخلق والرزق وبالتدبير جل عن الشرك والنظير

(فإن معناها) أي معنى هذه الكلمة (الذي عليه) متعلق بقوله (دلت) بصريح لفظها (وهدت) أي أرشدت (إليه) هو (أن ليس بالحق) متعلق بـ (يعبد) (إله) هو اسم ليس ومنفيها والنكرة في سياق النفي تعم والحكم المنفي (يعبد) الذي هو متعلق بالحق والاستحقاق فيخرج ما عبد بباطل، ولذا سماه المشركون إلهاً فتسميته بذلك باطلة فلا يستحق أن يعبد. فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، لا إله نافياً جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد، إلا الله مثبتاً العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر لا المحذوف بحق هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله، وأما تقديره بموجود فيفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل لا معبود موجود إلا الله، لزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو الله فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله فيكون ذلك كله توحيداً، فما عبد على هذا التقدير إلا الله إذ هي هو، وهذا والعياذ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع وتكذيب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافراً إذ كل ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركاً بل موحداً، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود. إلا أن ينعت اسم لا بحق فلا بأس ويكون التقدير لا إله حقاً موجود إلا الله، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا.

(إلا الإله الواحد المنفرد. بالخلق والرزق والتدبير. الخ) وهو الله سبحانه وتعالى، أي هو الإله الحق، فكما تفرد تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والنفع والضر والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال وغير ذلك من معاني ربوبيته ولم يشركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها، وتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يشبهه شيء فيها فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقاً فلا شريك له فيها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (لقمان/ ٣٠)، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ، عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (المؤمنون/ ٩١)، ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ، لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء/ ٢١)، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا، سُبْحَانَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء/ ٤٢)، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَتَّهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة/ ٧٣)، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إل عمران/ ٦٢). ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/ ٦٤)، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ، قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر/ ٣٨)، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ

شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴿فاطر/٤٠﴾، ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو إشارة من علم إن كنتم صادقين﴾ (الأحقاف/٤)، ﴿قل من رب السموات والأرض، قل الله، قل أفأتخذتم من دون الله أولياء لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، قل هل يستوي الأعمى والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ (الرعد/١٦)، ﴿قل إنما أنا منذر، وما من إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ (ص/٦٥).

[شروط شهادة أن لا إله إلا الله]

وبشروط سبعة قد قيدت وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

(وبشروط سبعة) متعلق بقيدت (قد قيدت) أي قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار. (وفي نصوص الوحي) من الكتاب والسنة (حقاً وردت) صريحة صحيحة (فإنه) أي الشأن وذلك علة تقيدها بهذه الشروط السبعة (لم ينتفع قائلها) أي قائل لا إله إلا الله (بالنطق) أي بنطقه بها مجرداً (إلا حيث يستكملها) أي هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له أعدها لم يحسن ذلك. وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان.

والعلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

هذا تفصيل الشروط السبعة السابق ذكرها التي قيدت بها هذه الشهادة، فأصنع سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعلقها، ثم اعمل على وفق ذلك، تفز بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله عز وجل كما وعد الله تعالى ذلك إنه لا يخلف الميعاد:

الأول (العلم) بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد/١٩) وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ (الزخرف/٨٦) أي بلا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران/١٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر/٩) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/٢٨) وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ (المنكوت/٤٣) وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١).

(واليقين) أي والثاني اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات/٣) فاشتراط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين - والعياذ بالله - الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ

(١) مسلم (١/٥٥/ح ٤٣) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

في رَيْبِهِمْ يترددون» (التوبة/٤٥) وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاكّ فيهما إلا دخل الجنة»^(١) وفي رواية: «لا يلقي الله بهما عبد غير شاكّ فيهما فيحجب عن الجنة»^(٢). وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»^(٣) الحديث، فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاكّ فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

(و) الثالث (القبول) لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ، وقد قص الله عز وجل علينا من أبناء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأبأها كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ. قَالَ أُولُو جُنُتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا إِنَّا بما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْدُوبِينَ﴾ (الزخرف/٢٣ - ٢٥) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا، كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس/١٠٣) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا، وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم/٤٧) وكذلك أخبرنا بما وعد به القابليين لها من الثواب، وما أعد له لمن ردها من العذاب، كما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ، وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ. وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارْكَوَا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ (الصافات/٢٢ - ٣٦)

(٢٠، ١) مسلم (١/٥٥ - ٥٧/ح ٢٧) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٣) مسلم (١/٥٩ - ٦٠/ح ٣١) في الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ. وَانْطَلِقِ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ الْآخِرَةِ، إِنْ هَذَا إِلَّا خِتْلَاقٌ﴾ (ص/٥ - ٧) وقالوا ههنا: ﴿إِنَّا لَنَارْكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ فكذبهم الله عز وجل ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات/٣٧) إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ، فَوَاكِهَ وَهُمْ مُكْرَمُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الصافات/٤١) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ﴾ (النحل/٨٩) وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

(و) الرابع (الانقياد) لما دَلَّتْ عليه المنافي لتترك ذلك قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ (الزمر/٥٤) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء/١٢٥) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (لقمان/٢٢) أي بلا إله إلا الله ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ومعنى يسلم وجهه أي يتقاد، وهو محسن موحد. ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو

(١) البخاري (١٧٥/١) في العلم، باب فضل من عَلِمَ وَعَلَّمَ. ومسلم (٤/١٧٨٧/ح ٢٢٨٢) في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم.

المعني بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ، إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. نمتّعهم قليلاً ثم نضطرّهم إلى عذاب غليظ﴾ (لقمان/ ٢٣ - ٢٤) وفي حديث صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(١) وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

(و) الخامس (الصدق) فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت/ ١ - ٣) إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة/ ٨ - ١١) وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارهم وهتكها وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٢) فاشتراط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطاة القلب. وفيهما أيضاً من حديث أنس بن مالك وطلحة بن

(١) رواه الخطيب في تاريخه (٣٦٩/٤) والحكيم وأبو نصر السجزي في الإبانة (كنز العمال ح ١٠٨٤). والدليمي في الفردوس (ح ٧٧٩١).

قال أبو نصر حسن غريب وكذلك قال النووي. قلت: فيه نعيم بن حماد وقد ضعف (أنظر جامع العلوم والحكم وكلام ابن رجب عليه).

(٢) البخاري (٢٢٦/١) في العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم.
ومسلم (٦١/١ ح ٣٢) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»، قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»^(١)، وفي بعض الروايات: «إن صدق ليدخلن الجنة»^(٢) فاشتراط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقاً.

(و) السادس (الإخلاص) وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر/٣) وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرَ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة/٥) الآية وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر/٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر/١١) ﴿قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ (الزمر/١٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء/١٤٦) وغير ذلك من الآيات. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أسعدُ الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(٣) وفي الصحيح عن عتب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل»^(٤). وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضى إلى العرش

(٢٠١) البخاري (١٤٨/١ - ١٤٩) في العلم، باب القراءة على المحدث، وفي الإيمان، باب الزكاة في الإسلام.

ومسلم (٤١/١ - ٤٢/ ح ١٢) في الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام.

ومسلم (٤٠/١ - ٤١/ ح ١١) في الإيمان باب الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.

(٣) البخاري (١٩٣/١) في العلم، باب الحرص على الحديث. وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٤١٨/١).

(٤) البخاري (٥١٨/١١) في الصلاة، باب إذا دخل بيتاً يصلي حيث يشاء.

مسلم (٤٥٦/١ ح ٢٦٤) في المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.

ما اجتنبت الكبائر» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه^(١). وللنسائي في اليوم واللييلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله»^(٢).

(و) السابع (المحبة) لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة/١٦٥)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة/٥٤) فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونه كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاته من وإلى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان/٤٣) والآيات، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَمَن يَهْدِيهِ مَن بَعْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة/٢٣) فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصى الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد لهواه على أوامر

(١) تقدم قبل قليل.

(٢) النسائي في عمل اليوم واللييلة (ح ٢٨) وسنده ضعيف فيه محمد بن عبدالله بن ميمون بن مسيكة ويعقوب بن عاصم وهما مقبولان كما قال الحافظ. «إذا توبعا وإلا فلينان».

الله عز وجل ونواهيهِ . وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِهِمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ (المتحنة/٤) الآيات ، وقال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (الجاثية /٢٢) الآية ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة/٥١) الآيات ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة/٢٣-٢٤) الآيتين . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (المتحنة/١) إلى آخر السورة وغير ذلك من الآيات . وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله ﷺ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران/٣١) وقال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» أخرجاه من حديث أنس رضي الله عنه^(١) . وفيهما عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٢) . وفي كتاب الحجة بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو بن

(١) البخاري (٧٢/١) في الإيمان ، باب من كره أن يعود في الكفر ، وفي الأدب ، باب الحب في الله (٤٦٣/١) ومسلم (٦٦/١ / ح ٦٨) في الإيمان ، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

(٢) البخاري (٥٨/١) في الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان . ومسلم (١٧/١) في الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل .

العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(١) وذلك الذي جاء به الرسول ﷺ هو الخبر عن الله والأمر بما يحبه الله ويرضاه والنهي عما يكره ويأباه، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه وإن كان ذلك مخالفاً لهواه كان مؤمناً حقاً، فكيف إذا كان لا يهوى سوى ذلك. وفي الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه»^(٢)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك. وقد أصبح غالب مواخاة الناس اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً^(٣). وقال الحسن البصري وغيره من السلف: ادّعى قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم. قل أطيعوا الله والرسول، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾^(٤) وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»^(٥). قال حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم - وأثنى عليه - حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا - أو سمعت - جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: جاءت ملائكة إلى

(١) تقدم قبل قليل وأن سنده ضعيف.

(٢) رواه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب (٢٨٦/٤) وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. ورواه الطبراني في المعجم الصغير من حديث عبد الله بن مسعود (٢٢٣/١ - ٢٢٤) وفيه عقيل الجعدي قال البخاري منكر الحديث (المجمع ٩٥/١) وعنه الخرائطي في مكارم الأخلاق (تخريج الأحياء ١٥٩/١) بسند ضعيف والحديث له شواهد أخرى يرتقي إلى درجة الاحتجاج.

(٣) أنظر جامع العلوم والحكم (ص ٣٢).

(٤) أنظر ابن كثير (٣٦٧/١) وهي رواية مرسلّة وقد روي غيرها عن ابن عباس.

(٥) البخاري (٢٤٩/١٣) في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وقد خرجه الحاكم (٥٥/١) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقد خرجه البخاري كما ترى.

النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنهم نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرَّقَ بين الناس^(١). ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكرهه ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله ﷺ وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن محبته بمحبة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة/٢٤) وغير ذلك من الآيات.

ثم اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينها وبين أحاديث الوعيد التي فيها: من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام، أو لا يدخل الجنة من فعل كذا، لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبر النبي ﷺ وبأن أهل الجنة أيضاً متفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل، فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه، أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم

(١) البخاري (٢٤٩/١٣ - ٢٥٠) في الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

يرتكب ذلك الذنب، وهذا واضح مفهوم للعارف بلغة العرب. وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هتين الشهادتين على النار وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمماً لإمكان الجمع بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد بأن تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياة ويدخلون الجنة، فحينئذ قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك. أو يكون المراد أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها، وهي ما عدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله تعالى عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد. وهذه إشارة كافية في هذا الموضع، وسنذكر إن شاء الله تعالى بسط ذلك في موضعه عند ذكر الشفاعات، ونذكر الأحاديث التي فيها هذا وهذا، والأحاديث التي يكون بها الجمع بين ذلك، وقد ذكر الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى في هذا الباب كلاماً حسناً بعد سياقه حديث معاذ وحديث عتبان وحديث أبي ذر وحديث عبادة وقد تقدمت مع غيرها من الأحاديث. قال: وأحاديث هذا الباب نوعان: أحدهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها، وهذا ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، بل يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار، وقد يعفو الله عنه فيدخله الجنة بلا عقاب قبل. وحديث أبي ذر معناه أن الزنا والسرقة لا يمتنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، وليس فيه أن لا يعذب عليها مع التوحيد، وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من قال لا إله إلا الله نفعت يوماً من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه»^(١). الثاني فيه أن يحرم على النار، وقد حملة بعضهم على الخلود فيها أو على ما يخلد فيها أهلها. وهي ما عدا الدرك الأعلى من النار، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين

(١) مسند البزار (كشف الاستار ١/١٠) وقال: وقد روي عن أبي هريرة موقوفاً ورفعاً أصح قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ١/١٧).
ورواه الطبراني في الصغير (١/١٤٠) والأوسط (المجمع ١/١٧).

وبرحمة أرحم الراحمين. وفي الصحيحين: «إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله»^(١) وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو أظهر. وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة، لكن للإله إلا الله شروطاً، فإياك وقذف المحصنات. وقيل للحسن: إن ناساً يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك^(٢). وهذا الحديث: «إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله» أخرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل: لا إله إلا الله»^(٣) ويدل على هذا كون النبي ﷺ رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص، كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم»^(٤). وفي صحيح مسلم عن أبي

(١) هو من حديث الشفاعة الذي ذكر في عدة مواطن في هذا الكتاب وأخرجه البخاري (٤٧٣/١٣) - (٤٧٤) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٨٢/١ - ١٨٤/١ ح ١٩٣).

(٢) ذكره البخاري تعليقاً في الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله (١٠٩/٣) ووصله في التاريخ وأبو نعيم في الحلية.

(٣) أحمد (٢٤٢/٥) وليس فيه ذكر قوله: «إذا سألك أهل اليمن». وفيه شهر بن حوب وهو ضعيف عن معاذ بن جبل وهو منقطع. وفيه إسماعيل بن عياش وروايته عن غير الشاميين ضعيفة وهو كذلك هنا.

(٤) البخاري (٤١٤/١٠) في الأدب، باب فضل صلة الرحم. =

هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً. وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه، فقال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»^(١).

وفي المسند عن بشير بن الخصاصية قال: أتيت النبي ﷺ لأبأيعه، فاشتراط عليّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن أقيم الصلاة وأن أوتي الزكاة وأحج حجة الإسلام وأن أصوم رمضان وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين فوالله ما أطيقهما، الجهاد والصدقة. فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها وقال: «فلا جهاد، ولا صدقة! فبم تدخل الجنة إذا؟» قلت: أبأيعك، فبأيعته عليهن كلهن»^(٢). ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج. ونظير هذا أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ» ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى الشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة. وفهم الصديق رضي الله عنه أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «إذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». وقال: الزكاة حق المال. وهذا الذي فهمه الصديق رضي الله عنه قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحد من الصحابة، منهم ابن عمر وأنس وغيرهما رضي الله عنهم، وأنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة

= مسلم (١/٤٢ - ٤٣/ح ١٣) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة.

(١) البخاري (٣/٢٦١) في الزكاة، باب وجوب الزكاة.
مسلم (١/٤٤/ح ١٤) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك به أمر به دخل الجنة.

(٢) أحمد (٥/٢٢٤) وفي سننه أبو المثنى العبدى (مؤثر بن عفارة) وهو مقبول كما قال الحافظ: «إذا توبع وإلا فلين» ولا يروى هذا إلا من طريقه أنظر الاستيعاب (١/٢٣٠).

ويؤتوا الزكاة»^(١) ودل على ذلك قوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ (التوبة/٥) الآية ولا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، ولما قرر أبو بكر رضي الله عنه هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صواباً، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقاً، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة. وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري والثوري وغيرهما، وهذا بعيد جداً، فإن كثيراً منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي ﷺ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديث منسوخة، ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط، ويلتفت هذا إلى أن زيادة النص هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور، وقد صرح الثوري بأنها منسوخة، وأنه نسختها الفرائض والحدود. وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ويكون مرادهم أن آيات الفرائض والحدود تبين توقف دخول أهل الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم فصارت النصوص منسوخة أي مبينة مفسرة، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أي مفسرة لمعنى تلك النصوص موضحة لها. وقالت طائفة تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخرى، ففي بعضها: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»^(٢). وفي بعضها «مستيقناً»^(٣). وفي بعضها «مصدقاً بها قلبه لسانه»^(٤). وفي بعضها «يقولها من

(١) حديث ابن عمر رواه البخاري (٧٥/١) في الإيمان، باب: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم».

ومسلم (٥٣/١ ح ٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

حديث أنس رواه البخاري (٤٩٧/١) في الصلاة باب فضل استقبال القبلة.

وفي الباب عن أبي هريرة وجابر.

(٢، ٣، ٤) تقدم لفظه.

قلبه^(١). وفي بعضها: «قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه»^(٢). وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا ياله قلبه غير الله حباً ورجاء وخوفاً وطمعاً وتوكللاً واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً. وتحققه بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ أن لا يعبد بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» قيل: ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال: «أن تحجزك عما حرم الله عليك» وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم^(٣)، ولكن إسنادهما لا يصح. وجاء أيضاً من مراسيل الحسن نحوه، وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله غير الله، والإله الذي يطاع ولا يعصى هيبة وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكللاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله عز وجل أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل، كما ورد إطلاق الكفر والشرك على الربا وعلى الحلف بغير الله عز وجل وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدر في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضرر كالطيرة والرقى المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون.

(١) تقدم لفظه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تصفيفه (المجمع ٢٦/١).

(٣) حديث زيد بن أرقم رواه الطبراني في الكبير (ح ٥٠٧٤) وفي سننه الهيثم بن جمار وهو ضعيف وأبو داود الدارمي وهو متروك والأوسط (مجمع الزوائد ٢٣/١) وفي سننه عبد الرحمن بن غزوان وهو وضع.

حديث أنس رواه الخطيب في تاريخه (١٢/٦٤) وفي سننه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان كان يضع الحديث (الميزان ت ٧٨٥٧).

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشأها من هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ومن أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة وإن كان ذلك لا يخرج من الملة بالكلية، ولهذا قال السلف: كفر دون كفر، وشرك دون شرك، وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ (الفرقان/٤٣) قال الحسن رحمه الله: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركه^(١)، وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئاً ركه وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع^(٢). وروي من حديث أبي أمامة مرفوعاً بإسناد ضعيف «ما تحت ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع»^(٣)، وفي حديث آخر: «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم ويقال لهم كذبتم»^(٤). ويشهد لهذا الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»^(٥)، فدل هذا على أن من أحب شيئاً وأطاعه، وكان من غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه. ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يس/٦٠) وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (مريم/٤٤) فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٦/٢٦٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١/٢٦٠).

(٣) رواه ابن عاصم في السنة (٣) والطبراني في الكبير (المجمع ١/١٩٣) وأبو نعيم في الحلية (١١٨/٦) وابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٣٩). وسنده موضوع.

(٤) رواه أبو يعلى (المطالب العالية ح ٣٢٧٤) وقال البوصيري سنده ضعيف.

(٥) البخاري (٨١/٦) في الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله وفي الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال.

الرحمن وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر/٤٢) فهم الذين حققوا قول لا إله إلا الله وأخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا إلى غير الله محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلاً، وهم الذين صدقوا في قول لا إله إلا الله، وهم عباد الله حقاً. فأما من قال لا إله إلا الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب قوله فعله، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (القصص/٥٠)، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص/٢٦). ثم قال رحمه الله: فيا هذا كن عبداً لله لا عبداً للهوى، فإن الهوى يهوى بصاحبه في النار ﴿أَأَرْبَابٌ مَّتَرَفُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف/٣٩)، «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار». والله لا ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت إلى شيء من الأغيار، من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية ولا يشرك بعبادة ربه أحداً^(١). انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فصل في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك

قد عرفت مما قدمنا في معنى لا إله إلا الله أن الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب أي تعبدته محبة وتذلاً وخوفاً ورجاءً ورهباً وتوكلاً عليه واطراحاً بين يديه واستعانة به، والتجاء إليه، وافتقاراً إليه. وذلك لا ينبغي إلا لله عز وجل خالق كل شيء ومصوره ومصرفه ومدبره، مبدي الخلق ومعيده، ومحبيه ومبيده، الفعال لما يريد، الذي هو على كل شيء شهيد، الذي لا ملجأ ولا منجأ منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ - مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا

(١) جامع العلوم والحكم.

يمسك فلا مرسل له من بعده - يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله عزيز ﴿٤٠﴾. والعبد إن أريد به المعبود أي المذل المسخر دخل فيه جميع المخلوقات من جميع العالم العلوي والسفلي من عاقل وغيره ومن رطب ويابس ومتحرك وساكن وظاهر وكامن ومؤمن وكافر وبر وفاجر وغير ذلك، الكل مخلوق لله عز وجل مسخر بتسخيره مدبر بتدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه وحد ينتهي إليه ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾ (يس/٤٠) كل يجري لأجل مسمى لا يتجاوزه مثقال ذرة، ذلك تقدير العليم، وتدبير العدل الحكيم. وإن أريد به العابد خص ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثر المشركين يعبدون الله عز وجل ويتقربون إليه بكثير من العبادات، لكن لما عبدوا مع الله غيره وأشركوه معه في إلهيته كانت أعمالهم هباء منثوراً ﴿كرماً اشتدَّتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ لا يقدرونَ مما كسبوا على شيءٍ﴾ (إبراهيم/١٨) ﴿كمثلِ صفوانٍ عليه ترابٍ فأصابه وابلٌ فتركه صلداً﴾ (البقرة/٢٦٤)، ﴿وكسرابٍ بقيعةٍ يحسبهُ الظمانُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ (النور/٣٩)، ﴿أو كظلماتٍ في بحرٍ لجِّي يغشاها موجٌ من فوقه موجٌ من فَوْقِهِ سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعلِ الله له نوراً فما له من نورٍ﴾ (النور/٤٠). ذلك بأنهم ﴿اتخذوا الشياطينَ أولياءَ من دونِ الله﴾ و﴿اتبعوا ما أسخطَ الله وكرهوا رضوانه فأحبطَ أعمالهم﴾ (الأعراف/٣٠)، وتولوا الطاغوت فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطان وقد عهد الله إليهم أن لا يعبدوه وبين لهم عداوته وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر/٦). وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذَرْيَتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف/٥٠) فخالفوا أمر الله وتولوا أعداءه وكذبوا رسله وأنبياءه وحاربوا حزبه وأوليائه. وأرادوا تشييد الكفر وإعلاءه ورد الحق وإبائه. فأبى الله عز وجل إلا أن يتم نوره ويظهر دينه ويعلي كلمته وينصر أوليائه ويحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ويجعل حزبه هم الغالبين، ويجعل

العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. لكن المؤمنون هم عباده حقاً الذين أفرده بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولم يشبهوه بشيء من خلقه، ولم يسووا شيئاً من خلقه به. أولئك الذين تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، كما قال تعالى في الأولى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام/١٦٠) وقال في الثانية: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَبْنَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٦١) وقال في الثالثة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيراً، وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَسْطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة/٢٤٥) تولوا الله فأخرجهم من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الغي إلى نور الرشاد. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة/٥٦) ملأ الله قلوبهم بنور معرفته ومحبه والشوق إلى لقائه، فلم تتسع لغيره، دنا الشيطان من قلوبهم فاحترق بنور إيمانهم فنكص على عقبه خاسئاً حسيراً، وأيس منهم أن يطيعوه فانقلب مذموماً مدحوراً. فعند ذلك عزى نفسه اللعين وقال: ﴿إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (الحجر/٤٠) وقال عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر/٤٢) حفظوا الله فحفظهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكثوا أيمانهم، تعرفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، صدقوا رسله وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره. وانكفوا عما نهى عنه، ثم تجردوا لنصرة دينه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ودخل الناس بذلك في دين الله أفواجا طوعاً وكرهاً، وقادوهم إلى الجنة بالسلاسل. نصروا الله فنصرهم، وشكروهم فشكرهم، وذكرهم فذكروهم. عرفوا ما خلقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يعينهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصة الله من خلقه والمصطفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبه الغالبون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ليوفيهم

أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

ثم العبادة هي اسم جامع لكل ما يرضي الإله السامع

(ثم العبادة) التي خلق الله لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار (هي اسم جامع لكل ما يحب و)يرضى) مبني للمعروف فاعله (الإله السامع) وهو الله عز وجل من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وتعليم الناس الخير والدعوة إلى الله عز وجل وغير ذلك، والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرغبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة فيه، وغير ذلك. ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب. ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. ١. هـ. (١).

قلت: وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب لله بلا تدلل ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة. ولذا ترى من يدّعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله عز وجل ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيع لها، وهذا شأن المشركين الذين قالوا: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا﴾ (الأنعام/١٤٨) وقالوا: ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم﴾ (الزخرف/٢٠) وغير ذلك. وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس إذ قال: ﴿ربِّ بما أغويتني﴾ (الأعراف/١٦). وإنما المحبة نفس وفاق العبد ربه: فيحب

(١) أنظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ومجموع الفتاوى (١٠/١٤٩) وما بعدها.

ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه. وإنما تتلقى معرفة محاب الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصل بمتابعة الشارع. ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى: ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران/٣١) فمن ادعى محبة الله ولم يك متبعاً رسوله فهو كاذب. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعتة لرسول الله ﷺ^(١). وكذلك الرجاء وحده إذا استرسل فيه العبد تجراً على معاصي الله وأمن مكر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف/٩٩). وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبد ساء ظنه بربه وقط من رحمته ويئس من روحه وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف/٨٧). وقال: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (الحجر/٥٦). فالأمن من مكر الله خسران، واليأس من روحه كفران، والفنوط من رحمة الله ضلال وطغيان، وعبادة الله عز وجل بالحب والخوف والرجاء توحيد وإيمان. فالعبد المؤمن بين الخوف والرجاء كما قال تعالى: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء/٥٧) وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر/٩). وبين الرغبة والرغبة كما قال تعالى في آل زكرياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء/٩) فتارة يمدد الرجاء والرغبة فيكاد أن يطير شوقاً إلى الله، وطوراً يقبضه الخوف والرغبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه، خائف من عقوباته ملتجئ منه إليه، عائد به منه راغب فيما لديه. وكذلك هو في صفات الله عز وجل لا ناف ولا مشبه، وفي أفعال العباد لا جبيري ولا قدري، وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته ليس بذئ النصب ولا التشيع، وفي الوعد والوعيد ليس بخارجي ولا مرجيء. فدين الله بين الغلو والجفاء والتفريط والإفراط، وخير الأمور

(١) أنظر سير أعلام النبلاء (٢٣/١٠).

الأوساط . وللعبادة ركنان لا قوام لها إلا بهما وهما الإخلاص والصدق، وحقيقة الإخلاص أن يكون قصد العبد وجه الله عز وجل والدار الآخرة كما قال تعالى : ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل/ ١٧ - ٢١) وقال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإسراء/ ١٨ - ١٩) . وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا، وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران/ ١٤٥) وقال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى/ ٢٠) وقال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود/ ١٦) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَعْفَيْنِ . فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَابِلٌ فَطُلَّ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة/ ٢٦٤/ ٢٦٥) . وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١) وفي صحيح

=

(١) البخاري (٩/١) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي وغيره.

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»^(١) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه^(٢). ولو ذهبنا نذكر أحاديث الإخلاص لطال الفصل. وأما الصدق فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، والاستعداد للقاء الله، وترك العجز، وترك التكاسل عن طاعة الله، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة/١١٩) وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب/٢٣) والآية، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ، وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ، أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ. وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (العنكبوت/١-١١) وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزَلْزَلُوا﴾ (البقرة/٢١٤) والآية وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ - إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا

= ومسلم (٣/١٥١٥/ح ١٩٠٧) في الإمامة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية.

(١) مسلم (٤/١٩٨٧/ح ٢٥٦٤) في البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله. وفيه زيادة وأعمالكم في آخره.

(٢) البخاري (٦/٢٧) في الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ومسلم (٣/١٥١٢/ح ١٩٠٤) في الإمامة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

لما أصابَهُمْ في سبيلِ الله وما ضَعُفُوا وما استكانوا والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿آل عمران/ ١٤٢- ١٤٦﴾ إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وجوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة/ ١٧٧) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»^(١) وفي الحديث الآخر: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»^(٢). وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله عز وجل. ثم اعلم أنه لا يقبل منه ذلك إلا بمتابعته الرسول ﷺ فيعبد الله تعالى بوفق ما شرع، وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/ ٨٥). وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٣) وفي رواية لمسلم: «من

(١) مسلم (٢/٢٠٥٢ ح ٢٦٦٤) في القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز.

(٢) ضعيف رواه الترمذي (٤/٦٣٨ ح ٢٤٩٩) في صفة القيامة، باب رقم ٢٥. وابن ماجه (٢/١٤٢٣ ح ٤٢٦٠) في الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له وأحمد (٤/١٢٤).

والحاكم (١/٥٧) و(٤/٢٥١) وقال في الأولى صحيح على شرط البخاري وقال في الثانية هذا صحيح الإسناد. ولم يوافقه الذهبي في الأولى وقال: لا والله أبو بكر واه ووافقه في الثانية. قلت: الحديث ضعيف فيه أبو بكر بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف (والحديث من رواية شداد بن أوس رضي الله عنه).

(٣) البخاري (٥/٣٠١) في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. =

عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١) فهذه الثلاثة الأركان شروط في العبادة لا قوام لها إلا بها، فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها، والنية الخالصة، وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها، بإخلاص النية بدون صدق العزيمة هوس وتطويل أمل وتمن على الله وتسويق في العمل وتفريط فيه، وصدق العزيمة بدون إخلاص فيه يكون شركاً أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص. فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق، وإن كان دخل الرياء في تزيين العمل وكان الباعث عليه أولاً إرادة الله والدار الآخرة كان شركاً أصغر بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر. وإخلاص النية مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة وحدثاً في الدين وشرع ما لم يأذن الله به، فيكون رداً على صاحبه ووبالاً عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العمل من العبد إلا بصدق العزيمة، ولا يقبل منه ذلك إلا بإخلاص النية واتباع السنة، ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَلْبُوكُمُ آيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك/٢) قال: أخلصه وأصوبه^(٢)، يعني خالصاً من شوائب الشرك موافقاً للسنة.

وفي الحديث مخها الدعاء	خوف توكل كذا الرجاء
ورغبة ورهبة خشوع	وخشية إنابة خضوع
والاستعانة والاستعانة	كذا استغاثة به سبحانه
والذبح والنذر وغير ذلك	فافهم هديت أوضح المسالك
وصرف بعضها لغير الله	شرك وذاك أقبح المناهي

(و) ثبت (في الحديث) الذي في السنن كما سنذكره (مخها) أي مخ العبادة ولها (الدعاء) قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ

= ومسلم (٣/١٣٤٣/ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة.

(١) مسلم (٣/١٣٤٣/ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة.

(٢) أنظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/٦٠٠) وتمامه: قيل له: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون صواباً خالصاً.

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ (غافر/٦٠) وقال تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف/٥٥ - ٥٦) وقال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة/١٨٦) وغير ذلك من الآيات ، وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»^(١) . وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «الدعاء مخ العبادة» وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة^(٢) ، ومعنى «مخ العبادة» أي خالصها . وفيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر/٦٠) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح^(٣) . وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»^(٤) . وفيه من حديث ابن عباس مرفوعاً : «إذا سألت فاسأل الله» وهو حديث حسن صحيح^(٥) .

(خوف) أي ومن أنواع العبادة الخوف من الله عز وجل ، قال الله تعالى :

(١) الترمذي (٤٥٥/٥ ح ٣٣٧٠) في الدعوات ، باب ما جاء في فضل الدعاء وابن ماجه (١٢٥٨/٢ ح ٣٨٢٩) .

والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢/٢) وابن حبان (١١٥/٢) والحاكم (٤٩٠/١) . وسنده حسن .
(٢) الترمذي (٤٥٦/٥ ح ٣٣٧١) في الدعوات ، باب ما جاء في فضل الدعاء وقال : هذا حديث غريب . وإسناده ضعيف .

(٣) الترمذي (٣٧٤/٥ ح ٣٢٤٧) في التفسير ، باب ومن سورة المؤمن وأبو داود (٧٦/٢) ح ١٤٧٩ في الصلاة ، باب الدعاء . وسنده صحيح .

(٤) الترمذي (٤٥٦/٥ ح ٣٣٧٣) في الدعاء باب ٢ .
وابن ماجه (١٥٥٨/٢ ح ٣٨٢٧) في الدعاء باب فضل الدعاء . البخاري في الأدب المفرد (٦٥٨/٢) والحاكم والبراز كلهم من طريق أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة وهولين الحديث .

(٥) الترمذي (٦٦٧/٤ ح ٢٥١٦) في صفة القيامة ، باب رقم ٦٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/ ١٧٥) وقال سبحانه : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (الرحمن/ ٤٦) وقال تبارك وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ وقال عز وجل : ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء/ ٥٧) وقال تبارك اسمه : ﴿أُمُّ مَنْ هُوَ قَانِتُ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر/ ٩) الآية وغيرها من الآيات. وقال النبي ﷺ : «والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون» رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي ذر وحسنه الترمذي^(١). وفي البخاري عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «والله لا أدري ، والله لا أدري - وأنا رسول الله ﷺ - ما يفعل بي ولا بكم»^(٢). وفي الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها»^(٣) وفيه عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله : «من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إنه سلعة الله الجنة»^(٤). وله عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يقول الله جل ذكره : أخرجوا من ذكرني يوماً أو خافني في مقامي»^(٥). وله

(١) أحمد (١٧٣/٥) وابن ماجه (١٤٠٢/٢ ح ٤١٩٠) في الزهد، باب الحزن والبكاء. والترمذي (٥٥٦/٤ ح ٢٣١٢) في الزهد، باب قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وسنده حسن.

(٢) البخاري (١١٤/٣) في الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفته. (٣) الترمذي (٧١٥/٤ ح ٢٦٠١) في صفة جهنم، باب رقم ١٠ وابن عدي في الكامل (٢٦٦٠/٧). والقضاعي في مسند الشهاب (ح ٧٩١، ٧٩٢)، كلهم من طريق يحيى بن عبيدالله عن أبيه عن أبي هريرة وسنده ضعيف جداً فيحيى متروك وأبوه مجهول وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ح ٢٨) وأحمد في الزهد (ص ٢٣١) وفيه الحسن البصري وهو مدلس وقد عنعن. وقد حسنه العلامة الألباني لشواهد السلسلة الصحيحة ح ٩٥٠.

(٤) الترمذي (٦٣٣/٤ ح ٢٤٥٠) في صفة القيامة، باب ١٨. وسنده ضعيف فيه أبو فرة الراوي وهو ضعيف وبكير بن فيروز لم يوثقه غير ابن حبان. قال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.

(٥) الترمذي (٤١٢/٤ ح ٢٥٩٤) في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج =

هو وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ (المؤمنون/٦٠) هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا أبة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (المؤمنون/٦١)^(١). وفيه من حديث أبي جحيفة قال: قالوا يا رسول الله قد شئت، قال: «شيتني هود وأخواتها»^(٢) ومن حديث أبي بكر رضي الله عنه: «شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»^(٣) وغير ذلك من الأحاديث.

(توكل) أي ومن أنواع العبادة التوكل على الله عز وجل، وهو اعتماد القلب

- = من النار من أهل التوحيد. وقال: هذا حديث حسن غريب. والحاكم (٧٠/١).
- وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفيه المبارك بن فضالة وهو مدلس وقد صرح بالتحديث عند الحاكم فالحديث حسن إن شاء الله تعالى.
- (١) الترمذي (٣٢٧/٥ - ٣٢٨/ح ٣١٧٤) في التفسير، باب ومن سورة المؤمنين.
- وابن ماجه (١٤٠٤/٢/ح ٤١٩٨) في الزهد، باب التوق من العمل. والحاكم (٣٩٢/٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- قلت: إسناده منقطع فهو من رواية عبد الرحمن بن سعد الهمداني عن عائشة ولم يدركها (أنظر جامع التحصيل ت ٤٢٩).
- ورواه كذلك من طريقه أحمد (١٥٩/٦ و ٢٠٥) وابن جرير في تفسيره (٣٣/١٨).
- ورواه ابن جرير في تفسيره من حديثها رضي الله عنها وفي سنده مبهم وهو الراوي عنها.
- ورواه كذلك عنها بسند فيه انقطاع من رواية العوام بن حوشب عنها.
- ورواه ابن جرير من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات سوى محمد بن حميد الرازي فإنه سيء الحفظ.
- (٢) لم يروه الترمذي بهذا اللفظ وإنما روي عنده باللفظ الآتي وهذا رواه الطبراني في الكبير عن عتبة بن عامر (٢٨٦/١٧/ح ٧٩٠) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٣٦/٧).
- ورواه ابن سعد في الطبقات (٤٣٥/١) و (٤٣٦ - ٤٣٥) عن قتادة مرفوعاً: قال الشيخ الألباني: وإسناده صحيح لولا أنه مرسل.
- (٣) الترمذي (٤٠٢/٥/ح ٣٢٩٧) في التفسير، باب ومن سورة الواقعة. وفي الشماثل (ح ٤٨) وأبو يعلى في مسنده (ح ١٠٨) وابن سعد في الطبقات (٤٣٥/١) والحاكم: (٣٤٣/٢) وأبو نعيم في الحلية. وقال الحاكم: إسناده على شرط البخاري ووافقه الذهبي. أنظر: العلل للدارقطني (س ١٧) والعلل للرازي (ح ١٨٢٦ و ١٨٩٤) والمقاصد الحسنة (ح ٦٠٦) والسلسلة الصحيحة (ح ٩٥٥).

عليه وثقته به وأنه كافية، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة/ ٢٣) فجعله تعالى شرطاً في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهله إذ قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقال موسى لقومه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ (يونس/ ٨٤) الآيات وقال تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم/ ١١- ١٢) وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود/ ٥٦) الآية وكذلك عن نبيه نوح عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ (يونس/ ٧١) الآية. وقال تعالى عن شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود/ ٨٨) وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (النمل/ ٧٩) وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (هود/ ١٢٣) وقال تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (المزمل/ ٩) وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة/ ١٢٩) وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران/ ١٧٣) وقال تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال/ ٢) وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل/ ٤٢) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق/ ٣) أي كافية، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر/ ٣٦) الجواب: بلى. والآيات في هذا الباب كثيرة. وقال ابن عباس رضي

الله عنهما في هذه الآية: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران/١٧٣): قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ وأصحابه حين: ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران/١٧٣)^(١). وفي الصحيح عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(٢) وفي السنن «الطيرة شرك، الطيرة شرك» قال ابن مسعود: وما منا إلا، ولكن الله يذهب به بالتوكل^(٣). وفي جامع الترمذي وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(٤). وفي حديث الإيمان بالقدر «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»^(٥). وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه والدارمي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعلم آية في كتاب الله عز وجل لو أخذ الناس بها لكفتهم» ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» (الطلاق/٢)^(٦) ولابن ماجه عن عمرو بن العاص

-
- (١) البخاري (٢٢٩/٨) في التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم..
- (٢) البخاري (٣٠٥/١١) في الرقاق، باب من يتوكل على الله فهو حسبه.
- (٣) ومسلم (١٩٨/١ ح ٢١٨) في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.
- (٤) الترمذي (١٦٠/٤ ح ١٦١٤) في السير، باب ما جاء في الطيرة. وقال هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود (١٧/٤ ح ٣٩١٠) في الطب، باب في الطيرة.
- (٥) الترمذي (٥٧٣/٤ ح ٢٣٤٤) في الزهد، باب رقم ٣٣ وقال حديث حسن صحيح. وابن ماجه (١٣٩٤/٢ ح ٤١٦٤) في الزهد، باب التوكل واليقين. وابن حبان (مؤلفه ح ٢٥٤٨) والحاكم (٣١٨/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- (٦) الترمذي (٦٦٧/٤ ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم ٦٠. وقال هذا حديث حسن صحيح.
- (٦) أحمد (١٧٨/٥ - ١٧٩) وابن ماجه (١٤١١/٢ ح ٤٢٢٠) في الزهد باب الورع والتقوى. والدارمي (٣٠٣/٢). والنسائي في التفسير (مصباح الزجاجة ٣/٣٠١) وأحمد بن منيع في مسنده وإسناده منقطع بين أبي السليل وأبي ذر.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلب ابن آدم لكل واد شعبة، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد هلك، ومن توكل على الله كفاه الشعب»^(١) وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

(كذا الرجاء) أي ومن أنواع العبادة الرجاء، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف/١١٠) وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت/٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يونس/٧) وغير ذلك من الآيات وفي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»^(٢) وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار»^(٣). وقال ﷺ في دعاء المكروب: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين» الحديث رواه أبو داود عن أبي بكر^(٤).

(ورغبة ورهبة خشوع) أي (ومن أنواع العبادة الرغبة فيما عند الله عز وجل من الثواب، وهي راجعة إلى معنى الرجاء. والرهبة مما عند الله من العقاب، وهي راجعة إلى معنى الخوف. والخشوع هو التذلل لله عز وجل، قال تعالى في

(١) ابن ماجه (٢/١٣٩٥) ح (٤١٦٦) في الزهد، باب التوكل واليقين. قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف، صالح بن رزيق ليس له إلا هذا الحديث قال في الميزان حديثه منكر (مصباح الزجاجة ٢٨٥/٣).

(٢) تقدم ذكره.

(٣) البخاري (٣٠١/١١) في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف.

(٤) أبو داود (٤/٣٢٤) ح (٥٠٩٠) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح وأحمد (٥/٤٢) وإسناده حسن.

آل زكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء/٩٠) وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُونَ يَزِيدُهُمْ شُوعًا﴾ (الإسراء/١٠٩)، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهم مُلَاقُوا رَبِّهم وَأَنَّهُم إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/٤٥-٤٦) وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون/٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ (البقرة/٤٠) وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الإنشراح/٨) وغير ذلك من الآيات. وفي حديث الدعاء عند النوم: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك» الحديث في الصحيحين^(١). ولابن أبي حاتم في خطبة أبي بكر رضي الله عنه: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وتثنوا عليه بما هو أهله، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء/٩٠)^(٢) وفي الصحيح من حديث دعاء النبي ﷺ في الركوع والسجود «خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي»^(٣) وغير ذلك من الأحاديث.

الخشوع لله (وخشية) أي ومن أنواع العبادة الخشية، وهي مرادفة للخوف. قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ (البقرة/١٥٠)، وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (المؤمنون/٥٧) الآيات، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (المعارج/٢٧) الآيات.

(١) البخاري (٤٦٢/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعَلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾. ومسلم (٢٠٨١/٤) ح ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ في الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٢٠٣/٣) وسنده ضعيف فيه عبد الرحمن بن إسحق الواسطي أبو شبة وهو ضعيف. ورواه الحاكم (٣٨٣/٢) (٣٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يوافقه الذهبي للعلّة المتقدمة.

(٣) مسلم (٥٣٤/١) ح ٧٧١ في صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

وقال تعالى في شأن كتابه العزيز: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (الأنعام/٥١) الآيات، وقال تعالى: ﴿طه. ما أُنزِلنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (طه/١-٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ (يس/١١) الآية وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر/٢٣) الآية، وقال تعالى: ﴿هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٌ. مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (ق/٣٣) الآيات، وقال تعالى في شأن الساعة: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ (النازعات/٤٥). وقال تعالى: ﴿فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ، سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (الأعلى/١٠) وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (لقمان/٣٣) الآية. وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع»^(١)، وفيه عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله. وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر فريضة من فرائض الله تعالى، وقال حديث حسن^(٢). وفي الصحيح: «إن أخشاكم، وأتقاكم لله أنا»^(٣)

(١) الترمذي (١٧١/٤ ح ١٦٣٣) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله. وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (١٢/٦) في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه وأحمد (٥٠٥/٢) والحاكم (٢٦٠/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) الترمذي (١٩٠/٤ ح ١٦٦٩) في فضائل الجهاد، باب رقم ٢٦. وقال حديث حسن غريب وهو كما قال فيه الوليد الفلسطيني: صدوق يخطيء كما قال الحافظ.

(٣) البخاري (١٠٤/٩) في النكاح، باب الترغيب في النكاح. ومسلم (٧٧٩/٢ ح ١١٠٨) في الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

الحديث وغير ذلك من الأحاديث .

(إنابة) أي ومن أنواع العبادة الإنابة وهي التوبة النصوح ، والرجوع إلى الله تعالى ، قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ ﴾ (الزمر/ ٥٤) وقال تعالى في ذكر شعيب : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود/ ٨٨) وقال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (الشورى/ ١٠) وقال تعالى عن إبراهيم والذين معه : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (المتحنة/ ٤) وقال تعالى في شأن عباده المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِي ﴾ (الزمر/ ١٧) وقال عن عبده داود عليه السلام : ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص ٢٤) وفي ذلك آيات كثيرة سنذكر إن شاء الله ما تيسر منها في بابه .

(خضوع) أي ومن أنواع العبادة الخضوع ، وهو والخشوع والتذلل بمعنى وتقدمت الآيات والأحاديث فيه . (والاستعاذة) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذة ، وهي الامتناع بالله عز وجل والالتجاء إليه ، قال عز وجل : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل/ ٩٨) وقال تعالى : ﴿ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون/ ٩٧-٩٨) وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأعراف/ ٢٠٠) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ (الفلق/ ١-٢) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (الناس/ ١-٤) ، وقال عن كلمته موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنَّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (غافر/ ٢٧) وقال تعالى عنه عليه السلام : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ (الدخان/ ٢٠) وقال النبي ﷺ : «أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وبسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم . من همزه ونفخه

ونفته»^(١) وقال: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»^(٢) وقال: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك»^(٣) وقال: «تعوذوا بالله من الفتن»^(٤) واستعاذ ﷺ من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال، ومن الرد إلى أرذل العمر ومن المأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر. ومن فتنة النار وعذاب النار. ومن شر فتنة الغنى. ومن شر فتنة الفقر. ومن فتنة المحيا والممات. ومن فتنة المسيح الدجال وغير ذلك.

(والاستعانة) أي ومن أنواع العبادة الاستعانة، وهي طلب العون من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/٤) أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ونبراً من كل معبود دونك ومن عابديه، ونبراً من الحول والقوة إلا بك، فلا حول لأحد عن معصيتك، ولا قوة على طاعتك، إلا بتوفيقك ومعونتك. وقال عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/١٨) وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء/١١٢) وفي الترمذي من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» الحديث. وقال فيه حسن صحيح^(٥)، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ الحديث وفيه: «أحرص على ما ينفعك،

(١) رواه أبو داود (١/١٢٧/ح ٤٦٦) في الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد وسنده صحيح وليس فيه الجملة الأخيرة. من همزه... ولعل الشيخ جمع بين حديثين فهي عند أبي داود في باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء (ح ٧٦٤) وفي سنده عاصم بن عمير لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) مسلم (٤/٢٠٨٠/ح ٢٧٠٩) في الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء، من حديث أبي هريرة.

(٣) مسلم (١/٣٥٢/ح ٤٨٦) في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٤) مسلم (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠/ح ٢٨٦٧) في صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار.

(٥) الترمذي (٤/٦٦٧/ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم ٥٩، وقال: حديث حسن صحيح.

واستعن بالله^(١) وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٢) وغير ذلك من الأحاديث.

(كذا استغاث به سبحانه) أي ومن أنواع العبادة الاستغاث بالله عز وجل وهي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر، قال الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّمٌ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِّفِينَ﴾ (الأنفال/٩) وقال تعالى: ﴿أَمْ مِّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَّكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل/٦٢) الآية وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (الشورى/٢٨) الآية. ومن دعاء النبي ﷺ: «يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحمتك أستغيث»^(٣) وفي الطبراني بإسناده من حديث ثابت بن الضحاك أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»^(٤)، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الاستسقاء: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»^(٥) وغير ذلك من الأحاديث.

(والذبح) أي (ومن أنواع العبادة الذبح نسكاً لله تعالى من هدى وأضحية

(١) مسلم (٢٠٥٢/٤ ح ٢٦٦٤) في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

(٢) الحديث ليس عند الترمذي إنما عند:

أبي داود (٨٦/٢ ح ١٥٢٢) في الوتر، باب في الاستغفار، والنسائي (٥٣/٣) في السهو، باب نوع آخر من الدعاء. وإسناده صحيح.

(٣) رواه قريباً منه دون قوله: «يا بديع السموات والأرض» والحاكم في مستدركه (٥٠٩/١). وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ولم يوافقه الذهبي بل قال منقطع والقاسم بن عبد الرحمن وأبوه ليسا بحجة.

(٤) الطبراني في الكبير (مجمع الزوائد ١٠/١٦٢) وفيه ابن لهيعة.

(٥) تقدم ذكره.

وعقبة وغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ﴾ (الكوثر/٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ (الأنعام/١٦٣) والآيات وقال تعالى: ﴿وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، فَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافَّ، فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ (الحج/٣٦) الآيات. وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله»^(١) الحديث. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوز أحدهما حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب. فقالوا له: قرب ولو ذباباً. فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار. فقالوا للآخر: قرب. قال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل: فضربوا عنقه فدخل الجنة»^(٢).

(والنذر) أي ومن أنواع العبادة النذر لله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان/٧)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ (البقرة/٢٧٠) الآية. وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» رواه الجماعة إلا مسلماً^(٣). وعن عمر رضي الله عنه قال: نذرت نذراً في الجاهلية،

(١) مسلم (١٥٦٧/٣) ح (١٩٧٨) في الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

(٢) أحمد في الزهد (ص ١٥) وأبو نعيم في الحلية (٢٠٣/١) وكلاهما عن سلمان موقوفاً. وسنده صحيح. وابن القيم عزاه إلى أحمد مرفوعاً ولم أجده.

(٣) البخاري (٥٨١/١١) في الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية وأبو داود (٢٣٢/٣) ح (٣٢٨٩) في الإيمان والنذور، باب ما جاء في النذر في المعصية. والترمذي

(١٥٢٦/٤) ح (١٠٤/٤) في النذور والإيمان، باب من نذر أن يطيع الله فليطعه. والنسائي (١٧/٧) =

فسألت النبي ﷺ بعدما أسلمت، فأمرني أن أوفي بنذري. رواه ابن ماجه^(١). وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب إثم من لا يفي بالنذر، وذكر حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثاً بعد قرنه «ثم يجيء قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمن»^(٢). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «أوف بنذكرك» وهو في الصحيح أيضاً^(٣). ولعله هو النذر الذي في رواية ابن ماجه مبهماً فسرته رواية الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال له: إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت، فقال النبي ﷺ: «لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم. قال: فاقض الله، فالله أحقُّ بالقضاء»^(٤) وغير ذلك من أحاديث الأمر بوفاء النذر عن النبي ﷺ.

ومن شرط النذر لله تعالى أن يكون طاعة، وأن يكون مما يطيقه العبد، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله تعالى أو ذريعة إلى عبادة غير الله تعالى، ولمن كان معلقاً بحصول شيء فلا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصوله. أما الأول فلقوله ﷺ: «لا نذر في معصية الله، ولا في قطيعة رحم» الحديث رواه أبو داود^(٥)، وكذا حديث عائشة السابق وغيره. وأما الثاني

= في الأيمان والنذور، باب النذور في المعصية. وابن ماجه (١/٦٨٧) ح ٢١٢٦- في الكفارات، باب النذر في المعصية.

(١) ابن ماجه (١/٦٨٧) ح ٢١٢٩ في الكفارات، باب الوفاء بالنذر وسنده صحيح. وأصله في الصحيحين بذكر النذر وهو الاعتكاف في المسجد الحرام يوماً وسأيتي قريباً بعد حديث.

(٢) البخاري (١١/٥٨٠ - ٥٨١) في الأيمان والنذور، باب إثم من لا يفي بالنذر.

(٣) البخاري (١١/٥٨٢) في الأيمان والنذور، باب إذا نذر أو حلف أنه لا يكلم إنساناً في الجاهلية ثم أسلم.

ومسلم (٣/١٢٧٧) ح ١٦٥٦ في الأيمان، باب نذر الكافر وماذا يفعل إذا سلم.

(٤) البخاري (١١/٥٨٤) في الأيمان والنذور، باب من مات وعليه نذر.

(٥) أبو داود (٣/٢٢٨) ح ٣٢٧٤ في الأيمان، باب اليمين في قطيعة الرحم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وإسناده حسن.

فلحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله، فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﷺ، فأستفتيته فقال: «لتمش ولتركب» متفق عليه^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم فلا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه»^(٢) فأمره ﷺ بترك ما لم يكن مطيقه ولم يكن مشروعاً، وأمره بإتمام الصوم لكونه يطيعه ولكونه مشروعاً. وأما الثالث فلقوله ﷺ: «لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود وغيره وإسناده صحيح^(٣). وأما الرابع فلحديث ثابت بن الضحاك أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال: «كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» فقالوا لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، قال: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود^(٤). وفي سَدِّ الذرائع إلى ذلك حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وأما الخامس فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل»^(٥) وهو في الصحيح. وفيه في رواية عنه نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «إنه لا يرد شيئاً، ولكنه يستخرج به من البخيل»^(٦) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) البخاري (٧٨/٤) في الحج، باب من نذر المشي إلى الكعبة.

ومسلم (١٢٦٤/٣) ح (١٦٤٤) في النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة.

(٢) البخاري (٥٨٦/١١) في الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية.

(٣) رواه أبو داود (٢٣٩/٣) ح (٣٣١٦) في الإيمان والنذور، باب في النذر فيما لا يملك. ورواه

مسلم (١٢٦٢/٣) ح (١٦٤١) في النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله. والنسائي (٢٨/٧)

في الإيمان والنذور، باب كفارة النذر.

(٤) أبو داود (٢٣٨/٣) ح (٣٣١٣) في الإيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر وإسناده

صحيح.

(٥) البخاري (٤٩٩/١١) في القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر، وفي الإيمان والنذور، باب

الوفاء بالنذر، ومسلم (١٢٦٠/٣) ح (١٦٣٩) في النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء، ولكن يلقيه النذر إلى القدر فدُذِرَ له، فيستخرج الله به من البخيل، فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل»^(١) وغير ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى.

[أنواع أخرى من العبادات الظاهرة والباطنة]

(وغير ذلك) أي من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه وسائر الأذكار المشروعة ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والحب في الله والبغض فيه والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن مناطها الذي لا قوام لها إلا به هو كمال الحب وغايته مع غاية الذل، ولا تسمى عبادة إلا مع ذلك كله. فالمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل كمحبة المطعم والمشرب والأهل والمال والولد وغير ذلك ليست بعبادة. وكذلك الخوف بدون محبة للمخوف منه كالخوف من عدو أو غرق أو حرق ونحو ذلك لم يكن عبادة، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادة: إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله. ولذا قلنا (وصرف بعضها) أي شيء منها قل أو كثير (لغير الله) كائناً من كان من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو غيره، كل ذلك (شرك) أكبر، (وذاك) إشارة إلى الشرك هو (أقبح المناهي) على الإطلاق، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ مِنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الاحقاف/٥) الآيات، أي لا أحد أضل منه، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ

(١) البخاري (٤٩٩/١١) في القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر، وفي الإيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ومسلم (١٢٦١/٣ ح ١٦٤٠) في الإيمان والنذور، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿﴾ (المؤمنون/١١٧) وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣) فالشرك أعظم الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا أعظم ظلماً من شكايه العبد ربه الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضر أو فاته من خير إلى من لا يرحمه ولا يسمعه ولا يبصره ولا يعلمه ولا يملك لنفسه ولا لداعيه من ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشور، ولا يغني عنه مثقال ذرة، وعدوله عمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزع في قضاء حوائجه إلى من لا قدرة له على شيء البتة ﴿والذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾. إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر/١٣-١٤) وصرفه عبادة خالقه - الذي خلقه لعبادته وتوحيده ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة وحفظه وكأله بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوف والأخطار - لمخلوق مثله خلقه الله بقدرته ولم يكن من قبل شيئاً، بل هو مسخر مدبر محبوب متصرف فيه الله تعالى بم شاء من أنواع التصرف لا ييدي حراكاً ولا ينفك من قبضة الله عز وجل، بل هو خلقه وملكه مخلوق لعبادته فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جعله مألوهاً معبوداً: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مِثْلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ: هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ (الروم/٢٨) الآية، هذا والله أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر، ولذا لم تدعُ الرسل إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبر مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد. وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»^(١).

وسنذكر إن شاء الله من الآيات، والأحاديث قريباً ما تقرُّ به أعين الموحدين،

(١) البخاري (١٦٣/٨) في تفسير سورة البقرة، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وفي كتب عِدَّة.

ومسلم (١/٩٠/ح ٨٦) في الإيمان، باب الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده.

وتدحض شبهة المعاندين، ويدمغ باطل الملحدين، والله المستعان وبه التوفيق.

فصل

في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وكونه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر، وبيان كل منهما

قد قدمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة. ولكل من هذه الأنواع ضد يفهم من تعريفه، فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كمل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، ف ضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى الله تعالى بما سمي به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفي عنه التشبيه والتمثيل، ف ضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد: أحدهما نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة، ثانيهما تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/ ١١) وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ﴾ (علماء/ طه/ ١١٠). وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو أفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى ف ضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها.

[أول ظهور الشرك]

وأول ما ظهر الشرك في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم عليه السلام نحو عشرة قرون كما قدمنا، وبه قال ابن عباس وغيره في

تفسير قوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة/٢١٣)، وذلك لأن الشيطان لعنه الله لم يزل دائماً جاداً مشمراً في عداوة بني آدم عليه السلام منذ كان أبوهم طيناً، فلما نفخ الله فيه الروح وعلمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء/٦١) وقال تعالى: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ﴾ (الحج/٣٣) فلما سأله الله عز وجل عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه - والله تعالى أعلم به - فقال سبحانه له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأعراف/١٢) فأجاب الخبيث مفتخراً بأصله، طاعناً على ربه تعالى في حكمته وعدله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف/١٢)، فعامله الجبار بنقيض ما قصده وأذاقه وبال حسده، وأثمر له استكباره الذل الأبدي الذي لا عز بعده: ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف/١٣) وقال: ﴿أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾ (الأعراف/١٨) الآية وقال: ﴿أَخْرَجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر/٣٤ - ٣٥) فطلب الإنظار ليأخذ بزعمه من آدم وذريته بالشأ، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيل له إلا على حزبه وتابعيه من الكفار، الذين هو إمامهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبار: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِهِمْ يَبْعَثُونَهُ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (ص/٧٩ - ٨٠) أجابه الله تعالى إلى طلبته ليمتحن عباده اختباراً وابتلاء ﴿لِيَلْوَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (تبارك/٢) فقابل النعمة بالكفران وجدد صفقة الخسران وأقسم ليستعملن

(١) سيأتي بعد قليل مع مصادره.

مدته وليستغرقن حياته في إغواء ذرية آدم الذين كان طرده وإبعاده بسببهم إذ لم يسجد لأبيهم، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربه، بل قدس نفسه اللثيمة وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمة ومحادة ومشاقة: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف/١٦-١٧) ولم يقل اللعين: «من فوقهم» لعلمه أن الله تعالى من فوقهم، قال الله سبحانه: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر/٤٢) وقد علم الرحيم ذلك فقال آيساً منهم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر/٤٠) ثم لما سعى إلى آدم وحواء زوجه في الجنة ودلهما على تلك الشجرة التي نهاهم الله عز وجل عنها أن يقربوها، وأباح لهم ما سواها من الجنة، فاستدرجهم اللعين بخداعه وحيلته البائرة، وغيرهم بتلك اليمين الفاجرة: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف/٢١) فنفذ قضاء الله تعالى وقدره بأكلهما منها: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (الأنفال/٤٢). وظن اللعين أنه قد أخذ بثأره من آدم وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله عز وجل وسعة رحمته الذي لا يقدر أحد على شيء منه: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد/٢٩) فلما عاتبهما الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف/٤٢) فلم يعترضاً على قضاء الله وقدره ولم يحتجاً بذلك على ارتكاب ما نهى الله عنه ولم يخاصما به كما قال اللعين مواجهاً ربه بقوله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (الأعراف/١٦) بل اعترافاً بقدرته الله عليهما وأقرّاً بظلمهما لأنفسهما وصرحاً بافتقارهما إلى ربهما وبكمال غناه عنهما: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف/٢٣) وهذه هي الكلمات التي قال الله عز وجل: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/٣٧).

ثم أراد الله سبحانه أن يهبطهم إلى دار أخرى هي دار الامتحان والابتلاء

ليتبين حزبه الذين يتبعون رسله ويقاتلون أعداءه ويغرس لهم بصالح الأعمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويتبين حزب عدوه الذين اتبعوه وأطاعوه وصاروا من خيله ورجله وقد أعد لهم جهنم وساءت مصيراً، وألقى العداوة ونصب الحرب بين هذين الحزبين في هذه الدار ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعل في جهنم فقال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة/٣٨). ثم كان من كيد الشيطان مما قص الله عز وجل من إلقائه الفتنة بين ابني آدم وقتل أحدهما الآخر كما في سورة المائدة.

ولما مات آدم عليه السلام كان وصيه شيئاً عليه السلام، ومضت تلك المدة التي ذكرنا والناس كلهم على شريعة من الحق كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين^(١).

وزين الشيطان لعنه الله لقوم نوح عبادة الأصنام وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها، وبيان ذلك ما روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال في وَدَّ وَسُوعَ وَيَعْقُوبَ وَنَسَرَ: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَاسَى الْعِلْمَ عِدَّتْ أ. هـ.^(٢) فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة

(١) ابن جرير (جامع البيان ٢/٣٣٤) وسنده صحيح. ورواه الحاكم في مستدركه (٤٤٢/٢) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) البخاري (٦٦٧/٨) في التفسير، وتفسير سورة نوح، باب: ودَّ وسوعاً ولا يعقوب ويعقوب.

للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة الله عندها ذريعة إلى عبادتها ممن يخلفهم. فلما أرسل الله سبحانه إليهم نوحاً عليه السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوههم إلى الله تعالى وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالى بالطوفان. ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهة مع الله منها هدا وصدى وصموداً، فأرسل الله عز وجل إليهم هوداً عليهم السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوههم إلى توحيد الله عز وجل، فلما حق عليهم العذاب أهلكهم الله تعالى بالريح. ثم ثمود كذلك وأرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فكذبوه فأهلكوا بالصيحة. ثم قوم إبراهيم وعبدوا الشمس والقمر والنجوم وعبدوا الأصنام وغير ذلك، وقد قص الله تعالى في كتابه كل ذلك مفصلاً عن الأمم ورسلمهم.

وعبد أول بني إسرائيل العجل وآخرهم عبدوا عزيزاً، وعبدت النصارى المسيح وعبدت المجوس النار وعبد قوم الماء وعبد كل قوم ما زينه الشيطان لهم على قدر عقولهم، هذا في الأمم الأولى وكل منها له وارث من الأمم المتأخرة، فالأصنام التي في قوم نوح قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرو بن لُحَيّ قبحه الله تعالى كما ذكره ابن عباس فيما رواه البخاري عنه رضي الله عنه قال: أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وسواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. انتهى^(١).

[دخول الوثنية إلى بلاد العرب على يد عمرو بن لُحَيّ الخزاعي]

وتفسير ذلك ما ذكره الكلبي حيث قال: وكان عمرو بن لُحَيّ كاهناً وله رثى من الجن فقال له: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، إئت جدة، تجد فيها أصناماً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى نهر جدة فاستشارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عدن بن زيد اللات فدفع إليه ودّاً

(١) البخاري (٨ / ٦٦٧) في تفسير سورة نوح، باب: ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق.

فحمله. فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمي به، وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يسدونونه حتى جاء الله بالإسلام. قال الكلبي: فحدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً. قال وكان أبي يبعثني بالبلن إليه فيقول اسقه إهلك فأشربه. قال ثم رأيت خالد بن الوليد رضي الله عنه كسره فجعله جذاذاً، وكان رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عذرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره. قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة صف لي وداً كأني أنظر إليه، قال كان ثمال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد دبر - أي نقش - عليه حلتان متزرتان بحلة مرتد بأخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء وقبضة فيها نبل بغير جعبة. وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعاً فكان بأرض يقال لها وهاط من بطن نخله يعبد من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجل من العرب.

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

وأجابه مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث، وكان بأكمة باليمن تعبد مذحج ومن والاه، وأجابه همدان فدفع إلى مالك بن زيد بن جشم يعوق فكان بقرية يقال لها خيوان فعبدته همدان ومن ولاها من اليمن، وأجابه حمير فدفع إلى رجل من ذي رعين يقال له معدي كرب نسراً فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبد حمير ومن والاه فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس، فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي ﷺ فهدمها وكسرها. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجرد قصبة في النار. وكان أول من سب السوائب»^(١)

(١) البخاري (٢٨٣/٨) في تفسير سورة المائدة، باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائية ولا وصيلة ولا

حام.

ومسلم (٢١٩١/٤) ح (٢٨٥٦) في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

وفي لفظ: «وغير دين إبراهيم»^(١). وروى ابن إسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثر من بن الجوف الخزاعي: «يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه» فقال أكثم: عسى ألا يضرني شبهه يا رسول الله، قال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البَحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي»^(٢). قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مَأَب من أرض البلقاء - وبها يومئذ العمالق وهم ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه الأصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه. فأعطوه صنماً يقال له هُبَل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه^(٣). وقال ابن إسحاق: واتخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامراً من جرهم هو إساف بن بغي ونائلة بنت ديك فوق إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين^(٤). قال وقال أبو طالب:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم بمفضى السيول من إساف ونائل

واتخذوا حول الكعبة نحو ثلاثمائة وستين صنماً. قال ابن إسحاق وكان لخولان صنم يقال له غم أنس بأرض خولان يقسمون له من أموالهم من أنعامهم وحرثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق غم أنس من حق الله

(١) ليس هذا اللفظ في الصحيحين ولا في أحدهما ومعناه عند أحمد في المسند (٣/٣٥٣) من رواية جابر رضي الله عنه. والرواية الآتية.

(٢) ابن هشام (١/٧٨) وسنده صحيح وابن إسحاق صرح بالتحديث ورواه أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه (٣/٣٥٣) و(٥/١٣٧).

(٣) سيرة ابن هشام (١/٧٩).

(٤) سيرة ابن هشام (١/٨٤).

تعالى الذي سموه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق غم أنس ردوه عليه. وهم بطن من خولان يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ (الأنعام/١٣٦) قال وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صنم يقال له سعد، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم، فلما رآته الإبل - وكانت مرعية لا تركب، وكان يهراق عليه الدماء - نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني فأخذ حجراً فرماه به وقال: لا بارك الله فيك، نفرت عليّ إبلي. ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعدٍ ليجمع شملنا فشتتنا سعدٌ فلا نحن من سعدٍ
وهل سعدٌ إلا صخرةً بتنوفة من الأرض لا تدعولغي ولا رشدٍ

وكان لدوس صنم لعمر بن حممة الدوسي. قال وكان لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيان من سليم حلفاء أبي طالب^(١). قلت فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدمها^(٢). قال وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف. قال وكان مائة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، وقال ابن هشام فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣). قال ابن إسحاق: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة فبعث إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه

(١) سيرة ابن هشام (٨٢/١ - ٨٥).

(٢) ذكرها ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢١٤/٢) من رواية أبي صالح عن ابن عباس وهو ضعيف يرسل.

(٣) ابن هشام (٨٨/١). والبداية والنهاية (١٩٢/٢).

فهدمها^(١). قال وكانت قلس لطيء ومن يليها بجبل طيء بين سلمى وأجأ، قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخذم فوهبهما له فهما سيفا علي رضي الله عنه^(٢). قال وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رثام^(٣). قال: وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب وفيها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة فتركها قفراً بقاعٍ أسحماً^(٤)

وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بني

قيس:

بين الخورتى والسدير وبارقٍ والبيتِ ذي الشرفاتِ من سنداد^(٥)

قال ابن إسحاق وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة فلما أسلم فتیان بني سلمة - معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وغيرهم - ممن أسلم وشهد العقبة وكانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذرات الناس منكساً على رأسه فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيت. فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك، فيغدو يلتمسه فيجد به مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويظهره ويطيبه، فيغدو عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك. فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك

(١) ابن هشام (٨٨/١ - ٨٩) والبدایة والنهاية (١٩٢/٢).

(٢) ابن هشام (٨٩/١).

(٣) ابن هشام (٨٩/١).

(٤) ابن هشام (٨٩/١ - ٩٠) والبدایة والنهاية (١٩٢/٢).

(٥) ابن هشام (٩١/١).

خير فامتنع فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر الناس ، وغدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت . فلما رآه أبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه ، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر الله إذا أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنت إلهاً لم تكن	أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لملقائك إلهاً مستدن	تهان أو تسئل عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن	الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن	أكون في ظلمة قبر مرتهن ^(١)

قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد رجل منهم سفرأً تمسح به فيكون آخر عهده وأول عهده ، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش : ﴿ أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهاً واحداً إِنَّ هذا شيءٌ عجاب ﴾ (ص/٥) وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدة وحجاب ويهدي لها كما يهدي الكعبة ويطاف بها كما يطاف بالكعبة وينحر عندها كما ينحر عند الكعبة^(٢) ، وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً وجعل الثلاثة أثافي لقدره ، فإذا ارتحل تركه ، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك^(٣) .

وقال أبو رجاء العطاردي لما بعث النبي ﷺ فسمعنا به سمعنا بمسيلة الكذاب فلحقنا بالنار ، قال وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا

(١) البداية والنهاية (٣/١٦٥ - ١٦٦) .

(٢) ابن هشام (١/٨٥) .

(٣) إغاثة اللهفان (٢/٢٢٠) .

بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به، قال وكنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه
فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه^(١).

وقال أبو عثمان النهدي: كنا في الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي
يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا رباً. قال فخرجنا على كل صعب
وذلول فبينما نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمناد ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو
شبهه، فإذا حجر فنحرقنا عليه الجزور^(٢).

وقال عمرو بن عبسة كنت ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم إله،
فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدرة ويجعل أحسنها إلهاً
يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره^(٣).

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلثمائة وستين صنماً فجعل
يطعن بنشبة قوسه في وجوهها وعيونها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل وهي
تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت^(٤).

[أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه الإغاثة:

فصل^(٥)

وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب
بكل قوم على قدر عقولهم: فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى

(١) ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان مسنداً من طريق حنبل وسنده صحيح (٢/٢٢٠). ورواه أبو نعيم
في الحلية (٢/٣٠٦) وفي سير أعلام النبلاء (٤/٢٥٤) (٢٥٥). وأبو رجاء تابعي أسلم في حياة
رسول الله ﷺ ولم يره.

(٢) رواه أبو بكر بن أبي شيبة وإسناده حسن. أنظر إغاثة اللهفان (٢/٢٢٠).

(٣) رواه ابن سعد في طبقاته (٤/٢١٧) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف ورواه الواقدي من طريقه
(سير أعلام النبلاء ٢/٤٦٠).

(٤) أنظر إغاثة اللهفان (٢/٢٢١).

(٥) إغاثة اللهفان من (٢/٢٢٢).

الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام، ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج، ونهى عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه سبحانه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً، وقال: «أشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١) وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل. قلت وسنذكر الأحاديث المسندة في ذلك قريباً إن شاء الله تعالى. قال فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله إما جهلاً وإما عناداً لأهل التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئاً، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسدنة وحجاباً وحجاً وقرباناً، ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً، فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار. ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخر به عثمان رضي الله عنه. ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخر به المعتصم، وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند. قال يحيى بن بشر: إن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهم ووضع لهم أصناماً وجعل أعظم بيوتها بيتاً بمدينة من مدائن السند وجعل فيه صنمهم الأعظم وزعم أنه بصورة الهولي الأكبر، وفتحت هذه المدينة في أيام الحجاج واسمها الملتان. إلى أن قال رحمه الله: وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حججهم بعلمه، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه. وهذا مذهب قديم في العالم وأهله طوائف شتى، فمنهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك يستحق التعظيم، والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على نوع النار، وله بيت خاص قد بنوه

(١) حديث وسيأتي.

باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوام وحجبة ياتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك. ولهذا يقارفها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً^(١)، وسدّاً لذريعة الشرك وعبادة الأصنام^(٢).

قلت: وقد ذكر الله عز وجل عبادة الشمس عن أهل سبأ من أرض اليمن في عهد بلقيس، كما حكى قول الهدهد حيث قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (النمل/٢٤) إلى آخر الآيات، وهداها الله تعالى إلى الإسلام على يد نبيه سليمان عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل/٤٤).

ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (فصل)^(٣) وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنماً وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي، ومن شريعة عباده أنهم اتخذوا لهم صنماً على شكل عجل ويجره أربعة، ويبد الصنم جوهره، ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه. ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صور الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» المنسوب لابن خطيب الري^(٤) تعرف

(١) أنظر تفصيل ذلك بما لا تجده في غيره في «إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفته أصحاب الجحيم». لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢) إغاثة اللهفان إلى (٢/٢٢٣).

(٣) إغاثة اللهفان من (٢/٢٢٤).

(٤) هو الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري وكتابه هذا مختلف في =

عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريق إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهياته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده.

ومن أسباب عبادتها أيضاً أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات عنهم وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشيطان، فجهلهم وسقطهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب^(١)، وعقلاؤهم يقولون إن تلك روحانيات الأصنام، وبعضهم يقول إنها الملائكة، وبعضهم يقول إنها هي العقول المجردة، وبعضهم يقول هي روحانيات الأجرام العلوية، وكثير منهم لا يسأل عما عهد بل إذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلهاً ولا يسأل عما وراء ذلك. وبالجمله فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وعبادتها في الأرض من قبل نوح عليه السلام كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبق الأرض. قال إمام الحنفاء: ﴿وَأَجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ (إبراهيم/ ٣٥- ٣٦) والأمم التي أهلكها الله تعالى بأنواع الهلاك كلهم يعبدون الأصنام كما قص الله عز وجل ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين. ويكفي في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي

= نسبتہ إليه فبعضهم نسبہ إلى علي بن أحمد الحرالي أنظر كشف الظنون (٩٨٩) وقد شط السبكي رحمه الله في الكلام عليه حين قال: «وبتقدير صحة نسبتہ إليه ليس بسحر فليتأملہ من يحسن السر». وقد جزم الملطي أنه له ورد عليه في كتاب سماه: «انقضاء البازي في انقضاء الرازي».

(١) أنظر تفصيل ذلك في «قاعدة جلية في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

﴿أَنْ يَبْعَثَ النَّارَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعُونَ﴾^(١)، وقد قال الله تعالى : ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا﴾ (الإسراء/ ٨٩) وقال تعالى : ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام/ ١١٦) وقال تعالى : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف/ ١٠٣) وقال تعالى : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ، وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف/ ١٠٢) ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حُبًّا لها وتعظيمًا ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها وتحمل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها وما حل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها، ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها، والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والجس والنكال والفقر، غير ما أعد الله له في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلا إقداماً وحرصاً على الوصول والظفر بحاجته، فهكذا الفتنة بعبادة الأصنام وأشد، فإن تأله القلوب لها أعظم من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير، والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وأنهم أعداء الله وأعداء رسله وأنهم أولياء الشيطان وعباده وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلات ونزلت بهم العقوبات وأن الله سبحانه بريء منهم هو وجميع رسله وملائكته وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عملاً، وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف، وقد أباح الله عز وجل لرسوله وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبنائهم، وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا، وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة. فهؤلاء في شق ورسل الله في شق^(٢). ثم قال رحمه الله تعالى :

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨/١١) في الرقاق، باب الحشر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) إلى (٢٢٦/٢) من إغاثة اللهفان.

فصل^(١)

ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعلوا فيه حظاً من الإلهية وشبهوه بالله تعالى ، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله ، فهو سبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيره مثلاً له ونداً وشبهاً له ، لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم أمة جعلته سبحانه مثلاً لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم ، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك غلواً في من يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية ، بل صرحوا أنه إله وأنكروا جعل الآلهة إلهاً واحداً وقالوا اصبروا على آلهتكم ، وصرحوا بأنه إله معبود يرجى ويخاف ويعظم ويسجد له ويحلف باسمه ويقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تبغي إلا الله تعالى . ثم ذكر رحمه الله تعالى في ذلك بحثاً نفسياً فأجاد وأفاد ، ثم ذكر باقي طوائف المشركين من عباد النار والماء والحيوانات والملائكة وغيرهم من الثنوية والدهرية والفلاسفة ، وذكر من أوضاع شرائعهم الباطلة وأصولها وكيفية عبادتهم لما ألوهه ونقض ذلك عليهم أتم نقض^(٢) ، تغمده الله برحمته .

[أكثر شرك الأمم في الإلهية ، لا بجحود الصانع]

والمقصود أن أكثر شرك الأمم التي بعث الله إليها رسله وأنزل كتبه غالبهم إنما أشرك في الإلهية ، ولم يذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية والثنوية ، وأما غيرهم ممن جحدوا عناداً كفرعون ونمرود وأضرابهم فهم مقرون بالربوبية باطناً كما قدمنا ، وقال الله عز وجل عنهم : ﴿ وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً ﴾ (النمل/١٤) وبقية المشركين يقرّون بالربوبية باطناً وظاهراً كما صرح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها ، مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من

(١) من (٢٢٦/٢) من إغاثة اللهفان .

(٢) أنظر إلى آخر كتابه إغاثة اللهفان رحمه الله تعالى .

جهة إشراكهم في الإلهية وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمن عباد القبور إذا قال أحدهم يا شيخ فلان - لذلك المقبور - أغثني أو افعل لي كذا ونحو ذلك يناديه من مسافة بعيدة وهو مع ذلك تحت التراب وقد صار تراباً. فدعاؤه إياه عبادة صرفها له من دون الله لأن الدعاء مخ العبادة، فهذا شرك في الإلهية. وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضرر أو رد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنه قادر على ذلك هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع الله تعالى في ملكوته. ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان ويصرحون بذلك، وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

[الشرك الأكبر]

والشرك نوعان فشرك أكبر به خلود النار إذ لا يَغْفَرُ
وهو اتخاذ العبد غير الله نداءً به مسوياً مضاهي

(والشرك) الذي هو ضد التوحيد (نوعان) أي ينقسم إلى نوعين:

(فشرك أكبر) ينافي التوحيد بالكلية ويخرج صاحبه من الإسلام (به خلود) فاعله في (النار) أبداً (إذ) تعليل لأبدية الخلود أي لكونه (لا يغفر) قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٤٨) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/١١٦) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

(المائدة/٧٢) وقال تعالى : ﴿فاجتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حنفاءَ لله غيرَ مشركينَ، ومن يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج/٣١) وقال لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم : ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ولو أشركوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام/٨٨) وقال لخاتمهم محمد ﷺ : ﴿ولقد أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننَّ من الخاسرين، بل الله فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر/٦٥) فالشرك أعظم ذنب عصى الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله، وأنه مخلد في النار أبداً لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام الله تعالى قيام السارية ليلاً ونهاراً ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ولو كان نبياً رسولاً، ولو كان محمداً ﷺ، وهذا من تقدير وقوع المحال وهو كثير في اللغة العربية، أي لو قدر وقوع ذلك من ملك أو رسول لكان كغيره من المشركين في جبوط عمله وحلول غضب الله عليه، وإلا فلم يرسل الله تعالى رسولاً إلا معصوماً من جميع المعاصي فضلاً عن الشرك ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ (الأنعام/١٢٤). والآيات في بيان عظم الشرك ووعيد فاعله أكثر من أن يحيط بها هذا المختصر، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسر فنقول وبالله التوفيق :

وفي الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» وقلت أنا : ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة^(١). وفيه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : أتى

(١) البخاري (١١٠/٣) في الجنائز في فاتحته، وفي تفسير سورة البقرة، باب : «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً». وفي الإيمان والنذور، باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلل فهو على نيته. ومسلم (٩٤/١ ح ٩٢) في الإيمان، باب من لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»^(١). وفيه عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار»^(٢). وفيه من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق»^(٣). وفيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن نجعل لله نداً وهو خلقك»^(٤) الحديث. وفيه عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور الحديث»^(٥). وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقال: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله تعالى يغفر ذلك ويتجاوز به إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضاً، القصاص لا محالة» تفرد به أحمد^(٦). وله عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت

(١) مسلم (٩٤/١ ح ٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٢) مسلم (٩٤/١ ح ٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٣) البخاري (١١٠/٣) في الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله. وفي التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة.

ومسلم (٩٤/١ ح ٩٤) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٤) تقدم ذكره.

(٥) البخاري (٢٦١/٥) في الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور.

ومسلم (٩١/١ ح ٨٧) في الإيمان، باب بيان الكبائر وكبائرها.

(٦) أحمد (٢٤٠/٦) والحاكم (٥٧٥/٤ - ٥٧٦) وقال حديث صحيح ولم يخبره ولم يوافقه الذهبي وقال صدقة ضعفوه وابن بابنوس فيه جهالة. ورواه الطبراني في الكبير (ح ٦١٣٣). والصغير =

رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» ورواه النسائي أيضاً^(١). ولأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني فأني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة»^(٢). وللترمذي وقال حسن صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك. يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٣). ولابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئاً إلا حَلَّتْ لها المغفرة، إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾»^(٤). ولأبي يعلى عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب». قيل يا نبي الله وما الحجاب؟ قال: «الإشراك بالله. قال: ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئاً إلا حلت لها المغفرة»

= (٤٠/١) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه وفيه يزيد بن سفيان بن عبد الله بن رواحة تكلم فيه ابن حبان وذكر حديثه (١٠٢/٣) وروي عن سلمان من طريق آخر عند الطبراني في الكبير (ح ٦١٣٧) والبخاري وفيه حميد بن الربيع وعلي بن عاصم وكلاهما ضعيف وقد وثقا والحديث حسن لشواهد له عدة.

(١) أحمد (٩٩/٤). والنسائي (٨١/٧) في تحزم الدم في فاتحته. والحاكم (٣٥١/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) أحمد (١٧٢/٥) والدارمي (٣٢٢/٢) وفيه شهر بن حوشب ضعيف من جهة حفظه والحديث حسن لشاهده الآتي في الحديث القادم وله شاهد عند الحاكم (٢٤١/٤) وأحمد (١٠٨/٥) بلفظ مقارب وفيه زيادة وإسناده حسن.

(٣) الترمذي (٥٤٨/٥ ح ٣٥٤٠) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفيه كثير من فائدة لم يوثقه غير ابن حبان قال عنه الحافظ: مقبول والحديث حسن لشاهده السابق.

(٤) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٥٢٢/١) وسنده ضعيف فيه موسى بن عبيدة الربذي (في الأصل الترمذي وهو خطأ) وهو ضعيف وهو صحيح لشواهد المتقدمة.

من الله تعالى، إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الْكُفْرَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾^(١). ولأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»^(٢) ولابن أبي حاتم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: «وما دينه» قال يصلي ويوحد الله قال: «استوهب منه دينه، فإن أبي فابتعه منه» فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه، قال فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾^(٣). وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً»^(٤) ولابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراف بالله» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٤٨) «وعقوق الوالدين» ثم قرأ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^(٥) (لقمان/١٤) وللإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام/٨٢) شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أيننا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعو ما قال العبد الصالح: ﴿يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ

(١) أبو يعلى (ابن كثير ٥٢٢/١) وسنده كالذي قبله.

(٢) مسند أحمد (٧٩/٣). وفيه عطية العوفي وهو ضعيف والحديث صحيح لشواهده الصحيحة المتقدمة قبل قليل.

(٣) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٥٢٢/١) والطبراني في الكبير (ح ٤٠٦٣) وسنده ضعيف فيه واصل بن السائب وهو ضعيف وأبو سورة كذلك.

(٤) الطبراني في الكبير (ح ١١٦١٥) وفيه إبراهيم بن الحكم بن إبان وهو ضعيف وتابعه حفص بن عمر العدني عند الحاكم (٢٦٢/٤) وهو واه. وحسنه العلامة الألباني.

(٥) ابن مردويه (ابن كثير ٥٢٣/١) وفيه سعيد بن بشير الأزدي وهو ضعيف وهو من رواية الحسن عن عمران ولم يسمع منه (المراسيل ص ٣٨ (ابن أبي حاتم)) والحديث صحيح له شواهد عدة.

إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿لَقَمَان/١٣﴾ الحديث في الصحيحين^(١). ولا بن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء رضي الله عنهما: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتهم»^(٢). ولا بن أبي حاتم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن حرقتهم وقطعتهم وصلبتهم»^(٣). وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله عز وجل؟» قلت الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»^(٤). وللبخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) البخاري (٨٧/١) في الإيمان، باب ظلم دون ظلم. وفي الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وغيرهما.

ومسلم (١١٤/١ - ١١٥/١ ح ١٢٤) في الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده.

وأحمد (ح ٣٥٨٩ و ٤٠٣١ و ٤٢٤٠) نسخة أحمد شاكر.

(٢) ابن مردويه (ابن كثير ١٩٥/٢) ولم يسق إسناده.

ورواه من حديث أبي الدرداء:

ابن ماجه (١٣٣٩/٢ ح ٤٠٣٤) في الفتن، باب الصبر على البلاء. والطبراني في الكبير

(المجمع ٢١٩/٤ - ٢٢٠) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف.

ورواه من حديث عبادة بن الصامت.

الطبراني (المجمع ٢١٩/٤) وفيه سلمة بن شريح قال الذهبي لا يعرف.

ورواه من حديث معاذ:

أحمد (٢٣٨/٥) والطبراني (المجمع ٢١٨/٤) وسند أحمد فيه انقطاع بين عبد الرحمن بن جبير

ومعاذ وإسناد الطبراني متصل وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو متروك.

والحديث حسن إن شاء الله تعالى.

(٣) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ١٩٥/٢) وفيه سلمة بن شريح وهو مجهول وقد تقدمت

شواهده.

(٤) تقدم ذكره.

أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قَرَبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ (التوبة/١١٣).

والأحاديث في عظم ذنب الشرك وشدة وعيده أكثر من أن تحصى ، وقد
قدمنا من أحاديث التوحيد جملة وافية عند الكلام على لا إله إلا الله وغير ذلك
والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه ، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به ،
ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عز وجل ونفي الشرك فلم يأمرُوا
بشيء قبل التوحيد ولم ينهوا عن شيء قبل انشرك كما قدمنا بسط ذلك . وما ذكر
الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جعله أولها ، ولا ذكر الشرك مع شيء
من النواهي إلا جعله أولها ، كما في آية النساء : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء/٣٦) وكما في آية الأنعام التي طلب النبي
ﷺ البيعة عليها وهي قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَىٰ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وبالوالدين إحساناً ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وِإْيَاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

(١) البخاري (١٩٣/٧) في مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ، وفي الجنائز ، باب إذا قال
المشرك لا إله إلا الله عند الموت ، وفي تفسير سورة براءة ، باب قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وغيره .

ومسلم (٥٤/١ ح ٢٤) في الإيمان ، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم
يشرع في النزاع .

يَكُم عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكَ بِمَنْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ (الأنعام / ١٥١-١٥٣) وكما في آيات الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا - إِلَىٰ قَوْلِهِ - ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ (الإسراء / ٢٣ - ٣٩) فابتدأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك. وكما في آيات الفرقان في الثناء على عبادة المؤمنين في اجتنابهم الفواحش: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ (الفرقان / ٦٨) الآيات وغير ذلك من الآيات. وكذلك في أحاديث النبي ﷺ الجامعة للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكبائر المتقدم، وكما في حديث من سأل النبي ﷺ فقال: دلني على عمر يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً»^(١) وذكر الحديث. وكذا في أحاديث أركان الإسلام، كحديث جبريل المشهور^(٢)، وحديث ابن عمر^(٣)، وحديث وفد عبد القيس^(٤) وغيرها يبدأ فيها بالشهادتين. ومن تتبع القرآن والسنة وتدبر نصوصهما تبين له أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك، ولم يخلق الله الخلق إلا لذلك.

- (١) البخاري (٢٦١/٣) في الزكاة، باب وجوب الزكاة، ومسلم (٤٤/١) ح ١٤ في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.
- (٢) رواه البخاري (١١٤/١) في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ.
- ومسلم في الإيمان، باب الإسلام والإيمان والإحسان (٣٩/١) ح ٩ و ١٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٣) حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قال ﷺ: بني الإسلام على خمس:
- أخرجه: البخاري (٤٩/١) في الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم. ومسلم (٤٥/١) ح ١٦ في الإيمان، باب أركان الإسلام.
- (٤) حديثهم رواه البخاري (١٢٩/١) في الإيمان، باب أداء الخمس، وفي العلم، باب تحريض النبي ﷺ وقد عبد القيس أن يحفظوا الإيمان، وفي مواقيت الصلاة، باب قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ وغيرها كثيراً.
- ومسلم: (٤٦/١) ح ١٧ في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

[التعريف بالشرك]

(وهو) أي الشرك الذي تقدم ذكره في المتن وذكر النصوص فيه في الشرح (اتخاذ العبد غير الله) من نبي أو ولي أو ملك أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك . (نداءً) من دون الله (مسيوياً به) الله يحبه كحب الله ويخافه ويخشاه كخشية الله ويتبعه على غير مرضاة الله ويطيعه في معصية الله ويشركه في عبادة الله (مضاهي) به الله قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة/١٦٥) وحكى عنهم في اختصاصهم في النار : ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نَسَوْنَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء/٩٦-٩٨) وقد أخبرنا الله عز وجل أنهم لم يسووههم به في خلق ولا رزق ولا إحياء ولا إماتة ولا في شيء من تدبير الملكوت بل أخبرنا أنهم مقرون لله تعالى بالربوبية : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف/٩) وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تقدمت ، ولكنهم سووههم بالله تعالى في حبهم إياهم كحب الله ولم يجعلوا المحبة لله وحده في خوفهم منهم وخشيتهم كخشية الله ، ولم يجعلوا الخشية لله والخوف من الله وحده ، وأشركوهم في عبادة الله ولم يفردوا الله بالعبادة دون من سواه ، مع أنهم لم يعبدوهم استقلالاً بل زعموهم شفعاء لهم عند الله ليقربوهم إلى الله زلفى ، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة والتقريب ملكاً للمخلوق ويطلبونه منه وأن له أن يشفع بدون إذن الله والله تعالى يقول : ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ﴾ (يونس/٣) ولهذا سمي الله تعالى استشفاعهم ذلك شركاً كما قال تعالى : : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس/١٨) فجمعوا في ذلك بين شركين : الأول عبادتهم إياهم من دون الله عز وجل ، والثاني جعلهم شفعاء بدون إذن الله عز وجل . وقال تعالى : ﴿أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

(الزمر/٣) وقال تعالى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ (الأنعام/٩٤). وأيضاً فقد أخبرنا الله تعالى أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيره في الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون العبادة لله، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت/٦٥) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (يونس/٢٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/٦٣) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانُ ضُرًّا دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الزمر/٨) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرًّا دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/٣٣) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء/٦٧) والآيات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/٤٠ - ٤١) وغير ذلك من الآيات. وفي حديث حصين المتقدم لما قال له النبي ﷺ: «كم تعبد اليوم من إليه» قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فمن تعبد لرغبتك ورهبتك» قال: الذي في السماء^(١). ولما ركب بعض مشركي قريش فاراً من النبي ﷺ

(١) تقدم ذكره.

حين فتح مكة فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر الله ما شاهدوا فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله فإنه لا ينجيكم من هذا إلا هو، فقال: والله إن كان لا ينفع في البحر إلا هو فإنه لا ينفع في البر إلا هو، لئن أخرجني الله من هذه لأذهبن إلى رسول الله ﷺ فلأضعن يدي في يده^(١). وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عباد القبور وغيرها فإنهم يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء، حتى إن كانوا يندرون لهذا الولي في الرخاء ببيع أو تباع أو شاة أو دينار أو درهم أو نحو ذلك فأصابتهم الشدة زادوا ضعف ذلك فجعلوا له بغيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمن أو غير ذلك. وأيضاً فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا الله. وغلا بعضهم حتى جعل منهم المتصرف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذن فلان، تعالى الله وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيره أو يكون له شريك في الملك أو ولي من الدل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا - مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ - قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَهُةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وغير ذلك من الآيات.

يقصده عند نزول الضر	لجلب خير أو لدفع الشر
أو عند أي غرض لا يقدر	عليه إلا المالك المقتدر
مع جعله لذلك المدعو	أو المعظم أو المرجو
في الغيب سلطاناً به يطلع	على ضمير من إليه يفزع

(١) الصحابي هو عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه وحديثه رواه النسائي (١٠٥/٧) (١٠٦) في حرم الدم، باب الحكم في المرتد. من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وسنده حسن.

(يقصده) أي المتخذ ذلك الند من دون الله يقصد نده (عند نزول الضر) به من خير فاته أو شر دهمه (لجلب خير) له (أو لدفع الشر) عنه (أو عند) احتياج (أي غرض) من الأغراض، والحال أنه (لا يقدر عليه) أي على ذلك الغرض (إلا المالك المقتدر) وهو الله سبحانه وتعالى (مع جعله) أي العبد (لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو) من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر أو حجر أو كوكب أو جني (في الغيب سلطاناً) أي يعتقد أن له سلطاناً غيبياً فوق طوق البشر (به يطلع) أي بذلك السلطان الذي اعتقده فيه (على ضمير من إليه) إلى ذلك الند (يفزع) في قضاء أي حاجة من شفاء مريض أو رد غائب أو غير ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه ويرى مكانه ويعلم حاجته ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه مع الله، والمقصود أنه يثبت له من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة العبودية، ويجعله مستحقاً للعبادة مع الله. ومن هنا يتبين لك ما قدمنا من أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولا بد، ويتبين لك عظم ذنب الشرك وأنه أقبح الذنوب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر، وأن الله تعالى لا يغفره ولا يقبل لأحد معه عملاً وأنه لا أشد هلكة منه، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، وما هلك الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك والاباء عن التوحيد، ولا نجا الرسل وأتباعهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بالتزام التوحيد والبراءة من الشرك، فما هلك قوم نوح بالطوفان، ولا عاد بالريح العظيم ولا ثمود بالصيحة ولا أهل مدين بعذاب يوم الظلة إلا بالشرك وعبادة الأصنام، وهكذا الأمم من بعدهم بأنواع العذاب، ولم يخرج عصاة الموحدين من النار في الآخرة إلا بالتوحيد، ولم يخلد غيرهم فيها أبداً مؤبداً إلا بالشرك.

ثم اعلم أن ما عبد من دون الله إما عاقل أو غير عاقل، فالعاقل كالآدمي والملائكة والجن. وينقسمون إلى قسمين: راض بالعبادة، له، وغير راض بها. فالأول كفرعون وإبليس وغيرهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم كما قال الله عز وجل: ﴿إذ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ وقال الذي اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تَبَرَّأُوا

مِنَّا، كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿البقرة/١٦٦﴾ وقال تعالى في شأن إبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص/٨٥)، وقال في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود/٩٨) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت/٢٩) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ، وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا. قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأنعام/١٢٨) وغير ذلك من الآيات.

والقسم الثاني وهو من كان مطيعاً لله وغير راضٍ بالعبادة له من دون الله كعيسى ومريم وعزيز والملائكة وغيرهم فهم برآء ممن عبدتهم في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة/١١٦) إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (سبا/٤٠)، وقال تعالى في شأن كل من عبد من دون الله تعالى من الملائكة وعيسى وأمه وعزيز وغيرهم من أولياء الله مطلقاً إلى يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا. فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ (الفرقان/١٧-١٩) الآية وغيرها من

الآيات . وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل فيشملها قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء/ ٩٨ - ٩٩) ولكن الأحجار لا أرواح فيها وإنما يعذب بها من عبدها من دون الله كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحریم/ ٦) الآية ، وكما يعذب عبد الدينار والدرهم بهما كما قال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة/ ٣٤ - ٣٥) .

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في الشفاعة بطوله وفيه : «ينادي مناد : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم»^(١) وفيه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت»^(٢) الحديث . وفي حديث الصور الطويل : ألا ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون من دون الله ، فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزيز ، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم ، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى . ثم قادتهم آلهتهم إلى النار ، وهو الذي يقول تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٣) ، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الدارقطني والطبراني وعبدالله بن أحمد وغيرهم من المصنفين

(١) تقدم ذكره .

(٢) تقدم ذكره .

(٣) سيأتي بطوله وكلام الأئمة عليه .

في السنة عن رسول الله ﷺ الحديث بطوله . وفيه : « ثم ينادي أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى ، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا . قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون ، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون ، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ، ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز ، ويبقى محمد ﷺ وأمته^(١) الحديث . قلت وقوله : « يمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون » ألخ هذا في مثل عيسى وعزيز . وأما عبدة الطاغوت فتقودهم طواغيتهم حقيقة لا أشباهها كما صرح به الكتاب والسنة . والله أعلم .

[الشرك الأصغر]

والثان شرك أصغر وهو الريا فسر به ختام الأنبيا

(و) النوع (الثان) من نوعي الشرك (شرك أصغر) لا يخرج من الملة ولكنه ينقص ثواب العمل ، وقد يحبطه إذا زاد وغلب (وهو الريا) اليسير في تحسين العمل (فسره به) أي فسر الشرك الأصغر بالرياء (ختام الأنبيا) محمد ﷺ في قوله : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال : الرياء^(٢) » وبذلك فسر قول الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف/ ١١٠) وعن شهر بن حوشب قال جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال : أنبئني عما أسألك عنه ، أرأيت رجلاً يصلي يتبغي وجه الله ويحب أن يحمد ، ويصوم يتبغي وجه الله ويحب أن يحمد ، ويتصدق يتبغي وجه الله ويحب أن يحمد ، ويحج يتبغي

(١) سيأتي بطوله .

(٢) رواه أحمد (٤٢٨/٥ و ٤٢٩) وابن حبان (٢٤٩٩) والبغوي في شرح السنة (ح ٤١٣٥) وإسناده تلي شرط مسلم . من حديث محمود بن لبيد .

وجه الله ويحب أن يحمد؟ فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شرك فهو له كله لا حاجة لي فيه^(١). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟ قال قلنا بلى. قال الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي لمقام الرجل» رواه أحمد^(٢). وفيه رواية: «يتوم الرجل فيصلّي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»^(٣). وله عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من الشهوة الخفية والشرك» فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللهم غفرًا، ألم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قد يشن أن يعبد في جزيرة العرب. أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟ فقال شداد: رأيتم لو رأيتم رجلاً يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق، أترون أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم والله، إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق له لقد أشرك. فقال شداد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى يرأى فقد أشرك، ومن صام يرأى فقد أشرك، ومن تصدق يرأى فقد أشرك». قال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص منه، ويدع ما أشرك به؟ فقال شداد عند ذلك: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئاً فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني»^(٤). وله عنه رضي الله عنه أنه بكى فقليل: ما يبكيك؟ قال: شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية» قلت: يا رسول الله أشرك

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ١١٤/٣) وشهر بن حوشب. صاحب أوهام ويرسل.

ورواه الطبري في تفسيره (٤٠/١٦).

(٢، ٣) أحمد (٣٠/٣) وابن ماجه (١٤٠٦/٢) ح ٤٢٠٤ في الزهد، باب الرياء والسمعة. وسنده حسن.

(٤) أحمد (١٢٥/٤ - ١٢٦) وفيه شهر بن حوشب وللحديث شواهد عدة صحيحة.

أمتك من بعدك؟ قال: «نعم، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراءون بأعمالهم. والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه» ورواه ابن ماجه^(١). وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: أنا خير شريك من أشرك بي أحداً فهو له كله»^(٢) ولأحمد عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك»^(٣). وله عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء. يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»^(٤). وله عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري - وكان من الصحابة - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٥). ولأحمد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن رأى

-
- (١) أحمد (١٢٤/٤) وابن ماجه قريباً منه (١٤٠٦/٢ ح ٤٢٠٥) في الزهد، باب الرياء والسمعة. وسند أحمد فيه عبد الواحد بن زياد وهو ضعيف فيه مقال شديد (تعجيل المنفعة ت ٦٧٤). وتابعه عند ابن ماجه الحسن بن ذكوان وسنده فيه عامر بن عبدالله وهولين الحديث.
- (٢) البخاري (ابن كثير ٣/١١٥) ومسلم (٢٢٨٩/٤ ح ٢٩٨٥) في الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله. وابن ماجه (١٤٠٥/٢ ح ٤٢٠٢) في الزهد، باب الرياء والسمعة.
- (٣) أحمد (٣٠١/٢) وسنده حسن.
- (٤) تقدم وأن إسناده على شرط مسلم.
- (٥) أحمد (٢١٥/٤) والترمذي (٣١٤/٥ ح ٣١٥٤) في التفسير تفسير سورة الكهف وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر.
- وابن ماجه (١٤٠٦/٢ ح ٤٢٠٣) في الزهد، باب الرياء والسمعة.
- وابن حبان (الإحسان ٩/٢١٩ ح ٧٣٠١).
- وفي سنده زياد بن مينا. قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليّن). قال ابن المديني: إسناده صالح يقبله القلب.

راءى الله به»^(١). وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من يرأى يرأى الله به، ومن يسمع يسمع الله به»^(٢). وله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من سمع الناس بعلمه سمع الله به مسامع خلقه وصغره وحقره» فذرفت عينا عبد الله^(٣). وللبزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة، فيقول الله: ألقوا هذا، وأقبلوا هذا. فتقول الملائكة: يا رب، والله ما رأينا منه إلا خيراً. فيقول: إن عمله كان غير وجهي، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي»^(٤) ولوهب عن عبد الله بن قيس الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس»^(٥). ولأبي يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل»^(٦).

[الرياء والنفاق]

ثم اعلم أن الرياء قد أطلق في كتاب الله كثيراً ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ

- (١) أحمد (٤٥/٥) وسنده صحيح.
- (٢) أحمد (٤٠/٣) وابن ماجه (١٤٠٧/٢ ح ٤٢٠٦) في الزهد، باب الرياء والسمعة.
- وفيه عطية العوفي وهو ضعيف وله شواهد صحيحة كالذي قبله. وهو عند البخاري ومسلم من حديث جندب رضي الله عنه.
- (٣) أحمد (١٦٢/٢) (١٩٥/٢) وفي سنده رجل مبهم ورواه الطبراني في الكبير وسَمَى الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمن فإسناده صحيح.
- (٤) البزار (ابن كثير في تفسيره ١١٦/٣) وفيه الحارث بن غسان قال عنه الذهبي مجهول (الميزان ٤٤١/١) وقال ابن حجر: وحديثه في الرياء لا يتابع عليه (اللسان ١٥٦/٢) ورواه العجلي في الضعفاء الكبير (٢١٨/١). وقال: حَدَّثَ بِمَنَاقِيرَ.
- (٥) رواه الطبراني في الكبير (المجمع ٢٢٦/١٠) من رواية يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعرج عنه به مرفوعاً وي زيد بن عياض متروك والحديث له شواهد حسنة. وانظر ابن كثير (١١٦/٣).
- (٦) أبو يعلى (٥٤/٩) وسنده ضعيف فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف ورواه البيهقي في الصلاة (٢٩٠/٢) من طريقه.

ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين ﴿ (البقرة/ ٢٦٤) وقال تعالى: ﴿والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ (النساء/ ٣٨) وقال تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ (النساء/ ١٤٢) وغير ذلك من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء، ومنها ما يصرح بمعناه دون لفظه كقوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (البقرة/ ١٤) والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها. والفرق بين هذا الرياء الذي هو النفاق الأكبر وبين الرياء الذي سماه النبي ﷺ شركاً أصغر خفياً هو حديث: «الأعمال بالنيات» وهو ما رواه الشيخان عن عمر رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١)، فالنية هي الفرق في العمل في تعيينه وفيما يراد به، وقد أطلقت النية في القرآن بلفظ الابتغاء ولفظ الإرادة، فإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله والدار الآخرة وسلم من الرياء في فعله وكان موافقاً للشرع فذلك العمل الصالح المقبول، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل فذلك النفاق الأكبر، سواء في ذلك من يريد به جاهاً ورئاسة وطلب دنيا، ومن يريد حقن دمه وعصمة ماله وغير ذلك، فهذان ضدان ينافي أحدهما الآخر لا محالة. قال الله عز وجل: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نُؤْتِه منها، ومن يرد ثواب الآخرة نُؤْتِه منها﴾ (آل عمران/ ١٤٥) وقال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن

(١) البخاري (٩/١) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.
ومسلم (٣/١٥١٥/ح ١٩٠٧) في الإمامة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وجماعة عدّة من الأئمة في مصنفاتهم.

نريدُ ثمَّ جعلنا لَهُ جَهَنَّمَ يصلّاها مذموماً مدحوراً. ومن أرادَ الآخِرَةَ وسعى لها سَعِيها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴿الإسراء/ ١٨ - ١٩﴾ وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَريدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود/ ١٥ - ١٦) وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَريدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يَريدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى/ ٢٠) وقال تعالى يثني على عباده المخلصين: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسيراً، إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَريدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ (الإنسان/ ٨ - ٩) وقال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل/ ٢٠) وغير ذلك من الآيات. وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه فذلك هو الذي سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وفسره بالرياء العملي، وزاده إيضاحاً بقوله: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»^(١)، وهذا لا يخرج من الملة، ولكنه ينقص من العمل بقدره، وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله. اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئاً. وأمّا حديث أبي موسى رضي الله عنه في الصحيح قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجلُ يقاتل للمغنم، والرجلُ يقاتل للذكر، والرجلُ يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٢) فهذا الحديث يحتمل المعنيين، وتعينه لأحدهما النية، فإن كان أصل العمل لغير الله فهو النفاق، وإن كان أصله لله وأحب مع

(١) تقدم قبل قليل وأن سنده حسن.

(٢) البخاري (٢٧/٦) في الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. وباب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره شيء. وفي العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً. وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾.

ومسلم (٣/١٥١٢ ح ١٩٠٤) في الامارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ذلك أن يذكر ويشئ عليه به فهو المعنى الذي سبق في حديث عبادة رضي الله عنه في الرجل: «يصلي يتغي وجه الله ويحب أن يحمده» الحديث وفي آخره قال: «ليس له شيء»^(١). والله تعالى أعلم.

[الحلف بغير الله]

ومنه أقسام بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار

أي ومن الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة (أقسام) مصدر أقسم أي الحلف (بغير الباري) كالحلف بالأباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلك، كما في الصحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(٢) وفي رواية قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكراً ولا أثراً^(٣). متفق عليه. ولأبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»^(٤). ولأحمد ومسلم والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله»^(٥). وللنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»^(٦). وسمع ابن عمر رضي الله

(١) تقدم وأن فيه شهر بن حوشب وأنه من روايته عن عبادة.

(٢) البخاري (٥٣٠/١١) في الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم وفي الشهادات، باب كيف يستحلف، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب أيام الجاهلية وفي الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متولاً أو جاهلاً وغيرها.

ومسلم (١٢٦٦/٣) ح (١٦٤٦) في الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

(٤) أبو داود (٢٢٢/٣) ح (٣٢٤٨) في الإيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء، والنسائي (٥/٧) في الإيمان، باب الحلف بالأمهات. وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي (٥/٧) في الإيمان والنذور، باب الحلف بالآباء. وهو الحديث الذي تقدم قبل قليل عن ابن عمر رضي الله عنهما عند سماع النبي ﷺ عمر رضي الله عنه يحلف بأبيه.

(٦) أخرجه أبو داود والنسائي وهو الحديث الذي تقدم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عنهما رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر» أو «أشرك»، أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه^(١). وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من حلف بالأمانة رواه أبو داود^(٢). وفي الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلاً يحلف بالأمانة فقال: «ألسنت الذي يحلف بالأمانة»^(٣). وعن قتيلة بنت صفى أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، ويقول أحدهم: «ما شاء الله ثم شئت» رواه أحمد والنسائي وصححه وابن ماجه^(٤). وقد ثبت في كفارة الحلف بغير الله حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله»^(٥). ومن الشرك الأصغر قول ما شاء الله وشئت، كما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندأ؟ ما شاء الله وحده»^(٦). ولأبي داود بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان،

-
- (١) أبو داود (٢٢٣/٣ ح ٣٢٥١) في الإيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء.
والترمذي (١١٠/٤ ح ١٥٣٥) في الإيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله.
وأحمد (ح ٤٩٠٤ و ٥٢٢٢ و ٥٢٥٦ و ٥٣٤٦ و ٥٣٧٥). والحاكم (٢٩٧/٤) والحديث صحيح.
- (٢) أبو داود (٢٢٣/٣ ح ٣٢٥٣) في الإيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة وأحمد (٣٢٥/٥) وإسناده صحيح.
- (٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (المجمع ١٨١/٤).
- (٤) أحمد (٣٧١/٦ - ٣٧٢).
- (٥) والنسائي (٦/٧) في الإيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة.
- وابن ماجه (٦٨٥/١ ح ٢١١٨) في الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت وإسناده صحيح.
- (٥) البخاري (٥٣٦/١١) في الإيمان، باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت وغيره.
- ومسلم (١٢٦٧/٣ ح ١٦٤٧) في الإيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله.
- (٦) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٩٨٨) وإسناده صحيح.
- وأخرجه ابن ماجه (ح ٢٢١٧) وأحمد (ح ١٨٣٩) نسخة أحمد شاكر.

ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»^(١) وتقدم في ذلك حديث قتيبة، والفرق بين الواو وثم أنه إذا عطف بالواو كان مضاهياً مشيئة الله بمشيئة العبد إذ قرن بينهما، وإذا عطف بثم فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان/ ٣٠) ومثله قول: لولا الله وفلان هذا من الشرك الأصغر، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان، ذكره إبراهيم النخعي. ولا بن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٢) قال: الأنداد هو الشرك أخفى من ديبب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك^(٢).

فصل

في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك،
ومنها ما هو قريب منه

وبيان المشروع من الرقى والممنوع منها، وهل تجوز التمايم

هذه الأمور المذكورة التي يتعلق بها العامة غالبها من الشرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبد عليها بحيث يثق بها ويضيف النفع والضرر إليها كان ذلك شركاً أكبر والعياد بالله، لأنه حينئذ صار متوكلاً على سوى الله ملتجئاً إلى غيره.

ومن يثق بـودعةٍ أو نابٍ	أو حلقةٍ أو أعين الذئب
أو خيطٍ أو عضوٍ من النسور	أو وترٍ أو تربة القبور
لأي أمرٍ كائن تعلقه	وكله الله إلى ما علقه

(١) (٤ / ٢٩٥ ح ٤٩٨٠) في الأدب، باب لا يقال خبث نفسي وإسناده صحيح.

(٢) ابن أبي حاتم (ابن كثير ١/ ٦١) وإسناده حسن.

(ومن يثق) هذا الشرط جوابه (وكله) الآتي :

(بودة) قال في النهاية هو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم . وإنما نهى عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين^(١).

(أو ناب) كما يفعله كثير من العامة يأخذون ناب الضبع ويعلقونه من العين .

(أو حلقة) وكثيراً ما يعلقونها من العين وسيأتي في الحديث أنهم يعلقونها من الواهنة وهو مرض العضد .

(أو أعين الذئب) وكثيراً ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفرّ منها، ومنهم من يقول إنه إذا وقع بصر الذئب على جني لا يستطيع أن يفر منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم .

(أو خيط) وكثيراً ما يعلقونه على المحموم ويعقدونه فيه عقداً بحسب اصطلاحاتهم، وأكثرهم يقرأ عليه سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الإنشراح/١) إلى آخرها، ويعقد عند كل كاف منها عقدة، فيجتمع في الخيط تسع عقد بعدد الكافات، ثم يربطونه بيد المحموم أو عنقه .

(أو عضو من النسور) كالعظم ونحوه يجعلونها خرزاً ويعلقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين .

(أو وتر) وكانوا في الجاهلية إذا عتق وتر القوس أخذوه وعلقوه يزعمون عن العين على الصبيان والدواب .

(أو تربة القبور) وما أكثر من يستشفى بها لا شفاهم الله، واستعمالهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك . وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته فرعموا أنها فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن فيها ذلك الولي بزعمه بل قيل له إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان . وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٨/٥) .

العصور زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم . نسأل الله العافية .

(لأي أمر كائن تعلقه) الضمير عائد إلى ما تقدم وغيره (وكله الله) أي تركه (إلى ما علقه) دعاء عليه أي لا حفظه الله ولا كلاًه بل تركه إلى ما وثق به واعتمد عليه دون الله عز وجل . قال الله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف/ ١٠٦) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من تعلق تميمه فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» رواه أحمد^(١) . وله عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال : «ما هذا؟» قال : من الواهنة ، فقال : «أنزعها ، فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»^(٢) ولا بن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف/ ١٠٦)^(٣) وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن «لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»^(٤) . وعن روفيع رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا روفيع ، لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترأ أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً برىء منه» رواه أحمد^(٥) . وله عن عبدالله بن

(١) أحمد (١٥٤/٤) وأبو يعلى والطبراني في الكبير (٢٩٧/١٧ ح ٨٢٠) والحاكم (٢١٦/٤) وصححه ووافقه الذهبي قال المنذري : إسناده جيد . قلت فيه خالد بن عبيد المعافرين : لم يوثقه إلا ابن حبان . ولكن صح من حديثه بلفظ : من تعلق تميمه فقد أشرك رواه أحمد (١٥٦/٤) والحاكم (٢١٩/٤)

(٢) أحمد (٤٤٥/٤) وابن ماجه (١١٦٧/٢ ح ٣٥٣١) في الطب باب في تعليق التمام والطبراني في الكبير (١٧٢/١٨ ح ٣٩٢) وابن حبان (الإحسان ٦٢٨/٧) وإسناده فيه المبارك بن فضالة وهو لين الحديث من رواية الحسن عن عمران ولم يسمع منه . وله شواهد عدة .

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تيسر العزيز الحميد (ص ١٦٠) من حديث عروة بن الزبير عن حذيفة ولا يعرف له سماع منه .

(٤) البخاري (١٤١/٦) في الجهاد ، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل .

ومسلم (١٦٧٢/٣ ح ٢١١٥) في اللباس ، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير .

(٥) أحمد (١٠٨/٤ ، ١٠٩) وأبو داود (١/٩ - ١٠/١ ح ٣٦) والنسائي (١٣٥/٨) في الزينة ، باب =

عكيم مرفوعاً «من علق شيئاً وكل إليه» ورواه الترمذي^(١). وعن زينب امرأة
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبدالله إذا جاء من حاجة فأنتهى إلى
الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات
يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير. قالت:
فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطاً. فقال: ما هذا الخيط؟ قالت
قلت: خيط رقي لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبدالله لأغنياء عن
الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقي والتماائم والتولة شرك» قالت
قلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي
يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت. فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده،
فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «أذهب
الناس ربَّ الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر
سقماً» رواه أحمد^(٢)، وروى جملة الدلالة منه على الباب أبو داود^(٣)، أعني
الجملة المرفوعة إلى النبي ﷺ. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
تعالى في كتاب التوحيد: الرقي هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما
خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحممة، والتماائم شيء
يلقونه على الأولاد عن العين، والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحب المرأة
إلى زوجها والرجل إلى امرأته ا. هـ. (٤). وقوله في الرقي: وخص منها الدليل ما
خلا عن الشرك الخ يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

= عقد اللحية. وإحدى أسانيد أحمد فيه ابن لهيعة. وسنده عندهما صحيح.

(١) أحمد (٣١٠/٤) والترمذي (٤٠٣/٤ ح ٢٠٧٣) في الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق.
وعبدالله بن عكيم أدرك النبي ﷺ ولم يره (التهذيب ٢٨٣/٥) وقال الترمذي: وحديث عبدالله بن
عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.
(ومحمد سيء الحفظ جداً).

وقال: وفي الباب عن عقبة بن عامر.

قلت: قد تقدم فالحديث صحيح لشواهده.

(٢) أحمد (٣٨١/١) ورواه أبو داود (٣٨٨٢ ح ٩/٤). في الطب، باب في تعليق التماائم.
وإسناده حسن.

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ١٣٣).

[الكلام على الرقى]

ثم الرقى من حمةٍ أو عينٍ فإن تكن من خالص السحرة
فذاك من هدى النبي وشرعته وذاك لا اختلاف في سنتيه

(ثم الرقى) إذا فعلت (من حمة) وهي تطلق على لدغ ذوات السموم كالحية والعقرب وغيرها (أو عين) وهي من الإنس كالنفس من الجن وهي حق ولها تأثير، لكن لا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل، وقال الله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ (القلم/٥١) الآية فسرره بأصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما^(١). وفي تحقيقها أحاديث: ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «العين حق. ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين. وإذا استغسلتم فاغسلوا»^(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن العين حق» أخرجاه^(٣)، ولأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق»^(٤). ولأحمد عنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»^(٥). وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصدق الطيرة الفأل، والعين حق»^(٦). وله هو والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أسماء رضي الله عنها

(١) الطبري (٢٩/٢٩) وابن كثير (٤/٤٣٦).

(٢) مسلم (٤/١٧١٩ ح ٢١٨٨) في السلام، باب الطب والمرض والرقى.

(٣) البخاري (١٠/٢٠٣) في الطب، باب العين حق، وفي اللباس، باب الواشمة.

ومسلم (٤/١٧١٩ ح ٢١٨٧) في السلام، باب الطب والمرض والرقى.

(٤) أحمد (٢/٤٨٧) وابن ماجه (٢/١١٥٩ ح ٣٥٠٧) في الطب، باب العين.

وفي سنده مضارب بن حزن قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليكن). قلت: قد توبع مع توثيق ابن حبان والعجلي وقد روى عنه جماعة فحديثه حسن إن شاء الله تعالى. والحديث له شواهد وقد تقدم منها.

(٥) أحمد (٢/٢٣٩) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٥/١١٠).

قلت: نعم ولكنه مقطوع فهو من رواية مكحول عن أبي هريرة ولم يلقه. والشرط الأول صحيح لشواهده.

(٦) أحمد (٢/٢٨٩ - ٤٨٧) والسند الأول من رواية محمد بن قيس المدني قاص عمر بن عبدالعزيز =

قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقى لهم؟ قال: «نعم، فلو كان يسبق القدر لسبقته العين»^(١) ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا هام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»^(٢). وله عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الحرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة - أخو بني عدي بن كعب - وهو يغتسل فقال: ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأ. فليط سهل، فأتى رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه ولا يفيق؟ قال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة. فدعا رسول الله ﷺ عامراً، فتغيظ عليه وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت» ثم قال له: «اغتسل له» فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس^(٣). وله عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل، قال فانطلقا يلتمسان الخمر، قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في

= عن أبي هريرة وهو مرسل والثاني قد تقدم وأنه حسن والحديث له شواهد عدة صحيحة وقد تقدم بعضها.

(١) أحمد (٤٣٨/٦) والترمذي (تحفة الأحوذى: ٢١٩/٦ - ٢٢٠/٢ ح ٢١٣٦ - ٢١٣٧). في الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، وابن ماجه (١١٦٠/٢ ح ٣٥١٠) في الطب، باب من استرقى من العين. والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ح ١٥٧٥٨). والحديث حسن فيه عبيد بن رفاعه روى عنه عدة وثقه ابن حبان والعجلي.

(٢) أحمد (٧٠/٥) وفيه حية بن حابس التميمي قال عنه الحافظ مقبول (إذا توبع وإلا فليتن) وسنده فيه اضطراب أنظر الإصابة (٢٧٢/١) في ترجمة حابس بن ربيعة والصحيح في الحديث أنه عن حابس لا عن أبي هريرة وقد رواه أحمد (٧٠/٥) وأبو داود (ح ٢٠٦٢) وغيرهم. والحديث له شواهد عدة.

(٣) أحمد (٤٨٦/٣ - ٤٨٧) وسنده صحيح ورواه مالك في الموطأ (٢٢٨/٢) وابن ماجه (٣٥٠٩) وعبد الرزاق (١٩٧٦٦) والطبراني (ح ٥٥٧٥ وغيره).

الماء فرقة فأتيته فناديته ثلاثاً فلم يجبني ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأنني أنظر إلى بياض ساقيه ، قال فضرب صدره بيده ثم قال : «اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها» قال فقام ، فقال رسول الله ﷺ : «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه ، فليبرك ، فإن العين حق»^(١) . وله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد ، والعين حق»^(٢) وغير ذلك من الأحاديث المصرحة بأن العين حق ، وسنذكر بعضها أيضاً في شرعية الرقي منها وغيرها .

ولنرجع إلى المقصود من شرح المتن : (فإن تكن) أي الرقي (من خالص الوحيين) الكتاب والسنة ، وإضافة خالص إلى الوحيين من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والمعنى من الوحي الخالص بأن لا يدخل فيه غيره من شعوذة المشعبدين ، ولا يكون بغير اللغة العربية ، بل يتلو الآيات على وجهها والأحاديث كما رويت وعلى ما تلقيت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز ، (فذلك) أي الرقي من الكتاب والسنة هو (من هدي النبي) ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان ، (و) من (شرعته) التي جاء بها مؤدياً عن الله عز وجل . (وذاك) معطوف على ذاك الأول ، والمشار إليه بهما واحد ولكن الخبر في الثاني غير الخبر في الأول فيكون من عطف الجملة على الجملة ، والخبر (لا اختلاف في سنتيه) بين أهل العلم إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله وتقريره فرقاه جبريل عليه السلام ورقى هو ﷺ أصحابه وأمر بها وأقر عليها . ولنذكر ما تيسر من الأحاديث في ذلك وبالله التوفيق :

قال البخاري رحمه الله تعالى : باب الرقي بالقرآن والمعوذات ، وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض

(١) أحمد (٤٤٧/٣) وفيه أمية بن هند بن سهل قال عنه الحافظ : مقبول (إذا توبع وإلا قلن) . والحديث صحيح لشواهد كالأذي تقدم . ولم يعزه في المجمع إلى أحمد مع عزوه للطبراني (المجمع ١١١/٥) .

(٢) أحمد (٢٢٢/٢) وفيه هشام بن أبي رقية لم يوثقه غير ابن حبان (تعجيل المنفعة ت ١١٣٦) وروى عنه عدة : فالحديث حسن مع أن له شواهد عدة .

الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها^(١)، ثم قال: باب الرقي بفاتحة الكتاب ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ^(٢)، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقرؤهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأمر القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه، فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها وأضربوا لي بسهم»^(٣). ثم قال: باب الشرط في الرقية بقطع من الغنم، وساق فيه بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرأ من أصحاب النبي ﷺ مرواً بماء فيه لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً. فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاة فبرأ، فجاء بالشاة إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجراً. فقال رسول الله ﷺ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله»^(٤). قلت وهذا هو الذي علقه أنفاً عن ابن عباس. ثم قال رحمه الله: باب رقية العين، وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن يسترقى من العين^(٥). وحديث أم سلمة

(١) البخاري (٦٣/٩) في فضائل القرآن باب فضل المعوذات وفي الطب باب النفث في الرقية (٢٠٩/١٠)، وفي الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند النوم.
ومسلم (١٧٢٣/٤) ح (٢١٩٢) في السلام، باب رقية المريض بالمعوذات.

(٢، ٣) البخاري (١٩٨/١٠) في الطب، باب النفث في الرقية، وباب الرقي بفاتحة الكتاب، وفي الإجارة، باب ما يعطي في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب. وفي فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب.

ومسلم (١٧٢٧/٤) ح (٢٢٠١) في السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار.

(٤) البخاري (١٩٨/١٠ - ١٩٩) في الطب، باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب.

(٥) البخاري (١٩٩/١٠) في الطب، باب رقية العين، ومسلم (١٧٢٥/٤) ح (٢١٩٥) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.

رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها، فإن بها النظرة»^(١) وذكر باب «العين حق»^(٢) ثم قال: باب رقية الحية والعقرب، وذكر فيه حديث عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألت عائشة عن الرقية من الحمة فقالت: رخص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حمة^(٣). ثم قال: باب رقية النبي ﷺ، وذكر فيه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قال لثابت: ألا أريقك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: «اللهم رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً»^(٤) وحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(٥). وحديثها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرقى يقول: «امسح الباس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت»^(٦). وحديثها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا - وفي رواية: وريقة بعضنا - يشفي سقيمنا بإذن ربنا»^(٧). وعن أنس رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة، رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه^(٨). قال أبو البركات ابن

-
- (١) البخاري (١٩٩/١٠) في الطب، باب رقية العين. ومسلم (١٧٢٥/٤) ح (٢١٩٧) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.
- (٢) البخاري (٢٠٥/١٠ - ٢٠٦) في الطب، باب رقية الحية والعقرب. ومسلم (١٧٢٤/٤) ح (٢١٩٣) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.
- (٣) البخاري (٢٠٦/١٠) في الطب، باب رقية النبي ﷺ.
- (٤) البخاري (٢٠٦/١٠) في الطب، باب رقية النبي ﷺ. ومسلم (١٧٢٢/٤) ح (٢١٩١) في السلام، باب استحباب رقية العين.
- (٥) البخاري (٢٠٦/١٠) في الطب، باب رقية النبي ﷺ. ومسلم (١٧٢٢/٤) ح (٢١٩١) في السلام، باب استحباب رقية المريض.
- (٦) البخاري (٢٠٦/١٠) في الطب، باب رقية النبي ﷺ. ومسلم (١٧٢٤/٤) ح (٢١٩٤) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.
- (٨) أحمد (١١٨/٣ و ١١٩ و ١٢٧) ومسلم (١٧٢٥/٤) ح (٢١٩٦) في السلام، باب استحباب الرقية من العين. والترمذي (٣٩٣/٤) ح (٢٠٥٦) في الطب، باب ما جاء في الرخصة في الرقية. =

تيمية: النملة قروح تخرج في الجنب. وعن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال: «ألا تعلمين، هذه رقية النملة» الحديث رواه أحمد وأبو داود^(١). وعن عوف بن مالك قال: كنّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «أعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» رواه مسلم وأبو داود^(٢). وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقي، فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقي. قال: «فأعرضوها» فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» رواه مسلم^(٣). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه» الحديث رواه البخاري ومسلم بطوله في مواضع^(٤). وعند ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود قال: فاشتكى لذلك أياماً قال فأتاه جبريل فقال ان رجلاً من اليهود سحرَكَ وعقد لك عقداً، فأرسل رسول الله ﷺ علينا فاستخرجها فجاء، بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال^(٥). ولمسلم عن

= وابن ماجه (١١٦٢/٢) ح (٣٥١٦) في الطب، باب ما رخص فيه من الرقي.

(١) أحمد (٣٧٢/٦) وفيه المسعودي وقد اختلط ورجل مبهم من آل أبي حنيفة.

وأبو داود (١١/٤) ح (٣٨٨٧) في الطب، باب ما جاء في الرقي وإسناده حسن وقد ذكر الرجل المبهم وهو أبو بكر بن سليمان بن أبي حنيفة.

(٢) مسلم (١٧٢٧/٤) ح (٢٢٠٠) في السلام، باب لا بأس في الرقي ما لم يكن فيه شرك.

وأبو داود (١٠/٤) ح (٣٨٨٦) في الطب، باب ما جاء في الرقي والحاكم (٢١٢/٤).

(٣) مسلم (١٧٢٦/٤ - ١٧٢٧) ح (٢١٩٩) في السلام، باب استحباب الرقية من العين. وأحمد (٣١٥/٢).

(٤) البخاري (٢٢١/١٠) في الطب، باب السحر، وبإل هل يستخرج السحر (٢٣٢/١٠) وفي الجهاد، باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر وغيره.

ومسلم (١٧١٩/٤ - ١٧٢٠) ح (٢١٨٩) في السلام، باب السحر.

(٥) ابن أبي شيبة والنسائي (١١٢/٧ - ١١٣) في تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب وإسناده صحيح.

أبي سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم. قال: بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك»^(١) وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة» رواه ابن ماجه هكذا مرفوعاً^(٢)، ورواه مسلم وغيره موقوفاً^(٣).

أما الرقى المجهولة المعاني فذاك وسواس من الشيطان
وفيه قد جاء الحديث أنه شرك بلا مربة فاحذرنه
إذ كل من يقوله لا يدري لعله يكون محض الكفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس على العوام لبسوه فالتبس

أي أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع البتة، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (الأنعام/١٢١) وعليه يحمل قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»^(٤) وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفراً أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضرر أو رقية أو سحر. ولعمر الله لقد انهكم غالب الناس في هذه البلوى غاية الإنهماك واستعملوه على أضرب كثيرة وأنواع مختلفة، فمنه ما يدعون أنه

- (١) مسلم (٤/١٧١٨ - ١٧١٩/١٧١٩ ح ٢١٨٦) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.
- (٢) ابن ماجه (٢/١١٦١ ح ٣٥١٣) في الطب، باب ما رخص فيه من الرقى وفيه أبو جعفر الرزاي وهو سيء الحفظ. ومسلم عن بريدة موقوفاً (١/١٩٩). ورواه أحمد (٤/٤٣٦) وأبو داود (ح ٣٨٨٤) عن عمران بسند صحيح. والحديث صحيح لشواهده.
- (٣) مسلم (١/١٩٩ - ٢٠٠/٢٢٠ ح ٢٢٠) في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.
- والترمذي (تحفة الأحوذى ٦/٢١٧ ح ٢١٣٤) في الطب، باب ما جاء في الرخصة من الرقية. ورواه البخاري (١٠/٢١١) في الطب، باب من لم يرق، وباب من اكتوى أو كوى غيره.
- (٤) أبو داود (٤/٩ ح ٣٨٨٩) في الطعام باب في تعليق التمام.
- وابن ماجه (٢/١١٦٦ - ١١٦٧ ح ٣٥٣٠) في الطب، باب تعليق التمام.
- وأحمد (١/٣٨١) والحاكم (٤/٢١٧ و ٤١٨) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- وابن حبان (الإحسان ح ٦٥٨) وسنده صحيح.

من القرآن أو من السنة ومن أسماء الله المثبتة فيها، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرها وأخرجوه عن اللغة العربية، ولا أدري إن صدقناهم في دعواهم أمهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التي نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ بالسنة حتى يترجموه بالأعجمية أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفع منه بالعربية، أو أنه ينفع بالعربية لشيء وبالأعجمية لغيره ولا تصلح إحدهما فيما تصلح فيه الأخرى، أم ماذا زين لهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم، أم ماذا كانوا يفترضون؟ ومما يزعمون أنه من أسماء الله تعالى التي ليست في الكتاب ولا في السنة وأنهم علموها من غيرهما فمنه ما يدعون أنه دعا به آدم عليه السلام أو نوح أو هود أو غيرهم من الأنبياء، ومنه ما يقولون إنه ليس إلا في أم الكتاب، ومنه ما يقولون هو مكتوب في البيت المعمور، ومنه ما يقولون هو مكتوب على جناح جبريل عليه السلام أو جناح ميكائيل أو جناح إسرافيل أو غيرهم من الملائكة، أو على باب الجنة أو غير ذلك. وليت شعري متى طالعوا اللوح المحفوظ فاستنسخوه منه، ومتى رفقوا إلى البيت المعمور فقرأوه فيه، ومتى نشرت لهم الملائكة أجنحتها فأروه، ومتى اطلعوا إلى باب الجنة فشاهدوه، كلما شعوذ مشعبد وتحذلق متحذلق وأراد الدجل على الناس والتحيل لأخذ أموالهم طلب السبل إلى وجه تلك الحيلة ورام لها أصلاً ترجع إليه، فإن وجد شبهة تروج على ضعفاء العقول وأعمياء البصائر وإلا كذب لهم كذباً محضاً وقاسمهم بالله إنه لهم لمن الناصحين، فيصدقونه لحسن ظنهم به. ومنه أسماء يدعونها، تارة يدعون أنها أسماء الملائكة، وتارة يزعمون أنها من أسماء الشياطين، واعتقادهم في هذه الأسماء أنها تخدم هذه السورة أو هذه الآية، أو هذا الاسم من أسماء الله تعالى، فيقولون: يا خدام سورة كذا أو آية كذا أو اسم كذا، يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان أجيئوا أجيئوا، العجل العجل ونحو ذلك. وما من سورة من القرآن ولا آية منه ولا اسم من أسماء الله يعرفونه إلا وقد انتحلوا له خداماً ودعوهم له، ساء ما يفترضون. وتارة يكتبون السورة أو الآية ويكررونها مرات عديدة بهيئات مختلفة حتى يجعلون أولها آخرها وأولاً، وأوسطها أولاً في موضع وآخر في آخر. وتارة يكتبونها بحروف مقطعة كل حرف على حدة

ويزعمون أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرها من الهيئات، ولا أدري من أين أخذوها وعمّن نقلوها، ما هي إلا وساوس شيطانية زخرفوها، وخرافات مضلة ألفوها، وأكاذيب مختلفة لفقوها، لم ينزل الله بها من سلطان، ولا يعرف لها أصل في سنة ولا قرآن، ولم تنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان. إن هؤلاء إلا كاذبون، أفاكون مفترون. وسيجزون ما كانوا يعملون. وتارة يكتبون رموزاً من الأعداد العربية المعروفة من آحاد وعشرات ومئات وألوف وغيرها ويزعمون أنها رموز إلى حروف آية أو سورة أو اسم أو شيء مما قدمنا بحساب الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب وغير ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيب المفتعلة المختلفة، وغالبها مأخوذ عن الأمة الغضبية الذين أخذوا السحر عن الشياطين وتعلموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنة أو أسماء الله تعالى وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجموها بغير العربية لمقاصد لا تتم بزعمهم إلا بذلك، ومنها ما هو من عبّاد الملائكة والشياطين ونحوهم يأخذون أسماءهم ويقولون للجهال هي أسماء الله ليروجوا الشرك بذلك عليهم فيدعون غير الله من دونه، وهذه مكيدة لم يقدر عليها إبليس إلا بوساطة هؤلاء المضلين وهو: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر/٦) والله تعالى يقول: ﴿أَوْ لِمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام/٥١)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور/٤٠).

فحصل من هذا أن الرقي لا تجوز إلا باجتماع ثلاثة شروط، فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعية، وإن اختل منها شيء كان بضد ذلك:

الأول: أن تكون من الكتاب والسنة فلا تجوز من غيرهما.

الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية محفوظة ألفاظها مفهومة معانيها فلا يجوز تغييرها إلى لسان آخر.

الثالث: أن يعتقد أنها سبب من الأسباب لا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل فلا يعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي السبب والله هو المسبب إذا شاء.

[التمائم والمعلقات]

وفي التّمائم المعلقات إنّ تَكُ آيات مبيّنات
فالاختلاف واقع بين السلف فبعضهم أجازها والبعض كف

(وفي التّمائم المعلقات) أي التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها (إن تك) هي أي التّمائم (آيات) قرآنية (مبينات)، وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات (فالاختلاف) في جوازها واقع بين السلف) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم (فبعضهم) أي بعض السلف (أجازها) يروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف^(١)، (والبعض) منهم (كف) أي منع ذلك وكرهه ولم يره جائزاً، منهم عبدالله بن عكيم وعبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر وعبدالله بن مسعود وأصحابه كالأسود وعلقمة ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم رحمهم الله تعالى^(٢). ولا شك أن منع ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور، لا سيما في زماننا هذا فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عز وجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه، بل أكثرهم يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به، فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو نفسك كذا وكذا، أو يقول له إن معك قريناً من الجن أو نحو ذلك. ويصف له أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية موهماً أنه صادق الفراسة فيه، شديد الشفقة عليه، حريص على جلب النفع إليه، فإذا

(١) أنظر فتح المجيد (ص ١٣٢).

(٢) أنظر فتح المجيد (ص ١٣٢).

امتلاً قلب الغبي الجاهل خوفاً مما وصف له حينئذ أعرض عن ربه وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقاله، والتجأ إليه وعول عليه دون الله عز وجل وقال له: فما المخرج مما وصفت، وما الحيلة في دفعه؟ كأنما بيده الضر والنفع، فعند ذلك يتحقق فيه أمله، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له، فيقول له إنك إن أعطيتني كذا وكذا كتبت لك من ذلك حجاباً طوله كذا وعرضه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول، وهذا الحجاب علقه من كذا وكذا من الأمراض أترى هذا - مع هذا الاعتقاد - من الشرك الأصغر، لا بل هو تأله لغير الله وتوكل على غيره والتجاء إلى سواه، وركون إلى أفعال المخلوقين وسلب لهم من دينهم، فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل إلا بوساطة أخيه من شياطين الإنس: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوَكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ، بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/٤٢) ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمة الشيطانية شيئاً من القرآن ويتعلقه على غير طهارة ويحدث الحدث الأصغر والأكبر وهو معه أبداً لا يقدره عن شيء من الأشياء، تالله ما استهان بكتاب الله تعالى أحد من أعدائه استهانة هؤلاء الزنادقة المدعين الإسلام به. والله ما نزل القرآن إلا لتلاوته، والعمل به، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والوقوف عند حدوده، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه والإيمان به، كل من عند ربنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كله ونبدوه وراء ظهورهم ولم يحفظوا إلا رسمه كي يتأكلوا به ويكتسبوا كسائر الأسباب التي يتوصلون بها إلى الحرام لا الحلال، ولو أن ملكاً أو أميراً كتب كتاباً إلى من هو تحت ولايته أن افعل كذا، واترك كذا، وأمر من في جهتك بكذا وانهم عن كذا، ونحو ذلك، فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره ونهيه ولم يبلغه إلى غيره ممن أمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلقه في عنقه أو عضده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتة، لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ولسامه سوء العذاب. فكيف بتنزيل جبار السموات والأرض الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

وإن تكن مما سوى الوحيين فإنها شرك بغير مين

بل إنها قسيمة الأزام. في البعد عن سيما أولى الإسلام

(وإن تكن) أي التمايم (مما سوى الوحيين) بل من طلاس اليهود وعباد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحوهم أو من الخرز أو الأوتار أو الحلق من الحديد وغيره (فإنها شرك) أي تعلقها شرك (بدون مين) أي شك، إذ ليست هي من الأسباب المباحة والأدوية المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقاداً محضاً أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها لخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم، (بل إنها قسيمة) أي شبيهة (الأزام) التي كان يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم ويستقسمون بها إذا أرادوا أمراً، وهي ثلاثة قداح مكتوب على أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: غفل، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو الغفل أعاد استقسامه. وقد أبدلنا الله تعالى - وله الحمد - خيراً من ذلك: صلاة الاستخارة ودعاءها.

والمقصود أن هذه التمايم التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزام وشبيهة بها من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع (في البعد عن سيما أولى الإسلام) أي عن زي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعد ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظم من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجل شأناً وأقوى يقيناً من أن يتوكلوا على غير الله أو يثقوا بغيره. وبالله التوفيق.

فصل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة
أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيداً
وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

هذا ومن أعمال أهل الشرك	من غير ما تردّد أو شك
ما يقصد الجهال من تعظيم ما	لم يأذن الله بأن يعظما
كمن يلدّ ببقعة أو حجر	أو قبر ميت أو ببعض الشجر

متخذاً لذلك المكان عيداً كفعل عابدي الأوثان

(هذا) أي الأمر والإشارة إلى ما تقدم (ومن أعمال أهل الشرك) التي لا يفعلها غيرهم ولا تليق إلا بعقولهم السخيفة، وأفئدتهم الضعيفة، وقلوبهم المطبوع عليها، وأبصارهم المغشي عليها (ما) أي الذي (لم يأذن الله) عز وجل في كتابه ولا سنة نبيه (بأن يعظما) بألف الإطلاق، وأن ومدخولها في تأويل مصدر أي لم يأذن الله بتعظيمه ذلك التعظيم الذي منحه إياه من لم يفرق بين حق الله تعالى وحقوق عباده من النبيين والأولياء وغيرهم، بل لم يفرق بين أولياء الله وأعدائه ولا بين طاعته ومعصيته، فيتخذ من دون الله أنداداً وهو يرى أن ذلك الذي فعله قربة وطاعة لله وأن الله يحب ذلك ويرضاه، ويكذب الرسل ويدعي أنه من أتباعهم، ويوالي أعداء الله وهو يظنهم أولياءه، كفعل اليهود والنصارى يجاهرون الله بالمعاصي ويكذبون كتابه ويغيرونه ويبدلونه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقتلون الأنبياء بغير الحق وينسبون لله سبحانه وتعالى الولد ويفعلون الأفاعيل ويقولون نحن أبناء الله وأحباؤه، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه. وسبب هذا كله - في الأمم الأولى والأخرى - هو الاعراض عن الشريعة وعدم الاهتمام لمعرفة ما احتوت عليه الكتب من البشارة والندارة والأمر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد، ومعرفة ما يجب لله على عباده فعله وما يجب تركه (كمن يُلذ ببقعة) أي يعوذ بها ويختلف إليها ويتبرك بها ولو بعبادة الله تعالى عندها، وتقدم تقييد ذلك بما لم يأذن به الله، فيخرج بهذا القيد ما أذن الله تعالى بتعظيمه كتعظيم بيته الحرام بالحج إليه وتعظيم شعائر الله من المشاعر والمواقف وغيرها، فإن ذلك تعظيم لله عز وجل الذي أمر بذلك لا لتلك البقعة ذاتها كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استلم الحجر الأسود: أما والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك^(١)، وكذلك التعظيم أيضاً نفسه إنما أردنا منع تعظيم لم يأذن الله به لا المأذون فيه،

(١) البخاري (٤٦٢/٣) في الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود وفي باب تقبيل الحجر الأسود (٤٧٥/٣). ومسلم (٩٢٥/٢ ح ١٢٧٠) في الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود.

فإنَّ الله تعالى قد أمر بتعظيم الرسل بأن يطاعوا فلا يعصوا ويحبوا ويتبعوا، وأن طاعة الرسول هي طاعة الله عز وجل ومعصيته معصية الله عز وجل، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان بالله إلا به إذ هو عين تعظيم الله تعالى، فإنهم إنما عظموا لأجل عظمة المرسل سبحانه وتعالى وأحبوا لأجله وأتبعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم الله عز وجل، فلو أن أحداً عظم رسولاً من الرسل بما لم يأذن الله به ورفع فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئاً من الإلهية لانعكس الأمر وصار عين التنقص والاستهانة بالله وبرسوله كفعل اليهود والنصارى الذي ذكر الله عز وجل عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعزير، فكذبوا بالكتاب وتنقصوا الرب عز وجل بنسبة الولد إليه وغير ذلك وكذبوا الرسول في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم/ ٣٠) فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم، سبحانه الله عما يصفون، وسلام على المرسلين. (أو حجر، أو قبر ميت، أو بعض الشجر) أو غير ذلك من العيون ونحوها ولو بعبادة الله عندها فإن ذلك ذريعة إلى عبادتها ذاتها كما فعل إبليس لعنه الله بقوم نوح حيث أشار عليهم بتصوير صالحهم ثم بالعكوف على قبورهم وصورهم وعبادة الله عندها إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتها من دون الله تعالى فعبدوها، (متخذاً لذلك المكان) من القبور والأشجار والعيون والبقاع وغيرها (عيداً) أي يتتابها ويعتاد الاختلاف إليها (كفعل عابدي الأوثان) في تعظيمهم أوثانهم واعتيادهم إليها، ولذا سمي النبي ﷺ العكوف على الأشجار وتعليق الأسلحة بها على جهة التعظيم «تألهاً»، كما في الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركون سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. لتركبن سنن من قبلكم»^(١) ولقد عمت البلوى

(١) الترمذي (٤/٤٧٥/ح ٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم وقال حسن =

بذلك وطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لا سيما زماننا هذا، ما من قبر ولا بقعة يذكر لها شيء من الفضائل ولو كذباً إلا وقد اعتادوا الاختلاف إليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاً معلومة يفوت عيدهم بفواتها ويرون من أعظم الخسارات أن يفوت الرجل ذلك العيد المعلوم. وآل بهم الأمر إلى أن صنفوا في أحكام حجهم إليها كتباً سموها مناسك حج المشاهد. ومن أحل بشيء منها فهو عندهم أعظم جرماً ممن أحل بشيء من مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، وجعلوا لها طوافاً معلوماً كالطواف بالبيت الحرام، وشرعوا تقبيلها كما يقبل الحجر الأسود حتى قالوا إن زحمت فاستلم بمحجن أو أشر إليه، قياساً على فعل النبي ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذوراً من المواشي والنقود، ووقفوا عليها الوقوف من العقارات والحرث وغيرها وغير ذلك من شرائعهم الشيطانية، وقواعدهم الوثنية. وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص النبوية في سد ذرائع الشرك في الفصل الآتي وبالله التوفيق.

[زيارة القبور]

ثم الزيارة على أقسام	ثلاثة يا أمة الإسلام
فإن نوى الزائر فيما أضمره	في نفسه تذكرة بالآخرة
ثم الدعاء له وللموات	بالعفو والصفح عن الزلات
ولم يكن شد الرحال نحوها	ولم يقل هجراً كقول السفها
فتلك سنة أتت صريحه	في السنن المثبتة الصحيحه

(ثم الزيارة) أي زيارة القبور تأتي (على أقسام ثلاثة):

زيارة سنّية، وزيارة بدعية، وزيارة شركية فتفهموها (يا أولي الإسلام).
والبدء بالشرعية لشرفها والندب إليها، ثم البدعية لكونها أخف جرماً من

= صحيح.

ورواه أحمد (٢١٨/٥) وابن حبان (الإحسان ٢٤٨/٨) والحاكم (٤/٤٥٥) وقال صحيح ووافقه الذهبي.

الشركية، ثم هي بعد ذلك. (فإن نوى الزائر للقبور (فيما أضمره في نفسه) أي كانت نيته بتلك الزيارة (تذكرة بالآخرة) أي ليتعظ بأهل القبور ويعتبر بمصارعهم إذ كانوا أحياء مثله يؤملون الآمال ويخولون الأموال، ويجولون في الأقطار بالأيام والليال، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحال، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموت قد نادى، فاستجابوا له على الرغم جماعات وفرادى، وأبادهم ملوكاً ونواباً وقواداً وأجناداً، وقدموا على ما قدموا غياً كان أو رشاداً، وصار لهم التراب لحفاً ومهاداً، بعد الغرف العالية التي كان عليها الحجاب أرساداً، تساوى فيها صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، وشريفهم وحقيبرهم، ومأمورهم وأميرهم. اتفق ظاهر حالهم واتحد، ولا فرق للنظر إليهم يميز به أحداً من أحد. وأما باطناً فالله أكبر لو كشف للنظرين الحجاب، لرأوا من الفروق العجب العجاب، فهؤلاء لهم طوبى وحسن مآب، وأولئك في أسوأ حالة وأشد العذاب، فليعلم الواقف عليهم الناظر إليهم، أنه بهم ملتحق، ولإحدى الحالتين مستحق، فليتهب لذلك، وليتب إلى العزيز المالك، وليلتجئ إليه من شر كل ما هنالك. (ثم) قصد أيضاً (الدعا) أي دعاء الله عز وجل (له) أي لنفسه (وللأموات) من المسلمين (بالعفو) من الله عز وجل (والصفح عن الزلات) وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك (و) مع ذلك (لم يكن شد الرحال نحوها) الضمير للقبور لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(١). (ولم يقل هجراً) أي محظوراً شرعاً (كقول) بعض (السفها) لما في السنن من حديث بريدة قال فيه النبي ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً»^(٢) (فتلك) الإشارة إلى النوع المذكور من الزيارة (سنة) طريقة نبوية (أتت صريحة) أي واضحة ظاهرة

(١) البخاري (٧٠/٣) في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس. وفي الحج، باب حج النساء وغيره.

ومسلم (٩٧٥/٢ ح ١٣٣٨) في الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره.

(٢) النسائي (٨٩/٤).

ولم يروه بهذا اللفظ من أهل السنن غيره وسنده صحيح.

(في السنن) أي الأحاديث (المثبتة) في دواوين الإسلام (الصحيحة) سنداً وممتناً، منها حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة» رواه الترمذي وصححه^(١). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «إستأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزورها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت» رواه الجماعة^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» رواه أحمد ومسلم والنسائي^(٣). ولأحمد من حديث عائشة رضي الله عنها مثله وزاد «اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتننا بعدهم»^(٤). وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» رواه أحمد ومسلم وابن ماجه^(٥)، زاد مسلم في رواية «يرحم الله المتقدمين منا ومنكم

-
- (١) الترمذي (٣/٣٧٠/ح ١٠٥٤) في الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور. وأصله عند مسلم (٢/٦٧٢/ح ٩٧٧) في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربّه عز وجل في زيارة قبر أمّه.
- (٢) رواه مسلم (٢/٦٧٢/ح ٩٧٦) في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربّه عز وجل في زيارة قبر أمّه.
- وأبو داود (٣/٢١٩/ح ٣٢٣٤) في الجنائز، باب في زيارة القبور والنسائي (٤/٩٠) في الجنائز، باب زيارة قبر المشرك.
- وابن ماجه (١/٥٠١/ح ١٥٧٢) في الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين. ولم يروه البخاري ولا الترمذي.
- (٣) مسلم (١/٢١٨/ح ٢٤٩) في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. والنسائي (١/٩٣/ح ٩٥) في الطهارة، باب في حلية الوضوء.
- (٤) أحمد (٦/٧١، ٧٦، ١١١) وفي سنده جميعاً شريك القاضي قال عنه الحافظ: صدوق يخطيء كثيراً تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة.
- (٥) مسلم (٢/٦٧١/ح ٩٧٥) في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي (٤/٩٤) في الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.
- وابن ماجه (١/٤٩٤/ح ١٥٤٧) في الجنائز، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر.

والمُتَأَخِّرِينَ»^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر» رواه الترمذي وقال: حسن^(٢). وكذلك الأحاديث في خروجه ﷺ إلى بقيع الغرقد كثيراً يدعو لهم ويترحم عليهم^(٣).

وكان الصحابة إذا أتوا قبره ﷺ صلوا وسلموا عليه فحسب، كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه^(٤). وكذا التابعون ومن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى لم يذكر عنهم في زيارة القبور غير العمل بهذه الأحاديث النبوية وأفعال الصحابة لم يعدلوا عنها ولم يستبدلوا بها غيرها بل وقفوا عندها، فهذه الزيارة الشرعية المستفادة من الأحاديث النبوية، وعليها درج الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التذكر بالقبور والاعتبار بأهلها والدعاء لهم والترحم عليهم وسؤال الله العفو عنهم، فمن ادعى فيها غير هذا طولب بالبرهان، وأني له ذلك ومن أين يطلبه؟ بل كذب وافتري، وقفا ما ليس له به علم. بلى إن العلوم الشرعية دالة على ضلاله وجهله (أو قصد الدعاء) من الصلاة وغيرها أو الاعتكاف عند قبورهم أو نحو ذلك (والتوسلا) بألف الاطلاق (بهم) أي بأهل القبور (إلى الرحمن جل وعلا) عما اتفكه أهل الزيف والضلال (فبدعة محدثة) لم يأذن الله تعالى بها (ضلالة) كما قال ﷺ: «كل بدعة ضلالة»^(٥) وقال ﷺ: «من أحدث في

(١) مسلم (٢/٦٦٩ - ٦٧١/ح ٩٧٤) في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.
(٢) الترمذي (٣/٣٦٩/ح ١٠٥٣) في الجنائز، باب ما يقول إذا زار القبور أو أمر بها وفي سننه قابوس بن أبي ظبيان قال عنه الحافظ: فيه لين وقال ابن حبان: يفرد عن أبيه بما لا أصل له. قلت: وهذا الحديث عن أبيه والحديث صحيح لشواهده إلا قوله: فأقبل عليهم بوجهه فإنها منكورة.

(٣) أنظر مسلم (ح ٩٧٤) وقولها: كان رسول الله كلما كانت ليلتها من رسول الله يخرج من آخر الليل إلى البقيع.

(٤) رواه البيهقي في أواخر كتاب الحج (٥/٢٤٥) بسند صحيح وقريباً منه روى مالك في الموطأ (١/١٦٦) في قصر الصلاة، ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ وإسناده صحيح.

(٥) مسلم (٢/٥٩٢/ح ٨٦٧) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة والنسائي (٣/١٨٨ - ١٨٩) في العيدين، باب كيف الخطبة من حديث جابر رضي الله عنه.

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١) وقال ﷺ في رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢) وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»^(٣) وغير ذلك. فإن من قال: اللهم إني أسألك بجاه فلان، وهو ميت أو غائب، وإن كان يرى أنه لم يدع إلا الله ولم يعبد سواه فهو قد عبد الله بغير ما شرع وابتدع في الدين ما ليس منه واعتدى في دُعائه ودعا الله بغير ما أمره أن يدعوه به، فإن الله تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف/ ١٨٠) ولم يشرع لنا أن ندعوه بشيء من خلقه البتة، بل قد نهانا رسول الله ﷺ عن أن نقسم بشيء من المخلوقات مطلقاً فكيف بالأقسام بها على الله عز وجل.

وأما حديث الأعمى الذي به يحتج المجوزون للتوسل بالمقبور فلا حجة لهم فيه بحمد الله لو فهموا معناه ووضعوه موضعه، ولكنهم أخطأوا في تأويله، ولم يوفقوا لفهم مدلوله، فإن هذا الحديث بجميع ألفاظه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظه من الكتب التي خرج فيها: قال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: أدع الله أن يعافيني. قال: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبِرْتَ فَهُوَ

(١) البخاري في الصلح (٣٠١/٥) باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود. ومسلم (١٣٤٣/٣ ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة. من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) البخاري تعليقاً (٣٥٥/٤) في البيوع، باب النجش. ومسلم (١٣٤٤/٣ ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة. من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه أبو داود (٢٠٠/٤ ح ٤٦٠٧) في السنة، باب لزوم السنة. والترمذي (٢٦٧٦/٥ ح ٤٤) في العلم، باب ١٦. وابن ماجه في المقدمة (١٥/١ - ١٦/١ ح ٤٢) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين. وأحمد (١٢٦، ١٢٧) من حديث العرياض بن سارية وإسناده صحيح.

خير لك». قال: فادعه. قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه. ويدعوه بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في» هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي ١. هـ. (١) قلت الظاهر بالاستقراء أن أبا جعفر هذا هو الرازي التيمي مولا هم مشهور بكنيته وهو من رجال الأربعة واسمه عيسى بن أبي عيسى عبدالله بن ماهان، وأصله من مروكان يتجر إلى الري، روي عن عطاء وعمرو بن دينار وقتادة، وعنه أبو عوانة وشعبة كما في هذا الحديث قال ابن معين ثقة، وقال ابن المديني ثقة يخط عن المغيرة، وقال الفلاس سيء الحفظ، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق صالح الحديث، وقال في التقريب: صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن المغيرة، من كبار السابعة مات في حدود الستين ومائة. والظاهر من عباراتهم أن تخليطه عن المغيرة خاصة وهو ثبت فيمن سواه. وبهذا يجمع بين قول من يضعفه وقول من يوثقه، كيف ومن الموثقين له شيخا البخاري يحيى بن معين وعلي بن المديني وهما هما (٢). والله أعلم. ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ولفظه أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله أدع الله أن يكشف لي عن بصري. قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف

(١) الترمذي (٥/٥٦٩ ح ٣٥٧٨) في الدعوات، باب ١١٩. وأبو جعفر هو الخطمي كما قال الإمام الترمذي وليس الرازي (وقد ورد في بعض النسخ للترمذي) (ليس الخطمي أو غير الخطمي) وهو خطأ ففي نسخة أحمد شاكر إثبات الترمذي أنه الخطمي وكذلك في تحفة الأشراف (ح ٩٧٦٠) وهذا يوافق قول جمهور العلماء أنه الخطمي ومن قال بذلك: النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٩٥٩) والإمام أحمد (٤/١٣٨) وسماء في رواية أخرى المدني وهو الخطمي لا الرازي. وكذلك قال الحاكم (١/٥٢٦) وابن أبي خيثمة كما في التوسل والوسيلة (ص ٩٩) نقلاً عن تاريخه. والطبراني في الكبير (ح ٨٣١١) وغيرهم قال العلامة الألباني: ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة ويروي عن شعبة كما في إسناده هنا (التوسل ص ٧٠) والحديث صحيح.

(٢) لا ضرورة لذكر هذا وقد تبين أنه الخطمي لا الرازي.

عن بصري ، اللهم فشفعه في» قال فرجع وقد كشف الله بصره^(١). وقال يحمده رحمه الله تعالى في مسنده : حدثنا روح حدثنا شعبة عن عمير بن يزيد الخطمي المدني قال : سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله ادع الله أن يعافيني . فقال : «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك» . قال : بل ادع الله لي . فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي ، اللهم فشفعني فيه وشفعه في»^(٢). قلت : عمير بن يزيد الخطمي هذا هو أبو جعفر الذي فرّق الترمذي بينه وبين أبي جعفر المذكور في روايته ، وقد قلنا الظاهر أنه هو الرازي التيمي وكلاهما شيخ لشعبة وكلاهما صدوق فيحتمل أن كلاهما سمعه من عمارة ، وسمعه شعبة من كليهما وحدث به مرة عن هذا ومرة عن هذا ، فرواه عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الرازي التيمي ، وسمعه روح منه عن الخطمي فحدث به كذلك والله عز وجل أعلم^(٣). والمقصود أن هذا الحديث إن جزمنا بصحته فليس فيه لهم حجة ولا دليل على ما انتحلوه بأفكارهم الخاطئة ، فإن هذا الأعمى إنما سأل من النبي ﷺ الدعاء له بكشف بصره ، وهو حي حاضر قادر على ما سألته منه وهو الدعاء ، وهو يؤمن على ذلك ويقول : اللهم شفعه في ، فسأل من النبي ﷺ الدعاء ، وسأل قبول دعائه من الله عز وجل لعلمهم التام بالإيمان بالله عز وجل وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، وبهذا أمره النبي ﷺ أن يدعو الله تعالى ، فاجتمع الدعاء من الجهتين . وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم كثيراً ما كانوا يسألون من النبي ﷺ أن يدعو لهم بالنصر وأن يستسقي لهم إذا أجذبوا وبتكثير الطعام كما سألته منه عمر رضي الله عنه في غزوة

(١) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٦٦٠) والحاكم (٥٢٦/١) وقال : على شرط البخاري وأقره الذهبي .

(٢) أحمد (١٣٨/٤) وسنده صحيح وليس فيه (السند) الخطمي بل المدني فقط وقد ذكرها الطبراني في الكبير (ح ٨٣١١) (أي الخطمي المدني) .

(٣) هذا لا يضر الحديث شيئاً إن ثبت وقد قدمنا أنه الخطمي فقط .

تبوك^(١) وقالت له أم أنس خويدمك أنس ادع الله تعالى له^(٢)، وأمثال ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى وكذلك في موقف القيامة يسأل الخلائق من أولي العزم أن يشفعوا لهم إلى ربهم في فصل القضاء واحد بعد واحد، حتى تنتهي إليه ﷺ فيذهب ويسجد تحت العرش ويحمد الله تعالى ويشني عليه إلى أن يقول له: «ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع» وذلك إذا أذن الله عز وجل له في الشفاعة التي وعده إياها كما سيأتي تقريره. وقد قال ﷺ لعمر وهو ذاهب للعمرة: «لا تنسنا من دعائك»^(٣) وكذلك استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس والصحابة متوافرون كما في صحيح البخاري: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فستقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»^(٤)، وكان من دعاء العباس يومئذ: «اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث» ذكره الزبير بن بكار، وكان ذلك الجذب عام الرمادة. وكذلك قال معاوية لما استسقى يزيد بن الأسود الجرشي، فقال: «اللهم إنا نستشفع - أو نتوسل - إليك بخيارنا، يا يزيد أرفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حق سقوا»^(٥)، فكان أفضل القرون يسألون الله عز وجل، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا الله عز وجل لهم ولهم، وتوسلهم إنما كان بدعائهم لا

(١) رواه مسلم في صحيحه (٥٥/١ - ٥٦/ ح ٤٤) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٢) مسلم (٤٥٧/١ - ٤٥٨/ ح ٦٦٠) في المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة، والصلاة على حصير وخرة وثوب وغيرها من الطاهرات.

(٣) أبو داود (٨٠/٢/ ح ١٤٩٨) في الصلاة، باب في الدعاء. والترمذي.

والترمذي (٥٥٩/٥ ح ٣٥٦٢) في الدعوات، باب رقم ١١٠.

وابن ماجه (٩٦٦/٢ ح ٢٨٩٤) في المناسك، باب فضل دعاء الحاج وفي سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب وهو ضعيف.

(٤) البخاري (٤٩٤/٢) في الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا، وفي فضائل الصحابة، باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٥) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣٨٠ - ٣٨١) وابن سعد في الطبقات (٤٤٤/٧) وأبوزرعة في تاريخ دمشق (٦٠٢/١) قال الحافظ العسقلاني: رواه أبوزرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح. وقال العلامة الألباني: رواه ابن عساكر في تاريخه بسند صحيح.

بذواتهم ، وهذا جائز في كل زمان ومكان أن تسأل من عبد صالح حاضر عندك أن يدعو لك وتؤمن أنت على دعائه ، أو تسأل من مسافر الدعاء بظهر الغيب ونحو ذلك كما ثبت عن النبي ﷺ ودرج عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى . ولو كان ذلك عندهم جائزاً أعني التوسل بالذوات لم يحتج الأعمى أن يأتي إلى النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء ، بل كان يتوسل به في محله أينما كان إذ لا فائدة زائدة في مجيئه إليه على هذا المعنى ، وكذلك عمر والصحابه معه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباس لو كان التوسل بالذوات لا بالدعاء ، وكذا معاوية وأصحابه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى يزيد بن الأسود ولم يطلبوا منه الدعاء ، ولما أمر النبي ﷺ عمر إذا وجد أويساً أن يطلب منه الاستغفار^(١) ، بل كان يكفيه أن يقول : اللهم بحق أويس القرني ، ولم يعرف هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعل ذلك التوسل بالنبي ﷺ ولا غيره من الأنبياء ولا بأحد من أفاضلهم الأولياء بعد موته ، ولو كانوا بالذوات يتوسلون في حال حياتهم لم يكن فرق بين ذلك وبين مماتهم ، وهذا في التوسل بأهل القبور عام عند القبر وغيره وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ ، لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه ، كما قدمنا عن قوم نوح من استدراج الشيطان لهم . وكذلك فعل بغالب هذه الأمة والعياذ بالله ، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يصلي على القبور أو إليها وغلظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدة الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريباً إن شاء الله تعالى .

وإن دعا المقبور نفسه فقد أشرك بالله العظيم وجحد
لن يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً فيعفو عنه
إذ كل ذنب موشك الغفران إلا اتخاذ الند للرحمن

(وإن دعا) الزائر (المقبور نفسه) من دون الله عز وجل وسأل منه ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من جلب خير أو دفع ضرر أو شفاء مريض أو رد غائب أو نحو ذلك من قضاء الحوائج (فقد أشرك) في فعله ذلك (بالله العظيم) المتعالي

(١) مسلم (٤/١٩٦٨/ح ٢٥٤٢) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه .

عن الأضداد والأنداد والكفو والولي والشفيع بدون إذنه (وجحد) حق الله عز وجل على عباده وهو إفراده بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له ونفي ضد ذلك عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (المؤمنون/١١٧) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس/١٠٦-١٠٧) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف/٥-٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا عَلَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأعراف/١٩٤) الآيات. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الحج/٧٣) الآيات وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَائَكُمْ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ، وَلَا يَنْبُؤُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر/١٣) وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء/٥٧) الآيات وغيرها ما لا يحصى يخبر الله تعالى أن من دعا مع الله إلهاً آخر ولو لحظة فقد كفر وإن مات على ذلك فلا فلاح له أبداً، ولو فعل ذلك نبيه لكان من الظالمين، وأنه لا كاشف للضرر غيره ولا جالب للخير سواه، وأنه لا أضل ممن يدعو من دونه سواه، وأن من عبد من دون الله يكون عدواً لعباده يوم القيامة وكافراً بعبادته إياه من دون الله تعالى، وأنهم كلهم عباد مثل عابديهم مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهره لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدرّون على استنقاذ ما استلبه الذباب فكيف يقدرّون على قضاء شيء من

حوائج عابديهم؟ بل قد أخبرنا عز وجل أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا دعاءه ما استجابوا له، وأخبرنا أن من عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم أنهم لا يملكون كشف ضر من دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال، بل هم يتغنون الوسيلة إلى ربهم والقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فينبغي للعباد الاقتداء بهم في ذلك الابتغاء والرجاء والخوف من الله عز وجل، لا دعاؤهم دونه، تعالى الله عما يشركون.

(لا يقبل الله تعالى منه) أي من ذلك الداعي مع الله غيره المتخذ من دونه أولياء (صرفاً) أي نافلة (ولا عدلاً) أي ولا فريضة (فيغفو عنه) في ذلك لأن الكافر عمله كلا شيء، قال الله تعالى: ﴿فَلَا نَقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَنْبًا﴾ (الكهف/١٠٥) وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾ (الفرقان/٢٣) وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ (إبراهيم/١٨)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور/٣٩) الآيات، وقال تعالى لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿ذَلِكَ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام/٨٨) وقال لسيدهم وخاتمهم وأكرمهم على ربه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِیَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر/٦٥).

(إذ) حرف تعليل (كل ذنب) لقي العبد ربه به (موشك الغفران) أي يرجى ويؤمل أن يغفر ويعفى عنه (إلا اتخاذ الند للرحمن) فإن ذلك لا يغفر ولا يخرج صاحبه من النار ولا يجد ریح الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٤٨) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/١١٦)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة/٧٢) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج/٣١)، وقد قدمنا في ذلك من الآيات والأحاديث ما فيه كفاية في الدلالة على ما وراءه والله الحمد والمنة.

فصل

في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور
وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

هذا الفصل هو المقصود بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارة إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيد له، فإنما المقصود من ذكر ضلال الأمم الأولى هو تحذير الأحياء الموجودين لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه، وزجر من وقع منهم عما وقع فيه لئلا يحل بهم ما حل بهم من النكال، كما أن الله سبحانه وتعالى ما قص علينا من أخبار الأمم الأولى إلا لتنظير بهم ونعتير بمصارعهم ولنعلم أسباب هلاكهم فنتقيه ونعلم سبل النجاة التي سلكها رسل الله وأوليائهم ففازوا بخيري الدنيا والآخرة فسلكوها ونفقوا أثرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَانَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (الأعراف/١٠٠) الآية، وقال تعالى: ﴿وَسَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ، وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ (إبراهيم/٤٥)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِهِمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة/٢٦)، وقال تعالى بعد أن قص علينا ما قص في سورة هود: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ. وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾

(هود/١٠٠-١٠٢) الآيات، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»^(١) وهو في الصحيح، فإذا كان هذا الخطر على من دخل ديارهم فما ظنك بمن عمل مثل عملهم وزيادة، فإن الله وإنا إليه راجعون.

ومن على القبر سراجاً أوقداً أو ابنتي على الضريح مسجداً
فإنه مجدّد جهاراً لسنن اليهود والنصارى

(ومن على القبر) متعلق بأوقد (سراجاً) مفعول (أوقداً) بألف الإطلاق، والمعنى ومن أوقد سراجاً على القبر (أو ابنتي) بمعنى بنا وزيدت التاء فيه لمعنى الاتخاذ (على الضريح) أي على القبر واشتقاقه من الضرح الذي هو الشق (مسجداً) أو اتخذ القبر نفسه مسجداً ولو لم يبن عليه (فإنه) أي فاعل ذلك (مجدد) بفعله ذلك (جهاراً) أي تجديداً واضحاً مجاهراً به الله ورسوله وأوليائه (لسنن) أي لطرائق (اليهود والنصارى) في اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ويعكفون عليها، وأعياد لهم يتتبعونها، ويترددون إليها، كيف وقد قال الرسول ﷺ للذين طلبوا منه ذات أنواط «الله أكبر، إنها السنن، قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، قال إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»^(٢) لتتبعن سنن من كان قبلكم»^(٣) وقال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟» أخرجاه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه^(٤)، وقد وقع

(١) البخاري (٣٧٨/٦ - ٣٧٩) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾. وفي المساجد، باب الصلاة في مواضع الخسف، وفي المغازي، باب نزول النبي ﷺ في الحجر، وفي التفسير، باب (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين). ومسلم (٢٢٨٦/٤ ح ٢٩٨٠) في الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين.

(٢) الترمذي (٤٧٥/٤ ح ٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلك وقال: حسن صحيح ورواه أحمد (٢١٨/٥) وإسناده صحيح.

(٣) البخاري (٣٠٠/١٣) في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم. وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

الأمر والله كما أخبر ﷺ به، فالله المستعان.

كم حذر المختار عن ذا ولعن فاعله كما روى أهل السنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبر وأن يزاد فيه فوق الشبر
وكل قبر مشرف فقد أمر بأن يسوى هكذا صح الخبر

(كم) خبرية للتكثير (حذر المختار) نبينا محمداً ﷺ (عن ذا) الفعل من اتخاذ القبور مساجد وأعياداً والبناء عليها وإيقاد السرج عليها، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح - أو الرجل الصالح - بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»^(١). وفيه عنها وهي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا»^(٢) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٣). وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» رواه الجماعة إلا

= ومسلم (٢٠٥٤/٤ ح ٢٦٦٩) في العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.
(١) البخاري (٥٢٣/١ - ٥٢٤) في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، وباب الصلاة في البيعة وغيرها.

ومسلم (٣٧٥/١ - ٣٧٦ ح ٥٢٨) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.
(٢) البخاري (٢٠٠/٣) في الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور. وباب ما جاء في قبر النبي ﷺ، وفي المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

ومسلم (٣٧٦/١ ح ٥٢٩) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

(٣) البخاري (٥٣٢/١) في الصلاة، باب الصلاة في البيعة. وغيره.
ومسلم (٣٧٦/١ ح ٥٣٠) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

البخاري وابن ماجه^(١)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» رواه الجماعة إلا ابن ماجه^(٢). وعن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» رواه مسلم^(٣). وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يُجَصَّصَ القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، رواه أحمد ومسلم والثلاثة وصححه الترمذي ولفظه: نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ^(٤)، وفي لفظ النسائي: نهى أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص أو يكتب عليه^(٥)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج، رواه أهل السنن^(٦). وللترمذي

(١) مسلم (٢/٦٦٨ ح ٩٧٢) في الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليها. وأبو داود (٣/٢١٧ ح ٣٢٢٩) في الجنائز، باب كراهية القعود على القبر. والترمذي (٣/٣٦٧ ح ١٠٥٠) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية المشي على القبور. والنسائي (٢/٦٧) في القبلة، باب النهي عن الصلاة إلى القبر.

(٢) البخاري (١/٥٢٨ - ٥٢٩) في الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، وفي التطوع، باب التطوع في البيت.

ومسلم (١/٥٣٨ ح ٧٧٧) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

وأبو داود (٢/٦٩ ح ١٤٤٨) في الصلاة، باب في فضل التطوع.

والترمذي (٢/٣١٣ ح ٤٥١) في الصلاة، باب ما جاء في فضل التطوع في البيت.

والنسائي (٣/١٩٧) في صلاة الليل، باب الحث على الصلاة في البيوت والفضل في ذلك.

(٣) مسلم (١/٣٧٧ - ٣٧٨ ح ٥٣٢) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

(٤) مسلم (٢/٦٦٧ ح ٩٧٠) في الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه. وأبو داود (٣/٢١٦ ح ٣٢٢٥) في الجنائز، باب البناء على القبر، والترمذي (٣/٣٦٨ ح ١٠٥٢) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها والنسائي (٤/٨٦) في الجنائز، باب الزيادة على القبر، وباب البناء على القبر، وباب تجصيص القبور.

(٥) النسائي (٤/٨٦) في الجنائز. باب البناء على القبر.

(٦) أبو داود (٣/٢١٨ ح ٣٢٣٦) في الجنائز، باب في زيارة النساء للقبور، والترمذي (٢/١٣٦ ح ٣٢٠) في الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً. والنسائي (٤/٩٤) =

وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور^(١) ولابن ماجه مثله من حديث حسان رضي الله عنه^(٢)، ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدرکہم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بأسناد حسن ورواته ثقات^(٤). وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو فيها، فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» رواه في المختارة^(٥)، وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد

- = (٩٥) في الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور. وابن ماجه. ولم أجده عند ابن ماجه إلا باللفظ الآتي وهو (زوارات) من حديث ابن عباس (١/٥٠٢/٥٠٢ ح ١٥٧٥) في الجنائز باب ما جاء في النهي عن زيادة النساء القبور. وفي سنده أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب وهو ضعيف والحديث صحيح لشاهده الآتي دون الزيادة «والتخذين عليها المساجد والسرج» مع بيان مفارقة بين قوله زوارات وزائرات أنظر في أحكام الجنائز للعلامة الألباني (ص ١٨٦ - ١٨٧).
- (١) الترمذي (٣/٣٧١ ح ١٠٥٦) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء وقال: حسن صحيح.
- وابن ماجه (١/٥٠٢/١٥٧٦ ح ١٥٧٦) في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور وسنده حسن والحديث صحيح لشاهده من حديث حسان الآتي. والحديث السابق.
- (٢) ابن ماجه (١/٥٠٢/١٥٧٤ ح ١٥٧٤) في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور. وفيه عبد الرحمن بن بهمان قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليكن) فسنده ضعيف والحديث صحيح لشواهد المتقدمة.
- (٣) أحمد (ح/٣٨٤٤، ٤١٤٣، ٤١٤٤، ٤٣٤٢) نسخة أحمد شاکر وإسناده حسن من طريقين. ورواه أبو حاتم (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٦٦٨) تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل. وابن حبان (موارد ح ٣٤٠ و٣٤١).
- وقوله إسناده جيد هو قول ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم.
- (٤) أبو داود (٢/٢١٨ ح ٢٠٤٢) في المناسك، باب زيارة القبور. وإسناده كما قال.
- (٥) الضياء المقدسي في المختارة (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٧ - ٢٩٨) وأبو يعلى في =

أخبرني سهيل بن أبي صالح قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء»^(١). وروى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢) وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا.

(وقد نهى) النبي ﷺ، عن ارتفاع القبر) بالبناء أو نحوه، كما تقدم من النهي عن تجسيصها والبناء عليها، وكما سيأتي من الأمر بتسويتها (وأن يزداد فيه فوق شبر) كما في السنن عن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يبنى على القبر أو يزال عليه أو يجصص^(٣).

(وكل قبر مشرف) يعني مرتفع (فقد أمر) النبي ﷺ (بأن يسوى) بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تجاوز الشرع في ارتفاعها، (هكذا صح الخبر)، وهو ما رواه مسلم عن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبوره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها^(٤). وله عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن

= مسنده (الاقضاء ص ٢٩٦) وإسماعيل بن إسحق في فضائل الصلاة على النبي ﷺ (ح ٢٠). وحسن إسناده الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في تخريج الأذكار.

(١) سعيد بن منصور في سننه (الاقضاء ص ٢٩٨ - ٢٩٩) وإسماعيل بن إسحق في فضائل الصلاة على النبي ﷺ (ح ٣٠) دون قوله (لعن الله اليهود...) وإسناده مرسل قوي والحديث صحيح لشواهده.

وقوله: «ثم ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء» من كلام الحسن بن الحسن.
(٢) الموطأ (١/١٧٢) في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة من حديث عطاء بن يسار مرسلاً، والحديث صحيح لشواهده المتقدمة وغيرها.

(٣) تقدم قبل قليل.

(٤) مسلم (٢/٦٦٦ ح ٩٦٨) في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر.

أبي طالب : ألا أبغثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «ألا تدع تمثلاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١).

وحذر الأمة عن إطرائه ففرهم إبليس باستجرائه
فخالفوه جهرة وارتكبوا ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا

(وحذر) النبي ﷺ (الأمة عن إطرائه) أي الغلو فيه، كما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»^(٢). وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(٣). وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد^(٤). وعن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تعالى» قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان»^(٥). وهذا كله من حماية النبي ﷺ جناب التوحيد. وكما قال لمن قال: تعالوا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، قال: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»^(٦) والله سبحانه

-
- (١) مسلم (٩٦٩/٦٦٦/٢) في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر.
 - (٢) البخاري (٤٢٢/٦) في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾. وغيره وليس هذا اللفظ عند مسلم وأصل هذا الحديث عنده دون هذه الجملة.
 - (٣) النسائي (٢٦٨/٥) في الحج، باب التقاط الحصى. وابن ماجه (١٠٠٨/٢) ح (٣٠٢١) في المناسك، باب قدر حصى الرمي. وأحمد ٢١٥/١ و٣٤٧ وإسناده صحيح.
 - (٤) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٢٤٨) وإسناده جيد كما قال.
 - (٥) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٢٤٥) و(٢٤٦) و(٢٤٧) وسنده صحيح. ورواه أبو داود (ح ٤٨٠٦). وأحمد (٢٥/٤).
 - (٦) رواه الطبراني في الكبير من حديث عباد بن الصامت (المجمع ١٠/١٦٢) وفي سنده ابن لهيعة. ورواه أحمد من طريقه (٣١٧/٥) الشطر الأول ولكن قال: لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى.

وتعالى قد بين ما يجب اعتقاده في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديق خبرهم وامتنال أمرهم واجتناب نهيمهم واتباعهم على شريعتهم ومحبتهم هم واتباعهم وتوابع ذلك، وهذا هو الذي دعوا إليه لم يدع أحد منهم الربوبية ولا دعوا إلى عبادة أنفسهم ولا ينبغي لهم ذلك كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/ ٧٩ - ٨٠) وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (النساء/ ١٧٢) الآيات، وقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة/ ٧٥) الآية، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف/ ٥٩) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة / ١٧)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء/ ٢٦ - ٢٩) وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ﴾ (الأنعام/ ٥٠) وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ (الأعراف/ ١٨٨) وقال تعالى له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (آل عمران/ ١٢٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي

ولا اشرك به أحداً، قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً، إلا بلاغاً من الله ورسالاته ﴿الجن / ٢٠ - ٢٣﴾ والآيات، وقال تعالى: ﴿قل ما كنتُ بدعاً من الرُّسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يَوْحَى إِلَيَّ، وما أنا إِلَّا نَذِيرٌ مبين﴾ (الاحقاف/ ٩) وقال تعالى: ﴿وما محمدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسل، أَفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم﴾ (آل عمران/ ١٤٤) الآيات، وقد تلاها أبو بكر رضي الله عنه يوم مات النبي ﷺ وقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ﷺ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، إلى آخر خطبته رضي الله عنه^(١). وهذا باب واسع كثيرة النصوص فيه، بل ليست النصوص إلا فيه وفي متعلقاته ومكملاته.

(ففرهم) أي أكثر الأمة بعدما سمعوا الزواجر والنواهي (إبليس) لعنه الله واعاذنا منه (باستجرائه) أي باستهوائه إياهم واستدراجه لهم وإدخالهم في الهلكات شيئاً فشيئاً كما فعل بالأمم السلفه قوم نوح فمن بعدهم، وأتاهم على ما يهون إما بلغو وإما بجفاء لا يبالي ما أهلك العبد به سواء قصره على الصراط المستقيم وهون عليه أمره حتى لا يدخله ولا يسلكه أو جاوزه به حتى يتبع سبيل الضلال فتفرق به عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسل من الكفار وعادوهم وناذوهم بالمحاربة من أول مرة زين لهم ذلك وضرب لهم الأمثلة والمقاييس وانهم مثلهم بشر يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدوهم عما كان يعبد آباؤهم ويتنقصوا شيوخهم بذلك وتكون لهم الكبرياء في الأرض وغير ذلك. والذين صدقوا الرسل واتبعوهم أتى الكثير من خلوفهم وزين لهم الغلو فيهم بالكذب والقول عليهم بالبهتان ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل، واتاهم بذلك في صورة محبتهم وموالاتهم حتى جعلهم مثله في البعد عن الله ورسله ولم يسلم من ذلك إلا عباد الله المخلصون الذين هداهم الله صراطه

(١) تقدمت في كلام المصنف في علو الله على خلقه.

المستقيم، فلم يقصروا عنه ولم يستبدلوا به غيره، بل استمسكوا به واعتصموا: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران/١٠١)، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء/٦٩).

(فخالفوه) أي الذين استهواهم الشيطان خالفوا النص من الكتاب والسنة (جهره وارتكبوا، ما قد نهى عنه) من الغلو والإطراء وما لم يأذن به الله (ولم يجتنبوا) ذلك ولا شيئاً: فنهى عن الحلف بغير الله عز وجل وهؤلاء لا يحلفون إلا بغيره، وقد يحلفون بالله على الكذب ولا يحلفون بالنذر فيكذبون. ونهى أن تقرن مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى، وهؤلاء يثبتون له ذلك على سبيل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدو والأصال، ويسألون منهم قضاء الحوائج دون ذي الجلال، بل يعتقد فيهم الغلاة منهم أن بعض الأولياء هو المتصرف في الكون والمدير له في كل حال. ودعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده ودعائه وحده لا شريك له، فدعوا مع الله غيره، حتى دعوا الرسول الآتي بذلك نفسه مع الله عز وجل. ونهى عن اتخاذ القبور مساجد وهؤلاء يعكفون عليها، ويصلون عليها وإليها بل ولها من دون الله عز وجل، وكثير منهم يفضلون الصلاة فيها على مساجد الله عز وجل التي بنيت لذلك. ونهى أن تجصص القبور أو يبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القباب وزخرفوها، وحبسوا عليها العقارات وغيرها وأوقفوها، وجعلوا لها النذور والقربات، وكم عبادة إليها دون الله صرفوها، ونهى عن بناء المساجد عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بالغضب وهؤلاء قد بنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتهم، وما بينهم وبين بنائهم عليها إلا موت أهلها أو حلم يتمثل لهم الشيطان فيه أو خيال أو سماع صوت فيسارعون إلى ذلك أسرع من مسارعة أهل الدين إلى الكتاب والسنة. ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يقفون الوقوف على تسريحها، ويجعلون عليها من الشموع والقناديل ما لم يجعلوه في مساجد الله، وكأنما نذبهم الرسول ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنة التي عنى بها من فعل ذلك. وقال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى

ثلاثة مساجد»^(١) الحديث وهؤلاء يضربون أكباد الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنونهم صالحين مسافة الأيام والأسابيع والشهور ويرون ارتكاب ذلك المنهي من أعظم القربات. ونهى ﷺ عن اتخاذها أعياداً^(٢)، وهؤلاء قد اتخذوها أعياداً ومعابد لا بل معبودات من دون الله عز وجل، ووقتوا لها المواقيت زماناً ومكاناً، وصنفوا فيها مناسك حج المشاهد وحجوا إليها أكثر مما يحج إلى بيت الله الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أخل بشيء من مناسكها أعظم جرماً ممن أخل بشيء من مناسك الحج، حتى أن من كان منهم قد حج عشرات مرات أو أكثر يبايع من شهد أحد المشاهد أن يعاوضه بجميع حججه بتلك الزيارة فيمتنع أشد الامتناع، ويخشعون عندها أكثر مما يخشع عند شعائر الله، وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»^(٣) وهؤلاء قد أطروا من هو دونه من أمته بكثير بل قد أطروا من لم يؤمن به ﷺ ساعة من الدهر أعظم من اطراء النصارى ابن مريم، بل جعلوه هو الرب على سبيل الاستقلال. وقال ﷺ: «انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»^(٤)، وهؤلاء قد استغاثوا بغير الله سراً وجهراً وهتفوا باسم غير الله في السراء والضراء والشدة والرخاء وأخلصوا لهم الدعاء من دون الله عز وجل وصرفوا إليهم جل العبادات من الصلاة والنذر والنسك والطواف وغير ذلك. وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلان فكيف بمن يقول يا فلان مالي سواك، ويقول قد استغثت الله فلم يغثني حتى استغثت فلاناً فأغاثني، وإنه ليعصي الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفة شيء مما ينسبونه إلى وليه من الأكاذيب المختلفة والحكايات الملفقة، وترى أكثر مساجد الله المبنية للصلوات معطلة حساً ومعنى، وفيها من الأزيال والكناسات والالوساخ ما لا يعد ولا يحصى، فإذا أتيت قباب المقابر والمساجد المبنية عليها رأيت بها من الزينة والزخارف والأعطار والزبرقة والستور المنقشة المعلمة

(١) تقدم ذكره.

(٢) تقدم أدلته.

(٣) تقدم قبل قليل.

(٤) تقدم قبل قليل.

المرصعة والأبواب المفصصة المحكمة، ولها من السدنة والخدام ما لم تجده في بيت الله الحرام، والداخل إليها والخارج منها من الزوار ما لا تحصيهم الاقلام، وعليها من الأكسية والرايات والأعلام ما لو قسم لاستغنى به كثير من الفقراء والأرامل والأيتام، فما ظنك بالوقوف المحبسة عليها، والأموال المجيبة اليها من الثمار والنقود والأنعام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فأبي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جني الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأبي مُناف للتوحيد وأي مناقض له أقبح من هذا الشرك والتنديد، تالله ما قوم نوح ولا عاد ولا ثمود ولا أصحاب الأيكة بأعظم شركاً ولا أشد كُفراً من هؤلاء الملاحيد وليس أولئك بأحق منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيراً من أولئك ولا براءة لهم من ذلك الوعيد، ولكن الله يمهّل ولا يهمل وما بطشه من الظالمين ببعيد، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود/١٠٢).

فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ورفعوا بناءها وشادوا
بالشيد والأجر والأحجار لا سيما في هذه الأعصار

(فانظر) أيها المؤمن (إليهم) وإلى أعمالهم (قد غلوا) في أهل القبور الغلو المفرط الذي نهاهم الله تعالى ورسوله ﷺ عنه (وزادوا) عما حذرهم عنه الرسل (ورفعوا بناءها) أي بناء القبور المنهي عن مجردة قليله وكثيره (وشادوا) أي ضربه (بالشيد) وهو الجص (والأجر) اللبن المحرق (والأحجار) المنقشة المزخرفة (لا سيما) بزيادة (في هذه الأعصار) القرية بعد ظهور دولة العبيديين^(١) الذين قال فيهم أهل العلم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فاعتنوا

(١) وهي الدولة التي تسمت باسم الفاطميين نسبة لآل البيت وأنى لهم ذلك وسيدهم يهودي (عبدالله بن ميمون القداح) وهي دولة إسماعيلية نزارية ومنها انبثقت الدرزية الملحدة بأمر إمامها الحاكم بأمر الله الفاطمي وملكت في مصر حتى أباد شوكتهم الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي.

ببناء القباب على القبور وزخرفتها وتشبيدها وجعلها مشاهد، وندبوا الناس إلى زيارتها وأتوا بذلك باسم محبة أهل البيت وكل من جاء بعدهم من الدول المتبدعة زاد فيها وأحدث أكثر مما أحدث من قبله حتى اتخذوها مساجد ومعابد، إلى أن عبدت من دون الله، وسألوا منها ما لا يقدر عليه إلا الله وفعلوا بها ما يفعل أهل الأوثان بأوثانهم وزادوا كثيراً فضلوها عن سواء السبيل، وأضلوا من قدروا على إضلاله جيلاً بعد جيل، ولم يبق من الدين عندهم إلا اسمه، ولا من الكتاب والسنة لديهم إلا لفظه ورسمه، ولكن الأرض لا تخلو من مجدد لعالم الشريعة الحنيفة، ومنبه على ما يخل بها أو يناقضها من البدع الشيطانية، ولا تزال طائفة من هذه الأمة أمة محمد ﷺ على الحق ظاهرة لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/٩).

وللقناديل عليها أوقدوا	وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلام والرايات	وافتنوا بالأعظم الرفات
بل نحروا في سوحها النحائر	فعل أولي التسيب والبحائر
والتمسوا الحاجات من موتاهم	واتخذوا إلههم هواهم

(وللقناديل) من الشموع وغيرها (عليها) أي على القبور وفي قبابها (أوقدوا) تعرضاً لللعنة من رسول الله ﷺ لمن فعل ذلك إذ يقول: «لعن الله زوَّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»^(١) فأوقفوا لتسريحها الوقوف الكثيرة وجعلوا عليها سدة وخداماً معذنين لإيقادها، وويل للسادن إن طفئ مصباح قبر الشيخ (وكم لواء فوقها قد عقدوا) تعظيماً لها وتألهاً ورغبة ورهبة، (ونصبوا) عليها (الأعلام والرايات) لا سيما يوم عيدها لأنهم قد اتخذوا لكل قبر عيداً أي يوماً معتاداً يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدانها كما أن الحج يوم عرفة، مخالفة منهم ومشاقة لله ورسوله إذ يقول ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً»^(٢) فقد اتخذوا قبور

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

من هودونه أعياداً، ومن فاته يوم ذلك العيد المعتاد فقد فاته المشهد وفاته خير كثير، وفي ذلك العيد تنصب الزينة الباهرة وتدق الطبول والأعواد، ويجتمع الرجال والنساء في ميدان واحد لابسين زينتهم قد عطر كل من الجنسين بأطيب ما يجد ولبس أطيب ما يجد، وتجبي الأموال من الأوقاف والنذور وغيرها على اختلاف أجناسها من نقود وثمار وأنعام وخراجات وغيرها مما علم الله تعالى أنها لا يبتغي بها وجهه ولم تنفق في مرضاته بل في مساخطه (وافتنوا) في دينهم (بالأعظم الرفات) النخرة فعبدها من دون الله عز وجل دعاء وتوكلاً وخوفاً ورجاء ونذراً ونسكاً وغير ذلك، (بل نحروا في سوحها) أي في أفنية القبور (النحائر) من الابل والبقر والغنم إذا نابهم أمر أو طلبوا حاجة من شفاء مريض أو ردّ غائب أو نحو ذلك، وأكثرهم يسمها للقبر من حيث تولد ويربها له إلى أن تصلح للقربة في عرفهم، ولا يجوز عندهم تغييرها ولا تبديلها ولا خصيها ولا وجاؤها لا يذهب شيء من دمها إذ ذلك عندهم نقص فيها وبخس (فعل أولي التسيب والبحائر) أي كفعل مشركي الجاهلية من العرب وغيرهم في تسيبهم السوائب وتبحير البحائر وجعل الحام كما قدمنا عنهم ذلك مبسوطاً في موضعه، غير أن أولئك سموهم آلهة وشفعاء وسموا مثل هذا الفعل بهم عبادة، وهؤلاء سموهم سادة وأولياء وسموا دعاءهم إياهم تبركاً وتوسلاً وكلاهما مشرك في فعله بالله عز وجل، وهؤلاء أعظم شركاً وأشدّ لأنهم يشركون في الرخاء وفي الشدة بل هم في الشدة أكثر شركاً وأشدّ تعلقاً بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهلية الأولى فيشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدة كما أخبرنا الله عنهم بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت/ ٦٥) وغيرها من الآيات. (والتمسوا الحاجات) التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل (من موتاهم) من جلب الخير ودفع الشر (واتخذوا إلههم هواهم) وهذا هو السبب في عبادة غير الله بل في جميع معاصي الله، وهو الذي كلما هوى أمراً أتاه، ولم يأتهم الشيطان من غير باب الهوى ولم يصطد أحداً بغير شبكته، لأن الهوى يعمي عن الحق. ويضل عن السبيل أتباعه، وهو سبب الشقاوة كما أن التزام الشريعة باطناً وظاهراً سبب السعادة، فهما ضدان لا

يجتمعان ولا يكون الحكم إلا لواحد منهما، لأن الشريعة تدل على مرضاة الله وتأمر بها، وتحذر من مساخط الله وتنهى عنها، والهوى بضد ذلك، ولهذا قال ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره»^(١) يعني لمخالفة أسبابها من الأعمال الصالحة للهوى، «وحفت النار بالشهوات»^(٢) لموافقة أسبابها من المعاصي للهوى. فطوبى لمن كان هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ، وويل لمن قدم هواه على ذلك لقد هلك.

قد صَادَهُمْ إبليسُ في فخاخِهِ بل بعضهم قد صار من أفراخِهِ
يدعو إلى عبادة الأوثان بالمال والنفس وباللسانِ

(قد صادهم) من الاصطياد بل من مطاوع اصطاد لأن التاء التي قلبت طاء هي لمعنى الطلب وأما حذفها فيدل على وصول الطالب إلى مطلوبه، (إبليس في فخاخِهِ) التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرها في صورة الطاعات، فأول ما زين لقوم نوح العكوف على صور صالحهم ليتذكروا عبادتهم الله تعالى فيقتفوا أثرهم فيها، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا. وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمة أول ما أشار عليهم ببناء القباب على القبور باسم محبة الأولياء ثم بالعكوف عليها وعبادة الله عز وجل عندها تبركاً وتيمناً بتلك البقاع التي فضلت بهم إذ دفنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسهم دون الله عز وجل، ثم استرسلوا في تلك العبادة شيئاً فشيئاً إلى أن أثبتوا للمخلوق صفات الربوبية من التصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فصار الأمر كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القرى والأمصار، وفي كل زمن تشيع وتزيد وفي كل عصر من الأعصار، (بل بعضهم قد صار من أفراخِهِ) المساعدين له الداعين إلى ما دعا إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (يدعو إلى عبادة الأوثان) من القبور وغيرها (بالمال والنفس وباللسان)، فمن دعايتهم إلى ذلك أنهم يجمعون أنواعاً من المطالب ويدخلونها القبر إلى القبة المبنية عليه في سرايب معدة تحتها فإذا

(٢٠١) مسلم (٤/٢١٧٤/ح ٢٨٢٣) في صفة الجنة في فاتحته ورواه البخاري بلفظ حجت في الرقاق، باب حجت النار بالشهوات (١١/٣٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اتى اليهم الجاهل المفتون ووقف على الحاجب فإن لم يكن له مطلوب معين قال له أدخل يدك فما خرج فيها فهو الباب الذي ترزق منه لا تعدوه إلى غيره، فإن خرج في يده تراب فحارث، وإن خرج قطن فحائك، وإن خرج فحم أو نحوه فحداد أو صائغ، وإن خرج آلة حجارة فحجام، وإن خرج كذا فهو كذا، على فواعدهم يعرفونها، ومخرقة لهم يالفونها، وإن كان له مطلوب معين قال له ما تريد من الشيخ؟ قال أريد كذا، فإن كان ذلك يوجد فيها أدخل القبر، وإلا قال ارجع الآن وموعدك الوقت الفلاني فإن الشيخ الآن مشغول أو نحو ذلك من الاعتذار مع ما في قلبه من تعظيم الشيخ، فلا يكرر الطلب ألبتة معه، فلا يأتي في المرة الثانية إلا وقد استعد له بمطلوبه، فإذا جاء وأدخل يده خرج فيها ذلك المطلوب فحينئذ خرج ينادي: شيء الله يا شيخ فلان، وكلما وجد أحداً أراه ذلك وقال: هذا من كرامات الشيخ فلان وعطاياه، فيجمعون من أموال الناس بهذه الحيل والشعوذة ما لا يحصى، ولكنهم لم يحتالوا لأخذ أموال الناس فحسب، بل احتالوا لسلب دينهم وأخرجوهم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، وليس هذا خاصاً بقبور الصالحين الذين عرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة، بل أي قبر تمثل فيه الشيطان أو حكيت له حكاية أو رؤيت له رؤيا صدقاً كانت أو كذباً فقد استحق عندهم أن يبنى عليه القباب ويعكف عنده وينذر له ويذبح عليه ويستشفى به المرضى ويستنزل به الغيث ويستغاث به في الشدائد ويسأل منه قضاء الحوائج ويخاف ويرجى ويتخذ نداً من دون الله عز وجل وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علواً كبيراً.

الله أكبرُ لورأيت على القبو	ر عكوفهم صُبْحاً وبالإساء
والله أكبرُ لوترى أعيادهم	جَمَعَ الرِّجَالِ معاً وجمع نساء
والله أكبرُ لورأيت مساجداً	بنيت على الموتى بأيّ بناء
قَدْ زُخِرَتْ بحجارة منقوشة	بالشَّيدِ قَدْ ضُرِبَتْ مَعَ الإِعْلَاءِ
ورءوسها قد زُيِّنَتْ بأهْلَة	من أنفُسِ المنقوشِ دونَ مِراءِ
قَدْ أُسْرِجَتْ وَلَكُمْ على تسريجها	وقفوا الشُّموعِ لها بأيّ أداء

كم سادِنٍ قَدْ وُكِّلُوهُ بِشَأْنِهَا
 وَيْلٌ لَهُ لَوْ قَدْ أَخْلَى بَعْضُ ذَا
 وَلَكُمَّ عَلَيْهَا رَايَةٌ قَدْ نُشِرَتْ
 وَكَرَأْتُمُ الْأَنْعَامَ تَنْحَرُ سَوْحَهَا
 لَمْ يَقْرُدُوا رَبَّ السَّمَاءِ بِدَعْوَةٍ
 يَدْعُوْنَهُمْ فِي كَشْفِ كُلِّ مَلَمَةٍ
 وَيَعْظُمُونَهُمْ بِكُلِّ عِبَادَةٍ
 وَتَرَاهُ بِالرَّحْمَنِ يَخْلِفُ كَاذِبًا
 لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَلْفُ
 زَادُوا عَلَى شِرْكِ الَّذِينَ إِلَهُهُمْ
 إِذَا يَخْلُصُونَ لَدَى الْكَرُوبِ وَهَؤُلَاءِ
 بَلْ فِي الشَّدَائِدِ شِرْكُهُمْ أَضْعَافُ مَا
 فَتَرَاهُ يَنْذِرُ فِي الرَّخَاءِ بِيَدِنِ
 وَجَمِيعِ مَا يَأْتِيهِ فِي سَرَائِهِ
 تَاللَّهِ مَا ظَفَرَ اللَّعِينُ بِمِثْلِهَا
 حَتَّى إِذَا مَا هَيَّأُوا لِعَدُوِّهِمْ
 طَمَعَ الْعَدُوُّ بِهِمْ لَنِيْلٍ مَرَادِهِ
 لَمَّا أَسَاءُوا الظَّنَّ بِالْوَحِيِّ
 لَمْ يَهْتَدُوا بِالنَّصْرِ قَطْ بَلْ اقْتَفَوْا
 نَبَذُوا الْكِتَابَ فَلَمْ يَقِيمُوا نَصَّهُ
 وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ قَدْ صَارَتْ لَهُمْ
 وَطَرَائِقُ الْبِدْعِ الْمُهْلِكَةِ صَيَّرُوا
 يَا رَبِّ ثَبَّتْنَا عَلَى دِينِ الْهُدَى

طيباً وتنظيفاً وشأنِ ضيَاءِ
 ماذا يقاسي منْ ضروبِ بلاءِ
 ألوانها سَلَبَتْ لِقَلْبِ الرَّائِي
 مَنْذُورَةٌ يُوْتَى بِهَا لِوَفَاءِ
 بَلْ لِلْقُبُورِ تَجَاوَبُوا بِنداءِ
 فِي الْجَهْرِ قَدْ هَتَفُوا فِي الْإِخْفَاءِ
 يَا صَاحِبِ فِي السَّرِّ وَالضَّرِّاءِ
 وَصِفَاتِهِ الْعَالِيَا وَالْأَسْمَاءِ
 بِالْمَقْبُورِ ذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ بِبِرَاءِ
 بُعِثَ الرَّسُولُ بِأَصْدَقِ الْأَنْبَاءِ
 فَشِرْكُهُمْ فِي شِدَّةٍ وَرَخَاءِ
 قَدْ أَشْرَكُوا فِي حَالَةِ السَّرِّاءِ
 وَبِيدَتَيْنِ لَدَى اشْتِدَادِ بِلَاءِ
 فَلَهُ بِهِ الْأَضْعَافُ فِي الضَّرِّاءِ
 مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الشَّرْعَةِ الْغَرَاءِ
 سَبَبَ الدُّخُولِ وَسَلَّمِ الْإِغْوَاءِ
 مِنْهُمْ فَغَرَّ الْقَوْمَ بِاسْتِجْدَاءِ
 لَكِنْ أَحْسَنُوهُ بِزُخْرَفِ الْأَعْدَاءِ
 آراءِ مَنْ قَدْ كَانَ عَنْهَا نَائِي
 إِذْ كَانَ مِيلُهُمْ إِلَى الْأَهْوَاءِ
 دِيناً تَعَالَى اللَّهُ عَنْ شِرْكَاءِ
 سُبُلًا مَكَانَ الْمِلَّةِ السَّمْحَاءِ
 وَعَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْبِيضَاءِ

واردد بتوفيقٍ إليها مَنْ نأى
 يا ربنا فاكشف غطاء قلوبنا
 واسلك بنا نهج النجاة ونجنا
 واجعل كتابك يا كريم إمامنا
 وانصر على الأعداء حزبك إنهم
 راموا بنا السوأى بسوء مكاييد
 واردّد إلهي كيدهم في أيديهم
 أظهر على الأديان دينك جهرةً
 واجعل لوجهك خلاصاً أعمالنا
 مِمَّنْ قد استهوى أولو الأغواء
 بالنور أخرجنا من الظلماء
 مِنْ حيرة وضلالة عمياء
 ورسولك المقدام للحنفاء
 خبطتهمو فتنّ من الأعداء
 فاقصمهمو يا ربّ للأسواء
 وأبدهمو بيداً عن البيداء
 وشعاره فارفع بدون خفاء
 بعبادة وولاية وبراء^(١)

فصل

أذكر فيه بيان حقيقة السحر وحكم الساحر

وذكر عقوبة من صدّق كاهناً

أي ما عليه من العقوبة شرعاً، وأن منه أي من السحر علم التنجيم وهو النظر في النجوم الآتي بيانه، وذكر عقوبة من صدّق كاهناً بقلبه؛ ويعني عقوبته الوعيدية. والبحث في هذا الفصل في أمور:

الأول: هل السحر حقيقة وقوعه ووجوده أم لا.

الثاني: حكم متعلمه إن عمل به أو لم يعمل.

الثالث: عقوبته شرعاً ووعيداً.

الرابع: أنواعه.

والسحر حق وله تأثير
 لكن بما قدره القدير
 أعني بهذا التقدير ما قد قدره
 في الكون لا في الشرعة المطهرة

(١) قال أحمد بن حافض الحكمي (ابن المصنّف): هذه الأبيات من شعر المؤلف رحمه الله: وقد ورد بعض منها في قصيدته الطويلة «همزية الإصلاح».

حمداً بلا حد ولا إحصاء لله مولى الحمد والنعماء

هذا هو البحث الأول في حقيقته وتأثيره :

(والسحر حق) يعني متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجوداً حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمراً وخبراً. وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجوداً في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به معجزات نبي الله موسى عليه السلام في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ - إِلَى قَوْلِهِ - قَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الشعراء/ ٣٤- ٣٧) وقال تعالى عن السحرة: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيْنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف/ ١١٦) وقال تعالى فيهم: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى، فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى، وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه/ ٦٦- ٦٩) يقال إنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم جبل وعصا فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم وألقوا تلك الحبال والعصى فرأها الناس حيات عظاماً ضخاماً وذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيْنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ وقوله: ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى﴾ قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى، فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى، وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ (طه/ ٦٧- ٦٩) يعني العصا ﴿تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوا﴾ أي السحرة أي ما اختلقوا واثتفكوا من الزور والتخييل، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف/ ١١٧) وهون الله أمرهم على نبيه موسى عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ مَكْرَهُ وَخَدَاعَهُ﴾ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى، ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف/ ١١٩) إلى آخر الآيات، وقد أخبر الله تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا لنبيهم عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ (الشعراء/ ١٥٣) وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ وقالت قريش لنبينا محمد ﷺ كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في

غير موضع بل ذكر الله عز وجل أن ذلك القول تداوله كل الكفار لرسولهم فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ أُتَوَّصُوا بِهِ﴾ (الذاريات/٥٢) الآية، وقال سبحانه في ذم اليهود: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وراءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفِرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/١٠١-١٠٢) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ شَرَّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (الفلق/٤) والنفاثات هن السواحر يعقدن وينفنن. والمقصود أنه قد ثبت بهذه النصوص وغيرها مما سنذكر ومما لا نذكر أن السحر حقيقة وجوده.

(وله تأثير) فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، (لكن) تأثيره ذلك إنما هو بما قدره القدير) سبحانه وتعالى، أي بما قضاه وقدره وخلقه عندما يلقي الساحر ما ألقى، ولذا قلنا (أعني بذا التقدير) في قوله بما قدره القدير (ما قد قدره في الكون) وشاءه (لا) أنه أمر به (في الشرعة) التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه (المطهرة)، من ذلك وغيره كما تقدم أن القضاء والأمر والحكم والإرادة كل منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكوني يشمل ما يرضاه الله ويحبه شرعاً، وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعي يختص بمرضاته سبحانه وتعالى ومحابه، ولهذا قال تعالى في الشرعي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة/١٨٥) وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾

(الزمر/٧) فأخبر تعالى أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وأنه يرضى لهم الشكر ولا يرضى لهم الكفر، مع كون كل من العسر واليسر والشكر والكفر واقع بقضاء الله وقدره وخلقته وتكوينه ومشيتته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر/٦٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٩) والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضرراً وإنما يؤثر بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقته وتكوينه، لأنه تعالى خالق الخير والشر، والسحر من الشر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة/١٠٢) وهو القضاء الكوني القدرى، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعاً، وقد ثبت في الصحيحين من طرق عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عز وجل ودعاه ثم قال: «أشعرت يا عائشة، إن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن العاص اليهودي من بني زريق. قال: فيماذا؟ قال: مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين؟ قال: في بئر ذي أروان. قال فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: «والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين». قلت: يا رسول الله فأخرجته: قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شراً» وأمر بها فدفنت^(١). وفي رواية قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف لليهود كان منافقاً. قال وفيهم؟ قال في مشط ومشاقة. قال: وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان - وذكره -^(٢) هذا لفظ البخاري المشاطة ما يخرج من الشعر، والمشط أسنان ما

(٢٠١) البخاري (٢٢١/١٠) في الطب، باب السحر وفي باب هل يستخرج السحر (٢٣٢/١٠).
وفي الجهاد باب هل يعنى عن الذمي إذا سحر، وفي الأدب باب قول الله: إن الله يأمر بالعدل =

يمشط به، والمشاقة من مشاقة الكتان، وجف طلعة غشاؤها وهو الوعاء الذي يكون فيه الطلع، تحت راعوفة هو حجر يترك في البئر عند الحفر ثابت لا يستطيع قلعه يقوم عليه المستقي، وقيل حجر على رأس البئر يستقي عليه المستقي، وقيل حجر بارز من طيها يقف عليها المستقي والناظر فيها، وقيل في أسفل البئر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعه لصلابته. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قال المازري رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه فاحالة كونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضره كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوي قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة. قال: ومن أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل. فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل

= والإحسان.

ومسلم (١٧١٩/٤ ح ٢١٨٩) في السلام، باب السحر.

إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطيء، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده. ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتين، ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذه السحر فلم يأتين ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور. وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا كالخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة والله أعلم ا. هـ. (١) قلت: قول المازري خلافاً لمن أنكر ذلك، قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى: أجمعوا على أن السحر له حقيقة، إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده. ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر (٢)، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا إنه تمويه وتخيل ا. هـ. (٣).

قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيواناً وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في

(١) شرح النووي (١٤/١٧٤ - ١٧٥). وقول القاضي عياض هو في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٨٢/٢).

(٢) الإفصاح لابن هبيرة (٢/٢٢٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٦).

الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقي الساحر ما ألقى امتحاناً وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخيل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الجبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعده ولا نبذل قولاً غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم. وبالله التوفيق.

واحكم على الساحر بالتكفير	وحده القتل بلا نكير
كما أتى في السنة المصرحة	مما رواه الترمذي وصححه
عن جنذب وهكذا في أثر	أمر بقتلهم روي عن عمر
وصح عن حفصة عند مالك	ما فيه أقوى مرشد للسالك

هذا هو البحث الثاني وهو حكم الساحر:

(واحكم على الساحر) تعلّمه أو علّمه عمل به أو لم يعمل (بالتكفير) أي بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور:

منها سبب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ١٠١) سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم أو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، كل ذلك نبذه كفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع من كفر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية كما قال الربيع بن أنس وغيره: إن اليهود سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخصموه به فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمَانَ وَمَا كَفَرَ سَلِيمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ (البقرة/ ١٠٢) الآيات^(١).

(١) ابن كثير (١/ ١٤٠) وهو من قول الربيع بن أنس.

ومنها قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ تتقوله وتزوره ﴿على ملك سليمان﴾ أي في ملكه وعهده، ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له والعمل به عوضاً عما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر، وهو من عبادة الطاغوت التي هي أصل الكفر، وقد سمى الله تعالى طاعة العلماء والأمرأ في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله، سمى ذلك عبادة وأنه اتخاذ لهم أرباباً من دون الله فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣١) الآية، قال عدي بن حاتم رضي الله عنه حين سمع رسول الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحلون ما حرم الله فتحلون، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟» قال بلى. قال: «فتلك عبادتكم إياهم»^(١)، ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/ ٣١) فإذا كان هذا في طاعة الأحرار والرهبان فكيف في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي، فهل فوق هذا الشرك من كفر؟ ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ وعبادة الشيطان هي اتباعه فيما أمر به من الكفر والضلال ودعا إليه، كما قال عز وجل فيه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وكما يقول للمجرمين يوم القيامة: ﴿الْمُ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (يس/ ٦٠-٦٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، برأ الله سبحانه وتعالى نبيه عليه

(١) الترمذي (٢٧٨/٥) ح ٣٠٩٥ في التفسير، باب ومن سورة براءة وفي سنده غطيف بن أعين وهو ضعيف.

ورواه جرير (١١٤/١٠) من طرق كلها من طريق غطيف.

وقال السيوطي: رواه ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (الدر المنثور ١٧٤/٤).

ورواه الطبراني في الكبير (٩٢/١٧) ح ٢١٨ من طريق غطيف.

ورواه ابن جرير (١١٤/١٠) من حديث أبي البخري عن حذيفة موقوفاً وهو منقطع فالحديث ضعيف. وقد حسن إسناده العلامة الألباني غاية المرام (٦)

السلام من الكفر، وهذا الكفر الذي برأه تعالى منه هو علم الساحر وعمله، وإن كان بريئاً من الكفر كله معصوماً مما هو دونه، لكن سياق الآية في خصوص السحر وأنه بريء منه، ولو فرض وجود عمله به لكفر لأنه شرك والشرك أقبح الذنوب وأعظم المحبطات للأعمال كما قال تعالى في جميع رسله سليمان وغيره عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ولو أشركوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يعملون﴾ (الأنعام/٨٨)، وهذا معلوم من أصل القصة فإن اليهود قاتلهم الله تلقوا السحر عن الشياطين ونسبوه إلى سليمان عليه السلام، فبرأه الله تعالى من إفكهم بهذه الآية، كما قال مجاهد رحمه الله تعالى في هذه الآية: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾ قال: كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمان عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر^(١). وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: كان سليمان عليه السلام يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فذنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدبرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا نعم. قالوا فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به، فقال أهل الحجاز - يعني اليهود من أهل الحجاز - كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر، فأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾^(٢) وقال محمد بن إسحاق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنّفوا أصناف السحر جعلوه

(١) ابن جرير الطبري (جامع البيان ٤٤٧/١) وفي سنده أبو حذيفة (موسى بن مسعود النهدي) وهو سيء الحفظ.

(٢) ابن كثير (١٤٠/١). ورواه ابن جرير (٤٤٩/١) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف واتهمه بعضهم.

في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا، فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعم أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً. وأنزل الله تعالى في ذلك: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر الآية^(١) وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه. فلما مات سليمان أخرجه الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل به. قال فأكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس، فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾^(٢) وتفاسير السلف وآثارهم في هذه الآية كثيرة جداً، وما كان منه إسرائيلياً فهو من القسم المقبول لموافقته ظاهر الآية في أن اليهود تعلموا السحر من الشياطين ورموا به نبي الله سليمان وأكفروه به وسبوه، وخاصموا به محمداً رسول الله ﷺ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فبين الله تعالى ما لبسوه وهدم ما أسسوه وبرأ نبيه سليمان عليه السلام مما اتفكوه وأقام الحجة عليهم في بطلان ما انتحلوه فله الحمد والمنة.

ومنها قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾

(١) ابن كثير (١/١٤٠). ورواه ابن جرير (١/٤٤٦) من طريق محمد بن حميد الرازي وقد تقدم.
(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ١/١٣٩) وسنده حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
وهذه الأقوال المتقدمة لا تقوم بها الحجة إذ أنها من أمور الغيب وقول الجمهور هو الصواب في تفسير الصحابي في أن حكمه ليس حكم المرفوع خلافاً للحاكم رحمه الله.

(البقرة/١٠٢) أَكْذَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَى نَبِيِّهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وهم إنما نسبوا السحر إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفر لأن السحر كفر، ولهذا أثبت كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ وكذلك كل من تعلم السحر أو علمه أو عمل به يكفر ككفر الشياطين الذين علموه الناس، إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذ الشيطان وخريجه، عنه رَوَى وبه تخرج وإياه اتبع، ولهذا قال تعالى في الملكين: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾ فبين تعالى أنه بمجرد تعلمه يكفر سواء عمل به وعلمه أو لا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فإذا أتاها الآتي مريد السحر نهياه أشد النهي وقال له: إنما نحن فتنة فلا تكفر وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر، قال فإذا أبى عليهما أمرهما أن يأتي مكان كذا وكذا فإذا أتى عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور فنظر إليه ساطعاً في السماء فيقول: يا حسرتاه يا ويله ماذا صنع^(١). وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله تعالى أن يبتلي به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر^(٢)، وقال قتادة كان أخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاء ابتلينا به ﴿فَلَا تَكْفُرُ﴾^(٣)، وقال السدي إذا أتاها إنسان يريد السحر وعظه وقال له: لا تكفر إنما نحن فتنة، فإذا أبى قال له ائت هذا الرماد فبل عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الإيمان، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك غضب الله، فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾

(١) ابن كثير (١٤٧/١) وفيه أبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.

(٢) ابن أبي حاتم (ابن كثير ١٤٧/١ - ١٤٨).

(٣) ابن كثير (١٤٨/١). ورواه ابن جرير الطبري (٤٦١/١).

الآية^(١). وعن ابن جريج في هذه الآية: لا يجترىء على السحر إلا كافر، والفتنة هي المحنة والاختبار^(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ (البقرة/١٠٢) يعني من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفى بدخول الجنة خلافاً، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة. ثم قال تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/١٠٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ يعني بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ السحر وسائر الذنوب ﴿لَمْثُوبَةٌ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/١٠٣) وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر ونفي الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقى: ولو أنه آمن واتقى، وإنما قال تعالى ذلك لمن كفر وفجر وعمل بالسحر واتبعه وخاصم به رسوله ورمى به نبيه ونبذ الكتاب وزاء ظهره، وهذا ظاهر لا غبار عليه والله أعلم. وقد صرح بذلك أئمة السلف من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القدر الذي يصير به كافراً^(٣)، والصحيح أن الساحر المتعلم من الشياطين كله كفر قليله وكثيره كما هو ظاهر القرآن.

[المبحث الثالث وهو عقوبة الساحر شرعاً ووعيداً]

(وحدّه) أي حدّ الساحر (القتل) ضربه بالسيف (بلا نكير) بل هو ثابت بالكتاب من عموم النصوص في الكفار المرتدين وغيرهم (كما أتى) ثابتاً (في السنة المصراحة) الثابتة عن النبي ﷺ (مما رواه الترمذي) محمد بن عيسى بن سورة بمهملتين ابن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى الترمذي الحافظ الضريّر أحد الأعلام وصاحب الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم

(١) ابن كثير (١٤٨/١). ورواه ابن جرير الطبري (٤٦١/١).

(٢) ابن كثير (١٤٨/١) ورواه ابن جرير الطبري (٤٦٢/١).

(٣) سيأتي تفصيل كلام الأئمة في هذا من الإفصاح لابن هبيرة رحمه الله.

من جامعه وغيره، وعنه محمد بن إسماعيل السمرقندي وحماد بن شكر وأبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي راوي الجامع والهيثم بن كليب وخلق من أهل سمرقند ونسف وتلك الديار، وقال ابن حبان كان ممن جمع وصنف، قال أبو العباس المستغفري مات سنة تسع وسبعين ومائتين، مرفوعاً (وصححه) موقوفاً (عن جندب) هو ابن عبدالله بن سفيان البجلي العلقمي أو العلقي له ثلاثة وأربعون حديثاً اتفقاً على سبعة وانفرد مسلم بخمسة. روى عنه الحسن وابن سيرين وأبو مجلز، مات بعد الستين، قال رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في حد الساحر حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ حد الساحر ضربه بالسيف» هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع هو ثقة ويروى عن الحسن أيضاً والصحيح عن جندب موقوفاً والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم ير عليه قتلاً^(١). ويعني بقوله: ما يبلغ الكفر أي ما كان فيه اعتقاد التصرف لغير الله وصرف العبادة له كما يفعله عباد هياكل النجوم من أهل بابل وغيرهم والله أعلم. (وهكذا في أثر. أمر بقتلهم) يعني السحرة (روى عن عمر) ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي أبي حفص المدني أحد فقهاء الصحابة ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأول من سمي أمير المؤمنين، له خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً اتفقاً على عشرة وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وعنه أبناؤه عبدالله وعاصم وعبيدالله وعلقمة بن أبي وقاص وغيرهم، شهد بداراً والمشاهد والمواقف، وولي أمر الأمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما وفتح في أيامه عدة أمصار، أسلم بعد أربعين

(١) الترمذي (٤/٦٠ ح ١٤٦٠) في الحدود، باب ما جاء في حد الساحر. والدارقطني (٣/١١٤) والطبراني في الكبير (٢/١٦١ ح ١٦٦٥) والبيهقي (٨/١٣٦).
وسنده ضعيف فيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف. والصحيح أنه موقوف على جندب.

رجلاً، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»^(١) ولما دفن قال ابن مسعود رضي الله عنه: ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم^(٢). استشهد في آخر سنة ثلاث وعشرين ودفن في أول سنة أربع وعشرين في الحجرة النبوية وهو ابن ثلاث وستين وصلى عليه صهيب، ومناقبه جمة قد أفردت في مجلدات. وهذا الأثر المشار إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمد بن حنبل الشيباني ومحمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله تعالى قالاً: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال فقتلنا ثلاث سواحر^(٣).

(وصح) نقلاً (عن حفصة) بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين رضي الله عنها (عند مالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي أبي عبد الله المدني أحد الأعلام في الإسلام وإمام دار الهجرة، ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به ثلاث سنين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى ورضي عنه (ما) أي الذي (فيه أقوى) دليل (مرشد للسالك) وهو ما رواه في موطأه في «باب ما جاء في الغيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت، قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره، هو مثل الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه»^(٤). هـ. قال ابن كثير رحمه الله

(١) الترمذي (٦١٧/٥ ح ٣٦٨٢) في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح غريب. وفي الباب عن الفضل بن عباس وأبي ذر وأبي هريرة. وأحمد (٥٣/٢ و ٩٥) وإسناده حسن.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨٠/٩ ح ٨٨٠٨ و ٨٨٠٩ و ٨٨١٠) وإسناده الثاني صحيح قال الهيثمي: إسناده هذا إسناده الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

(٣) مسند الشافعي (ترتيبه ٨٩/٢ ح ٢٩٠) ومسند أحمد (١٩٠/١ - ١٩١) وسنده صحيح.

(٤) الموطأ (٨٧١/٢) في العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر. وسنده منقطع رجاله ثقات. =

تعالى : وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس : سبحان الله، يحيى الموتى ! ورآه رجل من صالح المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملاً على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال : إن كان صادقاً فليحي نفسه، وتلا قوله تعالى : ﴿أَفْتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تبصرون﴾ (الأنبياء/٣) فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه والله أعلم^(١). وقال الإمام أبو بكر الخلال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحاق عن حارثة قال : كان عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملاً على سيفه فقتله، قال أراه كان ساحراً^(٢). وحمل الشافعي رحمه الله تعالى قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركاً^(٣). والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فصل . وقد ذكر الوزير ابو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله تعالى فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال ابو حنيفة ومالك واحمد : يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال : إن تعلمه ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر. وقال الشافعي رحمه الله تعالى : إذا تعلم

= فمحمد بن عبد الرحمن لم يدرك حفصة رضي الله عنها.

وله شاهد : رواه الطبراني في الكبير (١٨٧/٢٣) ح ٣٠٣ ورجاله ثقات غير إسماعيل بن عياش فإن روايته عن الحجازيين ضعيفة وهو كذلك هنا. وقد تابعه أبو معاوية عند البيهقي (١٣٦/٨) فالحديث صحيح عندي إن شاء الله تعالى.

(١) ابن كثير (١٤٩/١). والقصة مع جندب رضي الله عنه. وقد رواها بطولها هذا البيهقي في السنن الكبرى (١٣٦/٨). وسنده حسن فيه ابن لهيعة ولكن من رواية ابن وهب عنه ومن كلام أبي الأسود.

وقد رواه الحاكم عن الحسن الحاكم (٣٦١/٤) بسند صحيح. ورواها الدارقطني (١١٤/٣) وعند البيهقي (١٣٦/٨) عن أبي عثمان النهدي بسند صحيح.

(٢) ابن كثير (١٤٩/١) وسنده صحيح فأبو إسحق هو السبيعي وحارثة هو ابن مضرب العبدي تابعي ثقة فهو شاهد صحيح لما تقدم.

(٣) السنن الكبرى (١٣٦/٨). وابن كثير (١٤٩/١).

السحر قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتبس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر. قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا، فأما إن قُتل بسحره إنسان فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذا فإنه يقتل حدًّا عندهم، إلا الشافعي فإنه قال يقتل والحالة هذه قصاصاً. قال وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنه: لا تقبل. وقال الشافعي وأحمد في الرواية: تقبل، وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة إنه يقتل كما يقتل الساحر إذا كان مسلماً، وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعفى لقصة لبيد بن الأعصم. واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة إنها لا تقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل والله أعلم^(١). وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل: عمر بن هارون أخبرنا يونس عن الزهري قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها^(٢). وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال في الذمي: يقتل إن قتل سحره^(٣). وحكى ابن خويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر أحداً. الأولى أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قتل. والثانية أنه يقتل وإن أسلم. وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائباً قبلناه، فإن

(١) ابن كثير (١٥٢/١) نقلاً من كتاب: الإشراف على مذاهب الأشراف. وقد أثبت كلامه هذا مع

اختلاف يسير في كتابه الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/٢٢٦ - ٢٢٧).

(٢) ابن كثير (١٥٢/١).

(٣) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ٤٩/٢).

قُتِلَ بسحره قُتِلَ، قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطيء عليه الدية^(١).

هذا ومن أنواعه وشعبه علم النجوم فادر هذا وانبيه

هذا هو البحث الرابع وهو (بيان أنواعه):

فمنها علم التنجيم وهو أنواع: أعظمها ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتاً لأجلها وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباساً خاصاً وحلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناساً خاصة، لكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين. واعتقدوا تصرفها في الكون. وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل وغيرها. وإياهم خاطب فيما حكى الله عنهم متحدياً له مبيناً سخافة عقولهم وضلال قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي. فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/ ٧٥- ٧٨) إلى آخر الآيات.

ومنها ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ويجعل لكل حرف منها قدراً من العدد معلوماً ويجري على ذلك أسماء الأدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعاً معروفاً عنده. ويطرح منه طرحاً خاصاً، ويثبت إثباتاً خاصاً، وينسبه إلى الأبراج الأثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وكثير منهم يغير الاسم لأجل ذلك ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا

(١) ابن كثير (١/١٥٢/١٥٣).

يعيش أحدهم . وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدّعي أن هذا يولد له وهذا لا ، وهذا الذكر وهذا الأنثى ، وهذا يكون غنياً وهذا يكون فقيراً ، وهذا يكون شريفاً وهذا وضعياً ، وهذا محبباً وهذا مبغضاً . كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه ، لا والله لا يدرى الملك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربه أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الرزق وما الأجل ، فيقول له فيكتب . وهذا الكاذب المفترى يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه ، ويدّعي أنه يدركه بصناعة اخترقها . وأكاذيب اختلقها ، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية . ومن صدقه به واعتقده فيه كفر والعياذ بالله .

ومنها النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقتنائها وافتراقها معتنقين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفرداً ، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخصها وهبوب الرياح وسكونها ووقوع الكوائن والحوادث . وقد ينسبون ذلك إليها مطلقاً . ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء وسيأتي الحديث فيه عند ذكره في المتن إن شاء الله وبه الثقة .

ومنها النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقتها ، وأن في تلك سعوداً أو نحوساً وتأليفاً وتفريقاً وغير ذلك ، وكل هذه الأنواع اعتقاد صدقها محادة لله ورسوله . وتكذيب بشرعه وتنزيله ، واتباع لزخارف الشيطان ما أنزل الله بذلك من سلطان ، والنجم مخلوق من المخلوقات مربوب مسخر مدبر كائن بعد أن لم يكن ، مسبوق بالعدم المحض متعقب به ليس له تأثير في حركة في الكون ولا سكون لا في نفسه ولا في غيره ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مَسْجُورَاتٌ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ (الأعراف/ ٥٤) وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (فصلت/ ٣٧) وقال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مَظْلُمُونَ ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا

الشَّمْسُ ينبغي لها أن تُدرك القمرَ ولا الليلُ سابقُ النَّهارِ وكلُّ في فَلَكٍ يسبحون ﴿يس/ ٣٧-٤٠﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنيراً. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ (الفرقان/ ٦١-٦٢) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام/ ٩٧) وقال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل/ ٦٦) وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَا رَدَ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصافات/ ٦-١٠) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك/ ٥) وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (يونس/ ٥) وغير ذلك من الآيات. وقال تعالى في ذهابها وفنائها وعودها إلى العدم كما أوجدت بعد العدم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (التكوير/ ١-٢) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ (الانفطار/ ٢) وقال سبحانه: ﴿وُخِصِفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة/ ٨-٩) وروى ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى عن قتادة الإمام في التفسير وغيره قال رحمه الله تعالى: إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال، جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإنَّ ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم، وما على هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه: ﴿لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهَ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» (النمل/٦٥)^(١). وهذا كلام جليل متين صحيح، وأصله في صحيح البخاري تعليقاً^(٢). وقال أبو داود رحمه الله تعالى في كتاب الطب من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه ومسدد، المعنى، قالوا حدثنا يحيى عن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»^(٣) وذكر حديث النوء. وروي عبد بن حميد عن رجاء بن حيوة أن النبي ﷺ قال: «إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة»^(٤). وروى ابن عساكر وحسنه عن أبي محجن مرفوعاً: «أخاف على أمتي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر»^(٥). وروى أبو يعلى وابن عدي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وإيماناً بالنجوم»^(٦) وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة»^(٧) ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ: «رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق»^(٨).

-
- (١) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٤/٤٢٣) وابن جرير في تفسيره (٣/٢٩).
(٢) في بدء الخلق، باب في النجوم (٦/٢٩٥).
(٣) أبو داود (٤/١٥ - ١٦ ح / ٣٩٠٥) وأحمد (١/٢٢٧ و ٣١١) وسنده صحيح.
(٤) عبد بن حميد (كما في الفيض للمناوي (١/٢٠٤) وقال حسن لغيره وهو مرسل).
(٥) ابن عساكر (كنز العمال ح ١٤٦٣٢) والسلسلة الصحيحة للألباني (ح ١١٢٧). وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/٣٩) وسنده ضعيف فيه أبو سعيد البقال وهو ضعيف وعلي بن يزيد الطائي قال عنه الحافظ: لين.
(٦) مسند أبي يعلى (٧/١٦٢ - ١٦٣) والكامل لابن عدي (٤/١٣٥٠) وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف. وضعفه البوصيري كما ذكر حبيب الأعظمي في المطالب العالية. ورواية أبي يعلى (خمساً) بدل خصلتين ولم يذكر سوى خصلتين.
(٧) الطبراني في الكبير (١١/٤١ ح / ١٠٩٨٠) وهو حديث موضوع فيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب.
(٨) قال المناوي في فتح القدير: ورواه حميد بن زنجويه من طريق الطبري: فهو كالذي قبله وهو موضوع. وقد صح موقوفاً على ابن عباس. رواه عبد الرزاق (١١/٢٦) والبيهقي (٨/١٣٩).

ومن أنواع السحر زجر الطير والخط بالأرض، قال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عوف حدثنا حيان - قال غير مسدد: حيان بن العلاء - حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت» ورواه أحمد في مسنده^(١). والجبت هو السحر قاله عمر رضي الله عنه وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم^(٢). وعن ابن عباس وغيره أيضاً الجبت الشيطان^(٣)، ولا ينافي الأول لأن السحر من عمل الشيطان، وعنه أيضاً الجبت الشرك^(٤)، وعنه الجبت الأصنام^(٥)، وعنه الجبت حيي بن أخطب^(٦)، وعن الشعبي الجبت كاهن^(٧). وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف^(٨)، ولا منافاة أيضاً فإن السحر من الشرك الذي يشمل عبادة غير الله، وحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ممن خاصم رسول الله ﷺ بالسحر، والكاهن عامل بالسحر، وقال في القاموس: الجبت بالكسر الصنم والكاهن والساحر والسحر والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله عز وجل^(٩).

ومن أنواعه العقد والنفث فيه قال الله تعالى: ﴿ومن شرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعَقَدِ﴾ (الفلق/٤) وقد تقدم حديث عائشة في قصة لبيد بن الأعصم، وقد ثبت في حديث نزول المعوذتين ورقية جبريل النبي ﷺ بهما أنه كان كلما قرأ آية

(١) أبو داود (٤/١٦/ح ٣٩٠٧) في الطب، باب في الخط وزجر الطير. وأحمد (٣/٤٧٧). وابن حبان (الإحسان ٦٤٦/٧). وسنده حسن.

(٢) رواية عمر بن الخطاب رواها ابن جرير الطبري (٥/١٣٣) من طرق عن أبي إسحق السبيعي عن حسان بن فائد عن عمر. وحسان بن فائد قال عنه أبو حاتم: شيخ (يضعفه) ت ١٠٢٨ قلت وفيه جهالة. وانظر ابن كثير (١/٥٢٤-٥٢٥).

(٣) أنظر ابن كثير (١/٥٢٥).

(٤) ابن كثير (١/٥٢٥).

(٥) ابن كثير (١/٥٢٥). وانظر ابن جرير (٥/١٣١).

(٦) ابن جرير (٥/١٣٢) وابن كثير (١/٥٢٥).

(٧) ابن كثير (١/٥٢٥).

(٨) ابن جرير (٥/١٣٢)، وابن كثير (١/٥٢٥).

(٩) القاموس المحيط (باب التاء فصل الجيم).

انحلت عقدة^(١). وقال النسائي رحمه الله تعالى في كتاب تحريم الدم من سننه: «الحكم في السحرة» أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا عباد بن مسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه»^(٢) وقد أطلق السحر على ما فيه التخييل في قلب الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي، كما في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله قال: «إن من البيان لسحراً»^(٣) يعني لتضمنه التخييل فيخيل الباطل في صورة الحق، وإنما عني به البيان في المفارقة والخصومات بالباطل ونحوها كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه، وكذلك قال ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن حكمت له من حق أخيه بشيء فإنما هو قطعة من النار»^(٤) أو كما قال: وهو في الصحيح، وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو من الجهاد في سبيل الله عز وجل. وقد سمي ﷺ ما يعمل عمل السحر سحراً وإن لم يكن سحراً كقوله ﷺ: «ألا أنبئكم ما لعضة، هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه^(٥). والعضة في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر عاضه، فسمى النميمة سحراً لأنها تعمل عمل السحر في التفرقة بين المرء وزوجه وغيرها من المتحابين بل هي أعظم في الوشاية لأنها

(١) تقدم ذكره.

(٢) النسائي (١١٢/٧) في تحريم الدم، باب الحكم في السحرة. وسنده ضعيف فيه عباد بن مسرة المنقري وهو ضعيف وعنه الحسن.

(٣) البخاري (٢٠١/٩) في النكاح، باب الخطبة، وفي الطب، باب إن من البيان سحراً (٢٣٧/١٠).

ومسلم لم يخرج من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وإنما من حديث عمار رضي الله عنه في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢)، ٥٩٤/ح (٨٦٩).

(٤) البخاري (١٥٧/١٣) في الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم - وغيره -. ومسلم (١٣٣٧/٣) - ١٣٣٨/ح (١٧١٣) في الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة.

(٥) مسلم (٢٠١٢/٤) ح (٢٦٠٦) في البر والصلة، باب تحريم النميمة.

تثير العداوة بين الأخوين . وتسعر الحرب بين المتسلمين كما هو معروف مشاهد لا ينكر . وقد جاء الوعيد للقتات في الآيات والأحاديث كثيراً جداً^(١) . ومع هذا فالخداع للكفار للفتك بهم وإظهار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم وتفريق كلمتهم من أعظم الجهاد وأنفعه وأشدّه نكاية فيهم كما فعله نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه في تفريق كلمة الأحزاب بإذن رسول الله ﷺ حتى فرّق بين قريش وبين يهود بني قريظة ونقض الله بذلك ما أبرموه والله الحمد والمنة^(٢) .

[حرمة حل السحر بالسحر]

وحله بالوحي نصاً يشرع أما بسحر مثله فيمنع

(وحله) يعني حل السحر عن المسحور (ب) الرقى والتعاويذ والأدعية من (الوحي) الكتاب والسنة (نصاً) أي بالنص (يشرع) كما رقى جبريل النبي ﷺ بالمعوذتين ، وكما يشمل ذلك أحاديث الرقى المتقدمة في بابها التي أمر بها الشارع ﷺ ونذب إليها ، ومن أعظمها فاتحة الكتاب^(٣) وآية الكرسي^(٤) والمعوذتان^(٥) وآخر سورة الحشر^(٦) ، فإن ضم إلى ذلك الآيات التي فيها التعوذ

(١) القتات هو الذي ينم الكلام بين الناس وقال ﷺ : لا يدخل الجنة قتات .

رواه البخاري (٤٧٢/١٠) في الأدب ، باب ما يكره من النيمة .

ومسلم (١٠١/١) ح (١٠٥) في الإيمان ، باب بيان غلط تحريم النيمة .

(٢) أنظر سيرة ابن هشام (١٨٣/٣ - ١٨٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٤٤٥/٣ - ٤٤٧) .

(٣) تقدمت في الرقى .

(٤) كحديث أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان عندما وكله رسول الله ﷺ على مال الصدقة .

أخرجه البخاري تعليقاً (٤٨٦/٤) في الوكالة ، باب إذا وكل رجلاً منزل الوكيل شيئاً فأجازه

الموكل فهو جائز والحديث صحيح وعليه كلام طويل أنظره في الفتح .

(٥) تقدم ذكرها .

(٦) عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال : من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم

من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون

عليه حتى يمسي . . . » .

رواه الترمذي (١٨٢/٥) ح ٢٩٢٢ - في فضائل القرآن ، باب ٢٢ . وأحمد (٢٦/٥) وإسناده

ضعيف .

من الشياطين مطلقاً والآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر كقوله تعالى : ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطْلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ - فَغَلَبُوا هَنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف/١١٩) وقوله عز وجل : ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَّطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس/٨١) وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه/٦٩) ونحوها كان ذلك حسناً، ومثل ذلك الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كما تقدم كثير منها في باب الرقي، وكحديث : «ربنا الله الذي في السماء، تبارك أسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ» رواه أبو داود^(١)، وكحديث عثمان بن أبي العاص أنه قال : أتاني رسول الله ﷺ وبني وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ : «امسح بيمينك سبع مرات وقل : أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانته من شر ما أجد» قال ففعلت فأذهب الله ما كان بي فلم أزل أمر به أهلي وغيرهم، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح^(٢). وكتب السنة من الأمهات وغيرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن الله عز وجل، فمن ابتغى ذلك وجده، والله الموفق.

(أما) حل السحر عن المسحور (بسحر مثله فيحرم) فإنه معاون للساخر وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن : لا يحل السحر إلا ساحر^(٣). ولما قيل للنبي ﷺ : لو نشرت، فقال : «أما أنا فقد شفاني الله وعافاني، وخشيت أن أثير على الناس

(١) أبو داود (١٢/٤) ح ٣٨٩٢ في الطب، باب كيف الرقي وفي سننه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث.

(٢) الترمذي (٤/٤٠٨) ح ٢٠٨٠ في الطب، باب رقم ٢٩.

ورواه مسلم (٤/١٧٢٨) ح ٢٢٠٢ في السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم.

(٣) أي الحسن البصري وذكر هذا الأثر ابن الجوزي في جامع المسانيد. وانظر تفصيل النشرة في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، باب ما جاء في النشرة من ص (٣٠٧).

شراء»^(١) وقال أبو داود في كتاب الطب من سننه: «باب في النشرة» حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا عقال بن معقل قال: «سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «هو من عمل الشيطان»^(٢). ولهذا ترى كثيراً من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه ليضطره بذلك إلى سؤاله حله ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينهم نسأل الله تعالى العافية.

[تصديق الكاهن كُفر]

ومن يصدق كاهناً فقد كفر بما أتى به الرسول المعتبر

(ومن يصدق كاهناً) يعتقد بقلبه صدقه في ما ادعاه من علم المغيبات التي استأثر الله تعالى بعلمها (فقد كفر) أي بلغ دركة الكفر بتصديقه الكاهن (بما أتى به الرسول) محمد ﷺ عن الله عز وجل من الكتاب والسنة وبما أتى به غيره ﷺ من الرسل عليهم السلام. ولنسق الكلام أولاً في تعريف الكاهن من هو ثم في بيان كذبه وكفره ثم في كفر من صدقه بما قال والله المستعان، فنقول:

الكاهن في الأصل هو من يأتيه الرئي من الشياطين المستترقة السمع تنزل عليهم كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مِنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (الشعراء/ ٢٢١) وهذه الآيات متعلقة بما قبلها وهي قوله عز وجل لما قال المشركون في رسوله محمد ﷺ إنه كاهن وقالوا في القرآن كهانة وأنه مما يليقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرأ رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ،

(١) تقدم وهي تفسير قول عائشة رضي الله عنها: أفلا استخرجته (البخاري في الطب) أقولها فهلا: تعني تنشرت (البخاري في الأدب).

(٢) أبو داود (٤/٦٨ ح ٣٨٦٨) في الطب، باب النشرة وسنده صحيح. وسميت الرقية بالنشرة: لأنها ينشر بها عن المريض أي يحل عنه ما خامرته من الداء (ابن الأثير في جامع الأصول).

على قلبك لتكون من المنذرين، بلسانٍ عربيٍّ مبين ﴿ (الشعراء/ ١٩٢-١٩٥) إلى أن قال تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السَّمْعِ لمعزولون﴾ (الشعراء/ ٢١٠-٢١٢) فأثبت تعالى أن القرآن كلامه وتنزيله، وأن جبريل عليه السلام رسول منه مبلغ كلامه إلى الرسول البشري محمد ﷺ، وهو مبلغ له إلى الناس، ثم نفى ما افتراه المشركون عليه فقال: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ وقرر انتفاء ذلك بثلاثة أمور: الأول بعد الشياطين وأعمالهم عن القرآن، وبعده وبعده مقاصده منهم، فقال تعالى: ﴿وما ينبغي لهم﴾ لأن الشياطين مقاصدها الفساد والكفر والمعاصي والبغي والعتو والتمرّد وغير ذلك من القبائح، والقرآن آت بصلاح الدنيا والآخرة، أمر بأصول الإيمان وشرائعه مقرر لها مرغّب فيها زاجر عن الكفر والمعاصي ذام لها متوعد عليها أمر بالمعروف ناه عن المنكر، ما من خير أجل ولا عاجل إلا وفيه الدلالة عليه والدعوة إليه والبيان له، وما من شر عاجل ولا أجل إلا وفيه النهي عنه والتحذير منه، فأين هذا من مقاصد الشياطين؟ الثاني عجزهم عنه فقال تعالى: ﴿وما يستطيعون﴾، أي لو انبغى لهم ما استطاعوه، لأنه كلام رب العالمين ليس يشبه كلام شيء من المخلوقين، وليس في وسعهم الإتيان به ولا بسورة من مثله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (الإسراء/ ٨٨). الثالث عزلهم عن السَّمْعِ وطردهم عن مقاعده التي كانوا يقعدون من السماء قبل نزول القرآن فقال تعالى: ﴿إنهم عن السَّمْعِ لمعزولون﴾ فبين تعالى - مع كونه لا ينبغي لهم - أنه لو انبغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لا من عند أنفسهم ولا نقلاً عن غيرهم من الملائكة، نفى عنهم الأول بعدم الاستطاعة، والثاني بعزلهم عن السَّمْعِ وطردهم منه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/ ٩) إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَرَآيَاهَا لِلنَّازِرِينَ، وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (الحجر/ ١٦-١٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ

الأعلى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿ (الصفات/ ٦- ١٠) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك/ ٥) وقال تعالى عن مؤمني الجن رضي الله عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا. وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن/ ٨- ١٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر نفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو ﷺ بنخل عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿يَا قَوْمِنَا إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنوا به وَلَكِنْ تُشْرِكُ بربِّنا أحداً﴾ (الجن/ ١- ٢) فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الجن/ ١) وهذا الحديث بطوله وطرقه في الصحيحين وغيرهما^(١)، ثم قال تعالى في جواب الكفار مبيناً لهم أولياء الشياطين الذين تنزل عليهم فقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (الشعراء/ ٢٢١) الآيات. وفي صحيح البخاري قالت عائشة رضي الله عنها: سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: «إنهم ليسوا بشيء» قالوا يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً، فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق

(١) البخاري (٦٦٩/٨) في التفسير، في تفسير سورة الجن، وفي صفة الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر.

ومسلم (٣٣١/١ ح ٤٤٩) في الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح.

يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة^(١). وله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أو ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» ولمسلم عن ابن عباس نحوه^(٢)، وللبخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان الغمام - بالأمر في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقرأ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة^(٣). وقد بين الله تعالى كذب الكاهن بقوله: ﴿أَفَأَنْتُمْ أَتَمُّ﴾ (الشعراء/٢٢٢) فسماء أفاكاً وذلك مبالغة في وصفه بالكذب. وسماء أثيراً وذلك مبالغة في وصفه بالفجور. وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ أي أكثر ما يقولونه الكذب فلا يفهم منه أن فيهم صادقاً، يفسره قول النبي ﷺ: «فيكذب معها مائة كذبة» فلا يكون صدقاً إلا الكلمة التي سمعت من السماء.

وأما كفر الكاهن فمن وجوه: منها كونه ولياً للشيطان فلم يوح إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ (الأنعام/١٢١) والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولونه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) البخاري (١٨٥/١٠) في الطب، باب الكهانة، وغيره.

ومسلم (١٧٥٠/٤) ح (٢٢٢٨) في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٢) البخاري (٥٣٧/٨) في تفسير سورة سبأ باب حتى إذا فزع عن قلوبهم، وفي تفسير سورة الحجر، باب: إلا من استرق السمع، وحديث ابن عباس عند مسلم (١٧٥٠/٤) ح (٢٢٢٩) في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٣) البخاري (٣٣٨/٦) في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.

كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴿البقرة/ ٢٥٧﴾ وهذا وجه ثان. والثالث قوله تعالى: ﴿يخرجونهم من النور﴾ أي نور الإيمان والهدى ﴿إلى الظلمات﴾ أي ظلمات الكفر والضلالة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خَسِرَانًا مُبِينًا﴾ (النساء/ ١١٩) وهذا وجه رابع. والخامس تسميته طاغوتاً في قوله عز وجل: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/ ٦٠) نزلت في المتحاكمين إلى كاهن جهينة. وقوله ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أي بالطاغوت. وهذا وجه سادس. والسابع أن من هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب رضي الله عنه لم يأت رثيه بعد أن دخل في الإسلام، فدل أنه لم ينتزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه، حتى إنه رضي الله عنه كان يغضب إذا سئل عنه حتى قال له عمر رضي الله عنه: ما كنا فيه من عبادة الأوثان أعظم^(١). الثامن وهو أعظمها تشبهه بالله عز وجل في صفاته ومنازعة له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه فلا سمي له ولا مضاهي ولا مشارك ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ - قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ - عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا - أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتَبُونَ - أَمْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُمْ يَرِئُونَ﴾ ولسان حال الكاهن وقاله يقول نعم. التاسع أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله. العاشر النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول فكيف به هو نفسه فيما ادعاه، فقد روى الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة رضي الله عنه:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٩٢/٧ - ٩٥/٩٥ ح (٦٤٧٥) والبيهقي في الدلائل (٣١/٢ - ٣٢) والحاكم في المستدرک (٦٠٨/٢ - ٦١٠) ونقله ابن كثير بتمامه من مسند أبي يعلى في السيرة النبوية (٣٤٤/١ - ٣٤٦) وقال منقطع وكذا حكم بانقطاعه الذهبي في تلخيص المستدرک، ورواه أبو نعيم في الدلائل (٢٨٠)، قال الهيثمي: وإسناده ضعيف (المجمع ٢٥٠/٨).

«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١) وعن عمران بن حصين رضي الله عنه «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له. ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٢). ولمسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٣) فهذا حكم من سأله مطلقاً، والأول حكم من سأله وصدقه بما قال.

ثم اعلم أن الكاهن وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره كالرَّمَال الذي يخط بالأرض أو غيرها، والمنجم الذي قدما ذكره أو الطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة كالدلالة على المسروق ومكان الضالة ونحوها أو المستقبل كمجيء المطر أو رجوع الغائب أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا من طريق الوحي كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن/٢٦) ملائكة يحفظونه من مسترقي السمع وغيرهم ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتٍ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن/٢٨) فمن ذا الذي يدعي علم ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾

(١) أبوداود (٢١/٤) ح (٣٩٠٤) في الطب، باب في الكاهن. والترمذي (٢٤٢/١ - ٢٤٣/١) ح (١٣٥) في الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض. والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ح ١٣٥٣٦).

وابن ماجه (٢٠٩/١) ح (٦٣٩) في الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض. والحاكم (٨/١) وهو حديث صحيح. وانظر كلام أحمد شاكر عليه عند الترمذي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨/١٦٢) ح (٣٥٥) قال الهيثمي: وفيه إسحاق بن الربيع العطار وثقه أبو حاتم وضعفه عمرو بن علي وبقية رجاله ثقات (المجمع ١٠٦/٥) ورواه البزار (٣/٣٩٩ - ٤٠٠/٤) ح (٣٠٤٤ - كشف) ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. قال الهيثمي (المجمع ١٢٠/٥) وهو حسن.

(٣) مسلم (١٧٥١/٤) ح (٢٢٣٠) في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(الأنعام/٥٠) الآية، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ (الأحقاف/٢٣)، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ. وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ (الأحقاف/٢٣) الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (الأعراف/١٨٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاءٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (الأحقاف/٩) الآية، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة/٣١-٣٢) الآيات ولم يعلم الرسول ﷺ مكان راحلته حتى أعلمه الله بذلك^(١)، وقال في سؤال الحبر إياه فأجابه ﷺ وصدقه الحبر ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به» وهي في مسلم^(٢). وفيه قول عائشة رضي الله عنها لمسروق رحمه الله تعالى: «ومن زعم أن رسول الله يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣). ولم يكن ﷺ يعلم شيئاً من الرسالة حتى أتاه الله عز وجل به كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى/٦)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى/٥٢) وقال تعالى:

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (ح ٤٤٣) والبيهقي في الدلائل (٤/٥٩ - ٦٠). من حديث عروة والبيهقي من حديثه وحديث موسى بن عقبة وفي سند الأول ابن لهيعة والثاني فيه من لم أجده. وقد اضطرب الرواة في موضع القصة فبعضهم ذكرها في غزوة تبوك كابن اسحق (٤/١٦٦) وذكرها الحلبي في المريسيع وتبوك.

(٢) مسلم (١/٢٥٢ ح ٣١٥) في الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما.

(٣) مسلم (١/١٥٩ ح ١٧٧) في الإيمان، باب معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿تِلْكَ مَنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾
(هود/٤٩)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يونس/٢٦) وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾
(النساء/١١٣). نسأل الله العظيم من فضله العظيم.

الاسلام والايمان والاحسان

هذا فصل يجمع معنى حديث جبريل في تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وبيان كل منها.

اعلم أنَّ هذا الفصل مهمٌ جداً جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية، وهو معنى حديث جبريل في سؤاله النبي ﷺ وجوابه إياه، وهو حديث عظيم الشأن جليل كبير جامع نافع، سمى النبي ﷺ ما احتوى عليه «الدين» فقال «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»^(١). وهو حديث مشهور في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وأبو هريرة وأبو ذر وعبدالله بن عباس وأبو عامر الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم.

وها نحن نذكر أحاديثهم بألفاظها مع بيان مخرجيها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التي فيها عند مواضعها من هذا المتن إن شاء الله تعالى، وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حديث جبريل - الحديث به عن عمر

فأما حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخرجه مسلم في أوّل جامعه:

(١) طرف الحديث المراد شرحه وستأتي بعد قليل رواياته وتماه.

حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر. ح. وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه: حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحמיד بن عبدالرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما داخل المسجد، فاكتفته أنا وصاحبي أحداً عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتفقرون العلم. وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم^(١).

(١) مسلم (١/٣٦ - ٣٨/٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان =

حدثني محمد بن عبيد الغُبَرِيُّ وأبو كامل الجحدرِيُّ وأحمد بن عبدة قالوا: حدثنا حماد بن زيد عن مطر الورَّاق عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: لما تكلم معبد بما تكلم به في شأن القدر أنكرنا ذلك. قال: فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حجة. وساقوا الحديث بمعنى حديث كهمس وإسناده. وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف^(١).

وحدثني محمد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد القطَّان حدثنا عثمان بن غياث حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالوا: لقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه، فاقترض الحديث كنحو حديثهم عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيه شيء من زيادة وقد نقص منه شيئاً^(٢).

وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا يونس بن محمد حدثنا المعتمر عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ بنحو حديثهم^(٣).

هذه طريقه في مسلم بكمالها، ولم يخرجها البخاري رحمه الله تعالى.

ورواه أبو داود من حديث كهمس فقال في كتاب السنة من سننه: حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة فذكره. وفيه: لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه. وفيه: فلبثت ثلاثاً^(٤).

ومن حديث عثمان بن غياث فقال: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال حدثني عبد الله بن بريدة. وفيه: فذكر نحوه، وزاد: قال وسأله رجل

= بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. (رقم ١) في كتاب الإيمان.

(١) مسلم (١/٣٨/٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. رقم (٢) في كتاب الإيمان.

(٢) مسلم (١/٣٨/٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. رقم (٣) في كتاب الإيمان.

(٣) مسلم (١/٣٨/٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. رقم (٤) في كتاب الإيمان.

(٤) أبو داود (٤/٢٢٣ - ٢٢٤/٢٢٤) ح (٤٦٩٥) في السنة، باب في القدر.

من مزينة أو جهينة فقال: يا رسول الله فيم نعمل، أفي شيء قد خلا أو مضى أو شيء يستأنف الآن؟ قال في شيء قد خلا ومضى. فقال الرجل أو بعض القوم: فقيم العمل؟ قال: إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار^(١).

ومن حديث سليمان بن بريدة عن ابن يعمر بهذا الحديث يزيد وينقص: قال فما الإسلام؟ قال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان والاعتسال من الجنابة^(٢).

ورواه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه من مجتبى سننه فقال: باب نعت الإيمان، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل قال أنبأنا كهمس ابن الحسن - فذكر حديث عمر بن الخطاب كلفظ مسلم - ولم يذكر حميدا ولم يذكر كلام يحيى بن يعمر ولا كلام ابن عمر قبله^(٣).

وراه الترمذي في أبواب الإيمان فقال: باب ما وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي أخبرنا وكيع عن كهمس بن الحسن، فذكر بمعنى لفظ مسلم غير أنه قال: فألزم ركبته بركبته ثم قال: يا محمد ما الإيمان؟ ثم قال: فما الإسلام؟ ثم قال: فما الإحسان؟ وفيه كل ذلك يقول له: صدقت. قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال فمتى الساعة؟ وقال فما أماراتها. وفي آخره فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال: يا عمر هل تدري من السائل؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم. وفي نسخة: معالم دينكم.

حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا ابن المبارك أخبرنا كهمس بن الحسن بهذا الاسناد نحوه بمعناه.

(١) أبو داود (٢٢٤/٤ ح ٤٦٩٦) في السنة، باب في القدر.

(٢) أبو داود (٢٢٤/٤ ح ٤٦٩٧) في السنة، باب في القدر.

(٣) النسائي (٩٧/٨) في الإيمان، باب نعت الإسلام.

حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا معاذ بن هشام عن كهمس بهذا الاسناد نحوه بمعناه.

وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة هذا حديث حسن صحيح قد روى من غير وجه نحو هذا. وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ والصحيح هو عن ابن عمر عن النبي ﷺ^(١).

ورواه ابن ماجه في باب الإيمان: حدثنا علي بن محمد حدثنا وكيع عن كهمس بن الحسن فذكره كلفظ الترمذي، غير أنه لم يذكر حميداً، ولا نفس القصة ولا كلام ابن عمر قبل الحديث. وفيه: قال وكيع في قوله «أن تلد الأمة ربتها» يعني تلد العجم العرب^(٢).

ورواه عبدالله بن الإمام أحمد: حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس عن ابن بريدة. ويزيد بن هارون حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر سمع ابن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن. الحديث^(٣).

والحاصل أن راويه عن عمر ابنه عبدالله وعنه يحيى بن يعمر وحميد الحميري، وعن يحيى بن يعمر عبدالله بن بريدة وسليمان بن بريدة وسليمان بن طرخان. وعن عبدالله بن بريدة كهمس ومطر الوراق وعثمان بن غياث، وعن كهمس وكيع ومعاذ العنبري والنضر بن شميل ومحمد بن جعفر ويزيد بن هارون ثم اشتهر عن كل من هؤلاء والله أعلم.

الحديث به عن ابن عمر

وأما حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فهو الذي أشار إليه الترمذي وقد

(١) الترمذي (٦/٥ - ٧/٧) ح ٢٦١٠ في الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام.

(٢) ابن ماجه (٢٤/١ - ٢٥/٢٥) ح ٦٣ في المقدمة، باب في الإيمان.

(٣) أحمد في مسنده (٥١/١ - ٥٢).

رواه الإمام أحمد من طرق عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما إنا نسافر في الآفاق فنلقى قوماً يقولون لا قدر، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبد الله بن عمر منهم بريء وأنهم منه برآء (ثلاثاً) ثم إنه أنشأ يحدث: بينما نحن عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فذكر من هيئته، فقال رسول الله ﷺ ادنه فدنا، فقال ادنه فدنا، فقال ادنه فدنا حتى كادت ركبته تمسان ركبتيه، فقال: يا رسول الله أخبرني ما الإيمان أو عن الإيمان، قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر. قال سفيان: أراه قال: خيرته وشره. قال: فما الإسلام؟ قال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وغسل من الجنابة، كل ذلك قال: صدقت صدقت. قال القوم: ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا كأنه يعلم رسول الله ﷺ. ثم قال: يا رسول الله أخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله أو تعبد كَأَنَّكَ تراه، فإلاً تراه فإنه يراك. كل ذلك نقول ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، فيقول: صدقت صدقت. قال: أخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل. قال فقال: صدقت قال ذلك مراراً، ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا. ثم ولى. قال سفيان فبلغني أن رسول الله ﷺ قال: ألتمسوه، فلم يجدوه. قال: هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم. ما أتانا في صورة إلا عرفته غير هذه الصورة. وإسناده: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر... الخ^(١).

وفي رواية قال: قلت لابن عمر إن عندنا رجلاً يزعمون أن الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا وإن شاءوا لم يعملوا. فقال: أخبرهم أنني منهم بريء وأنهم مني برآء. ثم قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد ما الإسلام؟ فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقويم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال نعم. قال صدقت. قال فما الإحسان قال:

(١) أحمد (٥٢/١ - ٥٣) وقد خالفهم فيه سليمان بن بريدة بروايته عن ابن عمر في مسنده.

تخشى الله كأنك تراه فإن لا تك تراه فإنه يراك. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال نعم. قال صدقت. قال: فما الإيمان؟ قال تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث من بعد الموت والجنة والنار والقدر كله. قال فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال نعم. قال صدقت^(١).

زاد في رواية: وكان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية. وسند هذه الرواية: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي ابن زيد عن يحيى بن يعمر قلت لابن عمر... الخ^(٢).

وفى أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن جبريل قال للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال له جبريل عليه السلام صدقت. قال فتعجبنا منه يسأله ويصدق. قال فقال النبي ﷺ: ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم. وسند هذه الرواية حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا كههمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر... الخ^(٣).

ورواية عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن الحميري قال: لقينا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابن عمر منكم بريء وأنتم منه برآء (ثلاث مرار) ثم قال: أخبرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبي ﷺ جاءه رجل يمشي حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بيض فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر. ثم قال: يارسول الله آتيك؟ قال نعم. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذه وساق

-
- (١) أحمد (١٠٧/٢) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وفيه ما فيه (ضعيف الحديث) وهو مخالف في سنده لما مرّ بوصفه في مسند ابن عمر رضي الله عنهما.
- (٢) أحمد (١٠٧/٢) وليس سندها هذه المذكور بل هي من طريق اسحق بن سويد عن يحيى. والسند هذا لما قبلها.
- (٣) أحمد (٢٨/١).

الحديث بنحو ما تقدم في الصحيح والسنن، وزاد في آخره سؤال الرجل من جهينة أو مزينة كما تقدم في رواية أبي داود^(١).

الحديث به عن أبي هريرة

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربّتها وإذا تطاول رعاة الإبل البهيم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى. ثم تلا النبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ثم أدبر فقال: رده فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم^(٢). قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان، وترجم عليه: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له. ثم قال: جاء جبريل يعلمكم دينكم، فجعل ذلك كله ديناً^(٣).

وأخرجه في تفسير سورة لقمان فقال: باب قوله الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ حدثني اسحاق عن جرير عن أبي حيان الحديث. وفيه: إذ أتاه رجل يمشي فقال: يارسول الله ما الإيمان؟ وفيه: قال يارسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربّتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من

(١) أحمد (٢٧/١).

(٢) (٣) البخاري (١١٤/١) في الإيمان، باب سؤال جبريل. . . .

أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ثم انصرف الرجل فقال ردوا عليّ، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم^(١).

ورواه مسلم فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعاً عن ابن عليّة قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان الحديث وزاد: وإذا تطاول رعاة البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ قال ثم أدبر... الخ^(٢).

وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمي بهذا الاسناد مثله، غير أن في روايته «إذا ولدت الأمة بعلمها» يعنى السراري^(٣).

وقال حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن الققعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: سلوني. فهابوه أن يسألوه. فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان. قال صدقت. قال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال أَنْ تُوْمِنَ بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله. قال صدقت. قال: يا رسول الله ما الاحسان؟ قال أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك. قال صدقت. قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأحدثك عن أشراطها: إذا رأيت الأمة تلد ربها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها. وإذا رأيت رعاء البهم

(١) البخاري (٥١٣/٨) في التفسير، باب (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ).

(٢) مسلم (١/٣٩/٩) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان / رقمه (٥) في الكتاب.

(٣) مسلم (١/٣٩/٩) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان / رقمه (٦) في الكتاب.

يتناولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ قال ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ ردوه عليّ، فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا^(١).

وأشار إليه الترمذي في باب حديث ابن عمر عن عمر^(٢). ورواه ابن ماجه بإسناد مسلم ولفظه إلى آخر الآية^(٣). ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه، الخ وفيه «وإذا كانت العراة الحفاة الجفاة»^(٤).

الحديث به عنه وعن أبي ذر

وأما حديثه مع أبي ذر رضي الله عنهما فقال النسائي في كتاب الإيمان من مجتبى سننه: صفة الإيمان والإسلام. أخبرنا محمد بن قدامة عن جرير عن أبي فروة عن أبي زرعة عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قالا كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبينما له دكاناً من طين كان يجلس عليه، وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً وأطيب الناس ريحاً كأن ثيابه لم يمسسها دنس حتى سلم في طرف البساط فقال: السّلام عليك يا محمّد، فردّ عليه السلام قال: أدنو يا محمّد؟ قال أدنه. فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له أدن حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ قال: يا محمّد أخبرني ما الإسلام. قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان.

(١) مسلم (١/٤٠/٩) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان / رقمه (٧) في الكتاب.

(٢) الترمذي (٧/٥).

(٣) ابن ماجه (١/٢٥/٦٤) في المقدمة، باب في الإيمان.

(٤) أحمد (٢/٤٢٦) وإسناده إسناد البخاري ومسلم.

قال إذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال نَعَمْ . قال صدقت . فلما سمعنا قول الرجل «صدقت» أنكرنا . قال : يا محمد أخبرني ما الإيمان . قال الإيمان بالله وملائكته والكتاب والنبيين وتوأم بالقدر . قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال رسول الله ﷺ نعم . قال صدقت . قال : يا محمد أخبرني ما الإحسان . فقال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال صدقت . قال يا محمد أخبرني متى الساعة . قال فنكس فلم يجبه شيئاً ، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً ، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً ، ورفع رأسه فقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، ولكن لها علامات تُعرف بها : إذا رأيت الرعاء اليهم يتطاولون في البنيان ، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض ، ورأيت الأمة تلذ ربها في خمس لا يعلمها إلا الله ﷻ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** - إلى قوله - **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ثم قال : لا والذي بعث محمداً بالحق هادياً وبشيراً ما كنت بأعلم به من رجل منكم ، وإنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه^(١) .

وقال أبو داود في باب القدر من كتاب السنة من سننه : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن فروة عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي ذر وأبي هريرة قالا كان رسول الله ﷺ الحديث . وفيه : **فَبَيَّنَّا لَهُ دُكَّاناً مِنْ طِينٍ فَجَلَسَ عَلَيْهِ** . وكنا نجلس بجنتيه . وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجل فذكر هيئته حتى سلم من طرف السَّمَاط فقال : **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد** ، قال **فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ** .^(٢)

فحاصل طرق حديث أبي هريرة وحده ومع أبي ذر رضي الله عنهما أبو زرعة عن أبي هريرة وعنه أبو حيان وأبو فروة وعمارة بن القعقاع ، وعن أبي حيان اسماعيل بن إبراهيم بن علي وجرير ومحمد بن بشر ، وعن إسماعيل مسدد وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وأحمد بن حنبل ، وعن جرير اسحاق وزهير بن حرب ومحمد بن قدامة وعثمان بن أبي شيبة ، وعن محمد بن بشر محمد بن

(١) النسائي (١٠١/٨) في الإيمان ، باب صفة الإيمان والإسلام .

(٢) أبو داود (٢٢٥/٤ ح ٤٦٩٨) في السُّنَّة ، باب في القدر .

نمير، وعن كل من عمارة وأبي فروة جرير. والله أعلم.

الحديث به عن ابن عباس

وأما حديث ابن عباس: فقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: جلس رسول الله ﷺ مجلساً فجاء جبريل عليه السلام فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعاً كَفَّيْهِ على ركبتي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله حدثني ما الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: الإسلام أَنْ تُسَلِّمَ وَجْهَكَ لِلَّهِ وَتَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له وَأَنْ مُحَمَّدًا عبده ورسوله. قال: إذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: إذا فعلت ذلك فقد أَسَلَمْتَ. قال: يا رسول الله فحدثني ما الإيمان؟ قال: الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبين وتؤمن بالموت وبالحياء بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيره وشره. قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: إذا فعلت ذلك فقد آمنت. قال: يا رسول الله حدثني مع الإحسان؟ قال رسول الله ﷺ: الإحسان أَنْ تعمل لله كأنك تراه، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قال: يا رسول الله فحدثني متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهن إِلَّا اللَّهُ ﷻ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﷻ ولكنْ إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ بِمَعَالِمِ لَهَا دُونَ ذَلِكَ، قال أجل يا رسول الله فحدثني. قال رسول الله ﷺ: إذا رَأَيْتَ الْأُمَّةَ وَلِدَتْ رَبَّتْهَا أَوْ رَبَّهَا، ورَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا بِالْبَنِيَانِ، ورَأَيْتَ الْحَفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ كَانُوا رُؤُوسَ النَّاسِ فَذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطُهَا. قال: يا رسول الله ومن أصحابُ الشَّاءِ والحفاة الجياع العالة؟ قال العرب^(١). وحسنه الحافظ العسقلاني.

(١) أحمد (٣١٨/١ - ٣١٩) وفيه شهر بن حوشب وهو كثير الأوهام كما قال الحافظ في التقریب.
وحسنه في الفتح (١١٦/١).

الحديث به عن أبي عامر

وأما حديث أبي عامر فقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال: حدثنا عبدالله بن أبي حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل عليه السلام في غير صورته يحسبه رجلاً من المسلمين فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم وضع جبريل يده على ركبتي النبي ﷺ فذكر الحديث بنحو حديث عمر بن الخطاب. وفيه: فلما ولى أي السائل فلما لم نر طريقه بعد قال، أي النبي ﷺ: سبحان الله ثلاثاً. هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم^(١). وحسنه الحافظ أيضاً وهو من مفردات أحمد رحمه الله تعالى. وأما الأحاديث التي قبله فقد خرجها غير من ذكرنا، وإنما اقتصرنا على روايات الأمهات لشهرتها وفي الباب عن جماعة من الصحابة غير من ذكر، منهم طلحة بن عبيدالله^(٢) وأنس بن مالك^(٣) وجريير بن عبدالله البجلي^(٤) رضي الله عنهم، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر من النصوص في كل مسألة من مسائله عند ذكرها في المتن، فنقول وبالله التوفيق.

الإيمان قول وعمل

اعلم بأن الدين قول وعمل فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل

(اعلم) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (بأن الدين) الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لأهل سمواته وأرضه، وأمر أن لا يعبد إلا به، ولا يقبل من أحد سواه، ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه، ولا أحسن ديناً ممن

- (١) أحمد (١٢٩/٤) وفيه شهر كالمقدم وحسنه الحافظ في الفتح (١١٦/١).
- (٢) ذكره الترمذي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٥/٨/٢٦١٠) في الإيمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام.
- (٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٩١) والبراز (كشف الأستار ٢٠/١ - ٢١) وفي الضحاك بن نبراس وهو لين الحديث ومع ذلك قال الحافظ في الفتح: إسناده حسن.
- (٤) أخرجه أبو عوانة في صحيحه وفيه خالد بن يزيد العمري ولا يصلح للصحيح (الفتح ١١٦/١).

التزمه واتبعه هو (قول) أي بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح. فهذه أربعة أشياء جامعة لأمر دين الإسلام:

الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر/ ٣٣ - ٣٤). وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام/ ٧٥). وقال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات/ ١٥). صدقوا ثم لم يشكوا. وفي حديث الدرجات العلى «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١). وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة/ ٣). وقال تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة/ ١٣٦) الآيات. وقال تعالى ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ (الشورى/ ١٥). وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعة «يخرجُ من النَّارِ من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة»^(٢) الحديث.

وفي الحديث الآخر «فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان»^(٣).

(١) البخاري (٣٢٠/٦) في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ومسلم (٤/٢١٧٧ ح ٢٨٣١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء.

(٢) البخاري (٣٩٢/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) ومسلم (١/١٧٧ - ١٧٨ ح ١٩١) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) البخاري (٤٧٣/١٣ - ٤٧٤) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء. ومسلم (١٨٢/١ - ١٨٤ ح ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

وقال تعالى في المكذبين ﴿أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس/١٠).
 وقال تعالى في المرتابين الشاكين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (آل عمران/١٦٧). وقال فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة/٤١). وقال تعالى فيهم ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون/١). أي في قولهم نشهد، أي كذبوا، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بالسنتهم تقية ونفاقاً ومخادعة.

الثاني: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمها. قال الله ﴿وَقُولُوا آمَنَّا﴾ (البقرة/١٣٦)، ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ (القصص/٥٣)، ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ (الشورى/١٥)، وقال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ (الزخرف/٨٦)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف/١٣)، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»^(١) وما في معناه مما سنذكر وما لا نذكر.

الثالث: عمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الأنعام/٥٢)، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل/٢٠)، ﴿إِنَّا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ (الإنسان/٩)، ﴿الَّذِينَ إِذْ ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الحج/٣٥)، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (المؤمنون/٦٠)، ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ

(١) البخاري (٧٥/١) في الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة). ومسلم (٥٣/١ ح ٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.

مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿الزمر/٢٣﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد/٢٨)، وقال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ - وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ - قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ - يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ - قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ - وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء/١٢٥)، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (لقمان/٢٢)، ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج/٣٤)، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء/٦٥)، وقال النبي ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِهَهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

وقال ﷺ «قال الله تعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكَتَهُ وَشْرَكَهُ»^(٢).

وقد تقدم جملة من نصوص الاخلاص في الكلام على لا إله إلا الله، وتقدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشرك الأصغر، وقال ﷺ: «أَحْبُوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ»^(٣).

(١) رواه البخاري (٩/١) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وغيرها، ومسلم (٣/١٥١٥ ح/١٩٠٧) في الامارة، باب قوله ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ».

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٨٩ ح/٢٩٨٥) في الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

(٣) تقدم في المجلد الأول تخريجه وأن إسناده منقطع مرسل ضعيف.

وقال ﷺ «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»^(١) الحديث، وقال ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٢).

وكان ﷺ يقول «اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك»^(٣).

وقال ﷺ «اللهم حبِّبْ إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين»^(٤).

وقال ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(٥) وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن له هوى غير ما جاء به الرسول ﷺ. وقد تقدمت النصوص في التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب.

الرابع: عمل اللسان والجوارح، فعمل اللسان ما لا يؤدي إلا به كتلاوة القرآن وسائر الاذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يؤدي إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمل حديث

(١) رواه البخاري (٦٠/١) في الإيمان، باب حلاوة الإيمان. ومسلم (٦٦/١ ح ٤٣) في الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٢) رواه البخاري (٥٨/١) في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان. ومسلم (٦٧/١ ح ٤٤) في الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ.

(٣) رواه الترمذي (٥٢٢/٥ ح ٣٤٩٠) في الدعوات، باب ٧٣. وقال هذا حديث حسن غريب وأبو نعيم في الحلية (٢٢٦/١) من حديث أبي الدرداء. قلت وفي سننه عبدالله بن ربيعة بن يزيد الدمشقي وقيل ابن يزيد بن ربيعة، وهو مجهول، كما قال الحافظ في التقريب. وأخرجه الحاكم (٥٢٧/١) من حديث ثوبان بزيادة فيه وقال: صحيح على شرط البخاري وسكت الذهبي. وفي تصحيحه نظر.

(٤) رواه أحمد (٤٢٤/٣) والبخاري (كشف الأستار ٣٢٩/٢) قال الهيثمي ورجال أحمد رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٢٤/٦ - ١٢٥) قلت: فيه عبيد بن رفاعه الزرقى أخرجه له البخاري في أدب المفرد والأربعة فقط وهو ثقة.

(٥) تقدم تخريجه في المجلد الأول وأن إسناده ضعيف إذ مداره على نعيم بن حماد.

شعب الإيمان. قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (الرعد/ ٢٢) الآيات، وقال تعالى ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الكهف/ ٢٧)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب/ ٤١)، وقال تعالى ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف/ ٢٠٥) الآيات وقال تعالى ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء/ ١١١)، وقال تعالى ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف/ ٤٦) وهي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١)، وقال تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف/ ٥٥) الآيات، وقال تعالى ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل/ ٢٠)، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران/ ١٩١) الآيات وقال تعالى ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/ ٢٣٨)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج/ ٧٧ - ٧٨) الآيات. وقال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان/ ٦٣ - ٦٤) الآيات. وقال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر/ ٩)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَارَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ

(١) رواه مالك في الموطأ (٢١٠/١) مرسلاً من طريق ابن المسيب وأخرجه أحمد في المسند (٥١٣/١ نسخة أبي الأشبال) وإسناده صحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الله، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿التوبة/ ١١١- ١١٢﴾ .

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين، فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقاً بالغاً وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهماً واضحاً ثم أمنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أنَّ أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة:

كفر جهل وتكذيب.

وكفر جحود،

وكفر عناد واستكبار،

وكفر نفاق.

فأحدها يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور كلها - قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح - أو ينتفي بعضها، فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/ ٦ - ٧).

وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (يونس/ ٣٩)، وقال تعالى ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل/ ٨٤). وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال الله تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل/ ١٤)، وقال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الْكَافِرِينَ ﴿البقرة/٨٩﴾، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة/١٤٦ - ١٤٧).

وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك، قال الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/٨ - ٢٠).

وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً، ومحال أن ينتفى انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي ﷺ «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق، فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفراً واستكباراً، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد بل جحد بآيات الله ظلماً وعلواً، فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيه ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر/٣٣) الآيات. وأين تصديق من قال الله تعالى فيهم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا - وَقَالُوا اتَّخَذْتُنَّهِمْ إِمَامًا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

(١) رواه البخاري (١٢٦/١) في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم (١٢١٩/٣) - (١٢٢١/ح ١٠٧) في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴿البقرة/٧٦﴾، من تصديق من قالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة/٢٨٥) والله الموفق .

كفأك ما قد قاله الرسولُ إذ جاءه يسأله جبريلُ
على مراتب ثلاث فصله جاءت على جميعه مشتمله
الإسلام والإيمان والأحسان والكل مبنى على أركان

(كفأك) أيها الطالب الحق (ما قد قال الرسول) محمد ﷺ (إذ) حين (جاءه
يسأله) عن مراتب الدين وشرائعه (جبريل) عليه السلام كما في الأحاديث السابقة
عن جماعة من الصحابة (على مراتب ثلاث فصله) في تلك الأجوبة الصريحة
(جاءت) أي الثلاث المراتب (على جميعه) أي على جميع الدين (مشتمله)
ولهذا سمى النبي ﷺ تلك الأمور «الدين» فقال «هذا جبريل أتاكم يعلمكم
دينكم»^(١).

[مرتبة الإسلام]

(الإسلام) بالخفض بدل مفصل من مجمل مراتب، ويقال له بدل بعض من
كل، وما بعده معطوفان عليه. هذه هي المرتبة الأولى في حديث عمر وما وافق
لفظه .

والإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما في الشريعة فلا إطلاقه حالتان:

(الحالة الأولى) أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإيمان. فهو حينئذ
يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله، كقوله تعالى ﴿إِنَّ
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران/١٩)، وقوله تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا﴾ (المائدة/٣)، وقوله ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل
عمران/٨٥)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾

(١) طرف من حديث تقدم تخريجه وطرقه والباب معقود عليه .

(البقرة/٢٠٨) أي في كافة شرائعه، ونحو ذلك من الآيات. وكقوله ﷺ لما سألته معاوية بن حيدة: ما الإسلام؟ قال «أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت»^(١) الحديث، وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل يارسول الله ما الإسلام؟ قال «أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: فأَيُّ الإسلام أفضل؟ قال «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال «تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت»^(٢) فجعل ﷺ الإيمان من الإسلام وهو أفضل، وقوله ﷺ «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلها»^(٣) الحديث. فإن الانقياد ظاهراً بدون إيمان لا يكون حسن إسلام بل هو النفاق، فكيف تكتب له حسنات أو تمحي عنه سيئات؟ ونحو ذلك من الأحاديث.

(الحالة الثانية) أن يطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات/١٤) الآية، وقوله ﷺ لما قال له سعيد رضي الله عنه: مالك عن فلان، فوالله إنني لأراه مؤمناً. فقال ﷺ «أو مسلم»^(٤) يعني أنك لم تطلع على إيمانه، وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة. وفي رواية النسائي «لا تقل مؤمن وقل مسلم»^(٥)، وكحديث عمر هذا، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

(١) راه أحمد (٤/٥) والنسائي (٤/٥ - ٥) في الزكاة، باب وجوب الزكاة و(٨٢/٥ - ٨٣) فيه، باب من سأل يوجه الله عز وجل. وابن ماجه (٨٤٨/٢) ح (٢٥٣٧) في الحدود باب المرتد عن دينه. مختصراً. وسنده صحيح.

(٢) رواه أحمد (١١٤/٤) والطبراني في الكبير (المجمع ٦٤/١) قال الهيثمي ورجاله ثقات.

(٣) رواه النسائي (١٠٥/٨ - ١٠٦) في الإيمان، باب حسن اسلام المرء. قال الخطيب حديث ثابت. وقد ذكره البخاري تعليقاً (٩٨/١). من حديث أبي سعيد وانظر تغليق التعليق (٤٤/٢).

(٤) رواه البخاري (٧٩/١) في الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل. ومسلم (١٣٢/١) ح (١٥٠) في الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه.

(٥) رواه النسائي (١٠٣/٨ - ١٠٤) في الإيمان، باب تأويل قوله عز وجل ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

[مرتبة الإيمان]

(والإيمان) هذه المرتبة الثانية في الحديث المذكور، والإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (يوسف/١٧)، يقول بمصدق، وأما في الشريعة فلاطلاقه حالتان:

(الحالة الأولى) أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله عز وجل ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة/٢٥٧) وقوله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/٦٨)، وقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد/١٦)، وقوله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (ابراهيم/١١)، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة/٢٣)، وقوله ﷺ «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»^(١). ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطناً وظاهراً في قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال/٢-٤)، وقوله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (النور/٦٢)، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٥-١٧)، وفسرهم بمن اتصف بذلك كله في قوله عز وجل ﴿أَلَمْ

(١) رواه النسائي (٢٣٣/٥ - ٢٣٤) في الحج، باب قوله عز وجل (خذوا زينتكم عند كل مسجد) بهذا اللفظ وهو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (٤٧٧/١) في الصلاة، باب ما يستمر من العورة. و(٤٨٣/٣) في الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان، وغيرها. ومسلم (٩٨٢/٢) ح (١٣٤٧) في الحج، باب لا يحج البيت مشرك.

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
 وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿البقرة/ ١- ٥﴾، وفي قوله عز وجل ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
 وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
 فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا
 اللَّهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ
 وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل
 عمران/ ١٣٣- ١٣٦)، وفي قوله عز وجل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَاسْتَغْنِهَا
 لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ
 النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
 إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
 النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف/ ١٥٦- ١٥٧)، وفي قوله عز
 وجل ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
 اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا
 عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى
 صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون/ ١- ١١)، وفي قوله عز وجل ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ
 وَكِتَابٍ مُبِينٍ. هُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (النمل/ ١- ٣) وغيرها من الآيات. وقد فسر الله تعالى

«الإيمان» بذلك كله في قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة/ ١٧٧).

وروى ابن أبي حاتم أن أبا ذر سأل النبي ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه
رسول الله ﷺ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾
(البقرة/ ١٧٧) إلى آخر الآية. ثم سألته أيضاً، فتلاها عليه، ثم سألته فقال «إذا
عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك»^(١) رواه المسعودي
بنحوه، وفسره النبي ﷺ بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين
وغيرهما فقال «أمركم بالإيمان بالله وحده» قال «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟
قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،
 وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس»^(٢). وقد
جعل ﷺ صيام رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان، وكذا قيام ليلة القدر، وكذا
أداء الأمانة، وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز. وغير ذلك. وفي الصحيحين
«الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى
عن الطريق»^(٣)، وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع

(١) رواه ابن أبي حاتم وصححه (الدر المنثور ١/ ٤١٠) قلت: إسناده منقطع فهو من رواية مجاهد عن
أبي ذر ولم يدركه (ابن كثير ٢١٣/ ١) وأخرجه اسحق ابن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن
مردويه عن القاسم بن عبد الرحمن قال «جاء رجل إلى أبي ذر فقال: ما الإيمان؟ فتلا عليه هذه
الآية... (الدر المنثور ١/ ٤١١) وهو منقطع كذلك ومن طريقه (القاسم) أخرجه المسعودي (ابن
كثير ٢١٣/ ١).

(٢) رواه البخاري (٨٤/ ٨ - ٨٥) في المغازي، باب وفد عبد القيس، وغيرها. ومسلم (٤٦/ ١) ح
١٧ في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين.

(٣) رواه البخاري (٥١/ ١) في الإيمان، باب أمور الإيمان. ومسلم (٦٣/ ١) ح ٣٥ في الإيمان، باب
بيان عدد شعب الإيمان.

متفرقة، منها ما هو من قول القلب وعمله، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنها ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيماناً في قول الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة/ ١٤٣) يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية، وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد: كنّا عند عبدالله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدالله: إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ ﴿الْم. ذَلِكَ الْكِتَابُ - إِلَى قَوْلِهِ - الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة/ ١ - ٥) والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى: إِنَّ الْإِيمَانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، وإنَّ الأعمال كلها داخله في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً ممن سمي لنا سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، والنخعي والزهري، وإبراهيم، ويحيى بن أبي كثير، والثوري، والأوزاعي، وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم^(١). قال الثوري: هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره. وقال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الامصار: أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم

(١) رواه سفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن الحرث بن قيس أنه قال لابن مسعود... الحديث (الدر المنثور ٦٥/١). وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وسنده عند سعيد بن منصور سنده. (ابن كثير ٤٣/١).

(٢) انظر الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

يستكملها لم يستكمل الإيمان^(١). وهذا المعنى هو الذي أراد البخاري إثباته في كتاب الإيمان وعليه بَوَّب أبوابه كلها فقال: «باب أمور الإيمان» و«باب الصلاة من الإيمان» و«باب الزكاة من الإيمان» و«باب الجهاد من الإيمان» و«باب حب الرسول ﷺ من الإيمان» و«باب الحياء من الإيمان» و«باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان» و«باب اتباع الجنائز من الإيمان» و«باب أداء الخمس من الإيمان» وسائر أبوابه. وكذلك صنع النسائي في المجتبى، وبَوَّب الترمذي على حديث وفد عبد القيس «باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان» وكلام أئمة الحديث وتراجمهم في كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قال هو مجرد التصديق فقط كابن الراوندي ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم، إذ على هذا القول يكون اليهود الذين أقرؤا برسالة محمد ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم.

وقال جهم بن صفوان وأتباعه: هو المعرفة بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية، إذ لا يجعل الخالق سبحانه أحد. وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته الكافية الشافية:

قالوا وإقرارُ العبادِ بآئِه	خلاقهم هو منتهى الإيمان
والنَّاسُ من الإيمان شيءٌ واحد	كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن	والاهمو من عابدي الأوثان
وسلَّ اليهودَ وكلَّ أقلفٍ مشرك	عبد المسيح مقبل الصليان،
واسأل ثمودَ وعاد بل سل قبلهم	أعداء نوح أمّة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ	خلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرارَ الخلقِ أقبح أمّة	لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاكَ إمامَ كل معطل	فرعون مع قارون مع هامان

(١) رواه البخاري (٤٥/١) في الإيمان، باب قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس» تعليقاً ووصله أحمد في الإيمان (الفتح ٤٧/١) وابن أبي شيبة في الإيمان (ص ٤٥/ح ١٣٥) وسنده صحيح.

هل كان فيهم منكر للخالق — ربّ العظيم مكوّن الأكوان
فليشروا ما فيهموا من كافر هم عند جهم كاملو الإيمان^(١)

وقالت المرجئة والكرامية: الإيمان هو الاقرار باللسان دون عقد القلب،
فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ
مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَتَزْهَقَ
أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين
بألسنتهم فقط وكذبهم الله عز وجل في دعواهم في غير موضع من القرآن.

وقال آخرون: التصديق بالجنان والاقرار باللسان. وهذا القول مخرج لأركان
الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل، وهو ظاهر البطلان.

وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضاً كانت أو
نفلًا، وهذا القول مصادم لتعليم النبي ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام
والإيمان. وكل ما يقول له السائل في فريضة: هل على غيرها؟ قال «لا، إلا أن
تَطَّوْعَ شَيْئًا»^(٢).

وذهب الجبائي وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال
والتروك دون النوافل. وهذا أيضاً يدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله
عنهم. وقال الباقر منهم: العمل والنطق والاعتقاد. والفرق بين هذا وبين قول
السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطاً في الصحة، بل جعلوا
كثيراً منها شرطاً في الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها: من استكملها
استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان^(٣). والمعتزلة جعلوها
كلها شرطاً في الصحة. والله أعلم.

-
- (١) هي النونية وهي الشوكة في عيون أهل البدع وحلوقهم وقد شرحت عدّة مرات مطبوعة.
(٢) رواه البخاري (١٠٦/١) في الإيمان، باب الزكاة من الإسلام. وغيرها. ومسلم (٤٠/١) -
٤١/ح (١١) في الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.
(٣) تقدم ذكره.

و(الحالة الثانية) أن يطلق الإيمان مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه، وكما في قول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (النساء/٥٧) في غير ما موضع من كتابه، وكما في قول النبي ﷺ في دعاء الجنائز «اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»^(١)، وذلك أن الأعمال بالجوارح، وإنما يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله. وكحديث أنس عند أحمد عن النبي ﷺ قال «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»^(٢).

والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل. والمجموع مع الاحسان هو الدين كما سمى النبي ﷺ ذلك كله ديناً، وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم.

قال ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي ﷺ بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك

(١) رواه أبو داود (٣/٢١١/ح ٣٢٠١) في الجنائز، باب الدعاء للميت. والترمذي (٣/٣٤٣/ح ١٠٢٤) في الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت وابن ماجه (١/٤٨٠/ح ١٤٩٨) في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنائز. أحمد (٢/٣٦٨) و(٤/١٧٠/٣٠٨). وابن حبان (الإحسان ٢٩/٥) والحاكم (١/٣٥٨) وقال: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.

(٢) رواه أحمد (٣/١٣٥ - ١٣٥) وأبو يعلى بنهمه (المجمع ٥٧/١) والبزار مختصراً (كشف الأستار ١٩/١) وابن أبي شيبه في الإيمان (ص ٥/ح ٦) قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين وضعفه آخرون (المجمع ٥٧/١) وعلي هذا قال الحافظ في التريب صدوق له أوهام.

الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالاً على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودلّ بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي. قال: وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله تعالى على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى الآخر، فقليل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعملهم.

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه معالم السنن وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده^(١).

قلت: كلام الخطابي الذي أشار إليه ابن رجب ذكره النووي في شرح مسلم قال: قال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي الفقيه الأديب الشافعي المحقق رحمه الله تعالى في كتابه معالم السنن: ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل. واحتج بالآية يعني قوله عز وجل ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات/١٤). وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات/٣٥ - ٣٦) قال الخطابي: وقد تكلم في هذا الباب رجлан من كبار أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين، ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف كتاباً يبلغ عدد أوراقه المئين. قال الخطابي: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٤).

ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليست كل مسلم مؤمناً. وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها.

وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلاً في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون مصداقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر^(١).

قلت ما رواه الخطابي عن الزهري أنه قال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، هذا عندي فيه نظر، فإنه غير قيم المبنى ولا واضح المعنى، والزهري إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لا يجهل مثل هذا وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف، فإن صح النقل عنه ففي الكلام تصحيف واسقاط لعل الصواب فيه هكذا: الإسلام الكلمة والإيمان والعمل، فسقطت الواو العاطفة للعمل على الإيمان، وهذا متعين لموافقة قول أهل السنة قاطبة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل. والزهري من أكبر أئمتهم وقد تقدم قوله معهم فيما روى الشافعي عنهم رحمهم الله تعالى، ويكون عنى بالإسلام الدين كله كما عنى غيره بالإيمان الدين كله، ومما يدل على ذلك استدلاله بالآية المذكورة فإنه لا يستقيم إلا على هذا ولا يستقيم على معنى الأول لاهمال الاعتقاد فيه الموجود في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات/١٤) الآية.

وأما قوله: وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئاً واحداً إلا عند الانفراد وعدم الاقتران لشمول أحدهما معنى الآخر كما قدمنا، وأما عند اقتران أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام. وإن أراد من أهل البدع فاطلاق التسوية بينهما والاتحاد في كل حال من الأحوال هو رأي المعتزلة، وهم المحتجون على ذلك بآتي، الذاريات وهو احتجاج ضعيف جداً،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٤٤ - ١٤٥).

لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين وعند أهل السنة أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس
فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال والله أعلم.

وقال الخطابي رحمه الله أيضاً في قول النبي ﷺ «الإيمان بضع وسبعون
شعبة»^(١): في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب
وأجزاء، له أعلى وأدنى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة
تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء
والاسم يتعلق ببعضها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها، ويدل عليه
قوله ﷺ «الحياء شعبة من الإيمان»^(٢) وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين
المؤمنين في درجاته^(٣). انتهى. وما أحسن ما قال الإمام أبو محمد الحسين بن
مسعود البغوي الشافعي رحمه الله تعالى في تفسير سورة البقرة لما ذكر هذا
الحديث عند قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة/٣) الآيات، قال:
فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث اسماً لما ظهر من الأعمال، والإيمان
اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان
والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء
واحد وجماعها الدين، ولذلك قال «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» انتهى^(٤).
وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى: قوله ﷺ «الإسلام أن تشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان
وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو
التصديق الباطن. وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم
الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم

(١) رواه البخاري (٥١/١) في الإيمان، باب أمور الإيمان ومسلم (١/٦٣/ح ٣٥) فيه، باب بيان
عدد شعب الإيمان.

(٢) قطعه من الحديث الذي قبله.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤٥/١).

(٤) معالم التنزيل (٣٧/١) وفي المطبوع هذا من قول الفراء نقله البغوي.

والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامها به يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله. ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات، ولهذا فسر عليه السلام الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشيء مطلقاً يقع على الكل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهراً إلاً بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله عليه السلام «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»^(١)، واسم الإسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فإن ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أنَّ الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً. قال: وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء أهل الحديث وغيرهم^(٢). انتهى.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في الكلام على هذا الحديث: قد تقدم أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضاً، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسمائها أيضاً أعمال الجوارح الباطنة فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله عز وجل، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على الله عز وجل، وخوف الله سرّاً وعلانية، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد عليه السلام رسولاً، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من

(١) رواه البخاري (١١٩/٥) في المظالم، باب التهيئ بغير إذن صاحبه. ومسلم (١/٧٦/ح ٥٧) في

الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٢) من مسلم بشرح النووي (١/١٤٧ - ١٤٨).

العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواههما، والحب في الله والبغض فيه والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وإيثار المؤمنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء وحسن الخلق، ومحبة ما يحبه لنفسه لآخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم. ثم ساق من النصوص في ذلك جملة وافية. قال: والرضا بربوبية الله تعالى تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له، والرضا بالإسلام ديناً يتضمن اختياره على سائر الأديان، والراض بمحمد ﷺ رسولاً يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبول ذلك بالتسليم والانسراح، كما قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء/ ٦٥) انتهى^(١). ونصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين - سلفاً وخلفاً - في هذا الباب يطول ذكرها.

ثم أعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن التزام الدين الذي يكون به النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وبه يفوز العبد بالجنة ويزحزح عن النار إنما هو ما كان على الحقيقة في كل ما ذكر في حديث جبريل وما في معناه من الآيات والأحاديث. وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أجريت عليه أحكام المسلمين في الدنيا ووكلت سريرته إلى الله تعالى. قال الله عز وجل ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (التوبة/ ١١) وفي الآية الأخرى ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وغيرها من الآيات. وقال رسول الله ﷺ لأسامة في قتله الجهنني بعد أن قال لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ «أقال لا إله إلا الله وقتلته» قال قلت: يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال «أفلا شققت

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٨).

عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا»^(١)، الحديث بطوله في الصحيحين من طرق بالفاظ، وفي بعضها: فقال يارسول الله استغفر لي، قال «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»^(٢). ولما أن استأذنه عمر رضي الله عنه في قتل الرجل الذي انتقد عليه حكمه ﷺ في قسمه الذهية قال «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي»^(٣)، وقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه فيه: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال «لعله أن يكون يصلي» قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»^(٤) الحديث في الصحيحين أيضاً من طرق بالفاظ.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل»^(٥). وفي رواية عن أنس نفسه وله حكم المرفوع - بل قد رفعه النسائي كما سيأتي - «من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم»^(٦)، ورواه أبو داود في الجهاد بلفظ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا

(١) رواه البخاري (٥١٧/٧) في المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرمات من جهينة. ومسلم (٩٦/١ - ٩٧/٩٧ ح ٩٦) في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ (٩٧/١ - ٩٨/٩٧ ح ٩٧) في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٨/٨) في تفسير سورة المنافقين، باب قوله (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) ومسلم (١٩٩٨/٤ - ١٩٩٩/٢٥٨٤ ح ٢٥٨٤) في البر والصلة والآداب، باب نصر الأخر ظالماً أو مظلوماً.

(٤) رواه مسلم بهذا اللفظ (٧٤١/٢ - ٧٤٢/٧٤٢ ح ١٠٦٤) في الزكاة، باب ذكر الخواارج وصفاتهم.

(٥) البخاري (٤٩٦/١ - ٤٩٧) في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.

(٦) رواه البخاري موقوفاً عن أنس (٤٩٧/١) ومرفوعاً (٤٩٦/١ - ٤٩٧) قريباً من لفظه والنسائي (١٠٩/٨) في الإيمان، باب على ما يقاتل الناس و(٧٥/٧ و ٧٦).

وَأَنْ يَصَلُّوا صَلَاتَنَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ»^(١). وفي رواية «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ»^(٢) بِمَعْنَاهُ.

ورواه النسائي في تحريم الدم ولفظه قال «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَاسْتَقْبَلُوا قَبْلَتَنَا وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا وَصَلُّوا صَلَاتَنَا فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ»^(٣). وفيه قول ميمون بن سيّاه لأنس بن مالك: يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا يَحْرَمُ دَمَ الْمُسْلِمِ وَمَالَهُ؟ فَقَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَاسْتَقْبَلَ قَبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ»^(٤). ورفعته في كتاب الإيمان عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قَبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ»^(٥) ورواه الترمذي أيضاً.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ»^(٦).

- (١) أبو داود (٤٤/٣ ح/٢٦٤١) في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون.
- (٢) أبو داود (٤٤/٣ ح/٢٦٤٢) في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون.
- (٣) رواه النسائي (٧٥/٧ - ٧٦) في تحريم الدم. وهو حديث الصحيح المتقدم قبل قليل.
- (٤) رواه النسائي (٧٦/٧) في تحريم الدم. وهو حديث الصحيح الموقوف المتقدم قبل قليل.
- (٥) رواه النسائي (١٠٩/٨) في الإيمان، باب على ما يقاتل المشركون. والترمذي (٤/٥ ح/٢٦٠٨) في الإيمان، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: أُمِرْتُ بِقِتَالِهِمْ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ. ورفعته البخاري كذلك في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة (٤٩٦/١ ح/٣٩١).
- (٦) حديث ابن عمر رواه البخاري (٧٥/١) في الإيمان، باب (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ). ومسلم (٥٣/١ ح/٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله. وحديث أبي هريرة رواه البخاري (٢٦٢/٣) في أول الزكاة وغيره. ورواه مسلم (٥٢/١ ح/٢١) في الإيمان.

وفي موطأ مالك ومسنند أحمد بسند جيد: عن عبيد الله بن عدي بن الخيار «أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس فسأره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال الأنصاري: بلى يارسول الله، ولا شهادة له. قال رسول الله ﷺ: أليس يشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: بلى يارسول الله. قال: أليس يصلي؟ قال: بلى يارسول الله ولا صلاة له. فقال رسول الله ﷺ: أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم»^(١).

وفي الباب عن جماعة من الصحابة أحاديث من الصحاح والحسان وفيما ذكرنا كفاية. وأمرنا الله رسوله ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين في غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفه بسيماهم وعلاماتهم، ولم يقتل النبي ﷺ أحداً منهم، وأجرى عليهم في الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك وقيم الحدود عليهم، غير أنه نهى عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم. والله أعلم.

[مرتبة الاحسان]

(والاحسان) هذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين في هذا الحديث. والاحسان لغة، إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه. وفي الشريعة هو ما فسره النبي ﷺ بقوله «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه والنصوص فيه عند ذكره في آخر هذا الفصل.

(١) رواه مالك في الموطأ (١/١٧١/٨٤) في قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة. قال ابن عبد البر: هكذا رواه سائر رواة الموطأ مراسلاً وعبيد الله لم يدرك النبي ﷺ. ورواه أحمد (٤٣٢/٥) - (٤٣٣). وعبيد الله قتل أبوه بيد، وكان هو في الفتح مميزاً فعد في الصحابة لذلك وهو غلط كما قال الحافظ في الإصابة (٧٤/٣). وعدّه العجلي وغيره في ثقات كبار التابعين، مات في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك وأخرج له البخاري. مسلم وأبو داود والنسائي كما في التقريب. فهو تابعي ثقة.

والمقصود أنه ﷺ فسر الإسلام هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان
بالأقوال والأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، ومجموع ذلك
هو الدين، والكل من هذه المراتب (مبني على أركان) لا قوام له إلا بقيامها،
وستكلم على كل منها إجمالاً وتفصيلاً، ونحيل ما قدم بيانه منها على موضعه إن
شاء الله .

[أركان الإسلام الخمسة]

فَقَدَ أَتَى الْإِسْلَامُ مَبْنِيًّا عَلَى خَمْسَ فَحَقَّقَ وَادِرٍ مَا قَدْ نُقِلَا
أُولُهَا الرُّكْنَ الْأَسَاسُ الْأَعْظَمُ وَهُوَ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْأَقْوَمُ
رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَائِثٌ وَاعْتَصَمَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصَمُ
وِثَانِيًّا إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَثَالِثًا تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ
وَالرَّابِعَ الصِّيَامَ فَاسْمَعِ وَاتَّبِعِ وَالْخَامِسَ الْحَجَّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِيعُ
وَهَذِهِ أَرْكَانُ الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى مَرْتَبَةِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ: قَوْلِيَّةٌ، وَعَمَلِيَّةٌ.

فَالْقَوْلِيَّةُ: الشَّهَادَتَانِ، وَالْعَمَلِيَّةُ: الْبَاقِي. وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

بَدَنِيَّةٌ وَهِيَ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ، وَمَالِيَّةٌ وَهِيَ الزَّكَاةُ، وَبَدَنِيَّةٌ مَالِيَّةٌ وَهِيَ الْحَجُّ.
وَقَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُهُ شَرْطٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ كَمَا تَقْدُمُ.

وَالنُّصُوصُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَهِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ: قِسْمٌ شَامِلٌ
لِجَمِيعِهَا، وَقِسْمٌ يَخْصُ كُلَّ خَصْلَةٍ مِنْهَا.

فَلْنَبْدَأُ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ مَا تيسَّرَ مِنْهُ عَلَى حَدِّثِهِ، وَالْقِسْمِ الثَّانِي مَعَ حُلِّ أَلْفَافِ
الْمَتَنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ جَبْرِيلَ السَّابِقِ ذَكَرَهُ عَنِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ
مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمِنْ بَعْدِهِمْ، وَمِنْهَا حَدِيثُ وَفَدِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَقَدْ تَقَدَّمَ
أَيْضًا، وَمِنْهَا حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ

رمضان» فقال له رجل: والجهاد في سبيل الله؟ فقال ابن عمر: الجهاد حسن. هكذا حدثنا رسول الله ﷺ^(١).

ومنها حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه عند أحمد وغيره قال: قال رسول الله ﷺ «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(٢) وإسناده صحيح.

ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال «كُنَّا نُهَيِّنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يَعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلِ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَكَ. قَالَ ﷺ: صدق. قال فمن خلق السماء؟ قال: الله. قال فمن خلق الأرض؟ قال: الله. قال فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قال: الله. قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آله أَرْسَلَكَ؟ قال ﷺ: نعم. قال: فزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال ﷺ: صدق. قال: فبالذي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرُكَ بِهَذَا؟ قال: نعم. قال وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال ﷺ: نعم صدق. قال فبالذي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرُكَ بِهَذَا؟ قال ﷺ: نعم. قال وزعم رسولك أن علينا حَجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قال ﷺ: صدق. قال ثم ولى فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لا أزيدُ عليهنَّ شيئاً ولا أنقصُ مِنْهنَّ شيئاً. فقال النَّبِيُّ ﷺ: «لئن صدقَ ليدخلن الجنة» رواه الجماعة وهذا لفظ أحمد^(٣). وفي رواية قال «آمنتُ بما جئتُ به وأنا رسولُ مَنْ ورائي مِنْ قَوْمِي» قال «وأنا ضِمامُ ابنِ ثعلبة أخو بني سعيّد بن بكر»^(٤).

(١) رواه البخاري (٤٩/١) في الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم. ومسلم (١/٤٥/ح ١٦) في الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٢) رواه أحمد (٤/٣٦٣ و ٣٦٤). ورواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (١/١٤٨ - ١٤٩) في العلم، باب ما جاء في العلم. ومسلم واللفظ له (١/٤١ - ٤٢/ح ١٢) في الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام وأحمد (٣/١٤٣ و ١٩٣).

(٤) عند البخاري (١/١٤٨) في العلم، باب (وقل رب زدني علماً).

وفي الصحيحين وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله «أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ نائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس، إلا أن تطوّع شيئاً. فقال أخبرني ما فرض الله عليّ من الصيام. فقال: شهر رمضان، إلا أن تطوّع شيئاً. فقال أخبرني بما فرض الله عليّ من الزكاة. قال فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص ممّا فرض الله عليّ شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق. أو دخل الجنة إن صدق» هذا لفظ البخاري في كتاب الصوم^(١). وله عن أبي أيوب رضي الله عنه «إن رجلاً قال للنبي ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال ماله ماله».

وقال النبي ﷺ «أرب ماله، تعبّد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم» ورواه مسلم وغيره^(٢).

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبّد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلي نظر إلى هذا»^(٣).

وفي حديث ابن المتنفق رضي الله عنه في وفادته على رسول الله ﷺ قال «قلت ثنتان أسألك عنهما: ما ينجي من النار وما يدخلني الجنة؟ قال فنظر رسول الله ﷺ إلى السماء ثم نكس رأسه ثم أقبل عليّ بوجهه قال: لئن كنت أوجزت في المسألة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عني إذا، اعبد الله لا تشرك به

(١) رواه البخاري (١٠٢/٤) في الصوم، باب وجوب الصوم. وغيرها. ومسلم (٤٠/١ - ٤١/ح) (١١) في الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.

(٢) رواه البخاري (٢٦١/٣) في الزكاة، باب وجوب الزكاة. مسلم (٤٢/١ - ٤٣/ح) (١٣) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

(٣) رواه البخاري (٢٦١/٣)، في الزكاة، باب وجوب الزكاة. ومسلم (٤٤/١ - ٤٤/ح) (١٤) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

شيئاً وأقيم الصلاة وأدّ الزكاة المفروضة وصُم رمضان، وما تحب أن يفعله بك الناس فافعل بهم وما تكره أن يأتي إليك الناس فذر الناس منه» رواه أحمد^(١). وفي رواية «لئن كنت قصرت في الخطبة لقد أبلغت في المسألة، اتق الله لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان»^(٢).

ولعل ابن المنتفق هذا هو الرجل المبهم في رواية أبي أيوب المتقدمة في الصحيح فإن في مسلم أن ذلك الرجل أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ أو بزمامها، وفي آخرها قول النبي ﷺ دع الناقة بعد أن علمه. وابن المنتفق قال فأخذت بخطام راحلة رسول الله ﷺ أو قال زمامها، وفي آخره قال ﷺ «خل سبيل الراحلة». وفي الرواية الأخرى «خل طريق الركاب» فيشبه أن يكون هو صاحب القصة وقد حفظ الصوم والحج زيادة على ما في حديث أبي أيوب ورجاله رجال الصحيح^(٣)، وهو السائل، أعلم بجواب النبي ﷺ وأوعى له وأحفظ له وأضبط من غيره. والله أعلم.

وعن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر رضي الله عنه أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه «اخرجني إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقول لي فليقل السلام عليكم، أَدْخَلَ» قال فسمعتة يقول ذلك فقلت: السلام عليكم أَدْخَلَ؟ قال فاذن لي، أو قال فدخلت فقلت: بيم أتيتنا به، قال لم آتكم إلا بخير، أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له. قال شعبة: وأحسبه قال وحده لا شريك له، وأن تدعوا اللات والعزى، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات، وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم. قال فقال: فهل بقي من العلم شيء لا تعلمته؟ قال قد علمني الله عز وجل خيراً وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

(١) رواه أحمد (٣٨٣/٦) وفي سنده عبد الله بن أبي عقيل: ليس بالمشهور. والحديث يشهد له الذي قبله.

(٢) رواه أحمد (٣٨٣/٦ - ٣٨٤) وهو كالذي قبله.

(٣) انظر الفتح (٢٦٣/٣ - ٢٦٤) في المسألة وكلام ابن حجر في الرجل المبهم.

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿لَقمان/٣٤﴾ رواه أحمد ورجاله ثقات أئمة. وروى أبو داود طرفاً منه^(١).

وعن السدوسي بن الخصاصية رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه، فاشتراط عليّ شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ أقيم الصلاة، وأنّ أؤدي الزكاة، وأنّ أحج حجة الإسلام، وأنّ أصوم شهر رمضان، وأنّ أجاهد في سبيل الله. فقلت: يا رسول الله أمّا اثنتان فوالله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أنّ من ولّى الدُّبر فقد بَاءَ بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت، والصدقة فوالله مالي إلا غنيمة وعشر دَوْدَ هن رِسل أهلي وحمولتهم. قال فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال: فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة إذا؟ قال قلت: يا رسول الله أنا أبيعك، قال فبايعت عليهن كلهن^(٢).

وعن زياد بن نعيم الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ «أَرْبَعُ فَرَضَهُنَّ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَمَنْ جَاءَ بِثَلَاثٍ لَمْ يَغْنِنَ عَنْهُ شَيْئاً حَتَّى يَأْتِيَ بِهِنَّ جَمِيعاً: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ وَحَجُّ الْبَيْتِ»^(٣). رواه أحمد مرسلاً في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لا يخفى.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ «كَأَنَّ هَذَا الرَّاكَبَ إِيَّاكُمْ يَرِيدُ» قال فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه، فقال له النبي ﷺ «مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ؟» قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال «فَأَيْنَ تَرِيدُ؟» قال: أريدُ

-
- (١) رواه أحمد (٣٦٨/٥ - ٣٦٩). وأبو داود (٢٤٥/٤ ح/ ٥١٧٧ و ٥١٧٨ و ٥١٧٩) في الأدب، باب كيف الإستئذان. والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٢٨٠ ح/ ٣١٦)، باب كيف يستأذن.
- (٢) رواه أحمد (٢٢٤/٥) والطبراني في الكبير (٤٤/٢ ح/ ١٢٣٣) والأوسط (المجمع ٤٧/١) وقال الهيثمي: رجال أحمد موثقون. ورواه الحاكم (٧٩/٢ - ٨٠) وصححه ووافقه الذهبي.
- (٣) رواه أحمد (٢٠٠/٤ - ٢٠١) وفي إسناده ابن لهيعة وزيد بن نعيم هذا عدّه بعضهم في الصحابة وهو مختلف فيه والأقرب أنّه تابعي فالحديث سنده ضعيف لعلّته.

رسول الله ﷺ. قال «فقد أصبته» قال: يارسول الله علمني ما الإيمان؟ قال «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت» قال: قد أقررت. قال ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جردان فهوى بعيره وهوى الرجل فوق وقع على هامته فمات، فقال رسول الله ﷺ «عليّ بالرجل» فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فأقعدها فقالا: يارسول الله قبض الرجل. قال فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ «أما رأيتما إعراضي عن الرجل، فإنني رأيت ملكين يدسّان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعاً» ثم قال رسول الله ﷺ «هذا والله من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾» (الأنعام/ ٨٢) ثم قال ﷺ: «دونكم أخاكم» قال فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله ﷺ، الحديث. رواه أحمد، وفي إسناده أبو جناب مختلف فيه، والمتن صحيح^(١). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفاية.

(١) رواه أحمد (٣٥٩/٤). وفي إسناده أبو جناب قال ابن حجر ضعفوه لكثرة تدليس (التقريب ٣٤٦/٢) وقد عنعن هنا ورواه الطبراني في الكبير (ح ٢٣٢٩) (٣١٩/٢) وفيه أبو اليقظان وحنة الثمالي وكلاهما ضعيف.

[الشهادتان]

(أولها) أو أوَّل هذه الأركان (الركن الأساس الأعظم).

الركن في اللغة الجانب الأقوى وهو بحسب ما يطلق فيه كركن البناء وركن القوم ونحو ذلك، فمن الأركان ما لا يتم البناء إلّا به، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلّا به. وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقوله ﷺ «بني الإسلام على خمس» فشبهه بالبنيان المركب على خمس دعائم، وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية ولهذا قلنا (الأساس) الذي لا يقوم البناء إلا عليه ولا يمكن إلّا به ولا يحصل بدونه (الأعظم) هذه الصيغة مشعرة بتعظيم بقية الأركان وإنما هذا أعظمها، فإنها كلها تابعة له، ولا يدخل العبد في شيء من الشريعة إلّا به.

(وهو الصراط) الطريق الواضح (المستقيم) الذي لا اعوجاج فيه ولا غبار عليه بل هو معتدل جلي نير. (الأقوم) أي الأعدل، من سلكه أوصله إلى جنات النعيم، ومن انحرف عنه هوى في قعر الجحيم. فإن من لم يثبت عليه في الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة، وذلك الركن المشار إليه هو (ركن الشهادتين) هذا من إضافة الشيء إلى نفسه أي الركن الذي هو الشهادتان، وهما شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فلا يدخل العبد في الإسلام إلّا بهما، ولا يخرج منه إلّا بمناقضتهما إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتهما. ولهذا لم يدعُ الرسول ﷺ إلى شيء قبلهما، ولم يقبل الله تعالى ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئاً دونهما، فبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب له، وبالثانية يعرف كيف يعبد وبأي طريق يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر الله أن يعبد؟

ففي الشهادة الأولى توحيد المعبود الذي ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وفي الشهادة الثانية توحيد الطريق الذي لا يوصل إلى الله تعالى إلّا

منه، ولا يقبل ديناً ممن ابتغى غيره ورغب عنه، فإن عبادة الله تعالى التي خلق الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هي أمر جامع لكل ما يحبه تعالى ويرضاه اعتقاداً وقولاً وعملاً، ومعرفة محابته تعالى ومرضاته لا تحصل إلا من طريق الشرع الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران/ ٣١). وقد قدمنا في النوع الثاني من أنواع التوحيد تحقيق الشهادتين وبيان تلازمهما وتوضيح نواقضهما، وبسطنا الكلام هناك وحررنا من الأدلة ما يغنى عن الإعادة هنا.

(فائتبت) أيها العبد المريد نجاة نفسه من النار والفوز بالجنة على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلي، ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك أن تحرف عنه فتهلك مع الهالكين؛ فإن الله عز وجل ينادي يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أخرج بعث النار. فيقول: من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فالناجي حينئذ واحد من ألف^(١) فاعنتم أن تكون من تلك الأحاد، واحذر أن تغتر بجموع الضلالة فتكون من حطب جهنم وبئس المهاد.

(واعتصم) أي استمسك (بالعروة) أي بالعقد الأوثق في الدين، والسبب الموصول إلى رب العالمين (الوثقى) تأنيث الأوثق (التي لا تنفصم) أي لا تنقطع، وقد تقدم في الكلام على لا إله إلا الله أنها هي العروة الوثقى، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٥٦) وتقدم أن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ والإيمان به هو شرط في الإيمان بالله، وما كان من شرط في الشهادة الأولى فهو شرط في الثانية.

(١) يومىء إلى حديث رواه البخاري (٣٨٨/١١) في الرقاق، باب قوله عز وجل (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) وفي الحج والتوحيد والأنبياء. ومسلم (٢٠١/١ ح ٢٢٢) في الإيمان، باب قوله «يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».

[الصلاة]

(وثانياً) من الأركان الخمسة (اقامة الصلاة) بجميع حقوقها ولوازمها. (وثالثاً تأدية الزكاة) إعطاؤها على الوجه المشروع، وقد تقرر اقتران هذين الركنين بالتوحيد وتقديمهما بعده على غيرهما في غير موضع من القرآن أمراً وخبراً قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة/ ٢- ٣) وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/ ٢٧٧) وقال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور/ ٥٦) وقال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة/ ٥) وقال تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة/ ٥)، وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له «إِنَّكَ تَأْتِي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتَرُدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ. وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١)، وفي رواية «فليكن ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل. فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم»^(٢) الحديث.

(١) (٢) رواه البخاري (٣٥٧/٣) في الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا. وفي المغازي والمظالم والتوحيد. ومسلم (٥٠/١ - ٥١/١ ح ١٩) في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

ولنذكر طرفاً من النصوص المتعلقة بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ما تيسر من نصوص الزكاة والله المستعان.

[فضل الصلاة]

اعلم هداًنا الله وإياك أن الصلاة قد اشتملت على جل أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلب والانقياد والاخلاص والمحبة والخشوع والخضوع. والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله عز وجل وإسلام الوجه له والصمود إليه والاطراح بين يديه. وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله تعالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم له وسائر أنواع الذكر. وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك. هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل - منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس - وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطأ إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات. ولهذا قال النبي ﷺ «وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(١) ولاشتمالها على معاني الإيمان سماها الله إيماناً في قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة/١٤٣).

وهي ثانية أركان الإسلام في الفرضية، فإنها فرضت في ليلة المعراج بعد عشر من البعثة لم يدع الرسول ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيد الذي هو الركن الأول، ففرضت خمسين، ثم خففها الله عز وجل إلى خمس كما تواترت النصوص بذلك في الصحيحين وغيرهما. وهي ثانية في الذكر، فما ذكرت

(١) رواه أحمد (١٢٨/٣) و١٩٩ و٢٨٥ والنسائي (٦١/٧) في عشرة النساء، باب حب النساء، والحاكم (١٦٠/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي من حديث أنس.

شرائع الإسلام في آية من الآيات أو حديث من السنة الا وبدى بها بعد التوحيد قبل غيرها كما في الآيات السابقة وكما في حديث جبريل وحديث «بني الإسلام» وحديث وفد عبدالقيس وحديث معاذ بن جبل وحديث «أمرت أن أقاتل الناس»^(١) وغيرها مما لا يحصى .

وهي ثانية في آيات الأمر بالجهد وفي آيات وعيد الكفار كما في قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (التوبة/٥) الآية، وقوله ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ، وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ، وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات/٤٦ - ٤٩) .

وهي ثانية في مدح المؤمنين كما في قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون/١ - ٢) وفي ذم الكفار بتركها كما في قوله عز وجل ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (الانشقاق/٢٠ - ٢١)، وقوله ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (القيامة/٣١ - ٣٢) وكذا في ذم المنافقين بعدم اهتمامهم لها كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء/١٤٢) .

وهي ثانية في حساب العبد يوم القيامة كما في قوله ﷺ «أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ العبد يوم القيامة صلاته، فإن تقبلت منه تقبل منه سائر عمله، وإن ردت عليه رد عليه سائر عمله»^(٢) . ومعنى قوله «أول ما يسأل عنه العبد» أي بعد التوحيد .

(١) تقدم تخرجها جميعاً .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٩/٢ خ/٤١٣) في الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة . والنسائي (٢٣٢/١) في الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة . وأحمد (٧٢/٥) و٣٧٧ والحاكم (٢٦٣/١) من حديث أبي هريرة وهو حديث صحيح وله شاهد من حديث تميم الداري .

وهي ثانية فيما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما في قوله تعالى ﴿فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾ (المدثر/ ٤٠ - ٤٣) الآيات. والنصوص في شأنها كثيرة لا تحصى وهي متنوعة، فمنها ما فيه الأمر بها كقوله ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/ ٢٣٨)، وقوله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت/ ٤٥) وقوله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الاسراء/ ٧٨) وما في معناها.

ومنها ما فيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة وكقوله ﷺ لمعاذ «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»^(١).

ومنها في ثواب أهلها كقوله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون/ ٩ - ١١) —

ومنها ما فيه ذكر نجاتهم من النار كقوله ﷺ في عصاة الموحدين «فيعرفونهم بأثار السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود»^(٢).

ومنها ما في عقاب تاركها كقوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون/ ٤ - ٥) وقوله تعالى ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ (مريم/ ٥٩ -

(١) رواه أحمد (٢٣١/٥ و ٢٣٧) والترمذي (١١/٥ - ١٢/ح ٢٦١٦) في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (١٣١٤/٢ ح ٣٩٧٣) في الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة من حديث معاذ.

(٢) رواه البخاري (٤١٩/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة). ومسلم (١٦٣/١ ح ١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

٦٠) الآية، وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم/٤٢ - ٤٣).

ومنها ما فيه تكفير تاركها ونفي الإيمان عنه وإلحاقه بأبليس كقوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (مريم/٥٩ - ٦٠) فإنه لو كان مضيع الصلاة مؤمناً لم يشترط في توبته الإيمان. وقوله ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (التوبة/١١) فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين. وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة/١٥) وقوله تعالى ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٣٤).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله - وفي رواية: ياويلي - أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»^(١).

وفيه عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٢)، ورواه الترمذي وقال حسن صحيح، وله عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»^(٣)، قال وفي الباب عن أنس رضي الله عنه

-
- (١) رواه مسلم (١/٨٧/ح ٨١) في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة.
(٢) رواه مسلم (١/٨٨/ح ٨٢) في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة. والترمذي (٥/١٣/ح ٢٦١٨ و ٢٦١٩ و ٢٦٢٠) في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة. وأبو داود (٤/٢١٩/ح ٤٦٧٨) في السنة، باب في رد الإرجاء. وابن ماجه (١/٣٤٢/ح ١٠٧٨) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ترك الصلاة.
(٣) رواه الترمذي (٥/١٣ - ١٤/ح ٢٦٢١) في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة. والنسائي =

وابن عباس هذا حديث حسن صحيح غريب.

وروى الإمام أحمد والنسائي عن محجن بن الأدرع الأسلمي «أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأذن بالصلاة فقام النبي ﷺ ثم رجع ومحن في مجلسه، فقال له: ما منعك أن تصلي، ألسنت برجل مسلم؟ قال: بلى، ولكنني صليت في أهلي. فقال له: إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت»^(١) فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة. ولفظ الحديث يتضمن أنك لو كنت مسلماً لصليت.

وفي المسند والأربع السنن عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال له «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»^(٢)، ورجال أحمد ثقات.

وتقدم الحديث الذي في البخاري في صفة المسلم «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا»^(٣) الحديث.

[حكم تارك الصلاة]

وقال الترمذي رحمه الله: حدثنا قتيبة أخبرنا بشر بن المفضل عن الجريري

= (٢٣١/١) في الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة. وابن ماجه (٣٤٢/١) ح (١٠٧٩) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ترك الصلاة. وأحمد (٣٤٦/٥) وابن حبان (٨/٣) والحاكم (٦/١ - ٧).

(١) رواه أحمد (٣٣٨/٤) و(٣١/٥) والنسائي (١١٢/٢) في الإمامة، باب إعادة الصلاة مع الجماعة بعد صلاة الرجل لنفسه.

(٢) رواه أحمد (١٦٩/٢) والدارمي (٣٠١/٢ - ٣٠٢) في الرقاق، باب المحافظة على الصلاة. والطبراني في الكبير (المجمع ٢٩٧/١) والأوسط (٤٥٦/٢). قلت وقول المصنف وفي «المسند والأربع سنن» وهم منه، فما رواه أحد من الأربعة بل هو من الزوائد. ورواه ابن حبان (١٤/٣) في (الإحسان) وسنده صحيح.

(٣) طرف حديث تقدم تخريجه.

عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة^(١).

ومنها ما فيه التصريح بوجوب قتله، كقوله عز وجل ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (التوبة/٥) الآية، وقوله ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»^(٢) الحديث وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

وأما الآثار في شأنها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن تحصر، وقد أجمعوا على قتله كفراً إذا كان تركه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبار عنها وإن قال لا إله إلا الله، لما تقدم من الآيات والأحاديث السابقة، ولدخوله في التارك لدينه المفارق للجماعة وفي قوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه»^(٣) فإنه بذلك يكون مرتداً مبدلاً لدينه. وأما إن كان تركه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسل وتهاون كما هو حال كثير من الناس فقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهي إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي. قال رحمه الله: واحتج من قال بكفره بظاهر حديث جابر «إن بين الرجل وبين الشرك

-
- (١) رواه الترمذي (٥/١٤/ح ٢٦٢٢) في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة والنسائي (١/٢٣١ - ٢٣٢) في الصلاة، باب حكم تارك الصلاة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو صحيح.
- (٢) تقدم تخرجه وذكره.
- (٣) رواه البخاري (١٢/٢٦٧) في استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمردة واستتابتهم. وفي الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله.

والكفر ترك الصلاة»^(١) وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال لا يقتل بحديث «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث»^(٢) وليس فيه الصلاة. واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء/٤٨)، ويقول ﷺ «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا يلقي الله عبد بهما غير شاك فيحجب عن الجنة، وحرّم الله على النار من قال لا إله إلا الله»^(٣) وغير ذلك، واحتجوا على قتله بقوله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (التوبة/٥)، وقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم»^(٤) وتأولوا قوله ﷺ «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»^(٥) على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهي القتل، أو أنه محمول على المستحل، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر، أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم، انتهى كلامه.

وقد قدمنا في شروط لا إله إلا الله وفي بيان مراتب الدين وفي بيان أنواع الكفر ما فيه غنية، وذكرنا هنا ما تيسر من النصوص في شأنها. وقد بسط الحافظ ابن القيم في كتاب الصلاة الكلام على هذه المسألة بسطاً حسناً فليراجع.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٠١/١٢) في الديات، باب قول الله تعالى (النفس بالنفس والعين بالعين)، ومسلم (١٣٠٢/٣) ح (١٦٧٦) في القسامة، باب ما يباح به دم المسلم.

(٣) تقدم ذكرها جميعاً.

(٤) تقدم تخريجه وذكره.

(٥) تقدم تخريجه وذكره.

[الزكاة]

وأما الزكاة فقد تقدم ذكرها في نصوص الصلاة وغيرها، ومما يتعلق بها على انفرادها قوله عز وجل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة/ ١٠٣) وقوله في صفات عباده المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون/ ٤) وقوله تعالى في ذم الكفار ووعيدهم ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (فصلت/ ٦- ٧) وإن كانت هذه الآية في زكاة النفوس فهي عامة لزكاة الأموال أيضاً وقد فسرت بها، وقوله تعالى في وعيد مانعيها مطلقاً ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة/ ٣٤- ٣٥) يوضح ذلك الحديث الذي فيه «ما أديت زكاته فليس بكنز»^(١) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يارسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها. إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطأه بأخفافها

(١) رواه أبو داود (٢/ ٩٥/ ح ١٥٦٤) في الزكاة، باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي وفي سنده مقال وله شواهد يرتقي بها إلى الاحتجاج (انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني ح ٥٥٩): ولفظ الحديث مقارب وليس هو هو.

وتعضه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاً أُعيد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يارسول الله فالقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عفصاء ولا جلهاء ولا عضباء تنطح بقرونها وتطأ بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاً رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»^(١) الحديث بطوله.

وفيه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطأ ذات الظلف بظلفها وتنطح ذات القرن بقرنها، ليس فيها يومئذ جماء، ولا مكسورة القرن» الحديث. وفيه «ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه ويقال هذا مالك الذي كنت تبخل به. فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يعضها كما يقضم الفحل»^(٢).

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبتها لها يعار، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغت. ولا يأتي أحدكم ببعير يحمله على رقبتة له رغاء فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغت»^(٣). وفيه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ (النساء/٣)^(٤) الآية.

(١) رواه البخاري (٢٦٧/٣) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة. ومسلم (٦٨٠/٢) ح (٩٨٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٢) رواه مسلم (٦٨٤/٢) ح (٩٨٨) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٣) رواه البخاري (٢٦٧/٣) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة. قال مؤلفه: وهذا وإن كان وارداً في الغلول وعقوبته فهو في الزكاة كذلك إذ الجزء من جنس العمل والله تعالى أعلم.

(٤) رواه البخاري (٢٣٠/٨) في تفسير آل عمران، باب (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله).

وفيه عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة/ ٣٤) قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله تعالى طهرة للأموال^(١).

وقد ثبتت البيعة عليها بعد الصلاة كما قال البخاري رحمه الله تعالى «باب البيعة على إيتاء الزكاة ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾» (التوبة/ ١١) حدثنا ابن نمير قال حدثني أبي قال حدثنا اسماعيل عن قيس قال: قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم^(٢). والنصوص فيها كثيرة وفي ما تقدم كفاية.

[حكم مانع الزكاة]

وأما حكم تاركها فإن كان منعه إنكاراً لوجوبها فكافر بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة، وإن كان مقرأً بوجوبها وكانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر: كيف تقتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل» فقال: والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، ولو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه

(١) رواه البخاري (٢٧١/٣) في الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز.

(٢) رواه البخاري (٢٦٧/٣) في الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة. ومسلم (١/٧٥/ح ٥٦) في الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

الحق - وفي رواية - فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق^(١).

وهذا الذي استنبطه أبو بكر رضي الله عنه مصرح به في منطوق الأحاديث الصحيحة المرفوعة كحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ»^(٢)، وغيره من الأحاديث.

وقد جهز النبي ﷺ خالد بن الوليد لغزو بني المصطلق حين بلغه أنهم منعوا الزكاة ولم يكن ما بلغه عنهم حقاً، فروى الإمام أحمد قال: حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أَنَّهُ سَمِعَ الْحَارِثَ بْنَ ضَرَارٍ الْخَزَاعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَدَخَلْتُ فِيهِ وَأَقَرَرْتُ بِهِ، وَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ فَأَقَرَرْتُ بِهَا وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، فَمِنْ اسْتِجَابِ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ. وَتَرَسَّلَ إِلَى يَارَسُولَ اللَّهِ رَسُولًا إِبَانًا كَذَا وَلِيَأْتِيكَ بِمَا جَمَعْتُ مِنَ الزَّكَاةِ فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنْ اسْتِجَابَ لَهُ وَبَلَغَ الْإِبَانِ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولَ وَلَمْ يَأْتِهِ وَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخَطَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا بِسُرُورٍ قَوْمَهُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يَرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولَهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَلْفُ، وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سَخَطَةٍ، فَاِنْطَلَقُوا نَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ إِلَى الْحَارِثِ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنَ الزَّكَاةِ فَلَمَّا أَنَّ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ فَرَّقَ - أَيِ خَافَ - فَرَجَعَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْحَارِثَ قَدْ مَنَعَنِي

(١) رواه البخاري (٢٥٠/١٣) في الإعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. ومسلم

(١/٥١/ح ٢٠) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٢) رواه البخاري (٧٥/١) في الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة) ومسلم (١/٥٣/ح ٢٢)

فيه، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟ قالوا إليك. قال ولم؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله. قال رضي الله عنه: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بته ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي، قال رضي الله عنه: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ولا أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن يكون كانت سخطه من الله تعالى ورسوله ﷺ. قال فنزلت الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا - إلى قوله - نَادِمِينَ﴾ (الحجرات/٦)، ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به. ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به^(١).

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم، فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ فضفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلاً مصدقاً فسررنا بذلك وقررت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله ﷺ. فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال فأذن لصلاة العصر، قالت ونزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ

(١) رواه أحمد (٢٧٩/٤) وسنده صحيح والطبراني (٢/٢٧٤ / ٣٣٩٥) ورواه ابن أبي حاتم (ابن كثير ٢٢٥/٤) وابن منده وابن مردويه (الدر المنثور ٧/٥٥٥). وسماه الطبراني الحارث بن سراح وسماه الحافظ في الإصابة الحارث بن أبي ضرار.

فَاسِقُ بَنِي فُتَيْيَنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ (الحجرات/٦) (١).

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا: يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإننا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإننا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، وأن النبي ﷺ استغشهم وعم بهم، فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بَنِي فُتَيْيَنُوا﴾ (٢) (الحجرات/٦) إلى آخر الآية.

وقال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك - زاد قتادة: وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام - فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣) أهـ. من تفسير الحجرات لابن كثير رحمه الله تعالى.

(١) رواه ابن جرير (١٢٣/١٣) والطبراني (٤٠١/٢٣ ح ٩٦٠) وأخرجه ابن راهويه وابن مردويه (الدر المنثور ٥٥٦/٧) وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف ويشهد له الذي قبله.

(٢) رواه ابن جرير (١٢٣/١٣ - ١٢٤) والبيهقي (٥٤/٩ - ٥٥). وأخرجه ابن مردويه وابن عساكر (الدر المنثور ٥٥٦/٧) وسنده ضعيف جداً مسلسل بالضعفاء من محمد بن سعد العوفي إلى جده عطية. ويشهد له الذي مر.

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٤/٤).

وذكر البغوي رحمه الله تعالى نحو حديث ابن عباس وفيه: فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا لتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نسود بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه، وقال له انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وأن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار. ففعل ذلك خالد. ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات/٦)^(١) الآية.

وأما إن كان الممتنع عن أداء الكاة فرداً من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهراً، واختلفوا من ذلك في مسائل:

إحداها هل يكفر أم لا؟

فقال عبدالله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر إلى الصلاة. وقال أيوب السختياني: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه. وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وهو قول ابن المبارك وأحمد وإسحاق وحكى إسحاق عليها إجماع أهل العلم، وقال محمد بن نصر المروزي: هو قول جمهور أهل الحديث، وذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمس عمداً أنه كافر. وروى ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها طائفة من أصحابه وهو قول ابن حبيب من المالكية، وخرج الدارقطني وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «قيل: يا رسول الله الحج في كل عام؟ قال: لو قلت نعم لوجب عليكم

(١) معالم التنزيل للبغوي (١٩٩/٥ - ٢٠٠).

ولو وجب عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم»^(١)، وعن ابن مسعود أن تارك الزكاة ليس بمسلم، وعن أحمد رواية أن ترك الصلاة والزكاة كفر دون الصيام والحج. وقال ابن عينة: المرجئة سمّوا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس سواء، لأن ركوب المحارم متعمداً من غير استحلال معصية، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر. وبيان ذلك في أمر إبليس، وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبي ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

المسألة الثانية هي يقتل أم لا؟

الأول هو المشهور عن أحمد رحمه الله تعالى، ويستدل له بحديث ابن عمر رضي الله عنهما «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»^(٢) الحديث.

والثاني لا يقتل، وهو قول مالك والشافعي ورواية عن أحمد رحمهم الله تعالى. وروى اللالكائي من طريق مؤمل قال: حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ولا أحسبه إلا رفعه قال: عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان. من ترك منهن واحدة فهو بها كافر ويحل دمه، وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافراً ولا يحل بذلك دمه، وتجده كثير المال ولا يزكي فلا يزال بذلك كافراً ولا يحل دمه. ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد مرفوعاً مختصراً، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمرو بن مالك بهذا الاسناد مرفوعاً، وقال: من ترك منهن واحدة - يعني الثلاث الأولى - فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله. ولم يذكر ما بعده^(٣).

(١) الدارقطني في سننه (٢/٢٨٢) وابن جرير (٥/٨٢) وسنده ضعيف فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف وروي من حديث ابن عباس بسند ضعيف جداً ومن حديث أبي أمامة بسند ضعيف. وفي الصحيح غنية عن هذا اللفظ (لكفرتم).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو يعلى (المجمع ١/٥٣) والمطالب العالية ح (٢٨٦٣) والطبراني في الكبير (١٢/١٧٤) ح (١٢٨٠٠) واللالكائي (ح ١٥٧٦).

المسألة الثالثة لمن لم ير قتله هل ينكل بأخذ شيء من ماله مع الزكاة؟

وقد روى في خصوص المسألة حيث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون، لا تفرق إبل عن حسابها، من أعطاه مؤتجراً بها فله أجرها، ومن منعها فإننا آخذوها وشطرن ماله عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد منها شيء» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم^(١)، وعلق الشافعي القول به على ثبوته فإنه قال: لا يشته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به^(٢).

والرابع الصيام فاسمع وأتبع والخامس الحج على من يستطع

= قال الهيثمي: وإسناده حسن (المجموع ١/٥٣). وقوله: وتجده كثير المال... هو من كلام ابن عباس.

(١) رواه أحمد (٢/٥ و ٤) وأبو داود (١٠١/٢ ح ١٥٧٥) في الزكاة، باب في زكاة السائمة. والنسائي (٢٥/٥) فيه، باب سقوط الزكاة عن الإبل إذا كانت رسلاً لأهلها ولحمولتهم. والحاكم (٣٩٨/١) وصححه وقال الذهبي صحيح وهو كذلك.

(٢) ذكره البيهقي في السنن (١٠٥/٤) وقد تقدم صحة الحديث وقد قال به الشافعي قديماً وقال به أحمد رحمه الله (المجموع ٥/٣٣٧).

[الصيام]

الركن الرابع من أركان الإسلام الصيام، وهو في اللغة: الإمساك، وفي الشرع: إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة.

وكان فرض صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة/ ١٨٣ - ١٨٥) إلى آخر الآيات، وقد تقدمت الأحاديث فيه.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد فرضيته، وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه، وقوله (فاسمع وأتبع) مأخوذ من قول الله عز وجل ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر/ ١٨).

[الحج]

الركن الخامس الحج، وهو (على من استطاع) أي من استطاع إليه سبيلاً، قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/ ٩٧) قد ذكر الله تعالى تفصيله في سورة البقرة من قوله تعالى ﴿وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة/ ١٩٦).

واشترط الاستطاعة فيه مصرح به في الآية وفي حديث جبريل وفي حديث معاذ وغيرها، وفسره النبي ﷺ بالزاد والراحلة^(١).

ولا خلاف في كفر من جحد فرضيته، وتقدم الخلاف في كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تعجلوا الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»^(٢). ورواه أبو داود بلفظ «من أراد الحج فليتعجل»^(٣).

وروى الإسماعيلي بإسناد صحيح عن عبدالرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن

(١) قال ابن المنذر: لا يثبت الحديث للذي فيه الزاد والراحلة والآية الكريمة عامة ليست مجملة فلا تفتقر إلى بيان وكأنه كلف كل مستطيع قدره بمال أو بدن (الفتح ٣/ ٣٠٠) انظر تفصيل ذلك في ارواء الغليل للعلامة الألباني (ح ٩٨٨).

(٢) رواه أحمد (٣١٤/١) وأخرجه أيضاً (٢١٤/١ و ٣٢٣ و ٣٥٥) وابن ماجه ٩٦٢/٢ ح/ ٢٨٨٣ في المناسك، باب الخروج إلى الحج بلفظ «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة». وهو حسن بالذي بعده.

(٣) رواه أبو داود (١٤١/٢ ح/ ١٧٣٢) في المناسك، باب التجارة في الحج والدارمي (١٢/٢) والحاكم (٤٤٨/١) وأحمد (٢٢٥/١) وهو حسن بالذي قبله.

الخطاب رضي الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً^(١).

وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين^(٢).

وروى البغوي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»^(٣).

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال «أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم» ثم قال «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرت بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»^(٤). ورواه مسلم بنحو هذا والله أعلم.

وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال «يا أيها الناس، إن الله تعالى كتب عليكم الحج. فقام الأقرع بن حابس فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فقال: لو قلتها

(١) أبو بكر الإسماعيلي (ابن كثير ١/٣٩٤) وإسناده صحيح إلى عمر رضي الله عنه وقد تصحف إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر إلى عبد الله فليظن.

(٢) سعيد بن منصور (ابن كثير ١/٣٩٤ - ٣٩٥) وإسناده ضعيف فهو من رواية الحسن البصري عن عمر ولم يدركه وهو مدلس. وجدة: أي مال قادر على الحج.

(٣) رواه البغوي (١/٥١٤) وسنده فيه ضعف فيه ليث بن أبي سليم وشريك القاضي وكلاهما مُضَعَّف.

(٤) رواه مسلم (٢/٩٧٥ ح ١٣٣٧) في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر والنسائي (٥/١١٠ - ١١١) فيه، باب وجوب الحج. وأحمد (٢/٥٠٨).

لوجبت، ولو وجبت لم يعملوا بها، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا. الحج مرة فمن زاد فَهُوَ تَطَوُّعٌ»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٥٥/١ و ٢٩٠ و ٣٠٣ و ٣٥٢ و ٣٧٠ و ٣٧١) وأبو داود (١٣٩/٢ ح ١٧٢١) في المناسك، باب فرض الحج، والنسائي (١١١/٥) فيه، باب وجوب الحج. وابن ماجه (٩٦٣/٢ ح ٢٨٨٦) فيه، باب فرض الحج. والحاكم (٤٤٠/١ و ٤٧٠) والدارمي (٢٩/٢).

ذكر أمور تدخل في مسمى الإيمان والإسلام من الأوامر والمناهي والأخبار

قال الله عز وجل ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى
مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٦) الآيات.

وقال تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ
مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا
اللَّغْوَ اعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص/ ٥٢ - ٥٥) وقال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَامًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا
سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا، وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مَتَابًا. وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا. أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿الفرقان/ ٦٣ - ٧٦﴾.

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة/ ١١١ - ١١٢).

وقال تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ. وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ (المعارج/ ١٩ - ٣٥). وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ - إِلَى قَوْلِهِ - الْوَارِثُونَ﴾ (المؤمنون/ ١ - ١٠) الآيات.

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ
 أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، وَلَا
 نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿المؤمنون/ ٥٧- ٦٢﴾. وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
 وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ
 اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
 وَالْمَحْرُومِ ﴿الذاريات/ ١٥- ١٩﴾.

وقال تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
 وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
 وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
 وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة/ ١٧٧﴾. وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
 وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
 وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
 مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿الأحزاب/ ٣٥﴾.

وقال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ
 كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ - إِلَى قَوْلِهِ - وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿التوبة/ ٣﴾. وقال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ
 الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
 وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا
 وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ

سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿الحشر/ ٩ - ١٠﴾.

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر/ ١٨) الآيات، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة/ ١) إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات/ ١) إلى آخر السورة، وقال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾ (النساء/ ٣٦). وقال تعالى ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنِهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنِّمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام/ ١٢٠).

وقال تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ: أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكُلْ فَنَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام/ ١٥١ - ١٥٣).

وقال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أِفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ، فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا. وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا. إِنْ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا. وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا. إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا، وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا. وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا، وَلَا تَمْسِرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا. ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿(الإسراء/ ٢٣ - ٣٩)﴾.

وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/ ٣٣). وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل/ ٩٠ - ٩١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/ ٧). وقال تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا

أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴿٣﴾ (الأعراف/٣) وقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران/٣١) الآيتين .

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (فصلت/٣٠) الآيات، وقال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف/١١) .

وآيات القرآن في هذا الباب كثيرة وشهيرة لا تخفى، بل القرآن كله في تقرير الدِّين من فاتحته الى خاتمته: دعوة وبشارة ونذارة، وأمرًا ونهيًا وخبرًا، كله لا يخرج عن شأن الدين: إما دعوة اليه، أو بشارة لمن اتبعه برضاء الله والجنة، أو نذارة لمن أبى عنه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، أو أمرًا بشرائعه أصولها وفروعها وآدابها وأحكام كل منها، أو نهياً عن نواقضه جميعه أو نواقض شيء منها أو ما يوجب أدنى خلل فيه أو في شيء من شرائعه، أو خبراً عن نصر من جاء به وصدّق به وحفظه وتأييده في الدنيا، أو خبراً عما أعدّ الله لهم في الآخرة من الفوز والنعيم، والنجاة من عذاب الجحيم، أو خبراً عن إهلاك من استكبر عنه في الدنيا وما أحله الله بهم من غضبه عاجلاً من الخسف والمسح والقذف وغير ذلك، وما أعدّه لهم في الآخرة من العذاب والعقاب، وما فاتهم وحرّمه من الثواب وغير ذلك .

وأما الأحاديث فمنها قوله ﷺ «الإيمان بضْعٌ وسبعون شعبة: فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١) .

وقوله ﷺ «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في

(١) رواه البخاري (٥١/١) في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم (١/٦٣/ح ٣٥) فيه، باب بيان عدد شعب الإيمان .

الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» قال عبادة بن الصامت: فبايعناه على ذلك^(١).

وقوله ﷺ «من يبايعني على هذه الثلاثة الآيات ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (الأنعام/ ١٥١) الآيات»^(٢).

وقوله ﷺ لمعاوية بن حيدة لما قال له «ما الذي بعثك الله به؟ قال: الإسلام. قلت: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله تعالى، وأن توجّه وجهك لله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة»^(٣). وفي رواية قال «وما آية الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وكلّ المسلم على المسلم حرام»^(٤).

وقوله ﷺ «ثلاث لا يغفل عليهنّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور؛ ولزوم جماعة المسلمين فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم»^(٥) وقوله ﷺ في جواب أيّ المسلمين أفضل؟ قال «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٦).

(١) رواه البخاري (٦٤/١) في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار. ومسلم (١٣٣٣/٣) في الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.

(٢) رواه الحاكم (٣١٨/٢) وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (الدر المنثور ٣/٣٨١).

(٣) رواه أحمد (٥ - ٤/٥) والنسائي (٥ - ٤/٥) في الزكاة، باب وجوب الزكاة (٨٢/٥ - ٨٣) فيه، باب من سأل يوجهه الله عز وجل، وابن ماجه (٨٤٨/٢) ح/٢٥٣٧ في الحدود، باب المرتد عن دينه وسنده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٥ - ٤/٥) والنسائي (٨٢/٥ - ٨٣) في الزكاة، باب من سأل يوجهه الله عز وجل وهو كالذي قبله.

(٥) رواه أحمد (١٨٣/٥) والدارمي (٧٥/١) وابن حبان (الإحسان ٣٥/٢) من حديث زيد بن ثابت وإسناده صحيح.

وله شواهد من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي الدرداء والنعمان بن بشير وغيرهم.

(٦) رواه مسلم (٦٥/١) ح/٤٠ في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل. من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقوله ﷺ «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ههنا - وأشار إلى صدره ثلاثاً - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»^(١).

وقوله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٢).

وقوله ﷺ في جواب من قال أي الإسلام خير؟ قال «أن تطعم الطَّعام، وتقرأ السَّلام على من عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٣).

وقوله ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٤).

وقوله ﷺ في جواب من سأل: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرها، قال «قل آمنت بالله ثم استقم»^(٥).

وقوله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً رسولاً»^(٦).

(١) رواه مسلم (٤/١٩٨٦ ح/٢٥٦٤) في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١/٥٣) في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه البخاري (١/٥٥) في الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام. ومسلم (١/٦٥ ح/٣٩) فيه، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) رواه الترمذي (٤/٥٥٨ ح/٢٣١٧) في الزهد، باب «١١» وابن ماجه (٢/١٣١٥ ح/٣٩٧٦) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وفي سننه قره بن عبد الرحمن بن صوئيل وفيه مقال وروي عند مالك في الموطأ (٢/٩٠٣) والترمذي (ح/٢٣١٨) مراسلاً من حديث علي بن الحسين والحديث حسن بطرقه إن شاء الله تعالى.

(٥) رواه مسلم (١/٦٥ ح/٣٨) في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي.

(٦) رواه مسلم (١/٦٢ ح/٣٤) في الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً =

وقوله ﷺ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهَ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»^(١).

وقوله ﷺ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢)، وفي رواية «مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٣).

وفي حديث أبي رزین قال: قلت يا رسول الله ما الإيمان؟ قال «أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليك مما سِوَاهُمَا، وأن تحترقَ في النَّارِ أحبَّ إليك من أن تشرك بالله شيئاً. وأن تحبَّ غير ذي نسب لا تحبَّه إلا الله. فإذا كنت كذلك فقد دخل حُبُّ الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظَّمآن في اليوم القانظ» قلت: يا رسول الله كيف لي بأن أعلم أنني مؤمن؟ قال «ما من أمتي - أو قال هذه الأمة - عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأنَّ الله مجازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله منها ويعلم أنه لا يغفرها إلا الله إلا وهو مؤمن»^(٤).
وقوله ﷺ «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَاتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٥).

وقوله ﷺ «صَرِيحُ الْإِيمَانِ إِذَا أَسَأْتَ أَوْ ظَلَمْتَ عَبْدَكَ أَوْ أَمْتَكَ أَوْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ صَمْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ، وَإِذَا أَحْسَنْتَ اسْتَبَشَرْتَ»^(٦).

-
- = وبمحمد ﷺ رسولاً، فهو مؤمن. من حديث العباس رضي الله عنه.
- (١) رواه البخاري (٦٠/١) في الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم (٤٣/١) ح ٤٣، فيه، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، من حديث أنس رضي الله عنه.
- (٢) رواه البخاري (٥٨/١) في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ومسلم (٤٤/١) ح ٤٤، فيه، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ. من حديث أنس رضي الله عنه.
- (٣) رواه النسائي (١١٤/٨ و ١١٥) في الإيمان، باب علامة الإيمان.
- (٤) رواه أحمد (١١/٤) وفي سنده سليمان بن موسى وحديثه مقارب للحسن وألفاظ الحديث لها شواهد في الصحيح.
- (٥) رواه أحمد في المسند رقم ١١٤ و ١٧٧ نسخة أحمد شاكر) والترمذي (٤/٤٦٥ ح ٢١٦٥) في الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة وسنده صحيح من حديث عمر رضي الله عنه. وله شاهد من حديث أبي موسى وأبي أمامة عند الحاكم (١٣/١ و ١٤) بأسانيد صحيحة.
- (٦) لم أجده بهذا اللفظ.

وقوله ﷺ «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه الله عز وجل»^(١).

وفي حديث عمرو بن عبسة «قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: طيب الكلام، وإطعام الطعام. فقلت: ما الإيمان؟ قال الصبر والسماحة. قلت: أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. قلت: أيُّ الإيمان أفضل؟ قال: خلق حسن»^(٢).

وقوله ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٣). وقوله ﷺ «ثلاث مَنْ فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ بَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ»^(٤) الحديث. وفي آخره «فقال رجل: فما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُمَا كَانَ»^(٥).

وقوله ﷺ «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(٦). وفي رواية «المؤمنون كرجل واحد - إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»^(٧).

-
- (١) رواه أحمد (٨/٣) وفيه دراج (أبو السمح) وهو مضعف في حديثه عن أبي الهيثم وهو كذلك هنا.
 - (٢) رواه أحمد (٣٨٥/٤) وفي سنده شهر ومحمد بن ذكوان الجهضمي وكلاهما مُضعف.
 - (٣) رواه الترمذي (٤٦٦/٣ ح/١١٦٢) في الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها. وقال حسن صحيح وأبو داود (٤/٢٢٠ ح/٤٦٨٢) في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه. وأحمد (٥٠/٢) و٤٧٢ و٥٢٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح.
 - (٤) رواه البيهقي (٩٦/٤) ورواه الطبراني قال ابن حجر: إسناده جيد. ورواه أبو داود دون اللفظ الأخير بإسناد منقطع. (انظر تلخيص الجبير ١٥٥/٢). وهو من حديث عبد الله بن معاوية رضي الله عنه.
 - (٥) رواه البخاري (٤٣٨/١٠) في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ومسلم (٤/١٩٩٩ ح/٢٥٨٦) في البر والصلة والآداب، باب تراجم المؤلفين وتعاطفهم وتعاضدهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
 - (٦) رواه مسلم (٤/٢٠٠٠ ح/٢٥٨٦) في البر والصلة والآداب، باب تراجم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. من حديثه رضي الله عنه.

وقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه»^(١).
 وقوله ﷺ «المؤمن في أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل
 الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»^(٢)، وقوله ﷺ «المؤمن مرآة المؤمن، أخو
 المؤمن، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه»^(٣)، وقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم
 حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٤)، وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم
 الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه،
 ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»^(٥). وقوله ﷺ «والله لا يؤمن، والله
 لا يؤمن، والله لا يؤمن. قالوا: مَنْ ذلك يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره
 بوائقه»^(٦)، وقوله ﷺ «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»^(٧).

(١) رواه البخاري (٩٩/٥) في المظالم، باب نصر المظلوم، ومسلم (٤/١٩٩٩/٢٥٨٥) في البر
 والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. من حديث أبي موسى الأشعري
 رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٣٤٠/٥) وأبو نعيم في الحلية (١٩٠/٨) والطبراني في الكبير (ح ٥٧٤٣) والقضاعي
 في الشهاب (ح ١٣٦) من حديث سهيل قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. قلت: بل
 فيه مصعب بن ثابت لم يروا له بل هو لين الحديث كما قال ابن حجر. والحديث له شاهد
 ضعيف من حديث أبي هريرة رواه عبد الله في زوائد الزهد (٣٦٧) فيه زهير بن محمد وعنه الوليد
 بن مسلم. والحديث يشهد له الذي قبله فصح به.

(٣) زواه أبو داود (٤/٢٨٠/٤٩١٨) في الأدب، باب في النصيحة والحيطة وابن وهب في الجامع
 (ص ٣٧) والبخاري في الأدب المفرد (١/٣٢٧/٢٣٩ - فضل الله الصمد) من حديث أبي
 هريرة وإسناده حسن والطبراني في الأوسط (٣/٧١/٢١٣٥) والبخاري (ح ٣٢٩٧) والقضاعي في
 مسند الشهاب (ح ١٢٤ و ١٢٥) بإسناد حسن من حديث أنس فالحديث صحيح إن شاء الله
 تعالى.

(٤) رواه البخاري (٥٦/١) في الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم
 (٦٧/١/٤٥) فيه، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب
 لنفسه من الخير.

(٥) رواه البخاري (٤٤٥/١٠) في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره،
 ومسلم (٦٨/١/٤٧) في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن
 الخير.

(٦) رواه البخاري (٤٤٣/١٠) في الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١٩٤/١١٢ (فضل الله الصمد)) والطبراني في الكبير (ح
 ١٢٧٤١) والحاكم (٤/١٦٧) من حديث ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي. قلت: في سنده =

وقوله ﷺ «من أعطى الله، ومنع الله، وأحب الله، وأبغض الله، فقد استكمل إيمانه»^(١)، وسئل ﷺ عن أفضل الإيمان فقال «أن تحبَّ الله وتبغض الله وتعمل لسانك في ذكر الله فقال: وماذا يا رسول الله؟ قال «أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»^(٢)، وفي رواية «وأن تقول خيراً أو تصمت»^(٣)، وقوله ﷺ «لا يستحق العبد صريح الإيمان حتى يحب الله ويبغض الله، فإذا أحبَّ الله وأبغض الله فقد استحق الولاية من الله تعالى»^(٤)، وقوله ﷺ «أوثق عرى الإيمان أن تحبَّ في الله وتبغض في الله»^(٥).

وقوله ﷺ لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة ١٦) ثم قال «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد

= عبيد الله بن المساور وهو مجهول. وله شاهد من حديث أنس. رواه الطبراني (ح ٧٥١) والبخاري (المجمع ١٧٠/٨) قال الهيثمي: إسناده البزار حسن وكذلك قال المنذري (٣٥٨/٣). فالحديث حسن إن شاء الله تعالى.

(١) رواه أحمد (٤٤٠/٣) والترمذي (٦٧٠/٤ ح ٢٥٢١) في صفة القيامة، باب «٦٠» وقال هذا حديث حسن. من حديث معاذ بن أنس ورواه الحاكم (١٦٤/٢) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. قلت فيه عبد الرحيم بن ميمون (أبو مرحوم): لم يخرجا له وسهل بن معاذ لم يرو له مسلم وروى له البخاري في الأدب فقط فالحديث حسن فقط.

(٢) (٣) رواه أحمد (٢٤٧/٥) من حديث معاذ بن جبل وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وفي الثاني ابن لهيعة وهو كذلك والحديث له شواهد كالذي تقدم والآتي بعده والذي بعده. تنبيه: وقع في المطبوع من مجمع الزوائد عزو الحديث لمعاذ بن أنس وهو خطأ فليس هو في مسنده بل في مسند ابن جبل.

(٤) رواه أحمد (٤٣٠/٤) قال الهيثمي: وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف (المجمع ٩٤/١) وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث عمرو بن الحمق (المجمع ٩٤/١) وفيه رشدين أيضاً.

(٥) رواه أحمد (٢٨٦/٤) وابن أبي شيبة في الإيمان (ح ١١٠) من حديث البراء وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وله شواهد من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وأبي ذر يرتقي بها لدرجة الحسن إن شاء الله تعالى مع ما تقدم من شواهد.

في سبيل الله»، ثم قال له «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» فأخذ بلسان نفسه وقال «كف عليك هذا»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٣١/٥ و ٢٣٧) والترمذي (٢٦١٦ ح ١١/٥) في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (١٣١٥/٢ ح ٣٩٧٣) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة. من حديث معاذ وإسناده حسن.

[شرح حديث شعب الإيمان]

ويناسب هنا أن ننقل شرح حديث شعب الإيمان وكلام العلماء في إحصائها من فتح الباري .

فتلك خمسةٌ وللايمان	ستةٌ أركانٍ بلا نكران
إيماننا بالله ذي الجلال	وما له من صفة الكمال
وبالملائكة الكرام البرره	وكتبه المنزلة المطهرة
ورسله الهداة للأنام	من غير تفريق ولا إيهام

(فتلك) الأركان المتقدمة التي هي شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً (خمسة) فسر النبي ﷺ بها الإسلام فاعلمها واحتفظ بها واعملها وعلمها، فسوف تسأل عنها وتحاسب عليها، فأعدد للسؤال جواباً، وإياك أن تخل بشيء منها فتكون من الظالمين .

[أركان الإيمان]

(وللايمان ستة أركان) فسر به النبي ﷺ في حديث جبريل وغيره (بلا نكران) للنقل ولا تكذيب للخبر ولا شك في الاعتقاد ولا استكبار عن الانقياد .

[الإيمان بالله]

الأول منها (إيماننا بالله): بالهيته وربوبيته لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولا رب سواه، واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا

يشرك في حكمه أحداً، ولا ضد له ولا ند ولم يكن له كفواً أحد (ذي الجلال)
 ذي العظمة والكبرياء الذي هو أهل أن يجل فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر
 فلا يكفر ويوحد فلا يشرك معه غيره ولا يوالى إلا هو ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ
 رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام/ ١٦٤) ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُوا وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام/ ١٤) ﴿أَفَغْيَرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ (الأنعام/ ١١٤) ﴿أَفَغْيَرَ اللَّهُ
 تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
 فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
 اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الزمر/ ٦٤).

(و) الإيمان بـ (ماله) تعالى (من صفة الكمال) مما وصف به نفسه ووصفه به
 رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت بلا تكييف
 ولا تجميل ولا تحريف ولا تعطيل وأن كل ما سمي الله تعالى ووصف به نفسه
 ووصفه به رسوله ﷺ الكل حق على حقيقته على ما أراد الله وأراد رسوله وعلى
 ما يليق بجلال الله وعظمته ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران/ ٧).

وقد تقدم ما يسره الله تعالى من تقرير الكلام في توحيد الإلهية والربوبية
 والأسماء والصفات وأنواع الشرك المضادة له فليراجع وبالله التوفيق.

[الإيمان بالملائكة]

(و) الثاني الإيمان (بالملائكة): الذين هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه
 تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام (الكرام) خَلْقًا وَخُلُقًا والكرام على الله
 تعالى (البررة) الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً المطيعين لله عز وجل وهم عباد من
 عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ليسوا بناتاً لله، عز وجل ولا
 أولاداً، ولا شركاء معه ولا أنداداً تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون
 والملحدون، علواً كبيراً، قال الله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ
 عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلَقَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ، وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿الأنبياء/ ٢٦ - ٢٩﴾
 وقال تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهُمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَفَلَا تَذَكَّرُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (الصافات/ ١٥١ - ١٦٦) وقال تعالى ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ. أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف/ ١٥ - ١٩) الآيات.

وقال تعالى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ. وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (الأنبياء/ ١٧٢). وقال تعالى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء/ ١٩ - ٢٠)، وقال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر/ ١)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا، الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ. وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (الفرقان/ ٢٢)، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف/ ٢٠٦).

وقال تعالى ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مریم/ ٦٤)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرْهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ

كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿سبأ/٤٠﴾، وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٩٨): والآيات في ذكر الملائكة في القرآن كثيرة.

[أقسام الملائكة وخصائصهم]

ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكَّل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة/٩٧)، وقال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء/١٩٣)، وقال تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (النحل/١٠٢)، وقال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم/٤-٩) وهذا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلى له على صورته التي خلق عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، ثم رآه ليلة المعراج أيضاً في السماء^(١) كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم/١٣-١٥).

ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين، وبقيّة الأوقات في صورة رجل، وغالباً في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه^(٢).

وقال تعالى فيه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير/١٩-٢٣). والآيات. وقال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا

(١) قال ابن عمر رضي الله عنهما: كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي رواه أحمد (١٠٧/٢) بإسناد صحيح.

مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» (سبأ/٢٣) تقدم الحديث في معنى الآية. وفيه: قال النبي ﷺ «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل بأهل السموات، كلما مر بسماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل عليه السلام: قال الحق وهو العلي الكبير» فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل وهو في الصحيحين^(١).

وسياتي إن شاء الله تعالى ذكر بعض الأحاديث في بدء الوحي من الفصل الآتي.

ومنهم الموكل بالقَطَر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل، وهو ميكائيل عليه السلام، وهو ذو مكانة عليّة ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل.

وقد جاء في بعض الآثار: ما من قطرة تنزل من السماء إلّا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض. وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه ﷺ قال لجبريل «على أي شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر»^(٢) ولأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ لجبريل عليه السلام «ما لي لم أرَ ميكائيل ضاحكاً قط؟ فقال عليه السلام: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»^(٣) عياداً بالله منها.

ومنهم الموكل بالصُّور، وهو اسرافيل عليه السلام، ينفخ فيه ثلاث نفخات

-
- (١) تقدم وهو في البخاري (٥٣٧/٨) في تفسير سورة سبأ، باب حتى إذا فرع عن قلوبهم. وفي تفسير سورة الحجر من حديث أبي هريرة. وبغير هذا اللفظ رواه مسلم من حديث عبد الله بن عباس عن رجل من الأنصار (١٧٥٠/٤ ح/٢٢٢٩) في السلام، باب تحريم الكهانة.
- (٢) رواه الطبراني (٣٧٩/١١ ح/١٢٠٦١) قال الهيثمي. وفيه محمد بن أبي ليل وقد وثقه جماعة ولكنه سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات (المجمع ٢٢/٩) قلت: بل فيه كذلك محمد بن عمران الراوي عنه مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان.
- (٣) رواه أحمد (٢٢٤/٣) وسنده ضعيف فيه إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزوة. وإسماعيل روايته =

بأمر ربه عز وجل: الأولى، نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق. والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه في موضعه.

ولأحمد والترمذي من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له. قالوا كيف نقول يا رسول الله؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(١).

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه من صلاة الليل «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٢).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، وقد جاء في بعض الآثار تسميته عزرائيل^(٣)، قال الله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة/١١)، وقال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ إِلَّا لَٰهُ الْحُكْمَ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام/٦١)، وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال/٥٠)، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ - إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى - إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا

= عن غير الشاميين ضعيف وعلمارة مدني قال عنه الحافظ: لا بأس به. وفيه حيد بن عبيد: لا يدري من هو.

(١) رواه أحمد (٧/٣) والترمذي (٤/٦٢٠ ح/٢٤٣١) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور؛ وقال: هذا حديث حسن قلت فيه عطية وهو ضعيف وللحديث شواهد عدة انظرها في السلسلة الصحيحة (١٠٧٩) والفتح (٣٦٨/١١).

(٢) رواه مسلم (١/٥٣٤ ح/٧٧٠) في صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه. وقد تقدم.

(٣) ليس في المرفوع ما يثبت هذا الاسم، بل ذكره من كلام التابعين.

الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿النحل/ ٢٨ - ٣٢﴾ وغيرها من الآيات .

وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسناً ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئاً ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ. فَلَوْلَا إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ، تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة/ ٨٣ - ٩٦) سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم نستغفر الله .

ومنهم الموكل بحفظ العبد في جلّه وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/ ١٠ - ١١)، وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الأنبياء/ ٤٢)، وقال تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (الأنعام/ ١٨).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأولى ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد/ ١١): والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه^(١).

(١) انظر ابن كثير (٥٢٢/٢) من رواية عكرمة وعلي عنه .

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه^(١). وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الأنبياء/٤٢) قال ابن كثير: أي بدل الرحمن، يمتن سبحانه وتعالى بنعمته على عبده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام^(٢). أهـ.

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله عز وجل ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (الأنعام/٦١) وقال تعالى فيهم ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف/٨٠) وقال تعالى ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق/١٧-١٨) فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. وقال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار/١٠).

عن علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ». فكان علقمة يقول: كم من كلامٍ قد منعني حديث بلال بن الحارث، ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٣).

(١) ابن كثير (٢/٥٢٢).

(٢) ابن كثير (٣/١٨٨).

(٣) رواه أحمد (٤٦٩/٣) ومالك في الموطأ (٩٨٥/٢) في الكلام، باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام، والترمذي (٥٥٩/٤ ح/٢٣١٩) في الزهد، باب في قلة الكلام، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/١٣١٣ ح/٣٩٦٩) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة. والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٥٥/٢) وهو صحيح. وهو في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى البغوي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كاتبُ الحسناتِ على يمين الرجل، وكاتبُ السيئاتِ على يسار الرجل، وكاتبُ الحسناتِ أميرٌ على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإنَّ عمل سيئة قال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال: دَعُهُ سبع ساعات لعله يَسْبَحَ أو يستغفر»^(١).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله تعالى تجاوز لي عَنْ أُمِّي ما حَدَّثْتُ به أَنفُسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» وفي رواية «ما لم تعمل أو تكلم به»^(٢) وفيه عنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة. وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإنَّ عملها فاكتبوها عشرًا»^(٣) وفي رواية «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها كتبها له حسنة، فإنَّ عملها كتبها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف. وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإنَّ عملها كتبها سيئة واحدة»^(٤). وفي أخرى «قال الله عز وجل: إذا حَدَّثْتُ عبدي بأنَّ يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها. وإذا حَدَّثْتُ بأنَّ يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها»^(٥). وقال رسول الله ﷺ «قالت الملائكة رَبِّ ذاك

-
- (١) معالم التنزيل (٢١٤/٥) وسنده ضعيف جداً فيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو متروك والقاسم أبو عبد الرحمن صدوق يغرب كثيراً. وفي سنده من لم أجد لهم ترجمة.
 - (٢) رواه البخاري (٥٤٨/١١) في الإيمان والنذور، باب إذا حثت ناسياً في الإيمان. ومسلم (١١٦/١ ح ١٢٧) في الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر.
 - (٣) رواه البخاري (٤٦٥/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) رواه مسلم (١١٧/١ ح ١٢٨) في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب. واللفظ لمسلم.
 - (٤) رواه البخاري (٤٦٥/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، ومسلم (١١٧/١ ح ١٢٨) في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب.
 - (٥) رواه مسلم (١١٧/١ ح ١٢٩) في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب.

عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو تعالى أبصر به - فقال ارقبوه، فإن عملها فاكذبوها له بمثلها، وإن تركها فاكذبوها له حسنة، إنما تركها من جراي»^(١).

وقال رسول الله ﷺ «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقي الله عز وجل»^(٢)، وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال «إن الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة - زاد في رواية - أو محاها الله. ولا يهلك على الله إلا هالك»^(٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (ق/١٧): يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا، إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء/١٤)، ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك^(٤) اهـ.

ويناسب ذكر المعقبات والحفظة ما روى البخاري رحمه الله تعالى في «باب

(١) (٢) تقدم ذكره.

(٣) رواه البخاري (٣٢٣/١١) في الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، ومسلم (١/١١٨) ح

(١٣١) في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٩ - ٢٤٠).

قول الله عز وجل تعرج الملائكة والروح إليه قال: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»^(١). ورواه مسلم أيضاً. وفيهما عن أبي موسى رضي الله عنه قال «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يحفظ القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل»^(٢) الحديث تقدم في العلو. والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص في ذلك قريباً، نسأل الله تعالى الثبات والتوفيق.

ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رصوان عليهم السلام، قال الله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر/٧٣) وقال تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد/٢٣).

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم، وفي يوم القيامة. كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ. نَزَّلًا مِنْ غُفُورٍ

(١) رواه البخاري (٣٣/٢) في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ورواه مسلم (١/٤٣٩) ح/

(٦٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) رواه مسلم (١/١٦١) ح/ (١٧٩) في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: ان الله لا ينام. ولم يروه البخاري وقد تقدم ذكر ذلك. فإنه من مفاريد مسلم.

رَحِيمٌ ﴿فَصَلَتْ/ ٣٠-٣١﴾، وقال تعالى فيهم ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٣).

ومنهم خزنة جهنم عياداً بالله منها، وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام. قال الله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا. حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (الزمر/ ٧١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ. قَالُوا: بَلَىٰ. قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر/ ٤٩) وقال تعالى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق/ ١٧- ١٨) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم/ ٦) وقال تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَاحٍةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ. وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ (المدثر/ ٢٧- ٣١)، وقال تعالى ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ، قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ﴾ (الزخرف/ ٧٧)، وفي صحيح مسلم «يُوتَىٰ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، كُلُّ زِمَامٍ فِي يَدِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا»^(١).

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال «حدثنا رسول الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه

(١) رواه مسلم (٢١٨٤/٤) ح (٢٨٤٢) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعدها قعرها.

وأجله وعمله وشقي أو سعيد»^(١) الحديث. وفي بابيه من الأحاديث كثير، وفيها «أن الملك يقول يا رب مخلّقة أو غير مخلّقة؟ أو توأم؟ ذكر أم أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما الرزق وما الأجل؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء. فيكتب الملك كما أمره الله عز وجل فلا يغير ولا يبدل»^(٢).

ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر/٧) الآيات، وقال تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة/١٧) ومفهوم هذه الآية من قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أَنَّ حملة العرش ليسوا اليوم ثمانية، ويؤيد ذلك ما روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «صدق أمية بن الصلت في شيء من شعره. فقال:

رَجُلٌ وَتَوَّرَ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرَ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ

فقال رسول الله ﷺ صدق فقال:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمَرَاءُ يَصْبَحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ تَأْبَىٰ فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رِسْلِهَا إِلَّا مَعَذِبَةٌ وَإِلَّا تُجْلَدُ

فقال رسول الله ﷺ صدق»^(٣) وهذا إسناده جيد. لكن قد ورد ما يدل على أنهم في الدنيا أيضاً ثمانية، وهو حديث العنان الذي رواه أبو داود وغيره وقد

(١) رواه البخاري (٤٧٧/١١) في القدر، باب في القدر، ومسلم (٢٠٣٦/٤) ح (٢٦٤٣) فيه، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٢) البخاري (٤٧٧/١١) في القدر، باب في القدر، ومسلم (٢٠٣٨/٤) ح (٢٦٤٦) فيه، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه من حديث أنس بن مالك.

(٣) رواه أحمد (٢٥٦/١) وأبو يعلى (المجمع ١٣٠/٨) والطبراني (٢٣٣/١١) ح (١١٥٩١) قلت وقول المصنف إسناده جيد ليس بجيد ففيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن وبقيه رجاله ثقات. وقوله إسناده جيد هو من كلام ابن كثير في تفسيره (٧٨/٤).

تقدم في العلوّ وفيه «ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك»^(١). وله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»^(٢)، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج: ثمانية صفوف من الملائكة^(٣). وقال الضحاك عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشیاطین والملائكة^(٤).

وفي حديث الصور الطويل قال رسول الله ﷺ «فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حساً شديداً فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلّي من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلّي من نزل من الملائكة وبمثلّي من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وهو آت. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسييحهم، يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميّت الخلائق ولا يموت. سُبُوح قدوس قدوس قدوس. سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح.

(١) تقدم تخريجه في العلو وأن اسناده ضعيف.

(٢) أبو داود (٢٣٢/٤ ح ٤٧٢٧) في الرد على الجهمية وإسناده صحيح.

(٣) (٤) ابن كثير (٤/٤٤٢).

سبحان ربنا الأعلى الذي يمت الخلاق ولا يموت»^(١) الحديث رواه ابن جرير والطبراني وغيرهما.

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يَسُبُّحُونَكَ وَيَكْبُرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَمَجِّدُونَكَ»^(٢) الحديث تقدم في العلو وقال ﷺ «وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتْهم الملائكةُ وذكرهم الله في من عنده»^(٣) الحديث بطوله في الصحيح عن أبي هريرة.

ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى بني عبد يا ليل وعوده منهم، وفيه قول جبريل له ﷺ «إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وما رُدُّوه عليك». وفيه قول ملك الجبال «إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِينَ» فقال ﷺ «بل استأْنِ بهم لعلَّ اللهَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»^(٤).

ومنهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراج، وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم»^(٥)، يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم. والحديث بالفاظه في الصحيحين.

- (١) سيأتي بتامة وكلام الأئمة عليه وأن ألفاظه محفوظة بأحاديث صحيحة.
- (٢) رواه البخاري (٢٠٨/١١) في الدعوات: باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم (٢٠٦٩/٤) ح/٢٦٨٩ في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر من حديث أبي هريرة.
- (٣) رواه مسلم (٢٠٧٤/٤) ح/٢٦٩٩ في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.
- (٤) رواه البخاري (٣١٣/٦) في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. ومسلم (١٤٢٠/٣) ح/١٧٩٥ في الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ.
- (٥) رواه البخاري (٣٠٢/٦ - ٣٠٣) في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (١٤٥/١) ح/١٤٧ =

ومنهم ملائكة صفوف لا يفتون، وقيام لا يركعون، وركع وسجد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ، وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر/٣١).

روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إني أرى ما لاترون، وأسمع ما لاتسمعون. أطب السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تليذتكم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعضد. وقال الترمذي غريب. ويروى عن أبي ذر موقوفاً. قلت: وله حكم الرفع، ومن أين لأبي ذر رضي الله عنه مثل هذا إلا عن توقيف والله أعلم^(١).

وعن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم «هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: أسمع أطيئ السماء وما تلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راکع أو ساجد»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «ما في السماء الدنيا موضع إلا وعليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: وما منا إلا له مقام معلوم، وإنا لنحن الصَّافُونَ، وإنا لنحن المسبِّحُونَ»^(٣).

وعن العلاء ابن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يوماً لجلسائه

-
- = (١٦٢) في الإيمان، باب الإسرائاء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.
- (١) رواه أحمد (١٧٣/٥) والترمذي (٥٥٦/٤ ح/٢٣١٢) في الزهد، باب قول النبي ﷺ «لو تعلمون ما أعلم» وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (١٤٠٢/٢ ح/٤١٩٠) في الزهد، باب الحزن والبكاء. والمحاكم في المستدرك (٥١٠/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسكت عليه الذهبي. وقلت والحديث حسن إن شاء الله تعالى.
- (٢) أخرجه ابن نصر في الصلاة (ابن كثير ٤/٤٧٤) والسلسلة الصحيحة (ح ١٠٦٠) بإسناد صحيح.
- (٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة (ابن كثير ٤/٤٧٤) والسلسلة الصحيحة (ح ١٠٥٩). وابن جرير (١١٢/٢٢) وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (الدر المنثور ٧/١٣٥) وإسناده صالح للمتابعات ويشهد له الذي قبله.

«هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تنط، إِنَّه ليس فيها موضعُ قدمٍ إلَّا وعليه ملك قائم أو راکع أو ساجد. وقالت الملائكة: وإنا لنحنُ الصَّافُونَ وإنا لنحنُ المسبِّحُونَ»^(١).

وعن رجلٍ صحب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ لله تعالى ملائكة ترعد فرائضَهُمْ مِنْ خِيفَتِهِ، ما منهم ملك تقطر منه دَمعة من عينه إلَّا وقعت على ملك يصلي، وإِنَّ منهم ملائكة سجوداً منذ خلقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لم يرفعوا رؤوسَهُمْ ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإِنَّ مِنْهُمْ ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسَهُمْ منذُ خلقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسَهُمْ نظروا إلى وجه الله عز وجل فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»^(٢) وإسناده لا بأس به، وهو والذي قبله أخرجهما محمد بن نصر المروزي. وفي الصحيح عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «ألا تصفون كما تصفُ الملائكة عِنْدَ رَبِّهَا؟ فقلنا: يارسولَ الله وكيف تصفُ الملائكة عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف»^(٣). وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «خُلِقَتِ الملائكةُ مِنْ نورِ العَرْشِ، وَخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ مِنْ نارٍ، وخلق آدمُ ممَّا وُصِفَ لکم»^(٤).

[الإيمان بالكتب المُنزَلة]

(و) الثالث الإيمان (بكتبه المنزلة) على رسله (المطهرة) من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها، قال الله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في الصلاة (ابن كثير ٤/٤٧٥) وابن الأثير (أسد الغابة ٣/٥٧٣) وابن عساكر (الدر المنثور ٧/١٣٥) وابن مندة وأبو نعيم قال ابن كثير: إسناده غريب جداً. قلت: متنه يشهد له ما قبله.

(٢) أخرجه ابن نصر المروزي (ابن كثير ٤/٤٧٥) وفيه عدي بن أرطاة قال ابن حجر: مقبول (إذا توبع وإلَّا فلين). قلت وثقه ابن حبان والدارقطني وروى عن عدَّة فإسناده حسن. وقوله: إسناده لا بأس به هو قول ابن كثير في تفسيره (٤/٤٧٥).

(٣) رواه مسلم (١/٣٢٢ ح ٤٣٠) في الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة.

(٤) رواه مسلم (٤/٢٢٩٤ ح ٢٩٩٦) في الزهد والرفائق، باب في أحاديث متفرقة.

إِنَّا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة/١٣٦﴾، وقال تعالى ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ (آل عمران/٨٤) إلى آخر الآية. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/١٣٦) وقال تعالى ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ (الشورى/١٥) وقال تعالى ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن/٨) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (غافر/٧٠) الآيات، وقال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد/٢٥). ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يُسمعه الرسول المَلَكِي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ، إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الشورى/٥١) وقال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء/١٦٤)، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف/١٤٣)، ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف/١٤٤)، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (النجم/١٠)، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى/٥٢)، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل/٢)، ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ ومنها ما خطه بيده عز وجل

كما قال تعالى ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ (الأعراف/١٤٥).

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت اليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَقَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ. لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَنْبُؤُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة/٤٤ - ٤٩).

وأن جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه كما قال تعالى في الإنجيل ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ (المائدة/٤٦) وقال في القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨).

وإن كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف/٤٠).

وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوراة

بالإنجيل قال الله تعالى في عيسى عليه ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ - إِلَىٰ قَوْلِهِ -
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْلِلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ
بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (آل عمران/ ٤٨ - ٥٠) وكما نسخ كثير من
شرائع التوراة والإنجيل والقرآن كما قال تعالى ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُوهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ،
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف/ ١٥٦ - ١٥٨)
الآية.

وأنَّ نسخ القرآن بعض آياته ببعض حقَّ كما قال تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ
نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة/ ١٠٦) وقال تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ
آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل/ ١٠١)
الآيات، وكما قال تعالى ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
(الأنفال/ ٦٦) بعد قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
(الأنفال/ ٦٥). والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من
كتب التفسير وغيرها.

وإنه لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس
لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، وأنَّ من كذب بشيء منه من الأمم الأولى

فقد كذب بكتابه، كما أَنَّ مَنْ كَذَبَ بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْكُتُبِ فَقَدْ كَذَبَ بِهِ، وَأَنَّ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِ وَلَمْ يَقْتَفِ أَثَرَهُ ضَلَّ قَالَ تَعَالَى ﴿الْمَصَّ، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ وَنَحْمَى لِلْمُؤْمِنِينَ، اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلٌ مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف/ ١ - ٣).

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالاً فيما أجملاً وتفصيلاً فيما فصل، فقد سمي الله تعالى من كتبه التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود في قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ رُبُوراً﴾ (النساء/ ١٦٣) والقرآن على محمد ﷺ، وذكر صحف إبراهيم وموسى، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملاً في قوله ﴿وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (النساء/ ١٣٦) وقال تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا - إِلَى قَوْلِهِ - وَمَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ (البقرة/ ١٣٦) وقال ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ (الشورى/ ١٥) فنقول كما أمرنا ربنا عز وجل: آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول. وقال تعالى في القرآن والسنة ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/ ٧)، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران/ ٧).

فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته آناء الليل والنهار والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها، نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا له ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين إنه وليّ التوفيق.

[الإيمان بالرسول]

(و) الرابع الإيمان (برسله) وهم كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، أما من

أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط وليس برسول، فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول.

(الهداة) جمع هاد والمراد به هداية الدعوة والدلالة والارشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد/٧) وقال تعالى ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (الشورى/٥٢-٥٣).

وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرّف الأمور ليس لملك مقرب، ولا لنبي مرسل تصريف في شيء منهما فضلاً عن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة/٢٧٢) وقال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص/٥٦).

والإيمان برسول الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة/٢٨٥). وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء/١٥٠-١٥٢)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء/١٣٦)، وقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/٩١)، وقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٧-٧٠﴾ وقال الله تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران/ ٨١-٨٢).

ومعنى الإيمان بالرسول هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بأرون راشدون كرام برة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبرايين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفاً ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين.

وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً، وكلم موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات.

وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفى ما يضاد ذلك أو ينافي كماله كما تقدم ذلك في تقرير توحيد الطلب والقصد. وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاهها ربنا عز وجل ليلوكم فيما آتاكم، ليلوكم أيكم أحسن عملاً.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدم ونوحا وإدريس وهودا وصالحا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطا وشعيا ويونس وموسى وهارون والياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب، وذكر الأسباط جملة، وعيسى ومحمداً ﷺ، وقص علينا من أنبيائهم ونبأنا من أخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وموعظة إجمالاً وتفصيلاً ثم قال ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء/١٦٢) وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ (غافر/٧٨) فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصل وإجمالاً فيما أجمل.

أولهم نوح بلا شك كما أن محمداً لهم قد ختما

(أولهم) يعني أول الرسل عليهم السلام (نوح بلا شك) وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قايين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام^(١). والمعنى أن نوحاً أول الرسل والنبين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبية ﷺ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (النساء/١٦٣) لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل وكذب كما قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (غافر/٥) وإلا فآدم قبله كان نبياً رسولاً، وكان الناس أمة واحدة على دينه ودين وصيه شيث عليه السلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وأبي بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم في قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (البقرة/٢١٣) الآية قالوا: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين^(٢) (كما أن محمداً ﷺ لهم) أي للرسل (قد ختما) فلا نبي بعده كما قال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

(١) الله أعلم بصحة هذا فلا نقل له من طريق صحيح يعتد بها.

(٢) أخرجه البزار (كشف الأستار ٤١/٣) وابن جرير (٣٣٤/٢) والحاكم في المستدرک (٤٤٢/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٥٨٢/١). وقد تقدم.

النَّبِيِّينَ ﴿ (الأحزاب/ ٤٠) وسيأتي إن شاء الله تعالى تقرير ذلك في موضعه من هذا المتن .

وخمسة منهم أولو العزم الأولى في سورة الأحزاب والشورى تلا

(وخمسة منهم) أي من الرسل (أولو) أي أصحاب (العزم) يعني الجزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، ولذا خصوا بالذكر (في سورة الأحزاب) يعني قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب/ ٧) فذكر تعالى أخذه الميثاق على جميع النبيين جملة ونص منهم على هؤلاء الخمسة محمد ﷺ وهو خاتمهم ونوح وهو فاتحهم وإبراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما (و) كذا ذكرهم على وجه التخصيص في سورة (الشورى) إذ يقول تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى/ ١٣).

وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبينا محمد ﷺ فيقول «أنا لها» كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ (الأحزاب/ ٧) الآية قال النبي ﷺ «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم»^(١) وفيه ضعف ويروي مرسلًا وموقوفًا على قتادة، ولللباز عنه رضي الله عنه موقوفًا عليه قال «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد»^(٢) ﷺ

- (١) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤٧٨/٣) وأبو نعيم في الدلائل (ح ٣) والديلمي (الفردوس ح ٤٨٥٠) وأخرجه الحسن بن سفيان وابن مردويه وابن عساكر (الدر المنثور ٥٧٠/٦). وإسناده ضعيف فيه عننة الحسن البصري وسعيد بن بشير وهو ضعيف. ورواية الأرسال عند ابن سعد (١/١٤٩).
- (٢) رواه البزار (كشف الاستار ٣/١١٤).
- قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٢٥٨/٨). قلت: هو كما قال وفيه حمزة الزييات ربما وهم.

وعليهم أجمعين، وخيرهم محمد ﷺ، والقول بأن أولي العزم هم هؤلاء الخمسة هو قول ابن عباس وقتادة ومن وافقهما وهو الأشهر، وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين، وقيل هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف وهود والشعراء، وقال مقاتل: هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسماعيل صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر.

قلت وقوله إسحاق صبر على الذبح هو قول مرجوح أو مردود وإنما كان الذبح إسماعيل عليه السلام كما في سورة الصافات وهود.

وقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز، وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (الأنعام/٩٠).

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ظل رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم طواه ثم ظل صائماً ثم قال «يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. يا عائشة، إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهاها والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف/٣٥) وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي، ولا قوة إلا بالله»^(١).

(١) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/١٨٥) والديلمي (ح ٨٦٢٨) وسنده ضعيف فيه مجالد بن سعيد: ليس بالقوي وتغير بآخرة. والسري بن حيّان ترجمه ابن أبي حاتم وسكت عنه.

[الإيمان بالمعاد وقيام الساعة]

وبالمعاد أيقن بلا تردد ولا ادعا علم بوقت الموعد
لكننا نؤمن من غير امترا بكل ما قد صح عن خير الوري
من ذكر آيات تكون قبلها وهي علامات وأشراف لها

(وبالمعاد) وهو المراد إلى الله عز وجل والإياب إليه (أيقن) استيقن بذلك يقيناً جازماً (بلا تردد)، هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة/٤)، وقال تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة/١٧٧) الآية، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة/٢٥٤)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٢٦٤) وقال تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) وقال تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران/٧-٩) وقال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران/٢٥) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا، وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ (النساء/٣٨-٣٩) الآيات.

وقال تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء/ ٨٧) وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ (الشورى/ ٢٠) الآية وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل/ ٤) وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْصَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر/ ٨٥) وقال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (طه/ ١٦) وقال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج/ ٧) وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (يس/ ٤٨) وقال تعالى في الآية الأخرى ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سبا/ ٣٠). ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ. فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ (السجدة/ ٢٨ - ٢٩) وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ، ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعْدُودٍ﴾ (هود/ ١٠٣ - ١٠٤) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان/ ٣٣) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (فاطر/ ٥) وقال تعالى ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (الأنعام/ ١٣٤) وقال تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل/ ١) وقال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَعَقَائِمًا يَعِذُّرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر/ ٩) وقال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر/ ٥٩) وقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ

بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴿المعارج/٥﴾ وقال تعالى ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ (الزخرف/٨٣) الآيات، وقال ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة/١) الخ السورة، وقال تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان/٧) إلى آخر السورة.

قال تعالى ﴿وَالذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا، فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا، فَالْجَارِيَّاتِ يُسْرًا،
فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات/ ١-٦)
وقال تعالى ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ، فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ،
وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ، وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتُتْ، لَأَيَّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الْفُصْلِ، وَمَا
أُذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفُصْلِ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات/ ٧-١٥) إلى آخر
السورة والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها
والتي تليها وغيرها من الآيات بل وغيرها من السور، وسيأتي إن شاء الله مزيد
نصوص في اللقاء والبعث والنشور.

(و) بـ (لاداعا) بالقصر للوزن وهو مصدر أَدْعَى يَدْعِي إِدْعَاء (علم) بوقت الموعد متى هو، فإن ذلك من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، قال الله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام/ ٥٩) الآية. وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْةٌ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/ ١٨٧) والتي بعدها. وقال تعالى ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (الأنبياء/ ٤٠)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ (لقمان/ ٣٤) الآية، وقال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فصلت/ ٤٧) الآيات.

وقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزِّمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ

وتقدم حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبي ﷺ «أخبرني عن الساعة». قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(١) الحديث.

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ
«مفتاح الغيب خمس، ثم قرأ: إن الله عنده علم الساعة» (٣).

(۱) تقدم ذكره.

صحيح (الدر المنثور ٥٣١/٦) وهو في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

7A3

الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويحك إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ فَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ قال: ما أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، وَلَكِنِّي أَحَبُّ إِلَهِ وَرَسُولِهِ. فقال له رسول الله: المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فَمَا فَرَحَ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ^(١). ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سُئِلَ عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وإن لم يعرفوا تعيين وقته.

ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة، فينظر إلى أَحَدٍ انْشَأَ مِنْهُمْ فيقول: «إِنَّ يَعْشُ هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»^(٢)، يعني بذلك موتهم الذي يفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة.

وله عن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ يَعْشُ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٣). وفي رواية أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قال: متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال: «إِنَّ عَمَرَ هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» قال أنس ذلك الغلام من أترابي^(٤). وفي رواية عن أنس قال: مرَّ غُلَامٌ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَكَانَ مِنْ أَتْرَابِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) رواه أحمد (٢٣٩/٤) والترمذي (٥٤٥/٥ - ٥٤٦/٥) ح/٣٥٣٥ و٣٥٣٦ في الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار. والنسائي (٨٣/١ و٨٤) في الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين للمسافر. وأخرجه ابن ماجه مختصراً (٨٢/١ ح/٢٢٦) في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. وابن خزيمة (٩٧/١ ح/١٩٣) وابن حبان (موارد - ح/١٨٦) وأخرجه الشافعي والدارقطني والبيهقي كلهم من حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه. وهو صحيح. قلت قول المصنف «وفي الصحيحين» وهم منه رحمه الله فما أخرجه ولا أحدهما والذي في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قوله ﷺ «المرء مع من أحب» فقط دون ذكر القصة.

(٢) رواه البخاري (٣٦١/١١) في الرقاق، باب سكرات الموت، ومسلم (٢٢٦٩/٤ ح/٢٩٥٢) في الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة.

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٩/٤ ح/٢٩٥٣) في الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة.

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٠/٤ ح/٢٩٥٣) في الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة.

«إِنْ يُؤَخَّرَ هَذَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١).

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى السَّاعَةُ قائمة؟ قال «ويلك وما أعددت لها؟ قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرحنا يومئذٍ فرحاً شديداً. فمر غلام للمغيرة وكان من أقراني فقال: إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يَدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢). قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضي الله عنها^(٣). وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر «تسألون عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ ظَهَرِ الْأَرْضِ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»^(٤) رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله، قال ابن عمر: وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن^(٥).

وروى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِى بِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، فَتَذَكَّرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، قَالَ فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى عِيسَى فَقَالَ عِيسَى: أَمَا وَجَبَتْهَا فَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِيمَا عَهْدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ، قَالَ وَمَعِيَ قَضِييَانِ، فَإِذَا رَأَيْتَنِي ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ، قَالَ فَيَهْلِكُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٧٠/ح ٢٩٥٣) في الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة.

(٢) رواه البخاري (١٠/٥٥٣) في الأدب، باب ما جاء في قول الرجل «ويلك».

(٣) ابن كثير في تفسيره (٢/١٠٦).

(٤) رواه مسلم (٤/١٩٦٦/ح ٢٥٣٨) في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

(٥) رواه البخاري (١/٢١١) في العلم، باب السمر في العلم، ومسلم (٤/١٩٦٥/ح ٢٥٣٧) في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شيءٍ إلاَّ أهلكوه، ولا يمرون على ماءٍ إلاَّ شربوه. قال ثم يرجع الناس إليَّ فيشكونهم، فادعوا الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم. أي تتن. قال فيُنزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر» قال الإمام أحمد قال يزيد بن هارون «ثم تنسفُ الجبال وتمدُّ الأرض مدَّ الأديم» ثم رجع إلى حديث هشيم قال «ففيما عهد إليَّ ربي عز وجل أنَّ ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهاراً»^(١). ورواه ابن ماجه بنحوه. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هؤلاء أكابر أولي العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين، وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلم على أشراتها لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منقذاً لأحكام رسول الله ﷺ، ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به^(٢).

وروى الإمام أحمد عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال «علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو. ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً. قالوا: يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج؟ قال بلسان الحبشة القتل. قال ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدهم يعرف أحداً»^(٣).

وروى النسائي عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من

-
- (١) رواه أحمد (٣٧٥/١) وابن ماجه (١٣٦٥/٢ ح ٤٠٨١) وقال الهيثمي: هذا اسناد صحيح رجاله ثقات مؤثر بن مفازة ذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات، ورواه الحاكم في المستدرک (٤٨٨/٤ - ٤٨٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. قال الحاكم: مؤثر بن مفازة روى عن جماعة من التابعين فحديثه حسن إن شاء الله تعالى.
- (٢) في تفسيره (٢٨٤/٢).
- (٣) رواه أحمد (٣٨٩/٥) قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٣١٢/٧). قلت: رجال مسلم إذ عبيد الله بن إباد وأبوه لم يروهم البخاري إلا في الأدب المفرد.

شأن الساعة حتى نزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (النازعات/٤٢) الآية، واسناده جيد قوي^(١)، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفي والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح، من حديث أنس وسهيل بن سعد رضي الله عنهما «بعثت أنا والسَّاعة كهاتين. وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها»^(٢) ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت السَّاعة إليه إذا سئل عنها فقال ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/١٨٧) اهـ.

[الإيمان بآمارات الساعة]

(ولكننا نؤمن) ونصدق (من غير امترا) من غير شك (بكل ما قد صح) سنده وصرح لفظه (عن خير الوري) نبينا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (من ذكريات) أمارات (تكون) تقع (قبلها) قبل الساعة (وهي) أي تلك الأمارات (علامات) لمجيء السَّاعة وقربها ودنوها (وأشراط لها) أي لاقتربها.

وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها وكثير من علاماتها، قال الله تعالى ﴿آتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل/١) وقال تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/١) الآيات.

(١) رواه النسائي في الكبرى عن أحمد بن سليمان، عن مؤمل بن الفضل، عن عيسى بن يونس، عن إسماعيل عنه به (تحفة الأشراف ٢٠٨/٤) وطارق بن شهاب رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه. قال ابن كثير: إسناده جيد قوي.

(٢) رواه البخاري (٣٤٧/١١) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ ومسلم «بعثت أنا والسَّاعة كهاتين»، ومسلم (٢٢٦٨/٤ ح/٢٩٠١) في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة. وقول ابن كثير هذا في تفسيره (٢٨٤/٢).

وقد ذكر الله تعالى أَنَّ بعثة نبينا ﷺ من أشراتها كما قال عز وجل ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى - أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ لَئْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفُهُ﴾ (النجم/ ٥٦ - ٥٧) وقال تعالى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد/ ٨) وقال تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر/ ١) الآيات .

وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة، وذكر تعالى من كبار أشراتها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وغيرها كما قال تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (الدخان/ ١٠) الآيات .

وقال تعالى في شأن عيسى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء/ ١٥٨ - ١٥٩) .

وقال تعالى في شأن يأجوج ومأجوج ﴿ثُمَّ أَتَعَ سَبِيًّا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ، حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف/ ٩٢ - ٩٩) وقال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ (الأنبياء/ ٩٦) الآيات .

وقال تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا، قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام/١٥٨). وقال تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل/٨٢). وقال تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس/٣٨).

وأما الأحاديث في أشراف الساعة فكثيرة متواترة، وقد تقرر في حديث جبريل على اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره ﷺ من أماراتها: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وقد تقدم قوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى^(١). وفي صحيح مسلم وغيره عن حذيفة رضي الله عنه قال «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»^(٢).

وفيه عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا»^(٣).

وفيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كلُّ

(١) تقدم ذكره قبل قليل.

(٢) رواه البخاري (٤٩٤/١١) في القدر، باب «وكان أمر الله قدراً مقدوراً»، ومسلم (٢٢١٥/٤) ح (٢٨٩١) في الفتن، باب أخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٣) رواه مسلم (٢٢١٦/٤) ح (٢٨٩٢) في الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

رجل منهم لعلِّي أكون أنا الذي أنجو - وفي رواية: فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً^(١).

وفي رواية عنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعةُ حتى ينزل الرومُ بالأعماق - أو بدابق - فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سيَّوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزمُ ثلثٌ لا يتوبُ الله عليهم أبداً، ويُقتلُ ثلثٌ هم أفضلُ الشهداء عند الله، ويفتحُ الثلثُ لا يفتنون أبداً فيفتتحون قُسطنطينيةَ، فيبئسَ هم يقتسمون الغنائمَ قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاحَ فيهم الشيطان إنَّ المسيح^(٢) قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطلٌ فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيأثمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته»^(٣)، والأعماق قال في القاموس: بلد بين حلب وانطاكية مصب مياه كثيرة لا تجف إلا صيفاً وهو العمق جمع بأجزائه^(٤) اهـ. وقال أيضاً: دابق كصاحب وهاجر قرية بحلب، وفي الأصل اسم نهر، ودويق قرية بقربها^(٥).

وفيه عن يُسَيْرِ ابنِ جابر قال: هاجت ریحُ حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هِجِيرُى إلا «يا عَبْدَ الله بن مسعود جاءت الساعة» قال فقعد وكان متكئاً فقال: إنَّ الساعة لا تقوم حتى لا يُقسَمَ ميراثٌ ولا يفرَحَ بغنيمةٍ، ثم قال بيده هكذا ونحاهما نحو الشام فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويَجْمَعُ لهم أهل الإسلام. قلت:

(١) رواه البخاري (٧٨/١٣) في الفتن، باب خروج النار، ومسلم (٤/٢٢٢٠/ح ٢٨٩٤) في

الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

(٢) أي الدجال.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٢٥/ح ٢٨٩٧) في الفتن، باب فتح قسطنطينية ونزول عيسى ابن مريم.

(٤) القاموس المحيط باب القاف. فصل العين.

(٥) هو عند الجوهرى وانظر شرح النووي على مسلم (٢١/١٨).

الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردةً شديدةً فيشترط المسلمون شرطاً للموت لا ترجع إلا غالباً فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرَ غالب وتَفْنَى الشرطَةُ، ثم يشترط المسلمون شرطاً للموت لا ترجع إلا غالباً، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرَ غالب وتَفْنَى الشرطَةُ، ثم يشترط المسلمون شرطاً للموت لا ترجع إلا غالباً، فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرَ غالب، وتَفْنَى الشرطَةُ فإذا كان اليومُ الرابع نهد إليهم بقيَّةُ أهل الإسلام فيجعل الله الدَّبرَةَ عليهم فيقتلون مقتلةً، إمَّا قال لا يرى مثلها، وإمَّا قال لم يرَ مثلها، حتى إنَّ الطائرَ ليمرُّ بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخرميتاً، فيتعاذُّ بنو الأب كانوا مائةً فلا يجدونه بقي منهم إلاَّ الرجل الواحدُ، فبأي غنيمة يُفرحُ أو أي ميراثٍ يقاسمُ، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ أنَّ الدَّجال قد خلفهم في ذرايرهم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خيرُ فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذٍ - أو من خيرِ فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذٍ»^(١).

وفيه عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال «طلع النَّبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدُّخان، والدَّجَال، والدَّابة، وطلوع الشَّمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خَسَفٌ بالشرق، وخَسَفٌ بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نارٌ تخرج من قَعْرَةِ الْيَمَنِ تطرد الناس إلى محشرهم»^(٢) وفي رواية «ونار تخرج من قَعْرَةِ عَدَنٍ ترحلُ

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠/٤) ح (٢٨٩٩) في الفتن، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدَّجَال. والهجيرى: أي شأنه ودأبه. والشرطة الطائفة من الجيش. ونهد إليهم: أي نهض وتقدم. والذبزة: هي الدائرة تدور على الأعداء.

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٥/٤) ح (٢٩٠١) في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال وقعة عدن: معناه من أقصى أرض اليمن. وترحل الناس: أي تأخذهم بالرحيل وتزعجهم.

الناس»^(١) زاد في أخرى «تنزلُ معهم إذا نزلوا وتقبلُ معهم حيث قالوا»^(٢).

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال «بادروا بالأعمال سِتًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة. وفي رواية: الدجال، والدخان، ودابة اأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم»^(٣).

وقال البخاري رحمه الله تعالى «باب لا ينفع نفساً إيمانها. حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»^(٤).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في كتاب الفتن «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتلَ فُتْنَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يَبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يَقْبِضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

(١) (٢) تقدم ذكره في الذي مثله.

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٧/٤ ح/ ٢٩٤٧) في الفتن، باب بقية من أحاديث الدجال.

(٤) رواه البخاري في التفسير، باب لا ينفع نفساً إيمانها (٢٩٧/٨) وفي (٣٥٢/١١) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» وغيره. ومسلم (١٣٧/١ ح/ ١٥٧) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

ولتقومنَّ السَّاعَةُ وقد نشر الرجلانِ ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ السَّاعَةُ وقد انصرفَ الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنَّ السَّاعَةُ وهو يليب حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومنَّ السَّاعَةُ وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها»^(١).

وفي الصحيحين عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس «أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾»^(٢) (يس/٣٨).

وفي صحيح مسلم عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأُيُهَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً»^(٣).

وفيه عن فاطمة بنت قيس - وكانت من المهاجرات الأول رضي الله عنها - قالت: سمعت نداءً المنادي منادى رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجتُ إلى المسجد فصليتُ مع رسول الله ﷺ فكانت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كلُّ إنسان مصلاه. ثم قال: أتدرون لِمَ جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم

(١) رواه البخاري (٨١/١٣ - ٨٢) في الفتن، باب خروج النار، ومسلم (١/١٣٧/ح ١٥٧) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) رواه البخاري مختصراً دون قوله «فتستأذن فيؤذن...» (٥٤١/٨) في تفسير سورة يس، باب (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) وتاماً في (٢٩٧/٦) في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر. ومسلم (١/١٣٨/ح ١٥٩) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان بغير ألفاظه هذه بل قريباً منها.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٦٠/ح ٢٩٤١) في الفتن، باب خروج الدجال ومكته في الأرض.

لأنَّ تَمِيمًا الدَّارِي كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافِقَ
الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ
ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُدَامٍ ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَأُوا إِلَى
جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرَبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ ،
فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يَدْرُونَ مَا قَبْلَهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ ، فَقَالُوا :
وَيْلَكَ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ . قَالُوا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ
انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ . قَالَ لَمَّا سَمِعَتْ لَنَا
رَجُلًا فَرَقْنَا^(١) مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ : فَاِنْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا
فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدَّهُ وَثَاقًا ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ
رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ . قُلْنَا : وََيْلَكَ مَا أَنْتِ؟ قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبْرِي ،
فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا
الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ^(٢) فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي
أَقْرَبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيْنَا دَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرَةِ الشَّعْرِ لَا يَدْرِي مَا قَبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ
كَثَرَةِ الشَّعْرِ ، فَقُلْنَا وََيْلَكَ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ . قُلْنَا وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ
اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ . فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا .
وَفَزَعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً . فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ^(٣) . قُلْنَا :
عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يَثْمَرُ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ . قَالَ :
أَمَّا إِنَّهُ يَوْشُكُ أَنْ لَا يَثْمَرَ . قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بَحِيرَةِ طَبْرِیَّةٍ^(٤) . قَالُوا : عَنْ أَيِّ
شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ . قَالَ أَمَّا إِنَّ مَاءَهَا يَوْشُكُ
أَنْ يَذْهَبَ . قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرٍ^(٥) . قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ
هَلْ فِيهَا مَاءٌ ، وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، وَأَهْلُهَا
يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا . قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ

(١) الفرق : الخوف .

(٢) اغتلم : هاج .

(٣) (٤) منطقتان في فلسطين .

(٥) بلدة في الجانب القبلي من الشام .

مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال كيف صنع بهم؟ فأخبرناه
 إنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا
 نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني، إني أنا
 المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا
 أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ
 كلتاها، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملكٌ بيده السيف
 صلّياً يصدّني عنها، وإنّ على كلّ نقبٍ منها ملائكة يحرسونها. قالت قال
 رسول الله ﷺ وطعنَ بمخبرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة.
 يعني المدينة. ألا هل كنتُ حدّثتكم ذلك؟ فقال الناس نعم. قال: فإنّه أعجبي
 حديث تميم أنّه وافق الذي كنتُ أحدّثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه في
 بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من
 قبل المشرق ما هو، وأوماً بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من
 رسول الله ﷺ^(١). قال النووي رحمه الله تعالى الأهلِب الغليظ الشعر كثيره،
 وسميت الجساسة لتجسسها الأخبار للدجال^(٢). وجاء عن عبدالله بن عمرو بن
 العاص أنّها دابة الأرض المذكورة في القرآن والله أعلم^(٣).

وفيه عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنّ زينب بنت أبي سلمة أخبرته
 أنّ أمّ حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها أنّ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت
 «خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب
 من شرٍّ قد اقترَب، فُتِحَ اليوم من ردمٍ يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلّق بأصبعه
 الإبهام والتي تليها - قالت فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال:
 نعم إذا كثر الخبث»^(٤).

(١) رواه مسلم (٢٢٦١/٤ ح/٢٩٤٢) في الفتن، باب قصة الجساسة.

(٢) شرح النووي على مسلم (٨١/١٨).

(٣) انظر القرطبي (٢٣٥/٣) ولكن فيه عبد الله بن عمر وليس عمرو.

(٤) رواه البخاري (٢٧٤/٦) في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين)،

ومسلم (٢٢٠٧/٤ ح/٢٨٨٠) في الفتن، باب اقتراب الفتن.

وفيه عن النّوّاس بن سمعان قال «ذكر رسول الله ﷺ الدّجّال ذات غداة فحفّض فيه ورفع حتّى ظنّاه في طائفة النّخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدّجّال غداة فحفّضت فيه ورفّعت حتّى ظنّاه في طائفة النّخل، فقال غير الدّجال أخوفني عليكم، إنّ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإنّ يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كلّ مسلم، إنه شابّ قَطَطٌ عينه طائفة كأني أشبهه بعبد العزّي بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف^(١)، إنه خارج خلّة بين الشام والعراق فعات يميناً وعات شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا. قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوماً، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أنكفينا فيه صلاة يومٍ؟ قال: لا، أقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله وما إسراره في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم^(٢) أطول ما كانت دُراً وأسبغه ضروعاً وأمدّه خواصر^(٣)، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين^(٤) ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل^(٥)، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتيّن رميّة الغرض، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق. بين مهرودتين^(٦) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منه جمان كجمان اللؤلؤ فلا يحلّ لكافر يجد ريح

(١) المقصود العشر الآيات الأولى منها كما جاء في رواية صحيحة صريحة.

(٢) كالغيث: أي كالمطر. وسارحتهم: - أي ماشيتهم.

(٣) أي أنها تعود أكثر لبناً وحلباً وأوسع خواصر لكثرة امتلائها من الشبع.

(٤) أي مجدين.

(٥) هي ذكورها - واليعسوب هو الأمير والذكر.

(٦) المهرودتين: بالذال والذال أي ثوبين وحلتين.

نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه^(١) فيطلبه حتى يدركه بباب لُدَّ^(٢) فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان^(٣) لأحدٍ بقتالهم فحرَّزَ عبادي إلى الطور^(٤). ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كلِّ حدب ينسلون فيمُرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصِرُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه، فيرسلُ الله عليهم النِّفْثَ^(٥) في رقابهم فيصبحون فرسى كموتِ نفسٍ واحدةٍ. ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زهمهم^(٦) ومنتهم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل، فيرسلُ الله تعالى طيراً كأعناق البُخْتِ^(٧) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسلُ الله مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَقَةِ^(٨)، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك، فيومئذٍ تأكل العِصَابَةُ^(٩) من الرُّمَانَةِ ويستظلُّون بقحفها، ويبارك في الرِّسْلِ حتى أن اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لتكفي الفئام من الناس، واللَّقْحَةُ مِنَ الْبَقَرِ لتكفي القبيلة من الناس، واللَّقْحَةُ مِنَ الْغَنَمِ لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كلِّ مؤمن وكلِّ مسلم، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارجَ الحمير^(١٠)، فعليهم تقوم

-
- (١) أي بصره.
 - (٢) بلدة قريبة من بيت المقدس.
 - (٣) أي لا قوة.
 - (٤) أي أجمعهم واحفظهم في جبل الطور.
 - (٥) هو الدود يكون في أنوف الإبل والغنم.
 - (٦) أي وسمهم ورائحتهم الكريهة.
 - (٧) أي الإبل.
 - (٨) أي المرأة.
 - (٩) أي الجماعة.
 - (١٠) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما تفعل الحمير.

الساعة». زاد في رواية بعد قوله «لقد كان بهذه مرة ماء»: ثم يسرون حتى ينتهي إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً^(١).

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية»^(٢).

وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من نبي إلا وقد أُنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر»^(٣)، وفي رواية قال رسول الله ﷺ «الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر - ثم تهجاها ك ف ر - يقرأه كل مسلم»^(٤).

وفيه عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تاجج، فإما أدركهما أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأ طيء رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد. وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه «كافر» يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»^(٥) قال النووي: ظفرة بفتح الطاء المعجمة والفاء وهي جلدة تغشى البصر، وقال الأصمعي: لحنة تنبت عند المآقي^(٦).

وفيه عن أبي سعيد الخدري قال «حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٥٠/ح ٢٩٣٧) في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٤٧/ح ١٦٩) في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٣) رواه البخاري (١٣/٨٩) في الفتن، باب ذكر الدجال، ومسلم (٤/٢٢٤٨/ح ٢٩٣٣) فيه، باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٥) رواه البخاري (١٣/٨٩ - ٩٠) في الفتن، باب ذكر الدجال، ومسلم (٤/٢٢٤٩/ح ٢٩٣٤) فيه، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، واللفظ له.

(٦) في شرحه على مسلم (١٨/٦١ - ٦٢).

الدَّجَال، فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول له: أشهد أنك الدَّجَال الذي حدثنا رسول الله ﷺ، فيقول الدجال: أرايتم إن قتلْتُ هذا ثُمَّ أحييته أَتَشْكُون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه: والله ما كنتُ فيك قط أَشدَّ بصيرةً مِنِّي الآن. قال فيريدُ الدَّجَالُ أن يقتله فلا يسلط عليه^(١).

وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ «يخرجُ الدجال فيتوجه قبله رجلٌ من المؤمنين، فتلقاه المسائحُ مسائحُ الدجال فيقولون له: أين تعمّد؟ فيقول: أعمد الى هذا الذي خرج، قال فيقولون له: أوما تؤمن برّبنا؟ فيقول: ما برّبنا خفاء. فيقولون اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه. قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيّها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسولُ الله ﷺ. قال فيأمر الدجال به فيشج فيقول: خذوه وشجّوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال فيقول: أوما تؤمن بي؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال فيؤمرُ به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرّق بين رجليه، قال ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول قُمْ، فيستوي قائماً، قال ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً. قال ثم يقول: يا أيّها الناس إنّه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناس. قال فيأخذه الدجال ليدبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقي في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين^(٢).

وفيه عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعتُ عبد الله بن عمرو وجاءه رجلٌ فقال: ما هذا الحديث الذي

(١) رواه البخاري (١٠١/١٣) في الفتن، باب لا يدخل الدَّجَال المدينة، ومسلم (٤/٢٢٥٦) ح/ (٢٩٣٨) فيه، باب صفة الدَّجَال وتحريم المدينة عليه.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٥٦) ح/ (٢٩٣٨) في الفتن، باب صفة الدَّجَال وتحريم المدينة عليه.

تحدّث به تقول إنّ السّاعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحانه الله - أو لا إله إلاّ الله أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدّث أحداً شيئاً أبداً، إنّما قلت إنّكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ يخرج الدّجال في أمّتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً - فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير - أو إيمان - إلا قبضته حتى لو أنّ أحدكم دخل في كبّد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول الله ﷺ. قال «فيبقى شرارُ النَّاسِ في خِفة الطّير وأحلام السّباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌ رزقهم حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصّور فلا يسمعه أحدٌ إلاّ أصغى لينا ورفع ليتا. قال وأول من يسمعه رجل يلوّط حوض إبله، قال فيصعق ويصعق النَّاس ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - عز وجل مطراً كأنه الطّل أو الظّل (نعمان الشالك) فتنبّث منه أجساد النَّاس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أيّها النَّاس هلمّ إلى ربّكم، وقفّوهم إنّهم مسؤولون، قال: ثمّ يقال أخرجوا بعث النَّار، فيقال من كم؟ فيقال من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك يومٌ يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق»^(١).

وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليس من بلدٍ إلا سيطأه الدجال، إلاّ مكّة والمدينة، وليس نقبٌ من أنقابها إلاّ عليه الملائكة صافّين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كلّ كافرٍ ومنافقٍ» وفي رواية «فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه وقال فيخرج إليه

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٥٨/ح ٢٩٤٠) في الفتن، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه.

كل منافق ومنافقة»^(١). قال النووي: فيضرب رواقه أي ينزل هناك ويضع ثقله. والجرف قال في القاموس: موضع بقرب المدينة وموضع قرب مكة وموضع باليمن وموضع باليمامة والمقصود في الحديث هو الأول. وفيه عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة»^(٢).

وفيه عن أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول «ليفرنَّ الناس من الدجال في الجبال قالت أم شريك: يارسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل»^(٣).

وفيه عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»^(٤).

والأحاديث في ذكر الدجال وصفته والإنذار منه والتحذير عنه أكثر من أن تحصى، وأعظم من أن تستقصى. وكذا الأحاديث في الفتن والملاحم بين يدي القيامة وغيرها من أشراط الساعة. وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاة فريضة أو نافلة.

وفي الترمذي عن محرز بن هارون عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقير منسى، أو غني مطغى، أو هرم مفند، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون^(٥). وروى معمر هذا الحديث عن سمع سعيداً المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحو هذا.

(١) رواه البخاري (٩٥/٤) في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم (٤/٢٢٦٥) ح (٢٩٤٣) في الفتن، باب قصة الجساسة.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٦٦) ح (٢٩٤٤) في الفتن، باب بقية من أحاديث الدجال.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٦٦) ح (٢٩٤٥) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال.

(٤) رواه مسلم (٤/٢٢٦٦) ح (٢٩٤٦) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال.

(٥) الترمذي (٤/٥٥٢) ح (٢٣٠٦) في الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، وسنده ضعيف فمحرز =

[الإيمان بالموت]

ويدخل الإيمان بالموت وما من بعده على العباد حتما

(ويدخل) في الإيمان باليوم الآخر (الإيمان بالموت) الذي هو المفضى بالعبد الى منازل الآخرة، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتقدم «إِنْ يَعْشَ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»^(١).

والإيمان بالموت يتناول أموراً:

● منها تحتمه على من كان في الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال الله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص/ ٨٨) وقال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/ ٢٧) وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران/ ١٨٥) وقال تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر/ ٣٠) وقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ، أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء/ ٣٤- ٣٥)، وقال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَايَ فَاعْبُدُون. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت/ ٥٧)، وقال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة/ ١١) وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان

= هذا منكر الحديث. وطريق معمر هذه رواها الحاكم (٣٢١/٤) وفيها الرجل الذي لم يسم.
(١) تقدم تخريجه سابقاً.

يقول «أعوذُ بعزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(١).

● ومنها إِنَّ كَلَّأَ لَهُ أَجَلَ مُحَدودٍ وَأَمَدٌ مَمْدودٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ، وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ، وَجَرَى بِهِ الْقَلَمُ بِأَمْرِهِ يَوْمَ خَلْقِهِ، ثُمَّ كَتَبَهُ الْمَلَكُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ بِأَمْرِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ تَخْلِيقِ النُّطْفَةِ فِي عَيْنِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَكُونُ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ فَلَا يَزَادُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ وَلَا يَغْيِرُ وَلَا يَبْدُلُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَجَرَى بِهِ قَضَائُهُ وَقَدَرُهُ، وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَوْ حُرِقَ أَوْ غُرِقَ أَوْ بَايَّ حَتْفَ هَلَكٍ بِأَجَلِهِ لَمْ يَسْتَأْخِرْ عَنْهُ وَلَمْ يَسْتَقْدِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ السَّبَبَ الَّذِي كَانَ فِيهِ حَتْفُهُ هُوَ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَقَضَاهُ عَلَيْهِ وَأَمْضَاهُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَدَلٌ مِنْهُ وَلَا مُحِصٍ عَنْهُ وَلَا مَفْرَ لَهْ وَلَا مَهْرَبَ وَلَا فَكَأكَ وَلَا خَلَاصَ، وَأَنَّى وَكَيْفَ وَإِلَى أَيْنَ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ (آل عمران/ ١٤٥) الآية. وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ (آل عمران/ ١٥٤) الآيات. وَقَالَ تَعَالَى ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَذَرُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (النساء/ ٧٨) وَقَالَ تَعَالَى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام/ ٦١) وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف/ ٣٤) فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ - وَقَالَ تَعَالَى ﴿كُلُّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الزهد/ ٢) وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ (طه/ ١٢٩) وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد/ ٨) وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ

(١) رواه البخاري (٣٦٨/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى (وهو العزيز الحكيم)، ومسلم (٤/٢٠٨٦ ح/٢٧١٨) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿الجمعة/٨﴾، وقال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر/٤٢) وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام/٦٠) وغيرها من الآيات.

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في صحيحه عن المعرور بن سويد عن عبدالله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها «اللَّهُمَّ مَتَّعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ «إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى لَأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَا يَعْجَلُ شَيْءٌ مِنْهَا قَبْلَ حُلِّهِ وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا يَوْمًا بَعْدَ حُلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعَافِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَّكَ»^(١).

وفي رواية «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لَأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يَعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حُلِّهِ أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حُلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ»^(٢) وفي أخرى «وَأَثَارٍ مَبْلُوغَةٍ»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر/١١) يقول: ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله تعالى ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر/١١) يقول كل ذلك

(١) (٢) (٣) مسلم (٤/٢٠٥٠ - ٢٠٥٢/ح/٢٦٦٣) في القدر، باب بيان أنَّ الأَجَالَ والأَرْزَاقَ وغيرها، لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر. (بألفاظه).

في كتاب عنده^(١). وهكذا قال الضحاك بن مزاحم. وأما حديث أنس في الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْطُرَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢) فإنه يفسر بحديث أبي الدرداء رضي الله عنه عند ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا، وَإِنَّمَا زِيَادَةُ الْعُمُرِ بِالذَّرِيَةِ الصَّالِحَةِ يَرْزُقُهَا الْعَبْدُ فَيَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَيُلْحِقُهُ دَعَاؤُهُمْ فِي قَبْرِه فَذَلِكَ زِيَادَةُ الْعُمُرِ»^(٣).

● ومنها الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاه كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهَا عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام/٥٩) الآية. وقال تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان/٣٤) الآية. وتقدمت الأحاديث في معناها. وفي الحديث المشهور عند أحمد والترمذي وغيرهما عن جماعة من الصحابة قال رسول الله ﷺ «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بَارِئٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا - أَوْ قَالَ بِهَا - حَاجَةً»^(٤).

- (١) أخرجه ابن جرير (١٢٢/١٢) وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١١/٧).
- (٢) رواه البخاري (٤١٥/١٠) في الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ومسلم (١٩٨٢/٤ ح/٢٥٥٧) في البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.
- (٣) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٥٥٨/٣) وسنده ضعيف فيه مسلمة بن عبد الله بن ربيعي وعمه أبو مشجعة بن ربيعي وكلاهما مجهول.
- (٤) رواه جماعة من الصحابة فعن أبي عزة الهذلي رضي الله عنه: البخاري في الأدب المفرد (٦٩٩/٢ ح/١٢٨٢ مع فضل الله الضمذ) و(٢٥٨/٢ ح/٧٨٠) والترمذي (٤٥٣/٤ ح/٢١٤٧) في القدر، باب ما جاء في النفس تموت حيث ما كتب لها. وابن حبان (٨/٨ - إحصان) والدولابي في الكني (٤٤/١) وأحمد (٤٢٩/٣) والحاكم (٤٢/١) وابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الحلية (٣٧٤/٨) وله شاهد من حديث مطر بن عكاس رضي الله عنه أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤٠٠/١/٤) والترمذي (٤٥٢/٤ ح/٢١٤٦) في القدر، باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها، والحاكم (٤٢/١)، وأخرجه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه الحاكم (٣٦٧/١) وأخرجه الطبراني في الكبير (١/١٧٨ ح/٤٦٠) عن أسامة بن زيد =

● ومنها ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله وهو المفضى به إلى أعماله وإلى الحسن والقبيح من أقواله وأفعاله وإلى الجزاء الأوفى من الحكم العدل في شرعه وقدره وقضائه ووعدته ووعيده فلا يعاقب أحداً بذنب غيره ولا يهضمه ذرة من حسن أعماله. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الترمذي والنسائي وابن حبان وصححه قال: قال رسول الله ﷺ «أكثرُوا ذكر هَادِمِ اللِّذَاتِ»^(١) الموت.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق من صحيحه: باب قول النبي ﷺ «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْمُنْذِرِ الطَّفَاوِيُّ عَنْ سَلِيمَانَ الْأَعْمَشِ قَالَ حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرُ الْمَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صَحْتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(٢) ثم قال: باب في الأمل وطوله وقول الله تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران/١٨٥) بمزحه بمباعده. وقال تعالى ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر/٣)، وقال علي رضي الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً

-
- رضي الله عنه وله شاهد من حديث ابن مسعود بزيادة فيه أخرجه ابن ماجه وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٦) والطبراني في الكبير والحاكم ٤١/١ - ٤٢) والحديث صحيح.
- (١) رواه الترمذي (٥٥٣/٤ ح/٢٣٠٧) في الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، والنسائي (٤/٤) في الجنائز، باب كثرة ذكر الموت وابن ماجه (١٤٢٢/٢ ح/٤٢٥٨) في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له. وابن حبان (٢٨٢/٤ و ٢٨٣) والحاكم (٣٢١/٤) والخطيب في تاريخ بغداد (٣٨٤/١ و ٤٧٠/٩) وسنده صحيح وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٥٢/٩) والخطيب (٧٢/١٢ - ٧٣) وسنده على شرط مسلم.
- (٢) رواه البخاري (٢٣٣/١١) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب».

حساب ولا عمل^(١). حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني أبي عن منذر عن ربيع بن خثيم عن عبد الله رضي الله عنه قال: خَطَّ النبي ﷺ خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به. وهذا الذي هو خارجُ أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا»^(٢)، حدثنا مسلم حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه قال: خَطَّ النبي ﷺ خطوطاً فقال «هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب»^(٣).

● ومنها - وهو المقصود الأعظم - التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دھوم البلاء وحلوله، إذ هو الفاصل بين هذه الدار وبين دار القرار وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقُدوم عليه، إذ ليس بعده لأحد من مستعجب ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار ولا مقعد ولا منزل إلا القبر وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين والموقف الطويل بين يدي القويّ المتين، يوم يقوم الناس لرب العالمين الحكيم العليم المقسط العدل الحكيم الذي لا يحيف ولا يجور ولا يظلم مثقال ذرة إن ربي على صراط مستقيم، ثم إما نعيم مقيم في جنات النعيم، وإما عذاب أليم في نار الجحيم، وإن لكل ظاعن مقراً ولكل نباً مستقراً وسوف تعلمون، قال الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون/ ٩٩ - ١٠٠) الآيات، وقال تعالى ﴿يَا

(١) (٢) البخاري (٢٣٥/١١ - ٢٣٦) في الرقاق، باب في الأمل وطوله.

وقول علي هذا روي مرفوعاً وموقوفاً ولم يصح رفعه (انظر تغليق التعليق ١٥٨/٥).

(٣) البخاري (٢٣٦/١١) في الرقاق، باب في الأمل وطوله.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴿١٨﴾ (الحشر/ ١٨) الآيات، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٠﴾ (المنافقون/ ١٠- ١١). وهذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة كما قال تعالى ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ، أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ رِوَايَةٍ ﴿٤٤﴾ (ابراهيم/ ٤٤) الآيات.

وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال وشديد الانكال والمقامع والأغلال والسلاسل الطوال وما لا يصفه عقل ولا يعبر عنه مقال ولا يغني بالخبر عنه ضرب الأمثال كما قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٧﴾ (الأنعام/ ٢٧- ٢٨) الآيات، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسور رؤوسهم بين يديه كما قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ (السجدة/ ١٢) الآيات، وكذلك يسألون الرجعة وهم في غمرات الجحيم وعذابها الأليم كما قال تعالى ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٣٧﴾ (فاطر/ ٣٧) الآيات، وقال تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ (غافر/ ١١) وغيرها من الآيات.

ويجمع كل ذلك قوله تعالى ﴿هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

(الأعراف/٥٣) وغيرها من الآيات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من أحد يموت إلا ندم» قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال «إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع» رواه الترمذي وغيره^(١)، وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت. فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً ﴿انْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون/١٠-١١) قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير^(٢).

وقال قتادة في قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ (المؤمنون/٩٩) قال كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى. وقال قتادة: والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمانة الكافر المفرط فاعملوا بها ولا حول ولا قوة إلا بالله. وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا وضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول رب أرجعوني أتوب وأعمل صالحاً، قال

(١) رواه الترمذي (٤/٦٠٣ - ٦٠٤/ح ٢٤٠٣) في الزهد، باب رقم «٥٩» وسنده ضعيف جداً فيه، يحیی بن عبید الله بن موهب قال الحافظ متروك وأفحش الحاكم فرماه بالوضع ورواه ابن عدي في الكامل (٧/٢٦٦٠) وغيره.

(٢) رواه الترمذي (٥/٤١٨ - ٤١٩/ح ٣٣١٦) في التفسير، باب من سورة المنافقين، من حديث أبي جناب الكلبي، عن الضحاک بن مزاحم، عن ابن عباس وسنده ضعيف أبو جناب ضعيف، ورواية الضحاک عن ابن عباس منقطعة.

فيقال قد عُمِّرت ما كنت معمرًا. قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام أو يفرع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها^(١).

وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كلُّ أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أنَّ الله هداني، فتكون عليه حسرة. قال وكلُّ أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أنَّ الله هداني قال فيكون لهم الشكر»^(٢) وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها»^(٣) الحديث، وحديثه عند الترمذي «بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا إلى فقرٍ منسٍ»^(٤) الحديث.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «نعمتان مغبوتان فيهما كثيرٌ من الناس: الصَّحَّةُ والفراغ»^(٥).

وللحاكم عنه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لرجلٍ وهو يعظه «اغتنم خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شبابك قبلَ هرمك، وصحتك قبلَ سقمك، وغناك قبلَ فقرك، وفراغك قبلَ شغلك، وحياتك قبلَ موتك»^(٦) يعني أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعه التمني للأعمال، بعد التفريط منه والاهمال، في زمن الفرصة والامهال، فإن بعد كل شباب هرمًا، وبعد كل صحة سقمًا، وبعد كل غنى فقرًا، وبعد كل فراغ شغلًا، وبعد كل حياة موتًا، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في

-
- (١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت (الدر المنثور ٦/١١٤) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٢٦٦).
 - (٢) رواه أحمد (٥١٢/٢) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٣٧٤/٩) وسنده صحيح.
 - (٣) مسلم (٢٢٦٦/٤ ح ٢٩٤٦) في الفتن، وقد تقدم سابقاً.
 - (٤) رواه الترمذي (٥٥٢/٤ ح ٢٣٠٦) والنسائي (٤/٤) وقد تقدم سابقاً. وأن سنده ضعيف فيه محرز بن هارون وهو منكر الحديث.
 - (٥) رواه البخاري (٢٢٩/١١) في الرقاق، باب ما جاء في الرقاق، وأن العيش عيش الآخرة.
 - (٦) الحاكم في مستدركه (٣٠٦/٤) وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

أيام الهرم، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيولة الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات، ويطلب الكرة وهيئات، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات.

ولقد حثنا الله عز وجل أعظم الحث وحضنا أشد الحض ودعانا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه إذ يقول تعالى في محكم كتابه داعياً عباده إلى بابه يا من يسمع صريح خطابه ويتأمل لطيف عتابه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ عَمَّا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ الْخَاسِرِينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر/ ٥٣ - ٥٩) الآيات. وقال تعالى ﴿فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (الروم/ ٤٣) الآيات. وقال تعالى ﴿اسْتَجِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ (الشورى/ ٤٧) الآيات. وغيرها.

[الإيمان بما بعد الموت]

ومنها الإيمان بـ (ما) الذي (من بعده) أي من بعد الموت (على العباد حتماً) من أحوال الاحتضار إلى البعث والنشور إلى أن يقضي الله بين عباده ويستقر كل

من الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير. ونذكر ما تيسر من التقدير على كل أمر منها في محله من هذه الآيات الآتية إن شاء الله تعالى، وهذا أولها:

وإنَّ كلَّ مقعدٍ مسؤول	ما الربُّ ما الدِّينُ وما الرُّسُولُ
وعنْدَ ذا يثبَّت المهيمنُ	بثابتِ القولِ الَّذِينَ آمَنُوا
ويوقِنُ المُرتابُ عنْدَ ذلك	بأنَّما مَوْرَدُهُ المهالكُ

[إثبات عذاب القبر]

في هذه الآيات إثبات المسألة العظيمة، وهي إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتاباً وسنة وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وإن أنكر ذلك بشر المريسي وأضرابه وأتباعهم من المعتزلة وحملوا على فاسد فهمهم قول الله عز وجل ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ (الدخان/٥٦) وقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر/٢٢).

قالوا في الآية الأولى: لو صاروا أحياء في القبور لذاقوا الموت مرتين لا مorte واحدة. وقالوا في الآية الثانية: إن الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم الاسماع، ولو كان الميت حياً في قبره أو حاساً لم يستقم التشبيه.

قالوا: وأما من جهة العقل فإننا نرى شخصاً يصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ومسألة، والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه في بطونها وحواصلها، وأبلغ منه من أحرق حتى يفتت وذرى أجزاؤه المتفتتة في الرياح العاصفة شمالاً وجنوباً وقبلاً ودبوراً فإننا نعلم عدم أحيائه ومسألته وعذابه ضرورة.

هذه خلاصة شبههم الداحضة، ومحصلة آرائهم الكاسدة، وأفهامهم الفاسدة، وأذهانهم البائدة، ولا عجب ولا استغراب ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وجحد ما صرح به تعالى في محكم آياته، ورد ما صح عن الرسول ﷺ

من أقواله وأفعاله وتقريراته، وحكم العقل في الشرع، وعارض الوحي الرَّحْماني بالحدس الشيطاني، وقَدَّم الآراء السقيمة، على السنن المستقيمة، وأثر الأهواء الذميمة على المحجة القوية، فليس بعجيب ولا غريب ممن هذا شأنه أن ينكر عذاب القبر وغيره من أنباء الغيب التي لا يشاهدها، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يعرف الإنسان إلا هذا الجسم الذي هو الجلد واللحم والعظم والعروق والأعصاب والشرابين ونحوها مما يمتلئ بكثرة الطعام والشراب فيه ويخلو بقلتهما عليه، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يقر بوجود إلا مسموعاً متكلماً به مبصراً مشموراً ملموساً، وما له لا ينكر ذلك وطريقته في النصوص أبداً تأويل الصريح وتضعيف الصحيح، وأنها آحاد ظنية لا تفيد اليقين وليست بأصل بزعمه عند المحققين. ولا ذنب للنصوص وما نقم منها إلا أنها خالفت هواه، وصرحت بنقض دعواه، وسدت عليه باب مغزاه وأوجبت عليه نبذ أقوال شيوخه وهدمت عليه ما قد بناه، وألزمته باطراح كل قول غير ما قاله الله أو رسوله ﷺ، ونادت عليه بأبلغ صوت ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى/٢١).

والجواب عن الشبهة الأولى: أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه، فإنها في صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم، وأنهم لا يذوقون فيها الموت بل ينعمون ولا يبأسون ويخلدون فلا يموتون، وأين هذا من نفي عذاب القبر الذي ادَّعوه، وقوله ﴿إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾ (الدخان/٥٦) تأكيد لنفي الموت عنهم في الجنة، وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد في البرزخ اتصالاً خاصاً ليتألم الجسد بما يتألم به من دون أن تكون حياته كالحياة الدنيوية، بل ما المانع من كونها حياة مستقرة لا تشبه الحياة الدنيا وهي أعظم منها فحجب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمة منه بهم كما يدل عليه ما أخبر به ﷺ في الأحاديث الآتية من الإقعاد والمخاطبة والسؤال والجواب كفاحاً كما يشاء الله عز وجل والفتح لباب الجنة للمؤمن وفرشه منها وفتح باب النار للمرتاب وقمعه بالمطارق والمرازب وغير ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه.

وأيضاً فأهل الجنة المشار إليهم بقوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ

الأولى» (الدخان/٥٦)) قد وردت فيهم الأحاديث الصحيحة أنَّ أرواحهم تسرح في الجنة في حواصل طيور خضر كما روى الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الإمام محمد بن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «إِنَّمَا نَسْمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(١)، وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة/١٥٤) يقول الله تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فهل شعرتم بذلك يا معشر الزنادقة دونهم؟ ويقول تعالى فيهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩) الآيات، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال الله تعالى فيهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر/١١) والموتة الثانية على أحد التفسيرين هي موتتهم بعد فتنة القبر، وتفسير الجمهور لا ينافي ذلك فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودهم والثانية على الخروج من الدنيا ولم يعدوا نومتهم بعد الفتنة في القبر موتة مستقلة لأن حال البرزخ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرة بل هو حاجز بينهما، والتفسير أول محمول على موتتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل إيجادهم.

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة قال: إِذَا وُضِعَ - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار، قال فيقول: رَبِّ ارْجِعُونِ أَتُوبُ وَأَعْمَلُ صَالِحًا، قال فيقال قد عُمِّرْتَ ما كنت معمراً. قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوى إليه هوائُ الأرض وحياتها وعقاربها^(٢).

- (١) رواه أحمد (٤٥٥/٣) ومالك في الموطأ (٢٤٠/١) في الجنائز، باب جامع الجنائز، والنسائي (١٠٨/٤) فيه، باب أرواح المؤمنين وابن ماجه (١٤٢٨/٢) ح (٤٢٧١) في الزهد، باب ذكر القبر والبلى وأبو نعيم في الحلية (١٥٦/٩) وهو حديث صحيح.
- (٢) تقدم ذكره وقد نقله بسنده ابن كثير في تفسيره (٢٦٦/٣).

وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين :

الأول : أن قوله ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر/٢٢)) نفي لاستطاعة الرسول ﷺ أن يُسمعهم ، وليس ذلك بمحال في قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القلب تبكيته ﷺ بقوله ﷺ «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»^(١) الحديث سيأتي إن شاء الله ، وهذا إذا حمل على نفي مطلق السماع بالكلية .

الوجه الثاني : أنه لم ينف مطلق السماع ، وإنما نفي سماع الاستجابة كما يدل عليه قوله ﷺ في حديث القلب ، «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون»^(٢) وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة ، ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم في قوله تعالى ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ (الباقية/٨) . ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقاً لا سماع استجابة ولا مطلقاً لم يكن القرآن حجة عليه ولم يكن الرسول بلغهم لأنهم ما سمعوه منه ، ولا أفسد من قول هذا لازمه .

وأما شبهتهم العقلية : فهي لا تليق إلا بعقولهم السخيفة ، فإن الروح التي عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدرك في الدنيا ولا يعلمه إلا الله ، فمن كان لا يدرك روح من يمشي معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله فكيف يدركه إذا صار من عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا؟ وأيضاً فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغة ورحمته بهم وقد قال النبي ﷺ «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله عز وجل أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع»^(٣) وأيضاً فأكثر أمور الإيمان اعتقادات باطنة منا لأمر غائبة عنا وهي أعلى صفات أهل الإيمان ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة/٣)) وذلك غائب عنا في الحياة الدنيا ونحن نعلمه عن الله علم اليقين ، فإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة

(١) (٢) سيأتي بتأمله .

(٣) رواه مسلم (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠/ح ٢٢٦٧) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وعن أنس رضي الله عنه (٤/٢٢٠٠/ح ٢٢٦٨) فيه .

ورأينا ذلك عين اليقين ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس/٣٩) والذي أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعه الذي أبداه من لا أجزاء ولا أعضاء، وسيأتي الحديث فيه إن شاء الله. ولا فرق بين من كذب بجمع هذا وبين من كذب بجمع الناس ليوم لا ريب فيه ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (الأعراف/٥٣) الآية. فيا أيها الطالب الحق المتحري الإنصاف، إليك نصوص الآيات المحكمة، والسنن القائمة، فألق لها سمعك وأحضر قلبك، وانظر بماذا عارضها الذين في قلوبهم زيغ وكيف تتبعوا ما تشابه، وأعرضوا عن المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكم بالمتشابه ولم يردوا علم ما غرب عنهم علمه إلى عالمه، وأحمد الله تعالى إذ هداك لما اختلفوا فيه ووفقك لما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون في العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا - رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران/٨).

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (الأنعام/٩٣) الآية. قال أئمة التفسير ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ (الأنعام/٩٣) أي اليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ (الأنعام/٩٣) وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (الأنعام/٩٣) أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله،

وسياتي في الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريباً إن شاء الله .

ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقرع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسباق نفسه لا يعلمون بشيء مما يقاسون الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم، فلا بد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر الله تعالى به في المحتضر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون .

وقال ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم/ ٢٧) وهذه الآية نصها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وأن المراد بالثبوت هو عند السؤال في القبر حقيقة، وأن من أنكر ذاك اعتماداً على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل ما يشاء .

وقال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون/ ٩٩) . روى ابن أبي حاتم بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو دهم - حية عند رأسه وحية عند رجله يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون/ ٩٩)^(١) . وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك قريباً وسياتي الأحاديث فيه .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (الدر المنثور ١١٤/٦ وابن كثير ٢٦٦/٣) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

وقال تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر/١١) ذكر العيني هذه الآية في شرح هذا الباب من صحيح البخاري وقال: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ الْمَوْتَةَ مَرَّتَيْنِ وَهُمَا لَا تَتَحَقَّقَانِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْقَبْرِ حَيَاةٌ وَمَوْتٌ حَتَّى تَكُونَ إِحْدَى الْمَوْتَتَيْنِ مَا يَتَحَصَّلُ عَقِيبَ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخَرَى مَا يَتَحَصَّلُ عَقِيبَ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي الْقَبْرِ أَهـ.

قلت: وهذا هو تفسير السدى في هذه الآية حيث قال: أَمِيتُوا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَحْيَا فِي قُبُورِهِمْ فَخُوطِبُوا ثُمَّ أَمِيتُوا فَأَحْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهـ.

والآية تحتمله، لكن المشهور عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم أن هذه الآية كقوله عز وجل ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (البقرة/٢٨) وقد قَدَّمْنَا الْجَمْعَ بَيْنَ هَذَيْنِ التَّفْسِيرَيْنِ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّة.

وقال تعالى ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ (التوبة/١٠١) قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن اسحاق ما حاصله: ان المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار.

وقال تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ (السجدة/٢١) قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به عذاب القبر. وقال تعالى في قوم نوح ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (نوح/٢٥). وقال تعالى ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر/٤٦).

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إِنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ خَضِرَ تَسْرَحُ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءُوا، وَإِنَّ أَرْوَاحَ وَلَدَانِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَجْوَافِ عَصَافِيرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ فَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مَعْلُوقَةٍ فِي

العرش، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها^(١).

وفي حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه البيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم من رواية أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال فيه «ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله عز وجل، رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وآل فرعون كالإبل المسومة يخطون الحجارة والشجر ولا يعقلون»^(٢).

وفي حديث عائشة في قصة اليهودية التي قالت لها وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت له، فقال ﷺ «لا» قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك، «وإنه أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم»^(٣) وسيأتي إن شاء الله قريباً.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فيقال ما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟

والجواب: أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشياً في البرزخ، وليس فيها دلالة - يعني تامة - على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية. وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنبه. وهذا الجواب هو الراجح عندي لما يدل عليه قوله ﷺ «إنما يفتن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/ ٨٨) وفي سننه لث بن أبي سليم وهو ضعيف. ورواه ابن جرير (٧١/ ٢٤) من رواية الثوري من كلام هزيل بن شرحبيل..

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ١٥) وغيره وأبو هارون العبدى متروك منهم. وفي الصحيح غنية عنه.

(٣) البخاري (٥٣٨/ ٢) في الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، ومسلم (٩٠٣/ ٢) فيه، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الكسوف.

يهود»^(١)، وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمته تفتن. والجواب الأول مرجوح لأن الآيات أيضاً صريحة في اتصال عذاب القبر بالروح والجسد، وما ليس صريحاً منها فمحتمل يحمل على الصريح إذ لم يجيء في آية تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد، وقال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ، بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (النحل/٢٩). قال ابن كثير رحمه الله تعالى وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم^(٢)، ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر/٣٦). وكذلك قال تعالى ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل/٣٢) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر/٢٨).

[نصوص السنة في إثبات عذاب القبر]

(فصل) وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجرم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أنس بن مالك وعبدالله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبدالله وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصاري وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وجابر بن عبدالله وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأم مبشر وأبو قتادة وعبدالله بن مسعود وأبو طلحة

(١) مسلم (١/٤١٠/ح ٥٨٤) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٢) ابن كثير (٤/٨٨).

وأسماء أيضاً وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الداري وحذيفة وأبو موسى
والنعمان بن بشير وعوف بن مالك:

فأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى:
حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد. وقال لي خليفة حدثنا ابن زريع
حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «العبد إذا وضع
في قبره وتولّى وأذهب أصحابه حتى أنّه لَيَسْمَعُ قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه
فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنّه عبد الله
ورسوله. فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال
النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأمّا الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كُنتُ أقول
ما يقول الناس. فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تليت، ثم يُضْرَبُ بمطرقة من حديد ضربة
بين أذنيه فيصيحُ صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين»^(١) ورواه مسلم من طرق عن
قتادة بنحوه وزاد فيه «قال قتادة: وذكر لنا أنّه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً
- يعني المؤمن - ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون»^(٢). ولهما عنه رضي الله عنه
عن النبي ﷺ «وأعوذ بك من عذاب القبر»^(٣). ولمسلم عنه رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي
أسمع»^(٤).

وأما حديث عبد الله بن عباس فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة
حدثنا جزيّر عن الأعمش عن مجاهد عن طاووس قال ابن عباس رضي الله عنهما
«مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: إِنَّهُمَا لِيَعَذَّبَانِ، وما يعذبَانِ في كبير» ثم قال
«بَلَى أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بالنَّيْمَةِ، وأما الآخرُ فكان لا يستتر من بوله» ثم

(١) البخاري (٢٣٢/٣) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

(٢) مسلم (٢٢٠٠/٤ ح/٢٨٧٠) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

(٣) البخاري (١٧٦/١١) في الدعوات، باب التعوذ من فتنة المحيا والميت، ومسلم (٢٠٧٩/٤ ح/٢٧٠٦) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

(٤) مسلم (٢٢٠٠/٤ ح/٢٢٦٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

قال «أَخَذَ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحدٍ منهما على قبر ثم قال : لعلّه يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه في مواضع من صحيحه . ورواه مسلم أيضاً وغيره^(١).

ولهما وللنسائي عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يُعَلِّمُ السورة من القرآن قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(٢).

وأما حديث البراء بن عازب فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا حفصُ ابنُ عمر حدثنا شعبَةُ عن علقمةَ بنِ مرثدٍ عن سعد بن عبيدةَ عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِيَ ثم شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ (ابراهيم/٢٧) رواه في مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره^(٣).

وروى الإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحدُ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال «استعينوا بالله من عذاب القبر» - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا واقفلاً إِلَى الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ

(١) البخاري (٣١٧/١) في الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله وغيره، ومسلم (٢٤٠/١ ح/٢٩٢) في الإيمان، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٢) مسلم (٤١٣/١ ح/٥٩٠) في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة. ورواه مالك في الموطأ (٢١٥/١) والترمذي (٥٢٤/٥ ح/٣٤٩٤) في الدعوات، باب الاستعاذة والنسائي (٢٧٦/٨) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من فتنة الميت، وابن ماجه (١٦٦٢/٢ ح/٣٨٤٠) في الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، وأما قول المصنف رواه البخاري. فهو وهم منه فلم يروه البخاري من حديثه. قال ابن الأثير: رواه الجماعة إلا البخاري (جامع الأصول ٣٧٠/٤) وانظر تحفة الأشراف (٢٧/٥ ح/٥٧٥٠).

(٣) البخاري (٢٣١/٣ - ٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر. ومسلم (٢٢٠١/٤ ح/٢٨٧١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمَظْمُونَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ - قَالَ - فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيُخْرِجُ مِنْهَا كَأُطِيبَ نَفْحَةٌ مَسْكٌ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ ابْنِ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يَسْمُونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ فَيَفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ فَتَعَادَ رُوحُهُ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مِنْ رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ. فَيَنَادِي مُنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ الْبَصَرِ، قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تَوَعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مِنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي - قَالَ - وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ إِلَى الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمَسْوُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ. قَالَ فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُهَا فِي تِلْكَ الْمَسْوُوحِ، وَيُخْرِجُ مِنْهَا كَأَنَّ

ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون. فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا. فيستفتح فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف/٤٠) فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحاً، ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحَفَّظَتْهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَزَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج/٣١) فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب متن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوئك، هذا يومك الذي كنت توعده. فيقول: مَنْ أَنْتَ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عمالك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة» زاد في رواية في قصة المؤمن «حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، وليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم» وزاد في قصة الكافر «ثم يقبض له أعمى أصم أبكم في يده مِرْزَبَةٌ لو ضُرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة فيصير تراباً. ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين - قال البراء - ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فراش من النار». ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بنحوه^(١).

(١) أحمد (٤/٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧) وأبو داود (٤/٢٣٩ - ٢٤٠/ح ٤٧٥٣ و ٤٧٥٤) في السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، والنسائي (١/٢٨٢) وابن ماجه (١/٤٩٤/ح ١٥٤٨) في الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر. والطيالسي (ص ١٠٢/ح ٧٥٣) والأجري =

وأما حديث عمر بن الخطاب فرواه مسلم من طرق عنه رضي الله عنه قال «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرِينَا مُضَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: هَذَا مُصْرَعُ فَلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ فَجَعَلُوا فِي بَشَرٍ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ: يَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ وَيَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا. قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا أَنتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوهُ عَلَيَّ شَيْئًا»^(١).

ولأبي داود والنسائي وابن ماجه عنه رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَبَنِ وَالْبَخْلِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ»^(٢).

وأما حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فقال البخاري رحمه الله تعالى «بَابُ الْمَيِّتِ يُعْرَضُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ عَرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). وله عنه رضي الله عنه قال «أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلْبِ

= في الشريعة (ص ٣٦٧ - ٣٧٠) والحاكم (١/٣٧ - ٤٠) وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين. وأقره الذهبي، وهو كما قال. والبيهقي في عذاب القبر (ح ٢٠).

(١) مسلم (٤/٢٢٠٢ ح/٢٨٧٣) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) رواه أحمد (١/٢٢١) وأبو داود (٢/٩٠ ح/١٥٣٩) في الصلاة، باب الاستعاذة، والنسائي (٨/٢٥٥) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من فتنة الصدر، وباب الاستعاذة من فتنة الدنيا، والاستعاذة من البخل، وابن ماجه (٢/١٢٦٣ ح/٣٨٤٤) في الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، وابن حبان (٦٠٥ - ٦٠٦ ح/٢٤٤٥ - موارد) وهو حديث حسن.

(٣) رواه البخاري (٣/٢٤٣) في الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وفي بدء الخلق، وفي الرقاق، ومسلم (٤/٢١٩٩ ح/٢٨٦٦) في الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

فقال: وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقليل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون»^(١).

وأما حديث عائشة أم المؤمنين فقال البخاري رحمه الله تعالى «باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف. حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيْعَذِبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ - ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الْكَسُوفِ بِطَوْلِهِ وَفِيهِ آخِرُهُ - ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» ورواه مسلم بنحوه^(٢).

وقال البخاري أيضاً «حدثنا عبدان أخبرني أبي سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ - قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» ووافقه عليه مسلم وغيره^(٣).

وقال مسلم أيضاً «حدثنا هارون بن سعيد وحرمة بن يحيى، قال هارون حدثنا - وقال حرمة أخبرنا - ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتَ أَنَّكُمْ تَفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ فَارْتَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: إِنَّمَا تَفْتَنُ يَهُودَ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَبِثْنَا لَيَالِي. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ شَعَرْتَ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تَفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ. قَالَتْ عَائِشَةُ

(١) رواه البخاري (٢٣٢/٣) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٦٤٣/٢) ح (٩٣٢) في الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٢) رواه البخاري (٥٣٨/٢) في الكسوف باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف ومسلم (٤١٠/١) ح (٥٨٤) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٣) رواه البخاري (٢٣٢/٣) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٤١١/١) ح (٥٨٦) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

رضي الله عنها: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ بعدُ يستعِذُ من عذابِ القبرِ^(١).

وقال رحمه الله تعالى أيضاً «حدثنا زهيرُ بنُ حربٍ وإسحقُ بنُ إبراهيمَ كلاهما عن جرير، قال زهير حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجزِ يهودِ المدينة فقالتا: إِنَّ أَهْلَ القُبُورِ، يَعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أَنَّ أَصْدَقَهُمَا، فخرجتا ودخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقلت له: يا رسولَ الله إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عَجِزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ فزعمتا أَنَّ أَهْلَ القُبُورِ يَعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فقال: صدقتا إِنَّهُنَّ يَعَذَّبُونَ عَذَاباً تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ، ثم قالت فما رأيته بعدُ في صلاةٍ إِلَّا يتعوذُ من عذابِ القبرِ^(٢).

ولهما رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ كان يقول «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغَنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ. اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ التَّلَجِّ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٣).

ولمسلم عنها من حديثها في الكسوف، وفيه قوله ﷺ في خطبته «ولقد رأيتُ جَهَنَّمَ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضاً حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحْيٍ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَابِ»^(٤).

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فقال البخاري رحمه الله

(١) رواه مسلم (٤١٠/١ ح/٥٨٤) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر. وقد تقدم.

(٢) مسلم (٤١١/١ ح/٥٨٦) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٣) رواه البخاري (١٧٦/١١) في الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، وباب الاستعاذة من فتنَةِ الْغَنَى، وباب التعوذ من فتنَةِ الْفَقْرِ، ومسلم (٤١١/١ ح/٥٨٩) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر الفتن.

(٤) رواه مسلم (٦٢٢/٢ ح/٩٠٤) في الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

تعالى «حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجَّةً»^(١).

ولهما عنها رضي الله عنها حديث الكسوف بطوله، وفيه: «فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما مِنْ شيءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتَهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَقَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْكُمْ تَفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ - أَوْ قَرِيباً مِنْ - فَتْنَةِ الدَّجَالِ. لَا أَدْرِي أَيْتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ. يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُوقِنُ، لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَمَنَّا وَاتَّبَعْنَا. فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحاً، فَقَدْ عَلِمْنَاكَ كُنْتَ لِمَوْقِناً، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُرْتَابُ، لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ»^(٢) قوله «لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ الْخ» التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء رضي الله عنهما.

وأما حديث أبي أيوب الأنصاري فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا ابن المثنى حدثنا يحيى حدثنا شعبة قال: حدثني عون بن أبي جحيفة عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضي الله عنهم قال «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتاً، فَقَالَ: يَهُودٌ تَعَذِّبُ فِي قُبُورِهَا» رواه مسلم من طريق جماعة عن شعبة به^(٣).

وأما حديث أم خالد فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا معلى حدثنا

-
- (١) رواه البخاري (٢٣٢/٣) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.
- (٢) رواه البخاري (٢٨٨/١ - ٢٨٩) في الوضوء، باب من لم يتوضأ إلا من الغش المثقل، وفي العلم، وفي الكسوف، وفي السهو، وفي الجمعة، وفي الأذان، وفي العتق، وفي الاعتصام، ومسلم (١/٦٢٤ ح ٩٠٥) في الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف.
- (٣) رواه البخاري (٢٤١/٣) في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (٤/٢٠٠ ح ٢٨٦٩) في صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

وهيب عن موسى بن عقبة قال «حدثني ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر»^(١). وقال في كتاب الدعوات: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا موسى بن عقبة به^(٢) الخ.

وأما حديث أبي هريرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا حماد بن زيد حدثنا بدیل عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانَهَا» قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمريه: فينطلق به إلى ربه عز وجل». ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنأ «ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض. قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة: فرد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه هكذا»^(٣).

ولهما عنه رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ به من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»^(٤).

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: باب ما جاء في عذاب القبر. حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف البصري أخبرنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يَقُولَانِ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرَ وَالْآخَرُ النَّكِيرَ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا

(١) (٢) رواه البخاري (٢٤١/٣) في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر. وفي الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر (١٧٤/١).

(٣) رواه مسلم (٢٢٠٢/٤) ح/٢٨٧٢ في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٤) البخاري (٢٤١/٣) في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (٤١٢/١) ح/٥٨٨ في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

كان يقول: هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهليه إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»^(١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان. فيقولون مرحباً بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان - قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل. وإذا كان الرجل السوء والعياذ بالله قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال هذا فلان فيقولون لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء، فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر»^(٢).

(١) رواه الترمذي (٣٨٣/٣) ح (١٠٧١) في الجنائز، باب ما جاء من عذاب القبر. وقال: حديث حسن غريب، وابن أبي عاصم في السنة (٤٠٢/٢) ح (٨٦٤) والأجري (ص ٣٦٥) وابن حبان (ص ١٩٧) ح (٧٨٠) - موارد) وهو حديث حسن.

(٢) رواه أحمد (٣٦٤/٤) ورواه ابن ماجه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن شيبان عن ابن أبي ذئب (٢/١٤٢٦) ح (٤٢٦٨) في الزهد، باب ذكر القبر والبلبلى وإسناده صحيح.

وقال ابن حبان في صحيحه: حدثنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا زيد بن أخزم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قُبِضَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بِيضَاءَ يَقُولُونَ: اخْرُجِي إِلَى رُوحِ اللَّهِ، فَتُخْرَجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ مِسْكٍ، حَتَّى أَتَاهُ لِيَنَاقِلَهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَشْمُونَهُ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ بَابَ السَّمَاءِ يُقَالُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ؟ وَلَا يَأْتُونَ السَّمَاءَ إِلَّا قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ. يَقُولُونَ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ يَقُولُونَ دَعَاؤُهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمٍّ يَقُولُ قَدْ مَاتَ أَمَّا أَتَاكُمْ؟ يَقُولُونَ ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَأْتِيهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمَسْحٍ يَقُولُونَ اخْرُجِي إِلَى غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَتُخْرَجُ كَأَنَّكِ رِيحُ جَيْفَةٍ فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى بَابِ الْأَرْضِ»^(١) زاد في رواية «وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى بَابِ الْأَرْضِ تَقُولُ خَزَنَةُ الْأَرْضِ مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَتَنْتِ مِنْ هَذِهِ فَيَبْلُغُ الْأَرْضَ السُّفْلَ»^(٢).

وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» (ابراهيم/٢٧) قال «ذلك إذا قيل له في القبر: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول: رَبِّي اللَّهُ، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فأمنت به وصدقت. فيقال له: صدقت، على هذا عِشْتَ وعليه مت وعليه تبعث»^(٣).

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده، إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِكُمْ حِينَ

(١) رواه ابن حبان (ص ١٨٧/ح ٧٣٣) وإسناده صحيح ويشهد له الذي قبله.

(٢) ابن حبان (ص ١٨٦ - ١٨٧/ح ٧٣١) موارد.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢١٥/١٣) وابن مردويه (الدر المنثور ٣٢/٥) وسنده حسن ومحمد بن عمرو هو الليثي وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن حسن.

تولون عنه مدبرين، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالصَّوْمُ عَنْ يَسَارِهِ وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ، فَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ فَيُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَيَقُولُ الصَّيَامُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ، فَيُؤْتَى مِنْ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ، فَيَقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ قَدْ مَثَلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ فَيَقَالُ: أَخْبَرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ، فَيَقُولُ: دَعْنِي حَتَّى أَصْلِي، فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ فَأَخْبَرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ، فَيَقُولُ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِي؟ فَيَقَالُ: أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ، أَمَحَمَّدٌ؟ فَيَقَالُ لَهُ: نَعَمْ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيَقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيَّيتُ وَعَلَى ذَلِكَ مِتُّ وَعَلَيْهِ تَبَعْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنَوِّرُ لَهُ وَيَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ تُجْعَلُ نَسْمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ خَضِرٌ يَعْطُرُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ، وَيَعَادُ الْجَسَدُ إِلَى مَا بَدَأَ مِنَ التُّرَابِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (ابراهيم/ ٢٧) ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عمرو، وذكر جواب الكافر وعذابه^(١). وقال البزار رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُنَزَّلُ بِهِ الْمَوْتُ وَيَعَايِنُ مَا يَعْاينُ فَيُؤَدُّ لَوْ خَرَجَتْ - يَعْنِي نَفْسُهُ - وَاللَّهُ يُحِبُّ لِقَاءَهُ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَصْعَدُ بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فَتَسْتَخْبِرُهُ عَنْ مَعَارِفِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ تَرَكْتُ فَلَانًا فِي الْأَرْضِ أَعْجَبَهُمْ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٤) وهناد في الزهد (ح ٣٣٨) وابن جرير (١٣/ ٢١٥ - ٢١٦) وابن حبان (ص ١٩٧ - ١٩٨/ ح ٧٨١ - موارد) والطبراني في الأوسط (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢/ ح ٢٦٥١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ٦١ - ٦٢/ ح ٦٧) وفي الاعتقاد (ح ١٠٨) والحاكم في المستدرک (١/ ٣٧٩) وابن المنذر وابن مردويه (الدر المنثور ٣١/ ٥) وهو حديث حسن وقد صححه الحاكم وأقره الذهبي وهو كذلك لشواهد.

ذلك، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا ما جاء به إلينا. وإن المؤمن يجلس في قبره فيُسأل من ربك؟ فيقول ربي الله عز وجل. ويسأل من نبيك؟ فيقول محمد ﷺ نبيي، فيقال: ماذا دينك؟ قال ديني الإسلام. فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر فكانما كانت رقدة. وإذا كان عدواً لله نزل به الموت وعان ما عان فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبداً والله يبغيض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو اجلس فيقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فيقال لادريت، فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش «قلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال الذي تنهشه الدواب والحيات، ثم يضيق عليه قبره، ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليد بن مسلم، وفي بعض النسخ ابن قاسم»^(١).

وأما حديث أبي سعيد وسلمان فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا معتمر سمعت أبي حدثنا قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ «أنه ذكر رجلاً فيمن سلف وفي من كان قبلكم قال كلمة يعني أعطاه الله مالاً وولداً، فلما حضرته الوفاة قال لبيته: أي أب كنت لكم؟ قالوا خير أب. قال فإنه لم يبتئ عند الله خيراً وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني - أو قال فاسحقوني - فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني فيها. فقال نبي الله ﷺ: فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي. ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف، فقال الله عز وجل: كن، فإذا هو رجل قائم، قال الله: أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك، أو فرق منك. قال فما تلافاه أن رحمه عندها» وقال مرة أخرى «فما تلافاه» فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد

(١) رواه البزار (١/٤١٤/ح/٨٧٤/ كشف الأستار) قال الهيثمي: ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإنه لم أعرفه (المجمع ٥٦/٣) قلت لئن لم يعرفه هو فقد عرفه غيره، ومن عرف حجة على من لم يعرف فقد ذكره الخطيب وقال: كان ثقة (تاريخ بغداد ٩٣/٩). وليس من رواه الوليد بن مسلم بل هو ابن قاسم كما هو في كشف الأستار - وكذلك ابن كثير (٥٥٣/٢).

فيه «اذروني في البحر»^(١) أو كما حدث - وفي رواية له عن أبي سعيد قال «ففعّلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلّقه برحمة»^(٢).

وقال رحمه الله تعالى «باب كلام الميت على الجنّاة، حدّثنا قتيبة حدّثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه أنّه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: إذا وُضِعَتِ الجنّاة فاحتملها الرّجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدّموني قدّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»^(٣).

وقال الإمام أحمد حدّثنا أبو عامر حدّثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال «شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: يا أيّها الناس، إنّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن وتفرّق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعه فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت. ثم يفتح له باب إلى النار فيقول: كان هذا منزلك لو كفرت برّبك، فأما إذ آمنْتَ فهذا منزلك، فيفتح له باباً إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن اسكن، ويفسح له في قبرة. وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت النّاس يقولون شيئاً، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت. ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيقول هذا منزلك لو كنْتَ آمنْتَ برّبك، فأما إذ كفرت به فإنّ الله عز وجل أبدلك به هذا، فيفتح له باباً إلى النار، ثم يقيمه قمعة بالمطراق فيصبح صيحةً يسمعها

(١) رواه البخاري (٥١٤/٦ - ٥١٥) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي التوحيد، ومسلم

(٤/٢١٠٩/٢٧٥٦) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) رواه البخاري (٥١٤/٦) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والرقاق، باب الخوف من

الله وفي التوحيد، ومسلم (٤/٢١١١/٢٧٥٧) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى.

(٣) رواه البخاري (٣/٢٤٤) في الجنّات، باب كلام الميت على الجنّاة وفي (٣/١٨١) في الجنّات،

باب حمل الرجال الجنّاة دون النساء، وباب قول الميت وهو على الجنّاة: قدّموني.

خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين . فقال بعض القوم : يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله ﷺ ؛ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ (١) .

ولابن مردويه عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿فِي الْقَبْرِ﴾ (٢) .

وأما حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال «كان النبي ﷺ إذا صَلَّى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قَالَ فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فيقول : ما شاء الله . فسألنا يوماً فقال : هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قلنا لا . قال : لكنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فإذا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى - كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يَدْخُلُهُ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا ، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ . قلت : ما هذا؟ قالوا : انطلق . فانطلقنا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْرُخُ بِهِ رَأْسَهُ ، فإذا ضَرَبَهُ تَدَهَدَهَ الْحَجَرُ ، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ ، وعاد رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ . قلت : من هذا؟ قالوا انطلق . فانطلقنا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ التَّنُورِ أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا ، فإذا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فإذا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا ، وفيها رَجُلٌ وَنِسَاءٌ عَرَاةٌ ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قالوا انطلق ، فانطلقنا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ وَرَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ الَّذِي فِي النَّهْرِ فإذا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلَ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ

(١) رواه أحمد (٣/٣ و ٢٣٣ و ٣٤٦) وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٠٣ ح/ ٨٦٥) والبخاري (كشف الاستار ١/٤١٢ ح/ ٨٧٢) . وابن جرير (٢١٤/٨) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ٤٣ ح/ ٣٢٠) وهو صحيح لشواهده . رجاله رجال الصحيح غير عبد بن راشد روى له البخاري مقرونا على ضعف فيه ، وسنده لا بأس به كما قال ابن كثير .
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه (الدر المنثور ٥/٢٨) وقد تقدمت شواهده .

حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا قالوا انطلق. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي إلى الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشبان. قلت: طوفتmani الليلة فأخبراني عما رأيت. قالوا: نعم، أما الذي رأيته يشق شذقه فكذاب يحدث بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيته إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشرح رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيته في الثقب فهم الزناة. والذي رأيته في النهر آكلو الربا. والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالوا: ذاك منزلك. قلت دعاني أدخل منزلي، قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك^(١)

وأما حديث عثمان رضي الله عنه فقال أبو داود: حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هانيء مولى عثمان عن عثمان رضي الله عنه قال «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكُم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»^(٢) قال ابن حجر: صححه الحاكم.

(١) رواه البخاري (٤٣٨/١٢ - ٤٣٩) في التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وفي صفة الصلاة، وفي التهجد، وفي الجنائز، وفي البيوع، وفي الجهاد، وفي بدء الخلق، وفي الأنبياء، ومسلم (١٧٨١/٤ ح/ ٢٢٧٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (طريقاً يسيراً من أوله).

(٢) رواه أبو داود (٣/٢١٥ ح/ ٣٢٢١) في الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت. والحاكم (٣٧٠/١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال وأخرجه البيهقي =

وأما حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال الترمذي رحمه الله تعالى :
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ الْمُؤَدَّبُ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ وَكَانَ
 مِنْ بَيْنِ أَسَدٍ عَنِ الْأَعْرَبِيِّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ خَلِيفَةَ بْنِ حَصِينٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ « أَكْثَرُ مَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ : اللَّهُمَّ
 لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي تَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُول . اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ
 وَمَمَاتِي ، وَإِلَيْكَ مَا بِي وَلَكَ رَبِّ تَرَاثِي . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ
 وَوَسْوَسةِ الصَّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ
 الرِّيحُ » (١) .

وأما حديث زيد بن ثابت فقال مسلم رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ
 وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عَلِيَّةٍ . قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةٍ قَالَ
 وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ الْجَرِيرِيُّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ
 قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطِ لَبْنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ
 مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تَلْقِيهِ ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةَ أَوْ خَمْسَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ - قَالَ كَذَا كَانَ
 يَقُولُ الْجَرِيرِيُّ - فَقَالَ : مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا . قَالَ :
 فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ : مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ . فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ تُبْتَلَى فِي
 قُبُورِهَا ، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لِدَعَوَاتِ اللَّهِ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ
 مِنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ : تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ . قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
 عَذَابِ النَّارِ . فَقَالَ : تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . قَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ
 الْقَبْرِ . قَالَ : تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . قَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ
 الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . قَالَ : تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ . قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ
 مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ » (٢) .

= (٥٦/٤) وفي إثبات عذاب القبر (ص ١٢٤/ح ٢١١ و ٢١٢) .

وانظر تلخيص الحبير لابن حجر (١٣٥/٢) وقال النووي : إسناده جيد (المجموع ٢٩٢/٥) .

(١) رواه الترمذي (٥٣٧/٥ ح ٣٥٢٠) في الدعوات ، باب « ٨٨ » وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوي . قلت فيه : قيس بن الربيع : تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به . وعلي بن ثابت الجزري : ربما أخطأ .

(٢) رواه مسلم (٢١٩٩/٤ - ٢٢٠٠ ح ٢٨٦٧) في الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من =

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا أَدْخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَ مَلَكٌ شَدِيدُ الْإِنْتِهَارِ يَقُولُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ. فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ الَّذِي كَانَ لَكَ فِي النَّارِ قَدْ أَنْجَاكَ اللَّهُ مِنْهُ، وَأَبْدَلَكَ بِمَقْعَدِكَ الَّذِي تَرَى مِنَ النَّارِ مَقْعَدَكَ الَّذِي تَرَى مِنَ الْجَنَّةِ. فَيَرَاهُمَا كِلَيْهِمَا. فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : دَعُونِي أَبْشُرْ أَهْلِي. فَيَقَالُ لَهُ : اسْكُن. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَقْعَدُ إِذَا تَوَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ فَيَقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي، أَقُولُ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَقَالُ لَهُ : لَا ذَرَيْتَ، هَذَا مَقْعَدَكَ الَّذِي كَانَ لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَبْدَلَكَ مَكَانَهُ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ. قَالَ جَابِرٌ : فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي الْقَبْرِ عَلَى مَا مَاتَ، الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيْمَانِهِ، وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ»^(١).

ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه «وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رِبَطَتُهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثَمَامَةَ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ يَجْرُ قَصْبُهُ فِي النَّارِ - وَفِي رِوَايَةٍ - لَقَدْ جِئْتُ بِالنَّارِ وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مُخَافَةً أَنْ يَصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا. وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمُحْجَنِّ يَجْرُ قَصْبُهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمُحْجَنِّهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّمَا تَعْلَقُ بِمُحْجَنِّي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ. وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رِبَطَتُهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا»^(٢) الحديث.

= الجنة أو النار عليه.

(١) رواه أحمد (٣/٣٤٦) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ١٢٦ - ١٢٧/ح ٢١٦) وأخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط (الدر المنثور ٥/٣٤) وأخرج مسلم الجزء الأخير قوله «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٤/٢٢٠٦/ح ٢٨٨٧) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله.

(٢) رواه مسلم (١/٦٢٤/ح ٩١٥) في الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف، وقد تقدم بعضه.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فرواه البخاري من عدة طرق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُنَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا تَعْلَمُ الْكِتَابَةُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(١).

وأما حديث زيد بن أرقم فقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم ومحمد بن نمير واللفظ لابن نمير، قال اسحق أخبرنا - وقال الآخرون حدثنا - أبو معاوية عن عاصم عن عبد الله بن الحارث، وعن أبي عثمان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ آتْ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمَنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمَنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمَنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» رواه النسائي^(٢).

وأما حديث أبي بكرة فأخرجه النسائي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في أثر الصلاة «اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(٣).

وأما حديث عبد الرحمن بن سمرة فقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه (نوادير الأصول): حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد

(١) رواه البخاري (١١/١٧٩) في الدعوات، باب الاستعاذة من أَرْدَلِ الْعُمَرِ، وباب التَعُوذِ مِنَ الْبُخْلِ، وباب التَعُوذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وباب التَعُوذِ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وفي الْجِهَادِ، باب مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ مِنَ الْجُبْنِ.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٨٨ ح/٢٧٢٢) في الذكر، باب التَعُوذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، وَالنَّسَائِيُّ (٨/٢٦٠) في الاستعاذة، باب الاستعاذة مِنَ الْعَجْزِ.

(٣) رواه أحمد (٥/٣٦ و ٣٩) والنسائي (٨/٢٦٢) في الاستعاذة، باب الإِسْتِعَاذَةِ مِنَ الْفَقْرِ، وفي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (ص ١٤٦ ح/٢٢) وابن حبان (٢/١٨٣ الإحسان) وابن السني في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (ص ٢٤ - ٢٥ ح/٦٩) والحاكم في الْمُسْتَدْرَكِ (١/٢٥٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حديث حسن.

الرحمن بن أبي عبدالله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال :
خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ ونحنُ في مسجدِ المدينة فقال «إني رأيتُ
البارحةَ عجباً، رأيتُ رجلاً من أُمّتي جاءَ ملكَ الموتِ ليقبضَ روحَهُ، فجاءَ بِرُهُ
بوالديه فردَّ عنه . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قد بسطَ عليه عذابَ القبرِ، فجاءه وضوؤه
فاستنقذه من ذلك . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قد احتوشته الشياطينُ، فجاءه ذِكْرُ الله
عز وجل فخلصه من بينهم . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قد احتوشته ملائكةُ العذابِ،
فجاءته صلاته فاستنقذته مِنْ أيديهم . ورأيتُ رجلاً مِنْ أُمّتي يلتهب عطشاً، كلما
ورد حوضاً منع منه، فجاءه صياؤه فسقاه وأرواه . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي من بين
يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة
ومن تحته ظلمة، وهو متحيرٌ فيها، فجاءته حجتُه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة
وأدخلاه النور . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي يكلمُ المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلةُ
الرحم فقالت : يامعشر المؤمنين كلّموه، فكلّموه . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي يتقي
وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت له ستراً على وجهه
وظلاً على رأسه . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره
بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة،
ورأيتُ رجلاً من أُمّتي جاثياً على ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حُسْنُ
خُلُقِهِ فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قد هوت
صحيفته من قِبَلِ شماله، فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذَ صحيفته فجعلها في
يمينه . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قَدْ خَفَّ ميزانه، فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه .
ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قائماً على شفير جهنم، فجاءهُ وَجَلُهُ من الله فاستنقذه من
ذلك ومضى . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي هوى في النار، فجاءته دموعُهُ التي بكت من
خشيةِ الله في الدنيا فاستخرجته من النار . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي قائماً على
الصُّراط كما ترعد السعفة، فجاء حسنُ ظَنِّهِ بالله فَسَكَنَ رعدته ومضى . ورأيتُ
رجلاً من أُمّتي على الصُّراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً، فجاءته صلاته فأخذت
بيده فأقامته ومضى على الصُّراط . ورأيتُ رجلاً من أُمّتي انتهى إلى باب الجنة
فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته

الجنة»^(١). ورواه القرطبي رحمه الله في تذكرته وقال: هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة.

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فرواه النسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكسل والهرم والمغرم والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار»^(٢).

وللحكيم الترمذي عنه رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتردُّ لنا عقولنا يا رسول الله؟ قال: نعم كهَيِّتُكُمْ الْيَوْمَ. فقال عمر: في فيه الحجر»^(٣).

وروى البغوي عنه رضي الله عنه موقوفاً عليه: إذا توفي العبدُ المؤمنُ أرسلَ اللهُ عز وجل ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها: أخرجي يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، أخرجي إلى روحٍ وريحانٍ وربٍّ عَنكَ راضٍ. فتخرجُ كأطيب ريحٍ مِنسكٍ وجده أحدٌ في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روحٌ طيبةٌ - أو نسمةٌ طيبةٌ - فلا تمرُّ ببابٍ إلَّا فُتِحَ لها، ولا بملكٍ إلَّا صلى عليها، حتى يُوْتَمَى بها الرحمن عز وجل فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفسِ المؤمنين. ثم يُؤمر فيوسع عليه قبره، سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ له الرِّيحان، وإن كان معه شيءٌ من القرآن

(١) الحكيم الترمذي شهد عليه بالكفر وأخرج من ترمذ. وأبوه علي بن الحسن بن بشر لم أجد له ترجمة وقول القرطبي هذا في تذكرته (٢٤٢/١).

(٢) رواه أحمد (١٨٥/٢) والنسائي (٢٦٩/٨) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهرم. وإسناده حسن وشواهد في الصحيحين عن عائشة وأنس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد (١٧٢/٢) وابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير (مجمع الزوائد ٥٠/٣) والأجري في الشريعة (ص ٣٦٧) وابن عدي في الكامل (٨٥٥/٢) وابن حبان (٤٧/٥) والحكيم الترمذي غير مسند في نوادر الأصول (ص ٤١) في ذكر فتاني القبر. قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. قلت: ليس الحال كما قال بل في سند أحمد ابن لهيعة وحيي بن عبد الله المصري وليس من رجال الصحيحين وقد تابع ابن لهيعة ابن وهب فإسناده حسن إن سلم من حيي بن عبد الله المصري فإنه صدوق بهم.

كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نورٌ مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أَحَبُّ أهله إليه. وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بحاد أتن وأخشن من كل خشن فيقال: يا أَيُّهَا النَّفْسُ الخبيثة، اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم، ورب عليك غضبان»^(١).

وأما حديث أبيه عمرو بن العاص فرواه مسلم في قصة وفاته مطولاً، وفيه: «فإذا أنا متُ فلا تصحبني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفتُموني فشنُّوا عليَّ الترابَ شناً، ثم أقيموا حول قبري قَدْرَ ما تُنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رُسُلُ ربي عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وأما حديث أم مبشر فأخرجه عنها ابن أبي شيبة في مصنفه قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج فسمعتة يقول «إستعيذوا بالله من عذابِ القبرِ» قلت: يا رسول الله وللقبرِ عذابٌ؟ قال «إنهم ليعذبون عذاباً في قبورهم تسمعه البهائم»^(٣).

وأما حديث أبي قتادة رضي الله عنه فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه في قوله تعالى «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» (ابراهيم/٢٧) الآية قال: إِنَّ المؤمنَ إذا مات أُجْلِسَ في قبره فيقال له: من ربُّك؟ فيقول: الله عَزَّ وَجَلَّ. فيقال له: من نبيِّك؟ فيقول: محمد بن عبد الله ﷺ. فيقال له ذلك مرات، ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زغت، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك

-
- (١) البغوي في معالم التنزيل (٥٧٢/٥ - ٥٧٣) من غير إسناد من حديث ابن عمر وليس عمرو.
(٢) رواه مسلم (١١٢/١ ح ١٢١) في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.
(٣) رواه أحمد (٣٦٢/٦) قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٥٩/٣) وهو كما قال وابن أبي شيبة في مصنفه () .

من الجنة إذ ثبت. وإذا مات الكافر أُجلس في قبره فيقال له: من ربك، من نبئك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال له: لا دريت. ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبت. ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذا زغت. فذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (ابراهيم/٢٧)^(١).

وأما حديث عبدالله بن مسعود فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم بن سويد عن عبدالرحمن بن يزيد عن عبدالله رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له» قال أراه قال فيهن «له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبور»، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً «أصبحنا وأصبح الملك لله»^(٢). حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن الحسن بن عبيد الله الخ بنحوه، وفيه «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهزم وسوء الكبر وقتنة الدنيا وعذاب القبر»^(٣).

وقال النسائي: أخبرنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا الفضل بن موسى عن زكريا عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (ابن كثير ٢/٥٥٤) وابن منده والطبراني في الأوسط (الدر المنثور ٣٠/٥). وإبراهيم بن يوسف هو بن اسحق بن أبي اسحق السبيعي وأبو اسحق هو السبيعي. وعامر قال عنه الحافظ مقبول. قلت وثقه ابن حبان وروى عنه عدة وأخرج له مسلم في صحيح حديثه حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٨٨ ح/٢٧٢٣) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٠٨٩ ح/٢٧٢٣) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

«كان النبي ﷺ يتعوذ من خمس: من البخل، والجبن، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر»^(١).

وروى الطحاوي عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أمر بعبدٍ من عباد الله أن يُضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلاً عليه قبره ناراً»^(٢) الحديث ذكره العيني في شرح البخاري والله أعلم بصحته. وعزاه في التبصرة إلى أبي القاسم الحريري، وتقدم عنه قريباً حديث أم حبيبة وفيه الاستعاذة من عذاب اقبر.

وأما حديث أبي طلحة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثني عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا انس بن مالك عن أبي طلحة «أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقلدوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر بإحلالته، فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسولهُ، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ قال فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»^(٣). قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً.

وأما حديث أسماء الآخر فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حجين ابن المشني حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر

(١) رواه النسائي (٢٥٦/٢) في الاستعاذة من البخل، وهو حديث حسن.

(٢) وقد ذكره القرطبي في التذكرة (ص ١٣٧) بأطول من هذا.

(٣) راه البخاري (٣٠٠/٧ - ٣٠١) في المغازي، باب قتل أبي جهل، ومسلم (٢٢٠٤/٤) ح (٢٨٧٥)

في الجنة وصفه نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

قال: كانت أسماء - يعني بنت الصديق رضي الله عنها - تحدث عن النبي ﷺ قالت: قال «إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً أحفَّ به عمله الصلاة والصيام، قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فتردّه، ومن نحو الصيام فيرده، قال: فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ يعني النبي ﷺ. قال: من؟ قال: محمد. قال: أشهد أنه رسول الله. قال فيقول: على ذلك عشت وعليه متٌ وعليه تبعث. وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد. قال يقول: والله ما أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته. قال له الملك: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث. قال ويسلط عليه دابةً في قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاء الله صمّاء لا تسمع صوته فترحمه»^(١) والأنسب لمكان هذا الحديث أن ينقل عند حديثي أسماء الأولين.

وأما حديث عبد الرحمن بن حَسَنَةَ فقال أبو داود: حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال «انطلقتُ أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومع درقة ثم استتر بها ثم بال، فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال: ألم تعلموا ما لقي صاحب بني اسرائيل، كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذب في قبره»، ورواه النسائي وابن ماجه^(٢).

وأما حديث تميم الداري فرواه أبو يعلى الموصلي بنسده عنه مطولاً بسياق عجيب ومتن غريب^(٣) وغالب معناه في الأحاديث الصحيحة فلا نطيل بسياقه استغناء عنه بغيره والله الحمد والمنة.

(١) رواه أحمد (٢٥٢/٦ - ٢٥٣) والطبراني في الكبير طرفاً من (٢٤/١٠٥/ح ٢٨١) قال الهيثمي ورجال أحمد رجال الصحيح (المجمع ٥٤/٣). وقد روي عنها عندهما من طريق أخرى.

(٢) رواه أحمد (١٩٦/٤)، وأبو داود (٢٢/٦/ح ٢٢) في الطهارة، باب الاستبراء من البول، والنسائي (٢٦/١ - ٢٨) في الطهارة، باب البول إلى السترة يستتر بها، وابن ماجه (١٢٤/١/ح ٣٤٦) فيه، باب التشديد في البول. وعبد الواحد بن زياد في حديثه عن الأعمش مقال: وتابعه عند أحمد وابن ماجه والنسائي أبو معاوية فسنده صحيح جداً.

(٣) ذكره ابن كثير بسنده في تفسيره (٥٥٥/٢ - ٥٥٦) وسنده ضعيف فيه يزيد الرفاشي وهو ضعيف =

وأما حديث حذيفة فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال : قال عقبه لحذيفة «ألا تحدثنا ما سمعت من النبي ﷺ؟ قال : سمعته يقول : إن رجلاً حضره الموت لمّا يس من الحياة أوصى أهله إذا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أورو ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في يوم حار أو راح ، فجمعه الله فقال : لم فعلت؟ قال : خشيتك . فغفر له». قال عقبه وأنا سمعته يقول : حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك وقال «في يوم راح»^(١) . وقد تقدمت هذه القصة من حديث أبي سعيد الخدري .

وقد رواها البخاري رحمه تعالى أيضاً من حديث أبي هريرة فقال : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «كان رجل يسرف على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبي : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح ، فوالله لئن قدر عليّ ربّي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً . فلما مات فعل به ذلك . فأمر الله تعالى الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه ، ففعلت ، فإذا هو قائم ، فقال : ما حملك على ما صنعت؟ فقال : يا ربّ خشيتك حملتني . فغفر له» وقال غيره «مخافتك يا رب»^(٢) ، ومحل هذا الحديث مع أحاديث أبي هريرة المتقدمة فلينقل إلى هناك .

وأما حديث أبي موسى فرواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وهذا لفظ أحمد : عن أبي موسى رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال «الميت يعذبُ ببكاء الحيّ ، إذا قالت النائحة : واعضدها ، واناصرها ، واكاسبها ، جُبد الميت وقيل : أنت عضدها ، أنت ناصرها ، أنت كاسبها؟» . ولفظ الترمذي «ما من ميت يموت

= وبكر بن خنيس له أغلاط وفيه من لم أجد لهم ترجمة أبو عاصم الخطبي وضرار بن عمرو .
(١) رواه البخاري (٣١٢/١١ - ٣١٣) في الرقاق ، باب الخوف من الله .

(٢) رواه البخاري (٤٦٦/١٣) في التوحيد ، باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، وفي الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم (٢٢١٠/٤ ح/ ٢٧٥٦) في التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

فيقوم بأكيه فيقول: واجبلاه واسنده أو نحو ذلك إلا وُكِّلَ به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟»^(١).

وأما حديث النعمان بن بشير فرواه الشيخان البخاري ومسلم عنه رضي الله عنه قال «أُغْمِيَ على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه، واكذا واكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلبت شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه رضي الله عنه»^(٢).

وأما حديث عوف بن مالك فقال مسلم رحمه الله تعالى: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي معاوية بن صالح عن حبيب بن عبيد عن جبير بن نفير سمعه يقول سمعتُ عوف بن مالك يقول «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على جنازةٍ فحفظت من دعائه وهو يقول: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسّع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونفّقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدّنس، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»^(٣) قال حتى تمنيتُ أن أكون ذلك الميت. وفي رواية «وقه فتنة القبر وعذاب النار»^(٤).

[نصوص الكتاب والسنة في لقاء الله]

وباللقاء والبعث والنشور وبقيامنا من القبور
غُرلاً حفاة كجرادٍ منتشرٍ يقول ذو الكفرانِ ذا يوم عسيرٍ

(١) رواه أحمد (٤١٤/٤)، والترمذي (٣٢٦/٣ ح/١٠٠٣) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت، وابن ماجه (٥٠٨/١ ح/١٥٩٤) فيه، باب ما جاء في الميت يعذب بما نبح عليه والحاكم (٤٧١/٢) وصححه. وسنده حسن فيه. موسى بن أبي موسى الأشعري قال عنه الحافظ مقبول. وللحديث شواهد قد تقدم بعضها ومنها الذي يليه.

(٢) رواه البخاري (٥١٦/٧) في المغازي، باب غزوه مؤتة. قلت وقد وهم المصنف رحمه الله في عزوه إلى مسلم، فلم يخرجهم مسلم ولا أحد من الستة سوى البخاري. وانظر تأكيد ذلك في تحفة الأشراف (٢٥/٩ ح/١١٦٢٩) وجامع الأصول لابن الأثير.

(٣) رواه مسلم (٦٦٢/٢ ح/٩٦٣) في الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة.

أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله عز وجل الحاصل فيه، قال الله تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/ ٤٥) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق/ ٦) وقال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف/ ١١٠) وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَٰئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يونس/ ٧) وقال تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ (الأنعام/ ٣١) وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ (يونس/ ١٥) وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهَمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت/ ٥) وقال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ (البقرة/ ٢٢٣) وقال تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة/ ٢٤٩) وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان/ ٣٢) وقال تعالى ﴿فَاعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة/ ٧٧) وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (النبا/ ٢٧) وغيرها من الآيات.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» فقلت: يا نبي الله أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت. فقال «ليس كذلك، ولكنَّ المؤمنَ إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله فأحبَّ الله لِقَاءَهُ، وإنَّ الكافرَ إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه - وفي رواية - والموت قبل لقاء الله»^(١).

(١) رواه البخاري (٣٥٧/١١) في الرِّقَاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومسلم (٢٠٦٥/٤ ح ٢٠٦٦) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه.

وفيه عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قال فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا إِنَّ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا. فَقَالَتْ: إِنَّ الْهَالِكَ مِنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ. فَقَالَتْ: قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ وَحُشِرَ الصَّدْرُ وَأَقْشَعَرَ الْجِلْدُ وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ فَعِنْدَ ذَلِكَ مِنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ^(١). وفيه عن عبادة بن الصامت^(٢) وأبي موسى الأشعري^(٣) عن النبي ﷺ المرفوع منه دون شرحه.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى. قال فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول فإنني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا. فيقول فإنني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدق وتبيخي بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذا. قال ثم يقال له:

(١) رواه مسلم (٢٠٦٦/٤) ح/ (٢٦٨٥) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٢) البخاري (٣٥٧/١١) في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

ومسلم (٢٠٦٥/٤) ح/ (٢٦٨٣) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٣) البخاري (٣٥٧/١١) في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. ومسلم (٢٠٦٧/٤) ح/

(٢٦٨٦) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

الآن نبعثُ شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه من الذي يشهد على؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذهُ ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»^(١).

وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة «بَلَّغُوا قَوْمَنَا عَنَّا أَنَّ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ»^(٢).

وروى أَنَّهُ كَانَ قَرَأْنَا فَنَسَخَتْ تِلَاوَتَهُ.

والآيات والأحاديث في إثبات لقاء الله عز وجل كثيرة جداً، ومن كَذَبَ بذلك كفر.

[الإيمان بالبعث والنشور]

(والبعث والنشور) أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَآخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/ ٥٦) وقال تعالى ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/ ٧٣). وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/ ٢٤٣). وقال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة/ ٢٨).

وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

(١) مسلم (٤/٢٢٧٩/ح ٢٩٦٨) في الزهد والرفاق.

(٢) مسلم (١/٤٦٨/ح ٦٧٧) في المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة.

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ، وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ. وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْزُقْنِي كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ، قَالَ بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة/ ٢٥٨ - ٢٦٠﴾.

وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرَى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، كَذَلِكَ نَخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف/ ٥٧)، وقال تعالى ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنْآ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الرعد/ ٥). وقال تعالى ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ، قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا، قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ (الأنعام/ ٣٠ - ٣١) الآيات. وقال تعالى ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفٌ وَعَدِهِ رُسُلُهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم/ ٤٧ - ٤٨)، الآيات.

وقال تعالى ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُخْشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجر/ ٢٣ - ٢٥)، وقال تعالى ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿التوبة/١٠٥﴾، وقال تعالى ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ، قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا. يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء/٤٩-٥٢)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الإسراء/٩٧-٩٩)، وقال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء/١٠٤)، وقال تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (الكهف/١٢)، وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ (الكهف/١٩-٢١)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَنَحْشُرَنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَنَا نَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (الكهف/٤٧-٤٨) الآيات. وقال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف/٩٩) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا. فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم/٦٨) الآيات إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه/٥٥) وقال تعالى

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا عَشْرًا. نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا يَوْمًا. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا. فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه/ ١٠٢-١٠٨) الآيات.

وقال تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/ ١).
 وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (الأنبياء/ ٣٨-٣٩). وقال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٤)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ. وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ. كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشْدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا. وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَبِّرُ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج/ ١-٧)، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ،

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿(المؤمنون/ ١٢- ١٦).﴾

وقال تعالى عن كفر عاد ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ، أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ. هِيَ هَاتِ هِيَ هَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ. إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون/ ٣٣- ٣٧) الآيات. وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ، إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون/ ٨٠- ٨٣)، وقال تعالى ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ. قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ. قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون/ ١١٢- ١١٦)، وقال تعالى ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور/ ٦٤).

وقال تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان/ ٣)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ، قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلقاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (يونس/ ٤٥)، وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (يونس/ ٣٤)، وقال تعالى ﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَلِلَّهِ

مَعَ اللَّهِ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - بَلْ إِدَارِكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ﴿النمل/ ٦٤ - ٨٧﴾ الْآيَاتِ.

وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (العنكبوت/ ١٩ - ٢٢)، وقال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ. أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الروم/ ٦ - ١١) الْآيَاتِ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ. وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَائِتُونَ. وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم/ ٢٥ - ٢٧) الْآيَاتِ.

وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/ ٤٠). وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ

كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَيْفَ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ. فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿الرُّومُ/ ٤٨ - ٥٠﴾، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الرُّومُ/ ٥٥ - ٥٦) الآيات.

وقال تعالى ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان/ ٢٨). وقال تعالى ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ، بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ. قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة/ ١٠ - ١١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَيَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب/ ٦٣)، وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَخِيرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سبأ/ ٢٩ - ٣٠) الآيات. وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبأ/ ٥١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ أَنْتُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سبأ/ ٧). وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر/ ٩) وقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس/ ١٢) وقال تعالى ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (يس/ ٣٣) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا

صِيحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ. فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا. هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ. إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٤٨-٥٣﴾ (يس/الآيات).

وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ، بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٧-٨٣﴾ وقال تعالى ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا، إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ، بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ، وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ، وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ، وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ، أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوْ آبَاءُنَا الْأَوَّلُونَ، قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ، وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ، هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١١-٢٣﴾ (الصافات/الآيات).

وقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٦﴾ (الحجر/الآيات)، وقال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٠﴾ (الزمر/الآيات) وقال تعالى ﴿لِيُنذَرَ يَوْمَ التَّلَاقِ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿١٦﴾ (غافر/الآيات).

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿٣٣﴾ (غافر/الآيات)، وقال تعالى

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت/ ٣٩) وقال تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ، أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (فصلت/ ٥٤)، وقال تعالى ﴿وَيُنذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى/ ٧)، وقال تعالى ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف/ ١١)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ، فَاتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ، وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الدخان/ ٣٤ - ٤٠) الآيات .

وقال تعالى ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الحاثية/ ٢٢) . وقال تعالى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتَوَّأ بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الحاثية/ ٢٤ - ٢٦) الآيات .

وقال تعالى ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف/ ٣٣)، وقال تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾ (ق/ ١ - ٤) إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا - إِلَى قَوْلِهِ - إِنَّمَا

تُوعِدُونَ لَصَادِقٍ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿الذاريات/ ١- ٦﴾. وقال تعالى ﴿وَالطُّورُ
وَكِتَابٌ مَّسْطُورٌ - إِلَى قَوْلِهِ - إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مِمَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ، يَوْمَ تَمُورُ
السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ، قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿الطور/ ١- ١١﴾
الآيات. وقال تعالى ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾
(الطور/ ٤٥) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُتَهَيِّ ، وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا﴾ (النجم/ ٤٤) الآيات. وقال تعالى ﴿فَتَنوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ
نُكْرٍ خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ . مُهْطِعِينَ إِلَى
الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر/ ٧) الآيات.

وقوله تعالى ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾ (القمر/ ٤٦) وقال
تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن/ ٣١) إلى آخر السورة، وسورة الواقعة
بتمامها، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبَايِمَانِهِمْ﴾ (الحديد/ ١٢) الآيات.

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ، وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ - إِلَى قَوْلِهِ - ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة/ ٦- ٧). وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ
كَأَنَّهُمْ يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾
(المجادلة/ ١٨)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَشْأُو مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَشْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (المتحنة/ ١٣)، وقال
تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن/ ٩) الآية، وقال
تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ، إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿التَّحْرِيم/٨﴾، وقال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك/٢)، وقال تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم/٣٥) الآيات، وسورة الحاقة بكمالها، وقال تعالى ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج/١) الآيات، وقال تعالى ﴿فَذَرَهُمْ يَخْوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ، يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفَضُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (المعارج/٤٢-٤٣)، وقال تعالى ﴿فَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾ (المزمل/١١) الآيات. وقال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَىٰ الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر/٨)، وقال تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن لَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة/١-٤) الآيات، وقال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى، أَلَمْ يَكْ نُطْفِئْهُ مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَىٰ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (القيامة/٣٦-٤٠). وجاء جوابه في الحديث «بلى إنه على كل شيء قدير»^(١).

وقال تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (الإنسان/١) الآيات بل السورة بتمامها، وجميع السور التي بعدها: المرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق

(١) انظر ابن كثير (٤/٤٨٢).

والطارق والغاشية والفجر والبلد وغيرها من السور، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والارشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر في بدنه ويستدل به على إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسودادها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل بالعاجل وعلى الغيب بالشهادة، فيقول عز وجل ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾، ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾، ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جداً، وقد تقدم كثير منها في مواضع متفرقة، وقال البخاري رحمه الله تعالى «حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقلوه لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»^(١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده «حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بسر بن جحاش قال: إن رسول الله ﷺ «بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا إصْبَعَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ أَنِّي تَعَجَزَنِي وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِثْلَ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَيْتَكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بَرْدِيكَ، وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجُمِعْتَ وَمُنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ أَتَصَدَّقُ، وَأَنْتَ أَوَانُ الصَّدَقَةِ». ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به^(٢).

(١) رواه البخاري (٧٣٩/٨) في تفسير سورة (قل هو الله أحد).

(٢) رواه أحمد (٢١٠/٤)، وابن ماجه (٢٧٠٧/٢) في الوصايا، باب النهي عن الإمساك في =

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عليُّ بنُ الحسين بن الجنيّد حدثنا محمدُ بنُ العلاء حدثنا عثمانُ بنُ سعيد الزيات عن هشيمٍ عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «إِنَّ العاصَ بنَ وائلٍ أخذَ عظماً من البطحاءِ ففَتَّه بيده ثُمَّ قال لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: نعم، يُميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم» قال: ونزلت الآيات من آخر يس^(١).

وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث، منها: وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ في الإنسانِ عظماً لا تأكله الأرضُ أبداً فيه يركب يوم القيامة. قالوا: أيُّ عظمٍ هو يارسول الله؟ قال: عجب الذنب»^(٢) وفيه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «كُلُّ ابنِ آدَمَ يأكله الترابُ إلاَّ عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»^(٣). وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريب محمدُ بنُ العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما بين النفختين أربعون - قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال أبيت، قالوا أربعون شهراً؟ قال أبيت، قالوا أربعون سنة؟ قال أبيت - ثُمَّ يُنزلُ اللَّهُ

= الحياة والتبذير عند الموت. قال البوصري: وإسناد حديثه صحيح رجاله ثقات (مصباح الزجاجة ٣٦٥/٢). قلت فيه عبد الرحمن بن ميسرة قال عنه الحافظ مقبول. قلت: وثقة العجلي وابن حبان ولكن روى عنه عدّة فالحديث حسن إن شاء الله تعالى. وللحديث شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (ابن كثير ٥٨٨/٣)، وابن المنذر والإسماعيلي في معجمه وابن مردويه، والبيهقي في البعث والضيء في المختارة (الدر المنثور ٧٤/٧) والحاكم في المستدرک (٤٢٩/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وفي سند ابن أبي حاتم: عثمان الزيات قال ابن حجر: لا بأس به. قلت: تابعه عمرو بن عون عند الحاكم.

(٢) مسلم (٢٢٧١/٤ ح ٢٩٥٥) في الفتن، باب ما بين النفختين.

(٣) رواه مسلم (٢٢٧١/٤ ح ٢٩٥٥) في الفتن، باب ما بين النفختين.

إِلَّا عَظْماً وَاحِداً وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْأَعْمَشِ بِمَعْنَاهُ، دُونَ قَوْلِهِ «ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»^(٢).

وَتَقْدِمُ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَرِيباً فِيهِ «ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتَا وَرَفَعَ لَيْتَا. قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يَرْسُلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطْراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ - أَوْ الظِّلُّ، نَعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ. قَالَ ثُمَّ يَقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثِ النَّارَ، فَيَقُولُ: مِنْ كَمْ؟ فَيَقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تَسْعَمَائَةِ وَتَسْعَةِ وَتَسْعِينَ. قَالَ فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً، وَذَلِكَ يَوْمٌ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ»^(٣).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أُدْرِي كَذَلِكَ كَانَ أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ»^(٤).

وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ الْآتِي قَرِيباً إِنْ شَاءَ اللَّهُ «ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ أَنْ تَمْطُرَ، فَتَمْطُرُ أَرْبَعِينَ يَوْماً حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ فَوْقَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعاً، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الْأَجْسَادَ أَنْ تَنْبِتَ، فَتَنْبِتُ كَنْبَاتُ الطَّرَائِثِ - أَوْ كَنْبَاتُ الْبَقْلِ - حَتَّى إِذَا تَكَامَلَتْ أَجْسَادُهُمْ، فَكَانَتْ كَمَا كَانَتْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لِيَحْيِيَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، فَيَحْيَوْنَ. وَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِسْرَافِيلَ فَيَأْخُذُ الصُّورَ فَيَضَعُهُ

-
- (١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤/٢٢٧٠ ٢٢٧١ ح/٢٩٥٥) فِي الْفَتَنِ، بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ.
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٥١/٨) فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الزَّمْرِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنَفْخُ فِي الصُّورِ فَصْعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) وَفِي تَفْسِيرِ سُورَةِ (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ).
(٣) تَقْدِمُ تَحْرِيجِهِ سَابِقاً. وَأَنَّ السَّاقَ هُوَ سَاقُ الرَّحْمَنِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٥١/٨) فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الزَّمْرِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنَفْخُ فِي الصُّورِ فَصْعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ).

على فيه ثم يقول: ليحي جبريل وميكائيل، فيحييان. ثم يدعو الله بالأرواح ليؤتى بها، تتوهج أرواح المسلمين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزني وجلالي ليرجعن كلُّ روحٍ إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السمُّ في اللديخ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربِّكم تنسلون»^(١) الحديث.

وروى الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه وفي كتاب السنة له قال: كتب إلي إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدثت بذلك عني، قال حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال «أيُّها النَّاسُ، ألا إنِّي قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام، ألا لتسمعوا اليوم. ألا فهل امرئ بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ؟ ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال، ألا إنِّي مسؤول، هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا. فجلس الناس. وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك فقال: ضنَّ ربُّك بمفاتيح خمسٍ من الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل، وأشار بيده، فقلت: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: علم المنية، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه. وعلم المنى حين يكون

(١) سيأتي بتامه وتخريجه هناك..

في الرَّحْم، قد علمه وما تعلمونه. وعلم ما في غد، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه. وعلم يوم الغيث، يشرف عليكم أزلين^(١) مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب. قال لقيط: فقلت لن نعدم من رب يضحك خيراً يارسول الله. قال: وعلم يوم الساعة. قلنا يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وتعلم، فإننا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد، من مذحج التي تدنو علينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال: تلبثون فيها ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم يُبعث الصيحة، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وخلت البلاد، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوي جالساً، فيقول ربك مهيم لما كان فيه، يقول يا رب أمس اليوم لعهدك بالحياة يحسبه حديثاً بأهله. فقلت: يا رسول الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرف عليها وهي في مدرّة بالية، فقلت لا تحيا أبداً، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء^(٢) ومن مصارعكم فتتظرون إليه وينظر إليكم. قال قلت: يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أنبئك بمثل هذا في آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتهما. قلت: فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما يخطيء وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فينضحه - أو قال فينطحه - بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ويتفرق.

(١) الأزل: الضيق والشدة.

(٢) الأصواء: القبور.

على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطاء أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك عز وجل أو إنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظماً والله ناهلة قط ما رأيته، فلعمر إلهك ما ييسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منها أحداً. قال قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟ قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار. قال قلت: يا رسول الله فبم نجزي من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال ﷺ: الحسنَةُ بعشر أمثالها والسيئةُ بمثلها إلا أن يعفو. قال قلت: يا رسول الله ما الجنة وما النار؟ قال لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. قلت: يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال على أنهار من غسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة. ولعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة. قلت: يا رسول الله أو لنا فيها أزواج ومنهن المصلحات؟ قال: المصلحات للصالحين وفي لفظ الصالحات للصالحين تلذونهن ويلذونكم مثل لذاتكم في الدنيا غير أن لا توالد. قال لقيط: فقلت يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ. قال قلت: يا رسول الله علام أبايعك. فبسط النبي ﷺ يده وقال: على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال المشرك وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره. قال قلت: يا رسول الله وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض رسول الله ﷺ يده وظن أني مشترط ما لا يعطينيه. قال قلت: نحل منها حيث شئنا ولا يجني على امرئ إلا نفسه. فبسط يده وقال: لك ذلك تحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك. قال فانصرفنا عنه ثم قال: ها إن دين، ها إن دين (مرتين)، من أتقى الناس في الأولى والآخرة. فقال له كعب بن الخدارية أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال بنو المنتفق بنو المنتفق أهل ذلك منهم. قال فانصرفنا. وأقبلت عليه فقلت: يا رسول الله هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار. قال فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت

أَنْ أَقُولَ وَأَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا الْأُخْرَى أَجْمَلَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَهْلَكَ؟ قَالَ: وَأَهْلِي، لَعَمْرُ اللَّهِ حَيْثُ مَا أَتَيْتُ عَلَى قَبْرِ [كَافِرٍ] عَامِرِي أَوْ قَرَشِي أَوْ دُوسِي قُلْتُ: أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ مُحَمَّدٌ، فَأُبَشِّرُ بِمَا يَسُوءُكَ، تَجِرُ عَلَى وَجْهِكَ وَبَطْنُكَ فِي النَّارِ. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ وَقَدْ كَانُوا عَلَى عَمَلٍ لَا يَحْسُنُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَكَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ؟ قَالَ ﷺ: ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِي آخِرِ كُلِّ سَبْعٍ أُمَمَ نَبِيًّا فَمَنْ عَصَى نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَمَنْ أَطَاعَ نَبِيَّهُ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ»^(١).

ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد بن منصور الجواز أبو عبد الله قال حدثنا يعقوب بن عيسى الزهري قال حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري ثم السمعاني عن دلهم بن الأسود بن عبد الله عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب، فصلينا معه صلاة الغداة، فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً وذكر الحديث بنحو ما تقدم مع مغايرة في بعض الألفاظ^(٢).

وقال الحافظ ابن القيم بعد أن ساقه في الهدى عن زوائد المسند: هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة المدني رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة

(١) زوائد المسند (٤/١٣ - ١٤) وابن أبي عاصم في السنة (ح/٦٣٦) وعبد الله بن أحمد في السنة (ح/١١٢٠) والطبراني في الكبير (١٩/٢١١/ح/٤٧٧) قال الهيثمي: وأحد طرق عبد الله إسناده متصل ورجاها ثقات (المجمع ١٠/٣٤٣) قلت بل إسناده ضعيف فيه ثلاثة مجاهيل:

١ - عبد الرحمن بن عياش السمعاني
٢ - دلهم بن الأسود.

٣ - الأسود بن عبد الله بن حاجب (أبو دلهم).

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٨٦ - ١٩٠).

السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه وفي كتاب السنة وقال: كتب إلي إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعتة على ما كتبت به إليك فحدث به عني. ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو النزيل في كتاب السنة له. ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب المعرفة. ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في كثير من كتبه. ومنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة. ومنهم الحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ أصبهان. ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه. ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحاق الأصبهاني، وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم. وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصنعاني، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما. قد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن اسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده بل روه على سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاهل أو متجاهل أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبي عبد الله بن منده^(١).

قلت: وقال ابن كثير بعد إيراده في الوفود: هذا حديث غريب جداً، وألفاظه في بعضها نكارة، وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور، وعبد الحق الأشبيلي في العاقبة، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة^(٢). انتهى.

قلت: وقد تكلم ابن القيم عن غريب بعض مفرداته فقال رحمه الله تعالى:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٦٧٣/٣).

(٢) ابن كثير (البداية والنهاية ٨٣/٥). وقد ذكره في البعث والنشور كذلك.

قوله «تهضيب» أي تمطر. و«الأصواء» القبور. و«الشربة» بفتح الراء الحوض الذي يجمع فيه الماء. وبالسكون الحنطة، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب. وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها. وقوله «حسن» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال الأصمعي: وهي مثل أوه. وقوله: يقول عز وجل «أو أنه»، قال ابن قتيبة: فيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك، أو أنه على ما يقول. و«الطوف» الغائط، وفي الحديث «لا يصل أحدكم وهو يدافع الطوف والبول». و«الجسر» الصراط. وقوله: فيقول ربك «مهيم» أي ما شأنك وما أمرك وفيم كنت؟ وقوله «يشرف عليكم أزلين» الأزل بسكون الزاي الشدة والأزل على وزن الكيف هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط. وقوله «فيظل يضحك» هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته. وقد وردت هذه القصة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها، وكذلك «فأصبح ربك يطوف في الأرض» هو من صفات فعله كقوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ (الفجر/٢٢)، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ (الأنعام/١٥٣) و«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا - ويدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة»^(١). والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل.

وقوله «والملائكة الذين عند ربك» لا أعلم موت الملائكة جاء في حديث صريح إلا هذا وحديث اسماعيل ابن رافع الطويل في الصور، وقد يستدل عليه بقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر/٦٨).

وقوله «فلعمر إلهك» هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها وإنها قديمة وأنه يُطلق عليه منها أسماء

المصادر ويوصف بها. وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء وأن الأسماء الحسنی مشتقة من هذه المصادر، دالة عليها. وقوله «ثم تجيء الصّائحة» هي صيحة البعث ونفخته. وقوله «حتى يخلف من عند رأسه» هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده تشبيه النشأة الأخرى بعد الموت بخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلقة من عند رأسه كما ينبت الزرع. وقوله «فيستوي جالساً» هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكباً وإما ماشياً.

وقوله «يقول يا ربّ أمس اليوم» استقلالاً لمدة لبثه في الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال أمس، أو بعض يوم فقال اليوم، يحسب أنه حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم. وقوله «كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع»؟ وإقرا رسول الله ﷺ له على هذا السؤال ردّ على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وأنّ أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعلميات. وفيه دليل أنّهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم. وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أما أعداؤه فالتعنّت والمغالبة، وأما أصحابه فللفهم والبيان وزيادة الإيمان، وهو يجب كلاً على سؤاله، إلا ما لا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة. وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعد ما فرقها وينشئها نشأة أخرى أو يخلقه خلقاً جديداً كما سموا في كتابه كذلك في موضعين منه، وقوله «أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله» ألاؤه نعمه وآياته التي تعرف بها إلى عبادته، وفيه إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه، وفيه أنّ حكم الشيء حكم نظيره وأنّه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله، فقد قرّر الله سبحانه أدلة المعاد في كتابه أحسن تقرير وأبينه وأبلغه وأوصله إلى العقول والفطر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلّا تكديماً له وتعجيزاً له وطعناً في حكمه، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وقوله في الأرض «أشرفت عليها وهي مدرة بالية» كقوله تعالى ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم/ ٥٠)، وقوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (فصلت/ ٣٩) ونظائره في القرآن كثيرة.

وقوله «فتنظرون إليه وينظر إليكم» فيه إثبات صفة التجلي لله عز وجل وإثبات النظر له وإثبات رؤيته في الآخرة ونظر المؤمنين إليه.

وقوله «كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد» قد جاء هذا الحديث وفي قوله في حديث آخر «لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»^(١) والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولاً وأصح أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس والقمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون.

وقوله «فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم» فيه إثبات صفة اليد لله عز وجل بقوله وإثبات الفعل الذي هو النضح. و«الريضة» الملاعة. و«الحمم» جمع حممة وهي الفحمة.

وقوله «ثم ينصرف نبيكم» هذا انصراف من موضع القيامة إلى الجنة. وقوله «ويفرق على أثره الصالحون» أي يفرعون ويمضون على أثره. وقوله «فتطلعون على حوض نبيكم» ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر. وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بيننا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»^(٢) قال فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون

(١) رواه مسلم (١١٣٦/٢) ح (١٤٩٩) في اللعان، من حديث سعد بن عباد. وعلقه البخاري في التوحيد ٣٩٩/٣ مجزوماً.

(٢) البخاري (٤٦٥/١١) في الرقاق، باب في الحوض.

في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسرٌ ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار.

قلت^(١): وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أنَّ الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم، وإنَّ أرادوا أنَّ المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشرّبوا منه فهذا يدلُّ عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط، فإنَّ قوله «طوله شهر وعرضه شهر» فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق والله أعلم.

وقوله «والله على أظماً ناهلة قط» الناهلة العطاش الواردون الماء، أي يردونه أظماً ما هم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط فإنَّه جسرُ النَّارِ وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتدَّ ظمأهم إلى الماء فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة.

وقوله «تحبس الشمس والقمر» أي تختفيان فتحتبسان ولا يريان، والاحتباس التواري والاختفاء، ومنه قول أبي هريرة «فانحبست». وقوله «ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً» يحتمل أن يريد به ما بين الباب والباب هذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين: أحدهما أنه لم يصرح فيه راويه بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاماً، والثاني أنَّ المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه والله أعلم.

وقوله في خمر الجنة «ما بها صداع ولا ندامة» تعريض بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمال وحصول الشر الذي يوجه زوال العقل و«ماء غير آسن» هو الذي لم يتغير بطول مكثه.

(١) هو قول ابن القيم رحمه الله تعالى.

وقوله في نساء الجنة «غير أن لا توالد» قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين: فقالت طائفة لا يكون فيها حمل ولا ولادة، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه في المسند وفيه «غَيْرُ أَنْ لَا مَنَى وَلَا مَنِيَّةٌ»^(١).

وأثبتت طائفة من السلف الولادة في الجنة واحتجت بما رواه الترمذي في جامعه من حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضع وسنه في ساعة كما يشتهي» قال الترمذي حسن غريب، ورواه ابن ماجه^(٢).

قالت الطائفة الأولى: هذا لا يدل على وقوع الولادة في الجنة فإنه علقه بالشرط فقال إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهي، وهذا تأويل اسحاق بن راهويه حكاه البخاري عنه، قالوا والجنة دار جزاء على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء، قالوا والجنة دار خلود ولا موت فيها فلو توالد فيها أهلها على الدوام والأوابد لما وسعتهم، وإنما وسعتهم الدنيا بالموت. وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت «إذا» إنما تكون للمحقق وقوعه لا المشكوك فيه، وقد صح أنه سبحانه ينشئ في الجنة خلقاً ليسكنهم إياها بلا عمل، قالوا وأطفال المسلمين أيضاً فيها بغير عمل، وأما من حيث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم، فإن أدناهم من ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام.

وقوله «يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون» لا جواب لهذه المسألة لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله، وإن أراد أقصى ما نحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهي إليه من ذلك.

(١) أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة (حادي الأرواح ص ١٧٩): وسنده ضعيف جداً فيه خيال بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك وهو ضعيف وله شاهد ضعيف من حديثه في مسند الحسن بن سفيان فيه علي بن زيد الأهواني فالحديث ضعيف لا يقوى بهما.

(٢) الترمذي (٢٥٦٣ ح/٦٩٥/٤) في صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، وابن ماجه (١٤٥٢/٢ ح/٤٣٣٨) في الزهد، باب صفة الجنة. وأحمد (٩/٣) والدارمي (٣٣٧/٢) وسنده جيد.

وإنَّ كَانَ الْإِنْتِهَاءُ إِلَى نَعِيمٍ وَجْهِمِ، وَلِهَذَا لَمْ يَجِبْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

وقوله في عقد البيعة «وزيال المشرك» أي مفارقتة ومعاداته فلا تجاوره ولا تواليه، كما جاء في الحديث الذي في السنن «لا تَرَأَى نَارَهُمَا»^(١) يعني المسلمين والمشركين.

وقوله «حيث ما مررت بقبر كافر فقل: «أرسلني إليك محمد» هذا إرسال تقريع وتوبيخ، لا تبليغ أمر ونهي، وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم، ودليل على أَنَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُوَ فِي النَّارِ وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، لِأَنَّ الْمَشْرُكِينَ كَانُوا قَدْ غَيَّرُوا الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَبَدَّلُوا بِهَا الشُّرْكَ وَارْتَكَبُوهُ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ بِهِ، وَقَبْحُهُ وَالْوَعِيدُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ لَمْ يَزَلْ مَعْلُومًا مِنْ دِينِ الرِّسْلِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَأَخْبَارُ عَقُوبَاتِ اللَّهِ لِأَهْلِهِ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْأُمَمِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى الْمَشْرُكِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا فَطَرَ عِبَادَهُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبُّوبِيَّتِهِ الْمُسْتَلْزَمِ لِتَوْحِيدِ إِلَهِيَّتِهِ وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ فِي كُلِّ فِطْرَةٍ وَعَقْلٍ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ إِلَهٌ آخَرُ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ لَا يَعْذِبُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ وَحْدَهَا، فَلَمْ تَزَلْ دَعْوَةُ الرِّسْلِ إِلَى التَّوْحِيدِ فِي الْأَرْضِ مَعْلُومَةً لِأَهْلِهَا، فَالْمَشْرُكُ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ بِمُخَالَفَتِهِ دَعْوَةَ الرِّسْلِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥ ح/٤٥/٣) في الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود والترمذي (١٥٥/٤ ح/١٦٠٤) في السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين والنسائي (٣٦/٨) في القسامة، باب القود بغير حديدة. وسنده جيد للحديث شواهد.

فصل [منكرو البعث على أربعة أصناف]

ثم منكرو البعث على أربعة أصناف:

صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أَنَّ الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهريّة والطبائعيّة.

والصنف الثاني مِنَ الدهريّة طائفةٌ يقال لهم الدوريّة، وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أَنَّ في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أَنَّ هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول، قبحهم الله تعالى. وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية/ ٣٤) ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول معنى قولهم ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت الآباء ويحيى الأبناء هكذا أبداً، وهو قول الطائفة الأولى. والمعنى الثاني أَنَّهُمْ عَنُوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حساب ولا جزاء، بل ولا موجد ولا معدم ولا محاسب ولا مجازي، وهذا قول الدوريّة.

الصنف الثالث الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم، وهم مقرون بالبداة، وَأَنَّ الله تعالى ربهم وخالقهم ﴿وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الزخرف/ ٨٧) ومع هذا قالوا ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ (الدخان/ ٣٥) فأقروا بالبداة والمبدىء، وأنكروا البعث والمعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة الصحيح «وأما تكذيبه إِيَّايَ فقولهُ لَنْ يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ مِنْ إعادته»^(١).

والصنف الرابع ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقروا بمعاد ليس على ما في

(١) تقدم قبل قليل.

القرآن ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالم
يعدم عدماً محضاً، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحيثُ تكون الأرض
التي تحدّث أخبارها وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هي هذه، وتكون
الأجساد التي تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي
أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم في الجنة وتثاب ليست هي التي
عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال، بل هي غيرها تبتدأ ابتداءً
محضاً، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بدءاً أخرى! وما أحسن ما قاله
ابن القيم رحمه الله فيهم في كافيته:

وقضى بأن الله يجعل خلقه	عدماً ويقلبه وجوداً ثاني
العرش والكرسي والأرواح وال	أملاك والأفلاك والقمران
والأرض والبحر المحيط وسائر ال	أكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا	يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدم أيضاً ثانياً	محض الوجود إعادة بزمان
هذا المعاد وذلك المبدأ لدى	جهم وقد نسبوه للقرآن
هذا الذي قاد ابن سينا والألي	قالوا مقالته إلى الكفران
لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا	أن الرسول عناء بالإيمان
هذا كتاب الله أنى قال ذا	أو عبده المبعوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع	لهمو على الإيمان والاحسان
بل صرح الوحي المبين بأنه	حقاً مغير هذه الأكوان
فيذل الله السماوات العلى	والأرض أيضاً ذان تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكني	النيران عند النضج من نيران
وكذاك يقبض أرضه وسماؤه	بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدّث الأرض التي كنا بها	أخبارها في الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي	من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه	لا شيء هذا ليس في الإمكان
لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ثم تبذل وهي ذات كيان	

وتمدُّ أيضاً مثل مدِّ أديمنا
وتقيُّ يومَ العرضِ منْ أكبادِها
كلَّ يراهُ بعينه وعيانه
وكذا الجبالُ تُفتُّ فتاً محكماً
وتكونُ كالعهنِ الذي لو أنَّه
وتُبسُّ بساً مثل ذاك فتشني
وكذا البحارُ فإنَّها مسجورةُ
وكذلك القمرانِ يَأْذُنُ رَبُّنا
هذي مكورةٌ وهذا خاسف
وكواكبُ الأفلاكِ تشرُّ كلُّها
وكذا السماءُ تُشقُّ شقاً ظاهراً
وتصيرُ بعد الانشقاقِ كمثلي هذا المُهَلِّ أو تك ورده كدهانِ
والعرش والكرسي لا يفنيهما
والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى وما فيها مِنَ الولدانِ
ولأجل هذا قال جهنمُ إنَّها
والأنبياءُ فإنَّهم تحت الثرى
ما للبلى بلحومهم وجسومهم
وكذاك عجب الظَّهْرِ لا يبلى بلى
وكذلك الأرواح لا تبلى كما
ولأجل ذلك لم يقرَّ جهنمُ ما
لكنَّها من بعضِ أعراضِ بها
فالشَّانُ للأرواحِ بعد فراقها
إمَّا عذابٌ أو نعيمٌ دائمٌ
وتصيرُ طيراً سارحاً مع شكلها
وتظلُّ واردةً لأنهارٍ بها
لكنَّ أرواحَ الذين استشهدوا

مِنْ غيرِ أوديةٍ ولا كُثبانٍ
كالاسطوانِ نفائسُ الأثمانِ
ما لامرئٍ بالأخذِ مِنْهُ يَدانِ
فتعود مثل الرَّمْلِ ذي الكُثبانِ
وصباغهُ مِنْ سائِرِ الألوانِ
مثل الهباءِ لناظِرِ الإنسانِ
قد فُجِّرَتْ تفجيرِ ذي سلطانِ
لهما فيجتمعانِ يلتقيانِ
وكلاهما في النَّارِ مطروحانِ
كلَّاليءِ تُثَرَّتْ على ميدانِ
وتمورُ أيضاً أيما مورانِ
هذا المُهَلُّ أو تك ورده كدهانِ
أيضاً وإنَّهما لمخلوقانِ
والمأوى وما فيها مِنَ الولدانِ
عَدَمٌ ولم تخلقِ إلى ذا الآنِ
أجسادهم حُفِظَتْ مِنَ الدُّيدانِ
أبداءٌ وهم تحت التُّرابِ يَدانِ
منه تركب خلقه الإنسانِ
تبلى الجسومُ ولا بلى للحماني
الأرواح خارجةٌ عن الأبدانِ
قامتْ وذا في غايةِ البُطلانِ
أبدانها والله أعظمُ شانِ
قد نعمت بالروحِ والريحانِ
تجني الثمارَ بجنةِ الحيوانِ
حتى تعودَ لذلك الجثمانِ
في جَوْفِ طيرٍ أخضرٍ رِيَّانِ

فلهم بذاك مزية في عيشتهم
 بذلوا الجسومَ لرَبِّهم فأعاضهم
 ولها قناديلُ إليها تنتهي
 فالروحُ بعد الموتِ أكملُ حالةٍ
 وعذابُ أشقاها أشدُّ من الذي
 والقائلونَ بأنَّها عرضُ أبوا
 وإذا أرادَ اللهُ إخراجَ الوري
 ألقى على الأرض التي هم تحتها
 مطراً غليظاً أيضاً متتابعاً
 فتظلُّ تنبت منه أجسام الوري
 حتَّى إذا ما الأم حانَ ولادُها
 أوحى لها ربُّ السَّما فتشَقَّقَتْ
 وتخلت الأم الولودَ وأخرجتْ
 والله ينشئ خلقه في نشأةٍ
 هذا الذي جاء الكتابُ وسُنَّةُ الهادي به فاحرص على الإيمانِ
 ما قال إنَّ الله يعدم خلقه
 ونعيمهم للروح والأبدانِ
 أجسام تلك الطيرَ بالإحسانِ
 مأوى لها كمساكنِ الإنسانِ
 منها بهذى الدارِ في جثمانِ
 قد عاينتُ أبصارُنا بعيانِ
 ذا كله تبأً لذي نكرانِ
 بعد المماتِ إلى المعادِ الثاني
 والله مقتدرٌ وذو سلطانِ
 عشراً وعشراً بعدها عشرا
 ولحومهم كمنابتِ الرِّيحانِ
 وتمخضتْ فنفاسُها متدانِ
 فبدا الجنينُ كأكملِ الشُّبانِ
 أثقالُها أنثى ومن ذكرانِ
 أخرى كما قد قال في القرآنِ
 الهادي به فاحرص على الإيمانِ
 طرّاً كقولِ الجاهلِ الحيرانِ

قوله «هذا المعاد وذلك المبدأ لدى جهنم» تقدم تقريره وتقدم ترجمة جهنم
 وبيان مذهبه وعمن أخذه ومن أخذ عنه . وقوله «وهو الذي قاد ابن سينا» هو أبو
 علي بن سينا واسمه الحسن بن عبدالله ، وهو رئيس الفلاسفة ومهذب مذهبهم ،
 له كتاب الإشارات الذي هذب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلاً إلى الأديان ، وكان
 - فيما ذكر ابن القيم - يقول بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الرب تعالى
 وقدرته وخلق العالم وبعثه من في القبور ، وكان ابن سينا هذا تفقه مذهب
 الفلاسفة من كتب الفارابي أبي نصر التركي الفيلسوف ، وكان الفارابي هذا قبّحه
 الله يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا
 الجاهلة ، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ،
 وتحمل ذلك عنه ابن سينا ونصره ، وقد رد عليه الغزالي في تهافت الفلاسفة في

عشرين مجلساً له كَفَّرَ في ثلاث منها وهي قوله بقديم العالم، وعدم المعاد الجثمانى، وقوله إِنَّ الله لا يعلم الجزئيات، وبدَّعه في البواقي. قال ابن كثير ويقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم. قوله رحمه الله «والألى قالوا مقالته إلى الكفران» يعني بذلك أتباع ابن سينا وأنصار زندقته ومن أكبرهم وأشهرهم النصير الطوسي واسمه محمد بن عبدالله ويقال له الخواجا نصير الدين، فإنه انتدب لنصر مذهب ابن سينا والذب عنه وقام في ذلك وقعد وشرح إشاراتِه وكان يسميها فيما يزعمون قرآن الخاصة، ويسمى كتاب الله تعالى قرآن العامة، ورد على الشهرستاني في مصارعتِه ابن سينا بكتاب سماه مصارعة المصارع، قال ابن القيم: وقفنا على الكتابين، نصر فيه أَنَّ الله تعالى لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام، وأنه لا يعلم شيئاً، وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولا يبعث من في القبور. وذكر عنه أنه تعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام، إلى أن قال: وبالجملَة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. قلت وكان الطوسي هذا فيما ذكر أهل التاريخ وزيراً لهولاكوخان وهو الذي بنى الرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم ونقل إليها أوقاف المسلمين من النفقات والمكاتب وغيرها. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: إنه عمل الرصد بمدينة مراغة سنة سبع وخمسين وستمئة فعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ورتب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم. وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام عليه فليراجع. وأما هولاكوخان ملك التتار الذي كان الطوسي وزيراً له فذكر ابن كثير هلاكه في سنة أربع وستين وستمئة وقال: كان ملكاً جباراً كفاراً لعنة الله تعالى، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجزيه على ذلك شر الجزاء. كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق. وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة. وهو كان يتراعى على محبة المعقولات ولا يتصور منها شيئاً.

وإنما كان همته في تدبير الملك وتملك البلاد شيئاً فشيئاً حتى أباده الله في هذه السنة وقيل في سنة ثلاث وستين ودفن في مدينة تلاً^(١). لا رحمه الله تبارك وتعالى.

وقول ابن القيم رحمه الله :

بل صَرَّح الوحي المبين بأنه حقاً مغيرُ هذه الأكوان الخ

يشير بذلك إلى قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (ابراهيم/٤٨) الآيات، وإلى ما في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يَحْشُرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرْصَةِ النَّقَى لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»^(٢).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّى أَحَدُكُمْ خَبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣).

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنا أَوَّلُ النَّاسِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (ابراهيم/٤٨) قالت قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال «على الصراط»^(٤).

وفيه من حديث اليهودي الذي سأل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تُبَدَّلُ

(١) البداية والنهاية (٢٤٨/١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٧٢/١١) في الرقاق، باب يقبض الله الأرض، ومسلم (٢١٥٠/٤) ح (٢٧٩٠) في صفات المنافقين، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة. والنقي: الخبز الحواري كما قال أبو عبيد.

(٣) رواه البخاري (٣٧٢/١١) في الرقاق، باب يقبض الله الأرض ومسلم (٢١٥١/٤) ح (٢٧٩٢) في صفات المنافقين، باب نزل أهل الجنة.

(٤) رواه مسلم (٢١٥٠/٤) ح (٢٧٩١) في صفات المنافقين، باب في البعث والنشور.

الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ «هم في الظلمة دون الجسر»^(١) الحديث.

ولابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن حبراً من اليهود سأل النبي ﷺ فقال: أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (ابراهيم/٤٨) فأين الخلق عند ذلك؟ فقال «أضياف الله، فلن يعجزهم ما لديه»^(٢)، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً.

وفي حديث الصور الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة»^(٣) وهذا هو الذي أشار رحمه الله تعالى إليه بقوله: وتمد أيضاً مثل مد أديمنا الخ البيت. وقوله: وهما كتبديل الجلود لساكني النيران إلى آخر، يشير إلى قول الله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء/٥٦) ووجه المشابهة بين التبدلين أن جلود الكفار كلما احترقت قيل لها عودي فعادت كما كانت، ومعنى قوله «غيرها» أي صارت غيرها لعودها بعدما نضجت واحترقت، وإلا فهي هي التي عملت المعاصي في الدنيا وبها تجازى في الآخرة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلوداً بيضاً أمثال القراطيس، يعني تجدد لهم الجلود التي نضجت كذلك ليتجدد لهم العذاب أبداً والعياذ بالله، وكذلك تبديل الأرض والسموات هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهي هي. والله أعلم.

(١) رواه مسلم (٢٥٢/٤) ح (٣١٥) في الحيض، باب بيان صفة مَنِي الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٥٣/١٣) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٥٦٣/٢) وسنده ضعيف جداً فيه أبو بكر ابن عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف وسعيد بن ثوبان الكلاعي ترجمه له ابن أبي حاتم (٩/١/٢) وبيض له.

(٣) سيأتي بتمامه وتخرجه.

وقوله رحمه الله تعالى : وكذلك يقبض أرضه وسماؤه بيديه الخ . يشير إلى قول الله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٤) وقوله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر/ ٦٧) . وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجلٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ عز وجل يجعل السَّمَوَاتِ على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الزمر/ ٦٧) ^(١) الآية .

وللإمام أحمد والترمذي رحمهما الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ يهوديٌّ برسول الله ﷺ وهو جالسٌ فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذِه؟ وأشار بالسبابة ، والأرض على ذِه والجبال على ذِه وسائر الخلق على ذِه ، كل ذلك ويشير بأصابعه ، قال فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر/ ٦٧) ^(٢) الآية .

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «يَقْبِضُ اللَّهُ تعالى الأرض ويَطْوِي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض» ^(٣) وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن

(١) رواه البخاري (٥٥٠/٨ - ٥٥١) في الرقاق ، باب قوله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره) ، ومسلم (٢١٤٧/٤ ح/ ٢٧٨٦) في صفات المنافقين ، باب صفة القيامة والجنة والنار .

(٢) رواه أحمد (ح ٢٢٦٧ نسخة أحمد شاكر) والترمذي (٣٧١/٥ ح/ ٣٢٤٠) في التفسير ، باب ومن سورة الزمر وقال : حسن غريب صحيح . لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وفي سند أحمد حسين بن حسن الأشقر وهو ضعيف وتابعه عند الترمذي محمد بن الصلت . فالحديث صحيح .

(٣) رواه البخاري (٥٥١/٨) في تفسير سورة الزمر ، باب قوله تعالى : (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) ومسلم (٢١٤٨/٤ ح/ ٢٧٨٧) في صفات المنافقين ، باب صفة القيامة والجنة والنار .

رسول الله ﷺ قال «إِنَّ الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على اصبع وتكون السَّمَوَاتُ بيمينه ثم يقول أنا الملك»^(١). وفي لفظ لمسلم «يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك - ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الملك، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحركُ من أسفل شيءٍ منه حتى إني لأقول أساقطُ هو برسول الله ﷺ»^(٢)، ولفظ أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال «إِنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر/٦٧) ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجّد الربُّ نفسه، أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرنُ به»^(٣).

ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يطوي الله السَّمَوَاتِ السبع بما فيها من الخليفة والأرضين السبع بما فيها من الخليفة، يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة^(٤).

وقوله رحمه الله تعالى «وتحدّث الأرض التي كنا بها، أخبارها الخ» يشير إلى قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة/٤ - ٥) وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة/٤) قال «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فَإِنْ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عمل على ظهرها، أَنْ تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا. فهذه أخبارها» ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب^(٥).

(١) البخاري (٣٩٣/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي). ومسلم (٢١٤٨/٤) ح/٢٧٨٨ في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) مسلم (٢١٤٨/٤) ح/٢٧٨٨ في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) أحمد (٧٢/٢) وسنده على شرطيهما.

(٤) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ (الدر المنثور ٧/٢٤٨).

(٥) رواه أحمد (٣٧٤/٢) والترمذي (٤٤٦/٥) ح/٣٣٥٣ في التفسير، باب ومن سورة إذا زلزلت الأرض، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد سمع ربعة الجرشي أنَّ رسول الله ﷺ قال: تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحدٍ عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة^(١) وقال البخاري رحمه الله تعالى: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد. وكذا قال ابن عباس. وعنه رضي الله عنه قال: قال لها ربها قولي فقالت: وقال مجاهد: أوحى لها أي أمرها.

وقوله رحمه الله تعالى:

وتقىء يوم العرض من أكبادها كالأسطوان نفائس الأثمان

كل يراه بعينه الخ. يشير إلى قول الله عز وجل ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (الزلزلة/٢) وإلى ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تُلْقَى الْأَرْضُ أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قُتِلْتُ، ويجيء القاطع فيقول في هذا قُطِعْتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قُطِعْتُ يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً^(٢)».

وقوله «وكذا الجبال تفت فتاً محكماً الخ» يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (طه/١٠٦) وقوله عز وجل ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (النمل/٨٨) الآية، وقوله عز وجل ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ (الواقعة/٥-٦) وقوله عز وجل ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (المعارج/٩) وفي سورة القارة ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (القارة/٥) وقوله عز وجل

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥/٦٥٠/ح/٤٥٩٦). وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وربعة الجرشي مختلف في صحبته.

(٢) رواه مسلم (٢/٧٠١/ح/١٠١٣) في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلاً﴾ (المزمل/١٤) وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (المرسلات/١٠) وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (التكوير/٣) وقوله عز وجل ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبا/٢٠) وقوله عز وجل ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة/١٤) وقوله عز وجل ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (الكهف/٤٧) وما في معانيها من الآيات. قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾^(١) أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (طه/١٠٥) أي يذهبها عن أماكنها ويسيرها تسيراً فيذرها أي الأرض قاعاً صافصفاً أي بسطاً واحداً، والقاع هو المنبسط المستوي من الأرض والصفصاف الأملس ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (طه/١٠٧) أي لا ترى في الأرض يومئذٍ وادياً ولا رابية ولا صدعاً ولا أكمة ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً. كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم الله تعالى. وقوله تعالى ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ أي قائمة واقفة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (النمل/٨٨) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض، قال البغوي رحمه الله تعالى: وذلك أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَظِيمٍ وَكُلُّ جَمْعٍ كَثِيرٍ يَقْصُرُ عَنْهُ الْبَصَرُ لِكَثْرَتِهِ وَبَعْدَ مَا بَيْنَ أَطْرَافِهِ فَهُوَ فِي حِسَابِ النَّازِرِ وَاقِفٌ وَهُوَ سَائِرٌ، كَذَلِكَ سِيرَ الْجِبَالُ لَا يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَظَمَتِهَا، كَمَا أَنَّ سِيرَ السَّحَابِ لَا يَرَى لِعَظَمَتِهِ وَهُوَ سَائِرٌ. وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم في قوله تعالى ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ (الواقعة/٥): أي فتت فتاً. وقال عطاء ومجاهد ومقاتل: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسراً. وقال الكلبي: سُيِّرَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ تَسِيرًا. وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت. ونظيرها ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (طه/١٠٥) وقال ابن كيسان:

(١) ذكره البغوي من غير إسناد (معالم التنزيل ٣١/٤) ولم أجده في غيره.

جعلت كثيراً مهياً بعد أن كانت شامخة طويلة، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ (الواقعة/٦): غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء. وقال أبو اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه ﴿هَبَاءٌ مُنْبَثًّا﴾: كوهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء^(١).

وقال العوفي عن ابن عباس: الهباء يطير من النار إذا اضطربت، يطير منه الشر، فإذا وقع لم يكن شيئاً^(٢).

وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته. وقال قتادة: هباء منبثاً، كيبس الشجر الذي تذروه الرياح، وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جببر والحسن وقاتدة وعطاء الخراساني والضحاك والسدي: العهن الصوف، وقال البغوي: كالصوف المصبوغ، ولا يقال عهن إلا للمصبوغ. وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف. وقال: المنفوش المندوف. وقال ابن كثير: المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق. وقال في قوله ﴿كَثِيباً مَّهِلًا﴾: أي تصير ككتبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء. وقال البغوي: رملًا سائلاً. قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال أهلت الرمل أهيله هيلاً إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه. وقال ﴿نُسِفَتْ﴾: قلعت من أماكنها. وقال ابن كثير: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر. وقال في ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: أي يخيل إلى الناظر أنها شيء، وليس بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر. وقال في ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ﴾: تذهب عن أماكنها وتزول. ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (الكهف/٤٧) أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يوارى أحداً، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية. قال مجاهد وقاتدة ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (الكهف/٤٧): لا حجر فيها ولا غيابة. وقال قتادة أيضاً: لا بناء ولا شجر. وقال البغوي: ﴿فَدَكَّتَا﴾ كسرتا ﴿دَكَّةً﴾ كسرة

(١) الحارث هو الأعور: متهم مع ضعفه. وأبو اسحق هو السبيعي.

(٢) العوفي هو عطية: ضعيف.

﴿واحدة﴾. قال: وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهياً، ثم عنها منفوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً.

وقوله رحمه الله تعالى: وكذا البحار فإنها مسجورة، قد فجرت الخ، يشير إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير/٦) وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار/٣) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: فجر الله تعالى بعضها في بعض^(١). وقال الحسن: فجر الله تعالى بعضها في بعض فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط عذبها بملحها. وقال الكلبي: ملئت. وقوله تعالى ﴿سُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً تضطرم. وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض، العذب والملح، فصارت كلها بحراً واحداً. وقال الكلبي: ملئت. وقيل: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وقال الحسن: ييست. وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة. والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها في بعض فتمتلئ ثم تسجر ناراً فيذهب ماؤها، ولهذا جمع ابن القيم رحمه الله تعالى بينهما فقال «مسجورة قد فجرت» والله تعالى أعلم.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعان» الخ، يشير إلى قول الله عز وجل ﴿وُخِيفَ الْقَمَرُ - وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة/٨-٩) وقوله ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير/١) خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة/٩) أي صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير/١): أظلمت. وقال العوفي عنه: ذهبت. وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: ذهب ضوؤها. وقال سعيد بن جبير: كورت غورت. وقال ربيع بن خيثم: رمى بها. وقال أبو صالح: ألقيت. وعنه أيضاً: نكست. وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض. وقال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير

(١) علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى ﴿كُورَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لُفَّت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها. ولا بن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ﴾ (التكوير/١) قال: يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله تعالى ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً. وكذا قال عامر الشعبي. ولا بن أبي حاتم عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ﴾ (التكوير/١) قال «كُورَتْ فِي جَهَنَّمَ»^(١) وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُكُورَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). وللبخاري عن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثوران في النار عقيران يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وقوله رحمه الله تعالى «وكواكب الأفلاك تنثر كلها الخ» يشير إلى قول الله عز وجل ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (التكوير/٢) وقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ (الانفطار/٢)، وقوله تعالى ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (المرسلات/٨) أي محى نورها وذهب ضوؤها. وانكدرت: تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض. يقال انكدَرَ الطائر إذا سقط عن عشه. قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً وتمور» الخ، يشير إلى

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٥٠٧/٤) وسنده ضعيف فيزيد تابعي أرسله ولم أجد من ترجم لابنه.

(٢) البخاري (٢٩٧/٦) في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر.

(٣) وهم الشيخ بنسبة الحديث للبخاري من رواية أبي هريرة إذ مصدر الشيخ هو تفسير ابن كثير كعادته في أغلب كتابه هذا فالحديث عنده من رواية أبي يعلى من حديث أنس وهو كذلك في أصله في مسند أبي يعلى (١٤٨/٧ ح/٤١١٦) وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف ودُرُسْت بن زياد قال ابن حبان: منكر الحديث. ورواه الطيالسي برقم (٢٢٨٨) والطحاوي في مشكل الآثار (٦٧/١) وابن حبان في المجروحين (٢٩٣/١). والحديث ثابت دون قوله عقيران وأما أنها في النار فقد ثبت من حديث أبي هريرة عند البخاري (ابن كثير ٥٠٧/٤) وعند الطحاوي في مشكل الآثار (٦٧ - ٦٦/١) بسند صحيح.

وأما أنها يكوران فقد ثبت ذلك عند البخاري كما تقدم.

قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ (الانشقاق/١) وقوله تعالى ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (الحاقة/١٦) وقوله ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ (الفرقان/٢٥) وقوله عز وجل ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل/١٨) وقوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار/١) وقوله تعالى ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (التكوير/١١) وقوله عز وجل ﴿إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (المرسلات/٩) وقوله تعالى ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (النبأ/١٩) وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (الطور/٩) وقوله عز وجل ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (المعارج/٨) وقوله ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن/٣٧) وقوله ﴿انْشَقَّتْ﴾: أي صارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ عن ابن عباس: تغير لونها، وعنه قال كالفرس الورد. وقال أبو صالح: كالبرذون الورد. وحكى البغوي وغيره أنَّ الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد اغبرَّ لونها، فشبَّ السَّمَاءُ في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه. ﴿كَالدِّهَانِ﴾ قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع: هو جمع دهن، شبَّ السماء في تلونها بلون الورد من الخيل، وشبه الورد في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألواناً، وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي، وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب. وذلك حين يصيبها حر جهنم. وقال ابن عباس والكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه دهنة ودهن. وقال عطاء الخراساني: كلون الدهن في الصفرة، وقال قتادة: هي اليوم خضراء ويومئذٍ لونها إلى الحمرة يوم ذو ألوان، وقال ابن كثير رحمه الله: تذوبُ كما يذوب الدردِيُّ والفضَّةُ في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدَّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم. وللإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ «يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم»^(١) قال الجوهرى: الطش المطر الضعيف.

(١) رواه أحمد (٢٦٧/٣) وأبو يعلى (٩٩/٧ ح ٤٠٤١) قال الهيثمي: وفيه عبد الرحمن بن أبي الصهباء ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً، وبقيّة رجاله ثقات (المجمع ٣٣٨/١٠). وقلت: =

وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (الطور/٩). قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكاً، وعنه: هو تشققها. وقال مجاهد: تدور دوراً، وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة. وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض، وقيل تضطرب، وقال البغوي: تدور كدوران الرحي وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال: والمور يجمع هذه المعاني كلها: فهو في اللغة الذهاب والمجيء، والتردد والدوران، والاضطراب. وقال تعالى ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ بَوْمٌ مِثْلُ وَاهِيَةٍ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ (الحاقة/١٦) عن علي قال: تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم، والملك اسم جنس - أي الملائكة - على أرجاء السماء، قال ابن عباس على ما لم ير منها أي حافاتهما. وكذلك قال سعيد بن جبير والأوزاعي، وقال الضحاك: أي أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض. وقوله تعالى ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل/١٨): متشقق. قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله، و﴿فرجت﴾ قال ابن كثير: أي انفطرت وانشقت وتدلّت أرجاؤها ووهت أطرافها.

وقوله رحمه الله «والعرش والكرسي لا يفنيهما الخ» وكذا قوله «والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى الخ» يعني أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لا للفناء، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء الله إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها في مواضع كثيرة من كتابه، وسيأتي ذكر ما تيسر منها. وقد جاء في تفسير قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر/٦٨): إن المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب، وقد قال الإمام أحمد في ذلك: إنه هو اعتقاد السلف الصالح. قال فإن احتج مبتدع بقوله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصاص/٨٨) و﴿كُلُّ

= وكذا صنع البخاري في تاريخه ولم يوثقه إلا ابن حبان فسنده ضعيف.

مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿ (الرحمن/٢٦) قِيلَ إِنَّ الْمَرَادَ كُلَّ شَيْءٍ كَتَبَ عَلَيْهِ الْهَلَاكُ وَالْفَنَاءُ هَالِكٌ فَإِنَّ. وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ الْإِسْتِثْنَاءُ الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ الزَّمَرِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ الْجَنَّةَ دَارَ مَقَامٍ وَسُرُورٍ وَسَلَامَةٍ وَالْمَوْتُ ضِدُّ ذَلِكَ فَكَيْفَ يَكْتُبُ عَلَى مَنْ فِيهَا مَوْتٌ. وَكَذَا جَاءَ فِي الْعَرْشِ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْخُذَ الصُّورَ مِنْ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ. وَقَوْلُهُ «وَلَأَجَلَ هَذَا قَالَ جَهَنَّمَ إِنَّهَا عَدَمُ الْخ» يَعْنِي أَنَّ لَجَهَنَّمَ الْإِحْدَادَ فِي آيَاتِ اللَّهِ جَمِيعِهَا، فَكَمَا أَلْهَدَ فِي آيَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَلْهَدَ أَيْضاً فِي آيَاتِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَجَحَدَ وَجُودَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ، وَكَذَلِكَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِيهِمَا وَقَضَى أَيْضاً بِفَنَائِهِمَا وَأَنْهُمَا يَفْنَيَانِ وَمَنْ فِيهِمَا، وَذَلِكَ بِخِلَافِ النُّصُوصِ الْقَوِيْمَةِ وَالْفَطْرِ الْمُسْتَقِيْمَةِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَقَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى أَجْسَادُهُمْ حُفِظَتْ مِنَ الدِّيدَانِ الْخ

يشير إلى ما في السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قَبْضُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ. فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرِضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ قَالَ يَقُولُونَ: بَلَيْتَ. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(١).

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مُشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَا

(١) رواه أحمد (٨/٤)، وأبو داود (٢٧٥/١ ح/١٠٤٧) في الصلاة، باب فضل يوم الجمعة ولبيلة الجمعة، والنسائي (٩١/٣ و٩٢) في الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة وابن ماجه (٣٤٥/١ ح/١٠٨٥) في إقامة الصلاة، باب في فضل يوم الجمعة، والدارمي (٣٦٩/١) في الصلاة، باب في فضل الجمعة، وابن حبان (١٣٢/٢) والحاكم في المستدرک (٥٦٠/٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقد صححه الدارقطني والنووي.

يُصلي عليَّ إلَّا عرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ. قال: قلت وبعد الموت؟ قال: إِنَّ الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١)، ورواه ابن ماجه بإسناد جيد، وفي رواية للطبراني «ليس من عبدٍ يصلي عليَّ إلَّا بلغني صلاته. قلنا: وبعد وفاتك؟ قال: وبعد وفاتي، إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(٢).

والأحاديث في بلوغ صلاتنا إليه، وعرض أعمالنا عليه كثيرة جداً، وبعضها في الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد.

وقد ثبت أيضاً في أجساد الشهداء أنَّها لا تبلى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال «لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلَّا مقتولاً في أوَّل من يُقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإنِّي لا أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإنَّ عليَّ ديناً فاقضه واستوص بأخواتك خيراً. فأصبحنا وكان أوَّل قتيل، فدفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعت هُنيئة غير أذنه»^(٣).

ولأصحاب السنن عنه رضي الله عنه من حديث طويل، وفيه: «فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر بن عبد الله، والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدأ فخرج طائفةً منه، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفته، لم يتغير إلَّا ما لم يدع القتل أو القتل»^(٤).

(١) رواه ابن ماجه (١/٥٢٤/ح ١٦٣٧) في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، قال البوصيري: هذا إسناد رجال ثقات إلَّا أنه منقطع في موضعين عبادة بن نسي روايته عن أبي الدرداء مرسله قاله العلائي وزيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسله قاله البخاري مصباح الزجاجة (١/٥٤٥) قلت: فقول المصنف اسناده جيد ليس بجيد. وهو قد أخذه من قول المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٥٠٣). ولكن يشهد له الذي قبله.

(٢) لم أجده فإن كان من رواية أبي الدرداء فالجزء الذي فيه مفقود من الكبير. ومعنى الحديث صحيح لما تقدم.

(٣) البخاري (٣/٢١٤) في الجنائز، باب هل يُخرج الميت من القبر واللحد لعلَّه؟

(٤) وهم الشيخ بنسبة هذا الحديث لأصحاب السنن تبعاً لما في المطبوع من البداية والنهاية (٤/٤٣) =

وللبيهقي عنه رضي الله عنه عنه قال: لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً^(١). وفي رواية ابن إسحاق عنه قال «فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس»^(٢).

وذكر الواقدي أنَّ معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه: مَنْ كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر: فحفر عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره في قبره - عمرو بن الجموح - ويده على جرحه، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً. ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك، رضي الله عنهم أجمعين، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا^(٣). وفي ذلك آثار كثيرة.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذلك عجب الظهر لا يبلى الخ»، يشير إلى حديث أبي هريرة المتقدم قريباً وفيه «وليس من الإنسان شيء إلا سبيلي، إلا عظماً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»^(٤).

وقوله رحمه الله تعالى «وكذلك الأرواح لا تبلى الخ» يشير إلى ما تقدم ذكر بعضه قريباً من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أنَّ الأرواح ليست هي مطلق حياة الجسم العارضة، بل هي حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها

= فقد ذكر أنه من رواية نبيح العنزي عن جابر وليس كذلك في السنن فالذي في السنن من روايته الحديث المختصر (أمر النبي ﷺ بقتل أحد أن يردوا إلى مصارعهم) انظر مختاراً (تحفة الأشراف ح ٣١١٧) وأما هذه الرواية فقد رواها البيهقي في دلائل النبوة (٢٩٢/٣ - ٢٩٣) من روايته كذلك ونبيح قال عنه الحافظ مقبول. قلت وثقه عده أبو زرعة وابن حبان والعجلي والترمذي فحديثه حسن إن شاء الله تعالى.

(١) البيهقي في دلائل النبوة (٢٩١/٣) وسنده حسن. إلا أن فيه ذكر خبر حمزة من غير سند من قول حماد بن زيد: وزادني صاحب لي في الحديث: وذكره.

(٢) مغازي ابن اسحق (دلائل النبوة للبيهقي ٢٩١/٣ والبداية والنهاية ٤٣/٤) وفيه رجل مبهم.

(٣) الواقدي (دلائل النبوة ٢٩٣/٣ والبداية والنهاية ٤٣/٤) وفيه مجاهيل مع ما في الواقدي من كلام.

(٤) تقدم تخريجه سابقاً.

فيه ويفسد بخروجها منه، وهي النسمة التي يموت الإنسان بخروجها من جسده،
وأنها لها حقيقة، وأنها تنفخ وتقبض وتصعد وتهبط، وأنها بعد مفارقتها الجسد
إما أن تنعم أو تُعَذَّب، وإما أن تفتح لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله،
أو تغلق دونها فيذهب بها إلى سجين والعياذ بالله كما قدمنا ذلك والله الحمد،
وأنها تجمع في الصور وتطير بنفخ إسرافيل إذا أمره الله، فتطير كل روح إلى
جسدها الذي كانت تعممه في الدنيا حتى تدخله وتدب فيه ديب السم في
اللدنغ حتى يقوم بشراً سوياً، وأنها بعد خروجها من الجسد تُكَلِّم وتتكلم وتُسأل
وتُجيب وتُخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة، وأما كيفية الروح وكنهها
فليس لبشر العلم به ولا الاطلاع عليه، ولهذا لما سألت اليهود النبي ﷺ عنه
أنزل الله تعالى جوابهم ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ (الإسراء/٨٥)^(١). وقوله رحمه الله تعالى :

ولأجل ذلك لم يقر الجهم ما الأرواح خارجة من الأبدان
ولكنها من بعض أعراض بها الخ».

يعني أن مذهب الجهم في الروح هو مذهب الفلاسفة الحائرين أن الروح
ليست شيئاً يقوم بنفسه بل عرض والعرض في اصطلاحهم هو ما لا يستقل ولا
يستقر، فمنزلة الروح عندهم من الجسد كمنزلة السمع من السامع والبصر من
المبصر، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصر والسمع والذات التي يقوم بها
موجودة، فوجدوا أن لكون النفس التي هي الروح شيئاً قائماً بنفسه، وأنه ينفخ
في الجنين في بطن أمه بعد الأربعين الثالثة، وأن ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا
وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الزمر/٤٢)، ووجدوا كونها شيئاً يساق وينزع عند الموت ويعرج
بها إلى الله عز وجل فيفتح لها أبواب السماء إن كانت محسنة أو تغلق دونها إن

(١) رواه البخاري (٢٢٣/١) في العلم، باب قول الله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وفي
مواطن عدة ومسلم (٢١٥٢/٤ ح ٢٧٩٤) في صفات المنافقين، باب سؤال اليهود عن الروح
من حديث ابن مسعود.

كانت مسيئة، ولا أن روح الأنبياء والمؤمنين في الرفيق الأعلى وأرواح الكفار في سجين، فكذبوا بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله، فضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وقوله رحمه الله تعالى :

«فالشأن للأرواح عند فراقها أبدانها والله أعظم شأن»

يعني أنه أعظم شأنًا من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبر عياناً، والغيب شهادة والمستور مكشوفاً، والمخبأ ظاهراً، فليس الخبر كالمعاينة ولا علم اليقين كعين اليقين، فالمصدق يرى ويجد مصداق ما جاء به النص كما علمه وتيقنه فيزداد بشري وفرحاً وسروراً، والمكذب يرى ويجد حور تكذيبه بذلك، وغب ما جناه على نفسه ويذوق وبال أمره، وكل يفضي إلى ما قدم.

وقوله «إمّا نعيم أو عذاب الخ» يشير إلى قول الله عز وجل ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة/ ٨٨- ٩٦) سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم، وغير ذلك مما في معناه من الآيات. وقد منّا منها جملة وقد منّا من الأحاديث في أحوال الاحتضار والبرزخ وما يتعلق بذلك ما يبلغ حد التواتر، فليرجع إليه، والله الحمد والمنة.

وقوله رحمه الله «وتصير طيراً سارحاً مع شكلها الخ» يشير إلى حديث كعب بن مالك المسلسل بالأئمة «نسمة المؤمن طائرٌ يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»^(١).

(١) رواه أحمد (٤٥٥/٣)، والترمذي (١٧٦/٣ ح/ ١٦٤١) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء، وقال: حسن صحيح. والنسائي (١٠٨/٤) في الجنائز، باب أرواح المؤمنين، وابن ماجه (١٤٢٨/٢ ح/ ٤٢٧١) في الزهد، باب القبر والبللى. ومالك في الموطأ (٢٤٠/١) في الجنائز، باب جامع الجنائز. وابن حبان (٨٣/٧) الإحسان بالفاظ عدّة.

وقوله رحمه الله تعالى: «لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر الخ» يشير إلى قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩) الآيات وما في معناها.

وفي الصحيح من حديث الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩) قال: أمَّا إنا قد سألنا عن ذلك فقال «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى القناديل، فاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ اِطْلَاعَةً فَقَالَ: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أَنَّهُمْ لم يُتركوا من أَن يُسألوا قالوا: يارب نريدُ أَن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرةً أخرى. فلما رأى أَن ليس لهم حاجة تركوا»^(١) وغير ذلك من الأحاديث.

وقوله:

وإذا أَرَادَ اللهُ إخراجَ الـورى بعد المماتِ إلى معادٍ ثانٍ
ألقى على الأرضِ التي هم تحتها ... الخ

يشير إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بطوله وفيه «ثم يرسل الله - أو قال يُنزلُ اللهُ - تعالى مطراً كأنه الطَّلُ أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس»^(٢) الحديث. وفي حديث الصور الطويل «ثم يُنزلُ اللهُ عليهم ماءً مِنْ تحت العرش، ثم يأمر اللهُ السماءَ أَن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً، ثم يأمر اللهُ الأجساد أَن تنبت فتنبت كنباتِ الطرائيث أو كنباتِ البقل»^(٣) وهو الذي عناه بقوله «عشرًا وعشرًا بعدها عشرين».

-
- (١) رواه مسلم (٣/١٥٠٢/ح ١٨٨٧) في الامارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.
(٢) رواه مسلم (٤/٢٥٥٨/ح ٢٩٤٠) في الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض.
(٣) سيأتي بتأمله وتخريجه.

وقوله «أوحى لها ربُّ السماء فتشَقَّت الخ» يشير إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار/٤)، وقوله ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات/٩) قال ابن عباس: بحثت، وقال السدي: تبعثر تحرك فيخرج من فيها، وقال البغوي: بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء، يقال بعثرت الحوض وبعثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وقال في الآية الأخرى ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾: أثير وأخرج ﴿ما في القبور﴾ أي من الأموات.

وقوله «وتخلت الأمُّ الولودُ الخ» يشير إلى قوله تعالى ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (الانشقاق/٤) قال مجاهد وسعيد وقتادة: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلَّت منهم. اهـ.

وقوله «وأخرجت أثقالها الخ» يشير إلى قوله عز وجل ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا - إِلَى قَوْلِهِ - بِإِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة/٢-٥) قال ابن كثير رحمه الله: يعني ألقت ما فيها من الموتى؛ قاله غير واحد من السلف: وقد تقدم تفسيرها بالقائها أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان. وقال البغوي رحمه الله: أثقالها موتها وكنوزها فتلقها على ظهرها.

وقوله رحمه الله «والله ينشئ خلقه» أي هم أنفسهم لا غيرهم بعد موتهم «في نشأة أخرى الخ» يشير إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (النجم/٥٥) فهذه هي النشأة الأولى. قال تعالى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى﴾ (النجم/٤٧) وهو البعث بعد الموت. قال تعالى ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ. نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الواقعة/٥٧-٦٢) وما في معنى ذلك من الآيات والأحاديث. والمقصود أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعد ما فرقهم وينشرهم بعد ما مزقهم، ويعيدهم كما خلقهم، قد علم الله ما تنقص الأرض منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ

مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ (فاطر/٤٤).

وقوله «ما قال إن الله يعدم خلقه الخ» أي لم يقل الله تعالى ولا رسوله ﷺ إنه يعدمهم العدم المحض ويأتي بغيرهم ، ولا إن المثاب غير من عمل الطاعات في الدنيا ، ولا إن المعذب غير من مرد على المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء/٤٠) ﴿وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت/٤٦) ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (غافر/٣١) ، بل قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه/٥٥) ، فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها ، وهم الذين يخرجهم منها ، ليسوا بغيرهم كما يقوله الزنادقة قبحهم الله تعالى . وقال رسول الله ﷺ «فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم»^(١) ولم يقل إنه غيركم الذي يخرج .

والكلام في هذا الباب يطول جداً ، والنصوص فيها لا تحصى كثرة ، وإنما أشرنا إلى بعض من كل ودق من جل وقطرة من بحر والله المستعان . إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التي سقنا من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصار ، والایجاز والله الحمد والمنة . ولنرجع إلى شرح أبيات المتن المذكور .

[الإيمان بالنفخ في الصور]

(وبقيامنا بنفخ الصور) أي وكما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه وباللقاء والبعث والنشور والقيام من القبور كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور ، وهو القرن الذي وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم في ذكر الملائكة . وقد ذكر الله عز وجل النفخ فيه في مواضع من كتابه ، كقوله عز وجل ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ

(١) تقدم تخريجه وأن سنده ضعيف لمجاهيل ثلاثة فيه .

شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿الزمر/ ٦٨﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل/ ٨٧) الآيات ، وقال تعالى ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/ ٧٣) . ولنسق ههنا حديث الصور بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآيات ولما اجتمع فيه مما تفرق في غيره من الأحاديث وبالله التوفيق .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية الأخرى : وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصري الأيلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ شَاخِصًا بَصَرَهُ فِي الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يَوْمَرُ» قلت : يارسول الله وما الصُّور؟ قال «القرن» قلت : كيف هو؟ قال «عظيم، والذي بعثني بالحق إِنَّ عِظْمَ دَارَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ : النَفْخَةُ الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَرْعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى فَيَقُولُ انْفَخْ، فَيَنْفَخُ نَفْخَةَ الْفَرْعِ فَيَفْزَعُ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ فَيَطِيلُهَا وَيُدِيمُهَا وَلَا يَفْتَرُ وَهُوَ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ (يس/ ٤٩) فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا، ثم ترتج الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج تكفاً بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح، وهو الذي يقول ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات/ ٦) فيميدُ الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفرع حتى تأتي الأفطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم،

ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله تعالى ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم. ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء فانتشرت نجومها وانحسفت شمسها وقمرها، قال رسول الله ﷺ: «الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك» قال أبو هريرة: يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (النمل/٨٧)؟ قال «أولئك الشهداء» وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه» قال «وهو الذي يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج/١-٢) فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصَّعْقِ، فينفخ نفخة الصَّعْقِ فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله تعالى العرش: فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت فإنني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان. ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: لمت حملة العرش. فتموت، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك. فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا رب، بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: أنت خلق

من خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت. فيموت. فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولاً، طوى السموات والأرض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار (ثلاثاً) ثم هتف بصوته: لمن الملك اليوم (ثلاث مرات) فلا يجيبه أحد. ثم يقول لنفسه: لله الواحد القهار. يقول الله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (ابراهيم/٤٨) فيسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى: مَنْ كان في بطنها كان في بطنها، وَمَنْ كان على ظهرها كان على ظهرها. ثم يُنزل الله تعالى عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم إثني عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطرائث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: ليحيى حملة عرشي، فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل، فيحييان، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تسوّهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعاً ثم يلقبها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر/٨) حفاة عراة غرلا، فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون مَنْ أَحَقُّ بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحب

ذلك، فيستقرون الأنبياء نبيّاً كلّما جاءوا نبيّاً أبى عليهم. قال رسول الله ﷺ: حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخّر ساجداً». قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الفحص؟ قال «قدام العرش، حتى يبعث الله إليّ ملكاً فيأخذ بعصدي ويرفعني فيقول لي: يا محمّد. فأقول: نعم يا رب، فيقول عز وجل: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: ياربّ وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم، قال الله: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم. قال رسول الله ﷺ: فأرجع فأقف مع الناس، فينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حساً شديداً فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسبيحهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت. فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والأنس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إليّ، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه. ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَإِنْ عَبْدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ. هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (يس/٦٠-٦٣) أو ﴿يَهَا

تَكْذِبُونَ ﴿ شَكَّ أَبُو عَاصِمٍ ﴿وَأَمَّا زُوا الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (يس/٥٩) فيميز الله الناس وتجتو الأمم، يقول الله تعالى ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجنات/٢٨) فيقضي الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن. فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ياليتني كنت تراباً، ثم يقضي الله تعالى بين العباد: فكان أول ما يقضي فيه الدماء، ويأتي كل قتيل في سبيل الله، ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتهم لتكون العزة لك، فيقول الله له: صدقت، فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول: يارب قتلني هذا؟ فيقول تعالى وهو أعلم: لم قتلتهم؟ فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لي، فيقول: تَعَسْتَ، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه. ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء. فإذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحدٌ عبدٌ من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذٍ ملك من الملائكة على صورة عزيز ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوَهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء/٩٩) فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقنون والله والله ما لنا إله إلا الله، وما كنا نعبدُ غيره، فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون أنه ربهم، فيخرون للأذقان سُجداً على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله عز وجل أصلاهم

كصياصيَّ البقر. ثم يأذنُ الله لهم فيرفعون ويضربُ الله الصَّراط بين ظهراني جهنم كحدِّ الشفرة أو كحدِّ السيف عليه كالليب وخطاطيف وحسك كحسك السَّعدان دونه جسر دحض مزلة، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمرِّ الريح أو كجياذ الخيل أو كجياذ الرُّكاب أو كجياذ الرُّجال، فناج سالم، وناج مخدوش، ومكدوس على وجهه في جهنم.

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفع لنا إلى ربِّنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحقُّ بذلك من أبيكم آدم عليه السلام؟ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلًا. فيأتون آدم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أوَّل رُسُلِ الله. فيؤتى نوح فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بإبراهيم فإنَّ الله تخيَّره، خليلاً، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإنَّ الله قرَّبه نجياً وكلمه وأنزل عليه التوراة. فيؤتى موسى فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: لستُ بصاحب ذلك ولكن عليكم بروحِ الله وكلمته عيسى بن مريم. فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك اليه فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد. قال رسول الله ﷺ فيأتوني ولي عند ربِّي ثلاث شفاعات وعدنيهن، فأنطلق فاتى الجنة فأخذ بحلقة الباب فاستفتح فيفتح لي فأحيًا ويرحب بي، فإذا دخلتُ الجنة فنظرتُ إلى ربِّي خررت له ساجداً فيأذنُ الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعط، فإذا رفعتُ رأسي يقول الله تعالى وهو أعلم ما شأنك؟ فأقول يا ربِّ وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك، وقد أذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول الله ﷺ يقول «والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرَفَ بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم» فيدخل كلُّ رجلٍ منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله عز وجل وثلثين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى في الدنيا، فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوته على سريرٍ مكلَّلٍ باللؤلؤ عليها سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، ثم إنه يضع

يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مَخِّ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت. كبدها له مرآة وكبده لها مرآة، فبينما هو عندها لا يملها ولا تملهُ ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتُر ذكره وما تشتكي قلبها. فبينما هو كذلك إذ نودي: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لَا تَمَلُّ وَلَا تُمَلُّ، إِلَّا أَنَّهُ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ، إِلَّا أَنَّ لَكَ أَزْوَاجًا غَيْرَهَا. فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ولا في الجنة شيء أحبَّ إليَّ منك.

وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربِّكَ أوبقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرَّم الله صورته عليها، قال رسول الله ﷺ «أَقُولُ يَا رَبِّ شَفِّعْنِي فِيمَنْ وَقَعَ فِي النَّارِ مِنْ أُمَّتِي، فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد. ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شُفِّعَ، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيماناً، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيماناً ثلثي دينار، ثم يقول ثلث دينار، ثم يقول ربع دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيراً قط ولا يبقى أحد له شفاعاة إلا شفع، حتى إن إبليس يتطاوَل مما يرى من رحمة الله تعالى رجاءً أَنْ يُشَفِّعَ له. ثم يقول: بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما يلي الشمس منها أخضر وما يلي الظل منها أصفر، فينبتون كنبات الطرائث حتى يكونوا أمثال الذرِّ، مكتوبٌ في رقابهم: الجهنميون عتقاء الرحمن، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيراً لله قط: فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا

الكتاب، فيمحوه الله عز وجل عنهم»^(١).

قال ابن كثير ثم ذكره بطوله ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه: فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قال رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم^(٢). انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصُّور؟ فقال قرن ينفخ فيه»^(٣) وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ التَّقَمَ وَأَصْغَى سَمْعَهُ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^(٤).

(١) رواه ابن جرير مختصراً ومطولاً (٣٣٠/٢ - ٣٣١ و ١٨٦/٣٠ - ١٨٨) وفي (١١٠/١٧ - ١١١) وفي (٣٠/٢٤) والطبراني في المطولات (نهاية المعجم الكبير ٢٥/٢٢٦) وغيرهم كما ذكر ابن كثير فيما يأتي وإسناده ضعيف لمداره على إسماعيل بن رافع المدني وهو ضعيف ومع اختلاف أسانيده عند الجميع إلا أنه لا يخلو من علة أخرى غير ما ذكرنا. قال أبو موسى المديني: - الحديث وإن كان فيه نكارة وفي إسناده من تكلم فيه فعامة ما يروى مفرقاً في أسانيد ثابته. وانظر كلام ابن كثير الآتي.

(٢) تفسير ابن كثير (١٥٤/٢).

(٣) رواه أحمد (١٦٢/٢ و ١٩٢) وغيره وقال الحاكم (٤٣٦/٢ و ٥٠٦، ٥٦٠/٤) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو كذلك.

(٤) رواه أحمد (٧٣، ٧/٣) والترمذي (٦٦٠/٤ ح/٢٤٣١) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن =

(غزلا حفاة) الأغزل الأقف، حفاة غير متعلين (كجراد منتشر) شبهوا بالجراد المنتشر لكثرتهم ولكونه ليس له وجهة يقصدها بل يختلف ويموج بعضه في بعض وهم كذلك. قال الله تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ، خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ. مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر/ ٦- ٨) وقال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر/ ٨- ١٠).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيُخْشَرُ بَقِيَّتُهُمُ النَّارَ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبِيتَ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَصَبَّحَ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتَمَسَّى مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»^(١).

وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ «إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ حَفَاةَ عَرَاءٍ غَرَلًا» ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (الأنبياء/ ١٠٤) الآية، وَأَنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يَكْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشَّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصِيحَابِي، فيقول الله عز وجل: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

= الصور، وهو من رواية عطية العوفي عنه وعطية ضعيف. ولكن تابعه أبو صالح عنه عند الحاكم (٥٥٩/٤) من رواية أبي يحيى التيمي عن الأعمش عن أبي صالح عنه به وأبو يحيى واه ولكن تابعه جرير عند ابن حبان (٩٥/٢) ح ٨٢٠ الإحسان) فالحديث صحيح من رواية أبي سعيد مع ما له من شواهد من رواية ابن عباس وزيد بن أرقم وأنس وجابر والبراء. انظرها مختاراً في السلسلة الصحيحة (ح ١٠٧٩).

(١) رواه البخاري (٣٧٧/١١) في الرِّقَاق، باب كيف الحشر ومسلم (٤/٢١٩٥) ح (٢٨٦١) في الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

الحَكِيم) (المائدة/ ١١٧ - ١١٨) قال فيقال إنهم لم يزوالوا مرتدين على أعقابهم». وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنكم ملاقوا الله حفاة عراة مشاة غرلاً»، وفي أخرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر^(١).

وفيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «تُحْشَرُونَ حفاة عراة غرلاً». قالت عائشة فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال الأمر أشد من أن يهتمهم ذلك^(٢). وفي رواية النسائي «فقلت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعمورات؟ فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»^(٣) وروى هو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تُحْشَرُونَ حفاة عراة مشاة غرلاً». قال فقالت زوجته: يا رسول الله ينظر - أو يرى - بعضنا عورة بعض؟ قال: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أو قال «ما أشغلهم عن النظر» رواه الترمذي بنحوه وقال حسن صحيح^(٤).

وروى ابن أبي حاتم عن أنس رضي الله عنه قال «سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني سألتك عن حديث فتخبرني أنت به. قال: إن كان عندي منه علم. قالت: يا نبي الله كيف يُحْشَرُ الرجال؟ قال حفاة عراة. قالت: واسوأناؤه من يوم القيامة. قال: وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون. قالت آية آية يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٥).

(١) رواه البخاري (٣٨٦/٦) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم قليلاً)، ومسلم (٤/٢١٩٤ ح/٢٨٦٠) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة.

(٢) رواه البخاري (٣٧٧/١١) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم (٤/٢١٩٤ ح/٢٨٥٩) في الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

(٣) النسائي (١١٤/٤) في الجنائز، باب البعث.

(٤) رواه الترمذي (٤٣٢/٥ ح/٣٣٣٢) في التفسير، باب ومن سورة عبس، والنسائي (١١٤/٤) في الجنائز، باب البعث وابن أبي حاتم (ابن كثير ٥/٥٠٥) والحاكم (٢/٢٥١).

(٥) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٥/٥٠٥ - ٥٠٦) من رواية أبيه عن أزهر بن حاتم عن الفضل ابن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس عنها به. وأزهر ترجم له ابن أبي حاتم ونقل عن أبيه أنه =

وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ «يُبْعَثُ الناسُ حفاةً عراةً غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان. فقلت: يارسول الله واسأوتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال قد شغل الناس، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»^(١).

وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة بلى وعزة ربنا»^(٢).

قلت: وذلك قول الله عز وجل ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًىٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء/٩٧) الآيات. فشتان ما بين الفريقين، وفرقان ما بين الطريقين. أولئك يقدون ركباً إلى جنات النعيم، ورحمة الرحمن الرحيم، وزيارة الرب العظيم، وهؤلاء يسحبون سحبا إلى نار الجحيم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثَةً﴾ (مريم/٨٥ - ٨٦) قال ابن عباس: وفدأ ركبنا. وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال ابن جريج: على النجائب. وقال الثوري: على الإبل النوق. قال قتادة: إلى الجنة - وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نسوق رجالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت.

= صدوق (٣١٥/١/١) وعائد ضعيف كما في الميزان.

- (١) أخرجه الطبراني (٣٤/٢٤/ح ٩١)، والحاكم في المستدرک (٥١٥/٣) والبغوي في تفسيره (٥٢٤/٥ - ٥٢٥) قال الحاكم: على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قال الهيثمي: - رجاله رجال الصحيح غير محمد بن أبي عياش وهو ثقة. قلت نعم ليس هو من رجال التهذيب وترجم له البخاري عند هذا الحديث في تاريخه (٢٣٦/١/١) وسكت عنه وكذلك صنع ابن أبي حاتم (٨٤/١/٤) ويقال له محمد بن أبي موسى كما هو عندهما.
- (٢) رواه البخاري (٣٧٧/١١) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم (٢١٦١/٤/ح ٢٨٠٦) في المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه عن النعمان بن سويد قال: كُنَّا عند علي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية ﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم/ ٨٥) قال: لا والله ما على أَرْجُلِهِمْ يُحْشَرُونَ وَلَا يُحْشَرُ الْوَفْدُ عَلَى أَرْجُلِهِمْ وَلَكِنْ بِنُوقٍ لَمْ يَرَ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا عَلَيْهَا رَحَائِلُ مِنْ ذَهَبٍ فَيَرْكَبُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَضْرِبُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ. ورواه ابن أبي حاتم وزاد: عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد^(١).

ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه كان ذات يومٍ عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم/ ٨٥) فقال: ما أظنُّ الوفد إلا الرُّكَب يا رسول الله، فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو يؤتون - بنوقٍ بيضٍ لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نورٌ يتلأأ كل خطوةٍ منها مَدَّ البصر فينتهون إلى شجرةٍ ينبع من أصلها عيان فيشربون من إحداها فتغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً، وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين»^(٢) وذكر الحديث مطولاً والصحيح وقفه.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً﴾ (مريم/ ٨٦) أي عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد الجماعة يردون الماء، ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش. قلت: ولكنهم وردوا لا إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها، ومهلها

-
- (١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٥٥/١) وابن جرير (١٢٦/٩) والحاكم في المستدرک (٣٧٧/٢) وابن أبي حاتم (ابن كثير ١٤٥/٣) قال الحاكم: - صحيح على شرط مسلم. قال الذهبي بل عبد الرحمن (بن اسحق القرشي) هذا لم يرو له مسلم ولا لحاله النعمان وضعفوه. قلت والنعمان مجهول. وعبد الرحمن الأنصاري ويقال الكوفي.
- (٢) ابن أبي حاتم (ابن كثير ١٤٥/٣) وفي سنده أبو معاذ البصري وهو ضعيف ومسلمة بن جعفر البجلي ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكر فيه شيئاً. قال ابن كثير: وقد روى من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة. قلت قد تقدم أن سنده ضعيف.

وحميمها. وفي حديث الشفاعة الطويل «فيقال لهم ماذا تشتهون؟ فيقولون عطشنا. فيشار لهم إلى جهنم كأنها سرابٌ يحطم بعضها بعضاً فيقال لهم: ألا تردون»^(١) الحديث.

فسبحان الله وبحمده الله أكبر، كانوا في الدنيا على السواء يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يؤتاها من يحبه الله ومن لا يحب، فلما جاءهم الموت عرف كل منهم سبيله، وأتضح له مقيله. فلما كانوا في البرزخ خلا كل منهم بعمله وأفضى إلى ما قدم قبل أجله، فبينما هو كذلك إذ صرخ بهم الصارخ وصاح بهم الصائح، فخرجوا من الأحداث مسرعين، وإلى الداعي مهطعين، هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه. هؤلاء في النور ينظرون، وأولئك في ظلمات لا يبصرون. هؤلاء إلى الرحمن يفتدون، وأولئك إلى النار يردون. هؤلاء حُلُوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً، وأولئك غُلُوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطوناً منهم وظهوراً. هؤلاء وقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً. وأولئك أعتد الله لهم سعيراً، إذا رأتهم من مكانٍ بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً، لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً. هؤلاء عليهم حُلل السُّندس والاستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنون في الأصفاد سرايلهم من قطران. هؤلاء إلى زيارة ربهم يركبون، وأولئك إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون. هؤلاء ينظرون إلى ربهم بكرةً وعشيّاً، وأولئك تركوا في جهنم جثياً. هؤلاء يقول لهم ربهم سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون وما هم بخارجين من النار. هؤلاء يقررون بذنوبهم فيغفرها لهم ربُّ العالمين، وأولئك ينادي بهم على رؤوس الأشهاد، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنةُ الله على الظالمين. فحينئذٍ ظهر الفرقان، وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيبُ شهادةً

(١) تقدم تخرجه سابقاً.

وَالسِّرُّ عَلَانِيَةً، وَالْمُسْتَوْرُ مَكْشُوفًا، وَالْمَخْبَأُ ظَاهِرًا ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص/٢٨) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية/٢١) كم كاسٍ في الدنيا طال يومئذٍ عُريه، كم طاعمٍ في الدنيا عظم يومئذٍ جوعه، كم ريانٍ في الدنيا اشتد يومئذٍ عطشه، كم ناعمٍ في الدنيا حق به يومئذٍ بؤسه ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (القصص/٨٣ - ٨٤).

[الاجتماع ليوم الفصل]

ويجمع الخلق ليوم الفصل جميعهم علويهم والسفلى
في موقف يجلس فيه الخطب ويعظم الهول به والكرب

(ويجمع الخلق) أولهم وآخرهم (ليوم الفصل) يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، سماه الله تعالى يوم الفصل لذلك وسماه يوم التغابن لكثرة المغبونين يومئذ، وسماه يوم الجمع لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر، وسماه يوم التلاق لأنه يلتقي فيه العبد ربه ويلقى فيه العامل عمله ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهل السموات والأرضين، وسماه يوم القيامة لأن فيه قيام الخلائق من القبور، وسماه يوم التناد، لتنادي العباد بعضهم بعضاً، ولمناداة الله عز وجل عباده فيه، وبندائهم ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ولتنادي أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولمناداة أصحاب الأعراف كلاً من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك، قال الله عز وجل ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (النساء/ ٨٧) وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُم لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن/ ٩) وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ (المائدة/ ١٠٩) وقال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف/ ٩٩) وقال تعالى ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَغَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الكهف/ ٤٧) وقال تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَجَلْتُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمِ الْفَصْلِ، وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات/ ١٣ - ١٤) وقال تعالى ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (غافر/ ١٦) وقال تعالى ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ (التوبة/ ٧٧) وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ

النَّاسُ أَشْتَاتًا لَّيُرَوُّوا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ (الزلزلة/ ٦ - ٨) وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ (النبا/ ٣٨) ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان/ ٢٥) وقبل ذلك ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان/ ٢٢) وقال في السَّعْدَاءِ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (الأنبياء/ ١٠٣) وقال تعالى عن مؤمن آلِ فِرْعَوْنَ ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُثَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (غافر/ ٣٢)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/ ٦٢ - ٦٥) وقال تعالى في مناداة المنافقين المؤمنين ﴿يُنَادُواهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحديد/ ١٤) الآيات .

وقال تعالى ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالُوا نَعَمْ ، فَادِّئْ مُؤَدِّئَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ - إِلَى قَوْلِهِ فِي أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ - وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف/ ٤٣ - ٥٠)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ (هود/ ١٨) وغيرها من الآيات .

(وجميعهم علويهم) وهم عوالم السموات (والسفلى) وهم عوالم الأرضين .
وقد تقدم في حديث الصور كيفية صفوفهم وتضعيفهم وإحاطة بعضها ببعض .
(في موقف) عظيم (يجل) يشتد (فيه الخطب) الشأن والأمر (ويعظم الهول) الأمر

القطيع الهائل (به) أي فيه (والكرب) الحزن الأخذ بالنفس والههم والغم. وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين/٤)، وقال تعالى ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلِ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ (ابراهيم/٤٣)، وقال تعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ﴾ (غافر/١٨)، وقال تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - إِلَى قَوْلِهِ - وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا. يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَنِيهِ وَصَاحِبَتَهُ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج/١١-١٤)، وقال تعالى ﴿فَذَلِكِ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر/٩)، وقال تعالى ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا - إِلَى قَوْلِهِ - إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ (الإنسان/٧-١١)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجْبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان/٢٧).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(١).

ورواه أحمد بلفظ «يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف أذانهم»^(٢).

وله عن المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «إذا كان يوم القيامة أُذُنِيَتِ الشمس من العباد حتى تكون قدر ميلٍ أو

(١) رواه البخاري (٣٩٢/١١) في الرقاق، باب قول الله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)، ومسلم (٤/٢١٩٥ ح/٢٨٦٢) في الجنة، باب في صفة يوم القيامة.

(٢) رواه أحمد (١٣/٢) و١٩ و٦٤ و٧٠ و١٠٥ و١١٢ و١٢٥ و١٢٦.

ميلين، قال فتصهرهم الشمس فيعرقون في العرق كقدر أعمالهم، ومنهم من يأخذه إلى ركبته، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إجماماً^(١).
رواه مسلم والترمذي.

وروي أحمد أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميلٍ ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوامُ كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم: منهم من يبلغ إلى كعبه، ومنهم من يبلغ إلى ساقه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق»^(٢).

وفيه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس: فمن الناس من يبلغ عرقه كعبه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبته، ومنهم من يبلغ الحجر، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه، رأيتُ رسول الله ﷺ يشير بيديه هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده إشارة»^(٣).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»^(٤).

(١) رواه أحمد (٣/٦)، ومسلم (٤/٢١٩٦/٤ ح/٢٨٦٤) في الجنة وصفة نعيمها، باب صفة يوم القيامة، والترمذي (٤/٦١٤/٤ ح/٢٤٢١) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

(٢) رواه أحمد (٥/٢٥٤) والطبراني (٨/٢٢٢/٨ ح/٧٧٧٩) قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد (المجمع ١٠/٣٣٨).

(٣) رواه أحمد (٤/١٥٧) والطبراني (١٧/٣٠٦/١٧ ح/٨٤٤) وفي سننه ابن لهيعة ولكن تابعه عند الطبراني عمرو بن الحارث (١٧/٣٠٢/١٧ ح/٨٣٤) قال الهيثمي عنه إسناده جيد (المجمع ١٠/٣٣٨).

(٤) رواه البخاري (١١/٣٩٢) في الرقاق، باب قول الله تعالى: (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم)، ومسلم (٤/٢١٩٦/٤ ح/٢٨٦٣) في الجنة، باب في صفة القيامة.

ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرَبِّ العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر». قال بشير: المستعانُ الله. قال «إذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب»^(١).

وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة^(٢).

وقوله تعالى ﴿مَهْطَعِينَ﴾ قال قتادة: مسرعين. وقال مجاهد: مديمي النظر. ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالاً ولا يعرفون مواطن أقدامهم. ﴿مَقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه، ويقبل بصره على ما بين يديه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذٍ إلى السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحد. ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم. ﴿وَأَفْئَدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي هي خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فأفئدتهم هواء لا شيء فيها، ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئاً ولا تعقل من الخوف. وقال سعيد بن جبير: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه. قال البغوي رحمه الله تعالى: وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم اهـ. وهذا معنى قوله عز وجل ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ﴾ (غافر/١٨) قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى

(١) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٥١٧/٤) وابن جرير في تفسيره (٥٩/٣٠) وابن الأثير في أسد الغابة (٢٣٤/١). وفي سننه أبو يزيد المدني وثقه ابن معين وأحمد وقال أبو حاتم يكتب حديثه. وعبد السلام بن عجلان قال عنه أبو حاتم شيخ بصري يكتب حديثه قال عنه ابن حجر: ضعيف (الإصابة ١/١٦١).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٣/١ - ٢٠٤/٢) في الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء والنسائي (٢٠٩/٣) في قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام وابن ماجه (١٣٥٦) في الصلاة، باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل وسنده حسن.

أماكنها. وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد. ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا/ ٣٨) وقال ابن جريج: باكين، وقال البغوي: مكرويين ممتلئين خوفاً وجزعا، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج/ ٤) في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الزكاة وفيه «مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ لَا يُعْطَى فِيهَا حَقُّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسَلَهَا. قُلْنَا: يَارَسُولَ اللَّهِ، مَا نَجْدَتُهَا وَرَسَلَهَا؟ قَالَ: فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا. فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْذُ مَا كَانَتْ وَأَكْثَرُهُ وَأَسْمَنُهُ وَأَشْرُهُ حَتَّى يَبْطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرَتْ فَطَافُهَا بِأَخْفَافِهَا فَإِذَا جَاوَزَتْ أَخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا» (في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (المعارج/ ٤) حتى يقضي بين الناس فيرى سبيله: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١) الحديث. ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبْصِرُونَهُمْ﴾ (المعارج/ ١١) لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، قال العوفي عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس/ ٣٧)، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (لقمان/ ٣٣) وقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (فاطر/ ١٨) قال عكرمة: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابي دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول: يا مؤمن إن لي عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة

(١) البخاري (٢١٢/٣) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، وفي تفسير آل عمران، باب (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) وفي كتب غيرها ورواه مسلم (٢/٦٨٠) ح (٩٨٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيراً، فيقول: يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجوبها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكنني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً. ثم يتعلق بزوجه فيقول: يا فلانة أو يا هذه أي زوج كنت لك؟ فيثني خيراً، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهينها إليّ لعلني أنجوبها مما ترين. قال فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكنني لا أطيق أن أعطيك شيئاً، إني أتخوف مثل الذي تتخوف. يقول الله تعالى ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا﴾ (فاطر/١٨) الآية. ويقول تبارك وتعالى ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾ (لقمان/٣٣) ويقول تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس/٣٤).

﴿فإذا نقر﴾ نفخ، ﴿في الناقور﴾ الصور. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ. فقال أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يا رسول الله. قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»^(١) رواه الإمام أحمد وابن جرير. ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ شديد. ﴿على الكافرين غير يسير﴾ عليهم وروى عن زرار بن أوفى قاضي البصرة رحمه الله تعالى أنه قرأ في صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر/٩) شهق شهقة فمات^(٢)، أولئك قوم قرأوا القرآن بقلوب حاضرة وآذان واعية، وبصائر نافذة، وأفهام جلية ونفوس عليّة، مستحضرين تأويل معانيه حين وقوعها وأوان وعيدها، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله فأنم ذلك في قلوبهم خشية الله عز وجل فذابوا خوفاً وحياءً من ربهم وشوقاً إليه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/٢٨) وقال تعالى

(١) تقدم ذكره وأنه حديث صحيح.

(٢) ذكره ابن سعد (١٥٠/٧) في الطبقات والحاكم في المستدرک (٥٠٦/٢) وفي سنده عتاب بن المثنى القشيري (وقع في المستدرک غياث وهو خطأ) قال عنه الحافظ مقبول (إذا توبع وإلا فللين).

فيهم ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان/٧) قال ابن عباس فاشياً. وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض. وقال مقاتل: كان شره فاشياً في السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب وكُورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء، قال ابن جرير: ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

فبانت وَقَدْ أَثَارَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعًا عَلَى نَائِيهَا مُسْتَطِيرًا

يعني ممتداً فاشياً. وقوله ﴿عَبُوسًا قَمْطِيرًا﴾ قال ابن عباس: ضيقاً طويلاً وعنه قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرقٌ مثل القطران. وقال مجاهد ﴿عَبُوسًا﴾ العابس الشفتين ﴿قَمْطِيرًا﴾ تقبض الوجه بالسيور. وقال سعيد بن جبیر وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قَمْطِيرًا﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول. وقال ابن زيد: العبوس الشر والقمطير الشديد. وقال ابن جرير: والقمطير هو الشديد يقال هو يوم قمطير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصيب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطاراً وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر

[حشر الخلائق للعرض]

وأحضروا للعرض والحساب وانقطعت علائق الأنساب
وارتكمت سحائب الأهوال وانعجم البليغ في المقال

(وأحضروا للعرض) العرض له معنيان :

معنى عام: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية. هذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب.

والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم، والحساب المناقشة. وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع إجمالاً وتفصيلاً كما قال ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة/ ١٨) الآيات، وقال تعالى ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الكهف/ ٤٨) الآيات، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَآذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (النمل/ ٨٣ - ٨٤). وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَلْسِنَاتًا لِّیُرُوا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/ ٦ - ٨) وقال تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/ ٩٢) وقال تعالى ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصافات/ ٢٤)، وقال تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية/ ٢٦) وغير ذلك من الآيات.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أخفّ عليكم في الحساب غداً أن

تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(١) (الحاقة/ ١٨).

وروى أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ: فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فُجْدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي فَأَخِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَأَخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ»^(٢) وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه^(٣). وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود نحوه موقوفاً^(٤).

وفي الصحيحين: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْحُمْرِ فَقَالَ «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَاذَةُ الْجَامِعَةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»^(٥) (الزلزلة/ ٧ - ٨).

وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقراً عليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/ ٧-٨) قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها^(٦).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٠٣) وأحمد في الزهد (ص ١٤٩) وأبو نعيم في الحلية (٥٢/١) وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص ٢٩ - ٣٠).

(٢) رواه أحمد (٤١٤/٤)، وابن ماجه (٢/١٤٣٠ ح/٤٢٧٧) في الزهد، باب ذكر البعث. قال الهيثمي رجال الإسناد ثقات، إلا أنه منقطع، والحسن لم يسمع من أبي موسى قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده ومثته (زوائد ٣٥٢/٢) وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه (الدر المنثور ٢٧١/٨). وروي موقوفاً عليه (ابن جرير ٥٩/٢٩) وعلته عله.

(٣) الترمذي (٤/٦١٧ ح/٢٤٢٥) في صفة القيامة، باب ما جاء في العرض، وقال: ولا يصح هذا الحديث من قِبَلِ أَنَّ الْحَسَنَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٤) أخرجه ابن جرير (٥٩/٢٩).

(٥) رواه البخاري (٨/٧٢٧) في تفسير سورة (إذا زلزلت الأرض زلزالها)، باب (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)، ومسلم (٢/٩٨٧/٦٨٠) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٦) رواه أحمد (٥/٥٩) والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ٤/١٨٧) والطبراني في الكبير (٨/٩٠ ح/٧٤١١) وأخرجه عبيد بن حميد وابن مردويه (الدر المنثور ٨/٥٩٥) والصحيح أنه عم الأحنف لا =

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/٧-٨) فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فيمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة^(١).

وعن أبي العالية في قوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/٩٢) قال: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون وعمّاذا أجابوا المرسلين^(٢).

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: والذي لا إله غيره، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم ماذا غرّك مني بي، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت، ابن آدم ماذا أجبّت المرسلين^(٣).

ولابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه، وعن فئات الطينة بأصبعيه، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك»^(٤).

= الفرزدق (انظر الإصابة والتهذيب في ترجمته). وفي سننه الحسن وقد صرح بالتحديث عند النسائي كما في تحفة الأشراف.

- (١) أخرجه ابن جرير (٢٦٨/٣٠) وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (الدر المنثور ٥٩٣/٨) وفي سننه الهيثم بن الربيع وهو ضعيف (من طريقه موصولاً) وروي من غير طريقه مرسلًا.
- (٢) أخرجه ابن جرير (٦٧/١٤) وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (الدر المنثور ٩٩/٥).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٤/٩ ح ٨٨٩٩ و ٨٩٠٠) موقوفاً وسند الأول صحيح والثاني فيه شريك. ومتابعة أبو عوانة له في الحديث الأول ترفع ضعفه/ والحديث ليس عند أحمد. وغرّ المصنف أن ابن كثير ساق إسناد الطبري في تفسيره (٥٧٩/٢) من طريقه.

(٤) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٥٧٩/٢) وفي سننه من لم أجد لهم ترجمة كأي حمزة الشيباني ويونس الخذاء.

وعن ابن عباس ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/٩٢) قال ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (الرحمن/٣٩) قال: لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا؟ وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق/٨)؟ فقال رسول الله ﷺ «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»^(١).

وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم. فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك»^(٢).

وفيه عن عدي بن حاتم قال: قال النبي «ما منكم من أحدٍ إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»^(٣).

وفيه عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن - أو قال يا ابن عمر - هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول «يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه فيقره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول أعرف، يقول رب أعرف، مرتين فيقول أنا سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته. وأما الآخرون أو الكفار

(١) رواه البخاري (١٩٦/١ - ١٩٧) في العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرف، ومسلم (٢٢٠٤/٤) في الجنة، باب إثبات الحساب.

(٢) رواه مسلم (٢١٦١/٤) في صفات المنافقين، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

(٣) رواه البخاري (٤٢٣/٣) في التوحيد، باب قوله الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)، ومسلم (٧٠٣/٢) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار.

فينادي على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»^(١).

وفي الترمذي عن أبي بزررة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»^(٢) وقال حسن صحيح

[براءة الناس يومئذ بعضهم من بعض]

(وانقطعت علائق الأنساب) كما قال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون/١٠١)، وقال تعالى ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (المعارج/١٠) الآيات، وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (عبس/٣٤) الآيات، وقال تعالى عن الكافرين ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء/١٠٠)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه، قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً. ومصدق ذلك في كتاب الله ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون/١٠١)^(٣).

رواه ابن أبي حاتم. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إِنَّ الرجلَ ليقول في الجنة: ما فعل بصديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى

(١) رواه البخاري (٩٦/٥) في المظالم، باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، ومسلم (٤/٢١٢٠ ح/٢٧٦٨) في التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله.

(٢) رواه الترمذي (٤/٦١٢ ح/٢٤١٧) في صفة القيامة، باب رقم ١. والدارمي (١/١٣١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (ص ١٥٩ ح ١) وهو حديث صحيح وله شواهد من حديث ابن مسعود ومعاذ بن جبل انظر السلسلة الصحيحة (٢/٦٦٦ ح/٩٤٦).

(٣) عزاه ابن كثير له (٣/٢٦٦).

الجنة. فيقول من بقي: فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم^(١). قال الحسن رحمه الله تعالى استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعاة يوم القيامة.

وعن قتادة في قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس/ ٣٤ - ٣٥) قال: يفر هابيل من قابيل ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبتة، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس/ ٣٧) يشغله عن شأن غيره.

وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعاة «أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي، حتى إن عيسى بن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدني»^(٢).

وارتكمت سحائب الأهوال وانعجم البليغ في المقال وعنت الوجوه للقيوم واقتصر من ذي الظلم للمظلوم

(وارتكمت) اجتمعت (سحائب الأهوال) جمع هول وهو الأمر الشديد الهائل المفظع (وانعجم) أسكت فلم يتكلم. (البليغ) الذي كان في الدنيا مقتدراً على البلاغة والفصاحة (في المقال) قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (هود/ ١٠٥)، وقال تعالى ﴿وَحَشِبْتَ الْأَصْوَاتَ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه/ ١٠٨) وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا/ ٣٨) قال ابن عباس ﴿وَحَشِبْتَ الْأَصْوَاتَ لِلرَّحْمَنِ﴾ (طه/ ١٠٨): سكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه/ ١٠٨) قال: تحريك الشفاء من غير منطوق، وعنه: الهمس الصوت الخفي، وعنه هو وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم: الهمس نقل الأقدام إلى

(١) معالم التنزيل (٢٦٨/٤) وفيه الوليد بن مسلم وحديث عن رجل مبهم فسندُه ضعيف وهو منكر.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

المحشر كأخفاف الإبل، وقال سعيد بن جبير: همساً سر الحديث ووطء الأقدام فجمع بين القولين، وفي حديث الشفاعة «ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل»^(١) الحديث. (وعنت الوجوه) ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير عان. (القيوم) تضمين لمعنى قوله عز وجل ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ (طه/١١١) وقال ابن عباس وغير واحد: خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيّم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (ط/١١١) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك. وقيل المراد بالظلم هنا العموم فيتناول الشرك وغيره من ظلم العبد نفسه وظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاءة الجلحاء من الشاة القرناء. وفي بعض الأحاديث «يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم»^(٢). وفي الصحيحين «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٣) فعلى هذا المعنى ظلم دون ظلم وخيبة دون خيبة، والخيبة كل الخيبة لمن لقي الله وهو به مشرك، فإن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣) وقد تقدم حديث عائشة عند أحمد «الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يعبأ الله به، وديوان لا يترك الله منه شيئاً»^(٤) الحديث. (واققص من ذي الظلم) أي اقتضى من الظالم (للمظلوم)، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (النساء/٤٠) وقال تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ - إلى قوله - والله يقضي بالحق ﴿(غافر/١٧ - ٢٠) وقال تعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر/٦٩) ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(١) تقدم.

(٢) لم أجده مسنداً.

(٣) رواه البخاري (١٠٠/٥) في المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ومسلم (٤/١٩٩٦) ح

(٢٥٧٩) في البر، باب تحريم الظلم.

(٤) تقدم تخريجه سابقاً.

(الزمر/ ٧٥) وقال تعالى ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾
(الزمر/ ٧٠) وغيرها من الآيات.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: «باب القصاص يوم القيامة، وهي الحاقّة لأن فيها الثواب وحوائق الأمور الحقّة والحاقّة واحد، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابن غيب أهل الجنة أهل النار» ثم ساق بسنده حديث ابن مسعود قال النبي ﷺ «أَوَّلُ مَا يَقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْدِّمَاءِ»^(١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»^(٢).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصَّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا. حَتَّى إِذَا هَذَبُوا وَنَقَوْا أَذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِأَحَدِهِمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(٣).

وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمَفْلَسُ؟ قَالُوا: الْمَفْلَسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَفْلَسُ مَنْ أَمَّتِي مِنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعَدُ فَيَقْتَصِّرُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتَصِرَ مَا

(١) البخاري (٣٩٥/١١) في الرِّقَاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (١٨٧/١٢) في الديات، باب قول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم)، ومسلم (١٣٠٤/٣) ح (١٦٧٨) في القيامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة.

(٢) رواه البخاري (٣٩٥/١١) في الرِّقَاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (١٠١/٥) في المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته.

(٣) رواه البخاري (٣٥٩/١١) في الرِّقَاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (٩٦/٥) في المظالم، باب قصاص المظالم..

عليه من الخطايا أُخِذَ من خطاياهم فطرح عليه ثم طُرح في النار»^(١) هذا حديث حسن صحيح .

وله عنه رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «لتؤدَّن الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاةُ الجِلحاءُ من الشاةِ القرناء»^(٢) قال وفي الباب عن أبي ذر وعبدالله بن أنيس حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح ، وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: بلغني حديثٌ عن رجلٍ سمعه من النبي ﷺ ، فاشتريتُ بغيراً ثم شددت عليه رحلاً فسرتُ عليه شهراً حتى قدمت عليه الشام ، فإذا عبدُ الله بن أنيس ، فقلت للبواب: قل له جابر على الباب . فقال: ابن عبدالله؟ قلت نعم . فخرج يظاً ثوبه فاعتنقني واعتنقته ، فقلت: حديثٌ بلغني عنك أَنَّك سمعته من رسولِ الله ﷺ في القصاص فخشيتُ أَنْ تموت وأموت قبل أن أسمعه ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عراً غراً بهما . قلت: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء . ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه مَنْ بُعِدَ كما يسمعه من قُرْب: أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحدٍ من أهل الجنة حقٌ حتى أقضيه منه ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجلٍ من أهل النار حقٌ حتى أقضيه منه ، حتى اللطمة . قال قلنا كيف وإنما تأتي الله عز وجل حفاةً عراءً غراً بهما؟ قال: بالחסناتِ والسَّيِّئاتِ» وقد أشار البخاري إلى هذا الحديث في مواضع من صحيحه تعليقاً ووصله في كتاب خلق أفعال العباد^(٣).

-
- (١) رواه مسلم (٤/١٩٩٧/ح ٢٥٨١) في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي (٤/٦١٣/ح ٢٤١٨) في القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وأحمد (٢/٣٠٣ و ٣٣٤ و ٣٧٢) وعلقه البخاري في صحيحه (١٠/٥٦٦) في الأدب، باب قول النبي ﷺ «إنما الكرم قلب المؤمن» طرفه الأول بلفظ «إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة».
- (٢) رواه مسلم (٤/١٩٩٧/ح ٢٥٨١) في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي (٤/٦١٤/ح ٢٤٢٠) في القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.
- (٣) رواه البخاري تعليقاً في صحيحه (١٣/٤٥٣) وفي خلق أفعال العباد (ح ٤٦٣) في الأدب المفرد (ح/٩٧٠) وأحمد (٣/٤٩٥) والحاكم في المستدرک (٢/٤٣٧ - ٤٣٨ و ٤/٥٧٤ - ٥٧٥) والبيهقي =

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ الْجَمَاءَ لَتَقْتَصُّ مِنَ الْقِرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وروى رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاتَيْنِ يَنْتَظِحَانِ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا يَنْتَظِحَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ لَا. قَالَ: لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا»^(٢).

وساوت الملوك للأجناد وجيء بالكتاب والأشهاد
وشهد الأعضاء والجوارح وبدت السوات والفضائح
وابتليت هنالك السرائر وانكشف المخفى في الضمائر

(وساوت الملوك) العظماء الرؤساء الكبراء (للأجناد) الرعايا، أي صاروا سواء في ذلك الموقف مشتركين في هوله الفظيع وكربه الشديد إلا من رحمه الله، وليس لأحد منهم مقال، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً، ولا ضرراً، كل امرئ بما كسب رهين، قال الله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الفاتحة/٤)، وقال تعالى ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ (الحج/٥٦)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر/١٦)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار/١٩) وغير ذلك من الآيات.

قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الفاتحة/٤)

= في الأسماء والصفات (ص ٧٨)، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (ص ٣١ و ٣٢) والطبراني في الكبير (المجمع ١/١٣٣). وفي سنده عبد الله بن محمد بن عقيل قال الحافظ: في حديثه لين. قلت يتقوى بما ذكر الحافظ في الفتح (١/١٧٤) أن له سند عند الطبراني في حديث الشاميين وتمام في فوائده. وقال: إسناده صالح.

(١) رواه عبد الله بن أحمد في المسند (١/٧٢) والبخاري (ح ٣٤٤٩) وسنده ضعيف فيه الحجاج بن نصير وهو ضعيف. وهو صحيح لشاهده الذي سبق من حديث أبي هريرة في الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٥/١٦٢) والبخاري (ح ٣٤٥٠) مع زيادة يسيرة والطبراني في الأوسط كما في (المجمع ١٠/٣٥٥) قال الهيثمي: وفيها ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقيّة رجال أحمد رجال الصحيح غير شيخه ابن عائشة وهو ثقة ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح. وفيها راو لم يُسم.

يقول لا يملك أحدٌ معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا. قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم. إِنَّ خَيْراً فَخِيراً وَإِنْ شَرّاً فَشَرّاً، إلّا من عفا عنه وقال البغوي في قوله عز وجل ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ (الفرقان/٢٦): أي الملك الذي هو الملك الحق ملك الرحمن يوم القيامة. وقال ابن عباس رضي الله عنه يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره، وفي الحديث الصحيح المتقدم «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض» وفي لفظ «أين الجبارون أين المتكبرون»^(١).

وقال قتادة ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار/١٩): والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد. وقال البغوي: يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحداً من خلقه شيئاً كما ملكهم في الدنيا. (وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالْأَشْهُادِ) قال الله تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (الكهف/٤٩)، وقال تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ (الزمر/٦٩)، وقال تعالى ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة/١٤٣)، وقال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء/٤١)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (النحل/٨٤)، إلى قوله ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ (النحل/٨٩)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ، وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (القصص/٧٤-٧٥) الآية، وقال تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقُ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/٢١) وغير ذلك من الآيات.

(١) تقدم ذكره.

وقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا يوسف بن راشد حدثنا جرير وأبو أسامة - واللفظ لجرير - عن الأعمش عن أبي صالح . وقال أبو أسامة : حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «يُدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت؟ فيقول نعم . فيقال لأمته هل بلغتكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير . فيقول : مَنْ يشهد لك؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته . فتشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فذلك قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١) (البقرة/١٤٣) . والوسط العدل . ورواه أحمد وأصحاب السنن .

ورواه الإمام أحمد أيضاً بلفظ «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغتكم هذا؟ فيقولون لا . فيقال له : هل بلغت قوماك؟ فيقول نعم . فيقال مَنْ يشهد لك؟ فيقول : محمد وأمته ، فيدعى محمد ﷺ وأمته فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون : نعم . فيقال : وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا ﷺ فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا . فذلك قوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال عدلاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٢) (البقرة/١٤٣) .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ علي . فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : نعم ، إني أحب أن أسمع من غيري . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء/٤١) فقال : حَسْبُكَ الآن . فإذا عيناه تذرفان»^(٣) .

(١) رواه البخاري (٣٧١/٦) في الأنبياء ، باب قول الله عز وجل : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) ، وفي التفسير ، والاعتصام ، وأحمد (٣٢/٣) ، والترمذي (٢٠٧/٥) ح/ (٢٩٦١) في تفسير سورة البقرة وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في «الكبرى» (تحفة الأشراف ٣/٣٤٥) ، وابن ماجه (١٤٣٢/٢) ح/ (٤٢٨٤) في الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ .

(٢) أحمد (٥٨/٣) .

(٣) رواه البخاري (٩٨/٩) في فضائل القرآن ، باب البكاء عند قراءة القرآن ، وباب من أحب أن =

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ (الكهف/٤٩) أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمالنا، ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف/٤٩) أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها^(١).

وروى الطبراني بإسناده عن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء، فقال النبي ﷺ «اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به» قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركماً، فقال النبي ﷺ «أترون هذا؟ فكذاك تَجْمَعُ الذُّنُوبَ على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليَتَّقِ اللهَ رجلٌ ولا يذنب صغيرةً ولا كبيرةً فإنها محصاة عليه»^(٢).

وروى البغوي بإسناده عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مِثْلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مِثْلُ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ هَذَا بَعُودٌ وَجَاءَ هَذَا بَعُودٌ فَانْضَجُوا خَبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ لَمَوْبَقَاتُ»^(٣).

وقوله ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (الكهف/٤٩) كقوله عز وجل ﴿يَوْمَ تَجِدُ

= يسمع القرآن من غيره، وباب قول المقرئ للقاريء: حسبك، ومسلم (١/٥٥١/ح ٨٠٠) في صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن.

(١) تفسير ابن كثير (٨٦/٣).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٥٢/٦/ح ١/٥٤٨٥) قال الهيثمي: وفيه نفي أبو داود وهو ضعيف (المجمع ١٩٣/١٠) قلت: فيه يونس بن نفع وليس نفع أبو داود والحسين بن الحسن وهما ضعيفان. وفيه محمد بن سعد العوفي وهو ضعيف كذلك.

(٣) رواه أحمد (٤٠٢/١) و (٣٣١/٥) والبغوي في التفسير (٥٧٤/٣) والطبراني في الكبير (١٦٥/٦/ح ٥٨٧٢) والأوسط (٢٥٤/٣/ح ٢٥٥١) والصغير (٤٩/٢) وأخرجه الروياني في مسنده (١٩٧/٢٩ - ١٩٨) والبيهقي في الشعب. قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. (المجمع ١٩٢/١٠).

كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ﴿آل عمران/٣٠﴾،
 وقوله عز وجل ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ﴾ (التكوير/١٤)، وقوله تعالى ﴿عَلِمَتْ
 نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار/٥)، وقوله تعالى ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ
 وَأَخَّرَ﴾ (القيامة/١٣) وغيرها من الآيات.

وقوله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (القصص/٧٥) قال البغوي: يعني
 رسولهم الذي أرسل إليهم وهو قول مجاهد، وروى ابن جرير عن عثمان بن
 عفان أنه خطب فقرأ هذه الآية ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/٢١)
 فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال
 مجاهد وقتادة وابن زيد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائق الملك
 والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدي، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:
 السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه. وقوله تعالى
 ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بُنُورَ رَبِّهَا﴾ بنور خالقها، ذلك حين يتجلى الرب
 لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في
 اليوم الصحو، قاله البغوي. والحديث «لا يتضارون في رؤيته»^(١).

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال. ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ قال ابن
 عباس رضي الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم.
 ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ أي من الملائكة الحفظة على أعمال العباد قال ذلك عطاء، ويدل
 عليه قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/٢١) قال ابن
 عباس: يعني الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ. ويدل
 على ذلك قوله تعالى ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة/١٤٣) وقال مجاهد
 في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر/٥١) يعني الملائكة، قال البغوي:
 يشهدون للرسول بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

(وشهدت) على كل جاحد (الأعضاء) أعضاؤه (والجوارح) عطف تفسير،
 قال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

(١) تقدم ذكره.

يَكْسِبُونَ ﴿يس/٦٥﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِمَ جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْهُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت/ ١٩ - ٢٢) الآيات وغيرها.

وروى مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَضَحِكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ ﷺ: مِنْ مَجَادِلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: رَبِّ أَلَمْ تُجَرِّنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فيقول: بلى. فيقول: لَا أَجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. فيقول: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِييًّا، وَبِالْكَرَامِ الْكِتَابُ شَهُودًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطَقِي، فَتَنْطِقُ بِعَمَلِهِ، ثُمَّ يَخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ فيقول: بَعْدًا وَسَحَقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ»^(١).

وروى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال «إِنَّكُمْ تَدْعُونَ مَقْدَمًا عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ، فَأُولَ مَا يَسْأَلُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخْذَهُ وَكَتِفَهُ»^(٢) ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به. وله هو ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل قال فيه «ثُمَّ يُلْقَى الثَّالِثُ فيقول: مَا أَنْتَ؟ فيقول: أَنَا عَبْدُكَ، آمَنْتُ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ وَبِكِتَابِكَ، وَصَمْتُ وَصَلَّيْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَبِشَيْءٍ بَخِيرَ مَا اسْتَطَاعَ. قَالَ: فيقال له أَلَا نَبَعْتُ عَلَيْكَ شَاهِدَنَا؟ قَالَ فيفكرُ في نفسه من الذي يشهد

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٨٠/ح/٢٩٦٩) في الزهد والرقائق، وابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٥٨٤) في فاتحته، والنسائي في التفسير في «الكبرى» كما في تحفة الأشراف (١/٢٤٩).
(٢) رواه أحمد (٥/٤٠٥) وعبد الرزاق في «مصنفه» والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ٨/٤٣١/ح/١١٣٩٢) وإسناده حسن.

عليه؟ فَيُخْتَمَ عَلَى فِيهِ وَيَقَالُ لِفَخْذِهِ: انطقي، قال فتَنطَقُ فخذَه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه»^(١) وهذا الحديث تقدم قريباً بطوله والله الحمد. وهذا والله أعلم يتضمن بيان قول الله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (المجادلة/١٨) الآية، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وأحمد رحمهم الله تعالى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يُخْتَمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ فخذَه مِنَ الرَّجُلِ الْيَسْرَى» وفي رواية أحمد «مِنَ الرَّجُلِ الشَّمَالِ»^(٢).

وروى ابن جرير عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه «يُدْعَى الْمُؤْمِنُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَعْرَضُ عَلَيْهِ رَبُّهُ عَمَلَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَيَعْتَرِفُ يَقُولُ نَعَمْ. أَيُّ رَبِّ عَمِلْتَ عَمِلْتَ عَمِلْتَ قَالَ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَيَسْتَرُهُ مِنْهَا قَالَ فَمَا عَلَى الْأَرْضِ خَلِيقَةٌ تَرَى مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ شَيْئاً، وَتَبْدُو حَسَنَاتُهُ فَوَدَّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَرُونَهَا. وَيَدْعَى الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ لِلْحِسَابِ فَيَعْرَضُ عَلَيْهِ رَبُّهُ عَمَلَهُ فَيَجْحَدُ وَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ كَتَبَ عَلَيَّ هَذَا الْمَلِكُ مَا لَمْ أَعْمَلْ. فَيَقُولُ لَهُ الْمَلِكُ أَمَا عَمِلْتَ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا؟ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ أَيُّ رَبِّ مَا عَمَلْتُهُ. فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى فِيهِ. قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَنَا أَحْسَبُ أَوَّلَ مَا يَنْطَقُ مِنْهُ فخذَه الْيَمْنَى» ثم تلا ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس/٦٥)^(٣).

وروى أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرِفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ فَجْحَدَ وَخَاصَمَ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ جِيرَانُكَ

(١) رواه مسلم (٢٢٧٩/٤ ح ٢٩٦٨) في الزهد والرفائق، وقد تقدم.

(٢) رواه أحمد (١٥١/٤) وابن جرير (٢٤/٢٣) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٥٨٤/٣) والطبراني وابن مردويه (الدر المنثور ٦٨/٧) وإسناده ضعيف فيه انقطاع بين شريح بن عبيد وعقبة بن عامر. وعند أحمد قال (عن شريح عن حميد بن عتبة).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٣) موقوفاً وإسناده على شرط الشيخين.

يشهدون عليك، فيقول كذبوا، فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار^(١).

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين، لا ينطقون، ولا يعتذرون، ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم، ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحدُ بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت/ ٢١) فتقر الألسنة بعد الجحود^(٢)، وروى أيضاً عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلاً جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة، ثم يقول لأبيه^(٣) تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويده ورجلاه: صنعنا عملنا فعلنا^(٤). وله أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال «ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة» فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً. قال يقول رسول الله ﷺ «صَدَقْتُ صَدَقْتُ كَيْفَ يَقْدُسُ

(١) رواه أبو يعلى (٢/٥٢٧/ح ١٣٩٢) وابن جرير (١٨/١٠٥) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى بإسناد حسن على ضعف فيه (المجمع ١٠/٣٥٤) قلت: بل هو ضعيف فيه ابن لهيعة ودراج أبو السمع عن أبي الهيثم وهما علتان لضعفه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٧/٣١٩) وابن كثير (٤/١٠٤) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٣) أي أعضائه.

(٤) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/١٠٤).

الله تعالى قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»^(١)، ورواه ابن أبي الدنيا.

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ (فصلت/ ٢٢) الآية: كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله. فأنزلت ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾^(٢) (فصلت/ ٢٢) الحديث تقدم لفظه في إثبات السمع والبصر والله الحمد.

(وابتليت) أي اختبرت (هنالك) الإشارة إلى موقف القيامة العظيم، وهول الجسيم (السرائر) جمع سريرة وهي ضد العلانية (وانكشف المخفى) المستور (في الضمائر) إشارة إلى قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق/ ٩) قال البغوي رحمه الله تعالى: وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا. قال قتادة ومقاتل تختبر. قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاعتسال من الجنابة فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها، قال ابن عمر رضي الله عنهما: يُبْدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر، فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه، يعني من أداها كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «يُرفَعُ لكل غادر لواء عند استه يقال: هذه غدره فلان ابن فلان»^(٣) عياداً بالله من ذلك.

(١) ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في الأحوال (ابن كثير ٤/ ١٠٤) وابن ماجه (٢/ ١٣٢٩/ ١٣٢٩) ح (٤٠١٠) في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وسنده ضعيف فيه سويد بن سعيد ويحيى بن سعيد الطائفي وكلاهما مضعف. وقد تقدم في العلو.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) رواه البخاري (١٣/ ٦٨) في الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، وفي =

[صحائف الأعمال تؤخذ باليمين والشمال]

ونشرت صحائف الأعمال تؤخذ باليمين والشمال
طوبى لمن يؤخذ باليمين كتابه بشرى بحور عين
والويل للآخذ بالشمال وراء ظهر للجحيم صالي

(ونشرت صحائف) كتب (الأعمال) من حسنات وسيئات قال الله تعالى ﴿وَإِذَا
الْصَّحُفُ نُشِرَتْ﴾. (تؤخذ باليمين) للمؤمن (والشمال) للكافر (طوبى) أطيب
شيء واسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (لمن
يأخذ اليمين كتابه بشرى) أعظم بشارة (بحور) جمع حوراء صفة لهن من حور
العين وهو شدة سواد العينين في شدة بياضهما (عين) عين الأعين (والويل) كلمة
عذاب وواد في جهنم (للاخذ بالشمال) كتابه (وراء ظهر للجحيم صال) اسم
فاعل من صلى يصلى غمر فيها، وقد ذكر الله تعالى تطاير الصحف ونشرها
وتناولها في غير موضع من كتابه مع بيان منازل أهلها كما قال تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ
أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا، إِفْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء/١٤)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ
بِإِمَامِهِمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا، وَمَنْ
كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء/٧١)، وقال
تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ
هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ
عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ. وَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالْتَنِينِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ، وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيهِ، يَالْتَنَيْهَا
كَانَتْ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ، هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ

= الجهاد، باب إثم القادر للبر والفاجر، وفي الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، وفي الحيل،
باب إذا غضب جارية فرغم أنها ماتت فقضى بقيمة الجارية الميتة، ومسلم (٣/١٣٥٩/ح ١٧٣٥)
في الجهاد، باب تحريم الغدر.

الْبَحِيمَ صَلَوَهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿١٨﴾ (الحاقة/ ١٨ - ٣٧)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ، فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا، إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَحْزَنُ، بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (الانشقاق/ ٦ - ١٥)، وقال تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/ ٢٩)، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء/ ١٣): طائره هو ما طار عنه من عمله من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (الإسراء/ ١٣) قال معمر: وتلا الحسن البصري ﴿عَنِ الْيَمِينِ، عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (ق/ ١٧) يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل به ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفة فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً ﴿إِقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ الآية. فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك.

وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء/ ٧١) قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه وبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلأأ فينطلق إلى أصحابه فيروونه من بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا في هذا. فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا. وأمّا الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراها أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا، اللهم لا تأتينا به. فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن

لكل رجلٍ منكم مثل هذا»^(١) حديث غريب حسنه الترمذي .

وفي السُّنن عن عائشة رضي الله عنها أنها «ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قالت: ذكرتُ النار فبكيْتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أمّا في ثلاثة مواطنٍ فلا يذكر أحدٌ أحداً. عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقول ﴿هَآؤُمْ أَقْرَؤُا كِتَابِيَهٗ﴾ (الحاقة/١٩) حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم»^(٢).

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئاته تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدلت حسنات، قال فعند ذلك يقول: هَآؤُمْ أَقْرَؤُا كِتَابِيَهٗ»^(٣).

وله عن عبدالله بن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال «إِنَّ اللَّهَ يُوقِفُ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَبْدِي - أي يظهر - سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له: أَنْتَ عَمَلْتَ هَذَا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إِنِّي لَمْ أَفْضَحْكَ بِهِ، وَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ. فيقول عند ذلك ﴿هَآؤُمْ أَقْرَؤُا كِتَابِيَهٗ﴾، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ»

(١) رواه الترمذي (٣٠٢/٥ ح/٣١٣٦) في التفسير، باب «من سورة بني اسرائيل، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان (٢٢٢/٩ ح/٧٣٠٥ - إحصان) والحاكم في المستدرک (٢٤٣/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبخاري وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣١٧/٥) قلت وفيه عبد الرحمن بن أبي كريمة والدة السدي الكبير «اسماعيل» وهو مجهول ولم يخرج له مسلم كما وهم الحاكم وتابعه الذهبي . قال البخاري: لا يروى إلا من هذا الوجه (ابن كثير ٥٦/٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٠/٤ - ٢٤١/٤ ح/٤٧٥٥) في السنة، باب في ذكر الميزان، وأحمد مختصراً (١٠١/٦) والحاكم في المستدرک (٥٧٨/٤) وقال: هذا حديثه صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن عائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي . منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة ووافقه الذهبي . قلت: هو مدلس وقد نعن عند الجميع .

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر والخطيب كما في الدر المنثور (٢٧١/٨) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٤٤٣/٤).

(الحاقه/١٩) حين نجا من فضيحتة يوم القيامة^(١). وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح في النجوى وفيه في المؤمن «ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ يَمِينَهُ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(٢).

وعن ابن السائب في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ (الحاقه/٢٥) قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره، ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره. وقال البغوي في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (الانشقاق/١٠) قال: فتغلّ يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٨/٢٧١ وابن كثير ٤/٤٤٣).

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

فصل فيما جاء في الميزان

والوزن بالقسط فلا ظلم ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملاً
فبين ناجٍ راجح ميزانه ومقرف أوبقه عدوانه

(والوزن) لأعمال العباد (بالقسط) العدل (فلا ظلم) على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرماً فلا يهضم أحد من حسناته. (ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملاً) الألف للإطلاق، قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (غافر/١٧)، وقال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس/٥٤)، وقال تعالى ﴿وَنَضْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧)، وقال تعالى عن لقمان ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/١٦)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (النساء/٤٠).

(فبين ناجٍ راجح ميزانه) الخ قال الله تعالى ﴿وَالْوِزْنَ يُؤَمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف/٩)، وقال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (المؤمنون/١٠٢) الآيات.

وقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ، نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (القارعة/ ٦ - ١١)، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف/ ١٠٥).

وفي الترمذي عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل - يعني إن شاء الله - قلت: يارسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبي عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبي عند الحوض فإنني لا أخطيء هذه الثلاث المواطن^(١) هذا حديث حسن غريب.

وفي سنن أبي داود وغيره حديث عائشة المتقدم وفيه «وعند الميزان حتى يثقل أو يخف»^(٢) الحديث.

والقول في الموزون على ثلاثة أوجه:

الأول: أنه الأعمال نفسها هي التي توزن، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان.

ويدل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(٣).

وفي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اقرأوا

(١) رواه أحمد (١٧٨/٣)، والترمذي (٦٢١/٤ ح/٢٤٣٣) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قلت: وهو كما قال.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) رواه البخاري (٢٠٦/١١) في الدعوات، باب فضل التسبيح، ومسلم (٢٠٧٢/٤ ح/٢٦٩٤) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح.

القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه. اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة^(١) ومعاوية هو ابن سلام.

وفيه عن النّوّاس بن سَمْعَانَ الكلابي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران» وضرب لهما رسولُ الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال «كأنهما غمامتان أو ظُلَّتَان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»^(٢). وقال الترمذي رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثوابُ قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. وفي حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي ﷺ «وأهله الذين يعملون به في الدنيا» ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل^(٣) اهـ.

قلت: ولا مانع من كون الآتي هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث: فأما أن يقال إن الآتي هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله، لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعل العبد وعمله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات/٩٦).

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كُنتُ جالسا عند النبي ﷺ فسمعتُه يقول «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قال: ثم سكت ساعة ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان

(١) رواه مسلم (١/٥٥٣ ح ٨٠٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٢) رواه مسلم (١/٥٥٤ ح ٨٠٥) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٣) الترمذي (٥/١٦٠ - ١٦١ ح ٢٨٨٣) في فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة آل عمران.

من طير صَوَّاف، وإنَّ القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشقُّ عنه قبره كالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت مقلتك وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراء تجارتك، وإنَّك اليوم من وراء كلِّ تجارة فيعطي الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاجٌ من الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولد كما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنَّةِ وغرفها، فهو في صعود، ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً^(١) وإسناده حسن.

والقول بأن الأعمال هي ذاتها التي توزن، ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنه .

والقول الثاني: أن صحائف الأعمال هي التي توزن.

وبدل لذلك ما روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشِرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعُونَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مَدَّةُ الْبَصْرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ لَا يَارَبِّ، قَالَ أَفَلَمْكَ عَذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ قَالَ فُبْهَتَ الرَّجُلُ يَقُولُ لَا يَارَبِّ، فيقول بلي إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فيقول أحضره، فيقول ياربُّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قال فتوضع السجلات في كَفَّةٍ وَالبطاقةُ في كَفَّةٍ، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ بَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٢) ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب.

(١) رواه أحمد (٣٦١/٥) والحاكم في المستدرک شطره الثاني (١٤٠/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٢) رواه أحمد (٢١٣/٢)، والترمذي (٢٤/٥ - ٢٥/٢) في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله. وقال «هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (١٤٣٧/٢) ح (٤٣١١) في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة. وهو حديث صحيح.

والثالث: أن الموزون ثواب العمل وهو اطراد ما نقله الترمذي في معنى حديث النواس.

الرابع: أن الموزون هو العامل نفسه.

ويدل لذلك ما روى أحمد عن علي رضي الله عنه أن ابن مسعود رضي الله عنه صعد شجرة يجتنى الكبات، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد»^(١).

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال اقرأوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف/١٠٥)^(٢). ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالرجل الأكل الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها» قال وقرأ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف/١٠٥) رواه ابن جرير^(٣).

وروى البزار عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل رجل من قریش يخطر في حلة له، فلما قام على النبي قال «يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً»^(٤).

قلت: والذي استظهر من النصوص - والله أعلم - أن العامل وعمله وصحيفة

(١) رواه أحمد (١١٤/١) وإسناده حسن وله شواهد من حديث ابن مسعود وقرة بن إياس وغيرهم والكبات: هو النضيج من ثمر الأراك.

(٢) رواه البخاري (٤٢٦/٨) في تفسير سورة الكهف، باب قوله تعالى: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه)، ومسلم (٢١٤٧/٤ ح/٢٧٨٥) في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٥/٩) والبيهقي في الشعب كما في الدر المنثور (٤٦٦/٥) وابن أبي حاتم (ابن كثير ١١٣/٣). وفي سنده صالح مولى التوأمة: صدوق اختلط وتابعه عند البخاري الأعرج فهو حديث صحيح.

(٤) رواه البزار (كشف الأستار ٣/٣٦٥).

قال الهيثمي: وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف (المجمع ١٢٨/٥) قال البزار: عون لم يكن بالحافظ ولم يتابع على هذا.

عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال قال رسول الله ﷺ «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال فيبعث به إلى النار. قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان»^(١) فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، والله الحمد والمنة.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فيكف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك» فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ وبهتف، فقال رسول الله ﷺ «ما له لا يقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧) فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرارٌ كلهم»^(٢).

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) رواه أحمد (٢٨٠/٦)، والترمذي (٣٢٠/٥) ح (٣١٦٥) في التفسير، باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام، وابن جرير في تهذيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان كما في الدر المنثور (٦٣٢/٥) قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان. قلت: هو ثقة والحديث صحيح.

فصل فيما جاء في الصراط

وينصب الجسرُ بلا امتراءٍ كما أتى في مُحْكَمِ الأنبياءِ
يجوزُهُ النَّاسُ على أحوالٍ بقدر كسبهم مِنَ الأعمالِ
فبينَ مجتازٍ إلى الجنانِ ومسرفٍ يُكَبُّ في النيرانِ

(وينصب الجسر) وهو الصراط على متن جهنم (بلا امتراء) بلا شك (كما أتى في محكم الأنبياء) من الآيات والأحاديث (يجوزُهُ) يمر عليه الناس (على أحوال) متفاوتة (بقدر كسبهم) في الحياة الدنيا (من الأعمال) من إحسان أو إساءة أو تخليط، (ف) هم (بين مجتاز) عليه (إلى الجنان) وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع، (ومسرف) على نفسه (يكب في النيران) فلا ينجو، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم/ ٧١)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ، قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ. فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد/ ١٢ - ١٥).

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله

الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً.

وقال سليمان بن مرة: يدخلونها جميعاً وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها: فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً»^(١).

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة^(٢).

وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال ما يبكيك؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت، قال إني ذكرت قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) فلا أدري أنجو منها أم لا^(٣).

وله عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود الدخول. فقال نافع لا. فقرأ ابن عباس ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء/٩٨) أوردوها أم لا؟ وقال ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ (هود/٩٨) أوردوها أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع^(٤).

وروى ابن جرير عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو

(١) رواه أحمد (٣/٣٢٨ - ٣٢٩) ورجاله ثقات غير أبي سمية قال الحافظ: مقبول.

ولذلك قال ابن كثير: غريب ولم يخرجوه.

(٢) الحسن بن عرفة (ابن كثير ٣/١٣٢) وابن جرير (١٦/١٠٩).

(٣) عبد الرزاق في مصنفه ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير (١٦/١٠٨ - ١٠٩) وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن

المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وفيه رجل مبهم ويشهد له الذي بعده.

راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له: يا ابن عباس أرايت قول الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم/٧١) قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل تصدر عنها أم لا^(١). وعنه رضي الله عنه في ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون ﴿يَقْدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ (هود/٩٨) الآية ﴿وَنُسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ (مريم/٨٦) فسمى السورود على النار دخولاً وليس بصادر^(٢).

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال رسول الله ﷺ «يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم»^(٣). ورواه الترمذي هكذا مرفوعاً، وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفاً قال «يرد الناس جميعاً الصراط، ورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم: فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرّاً رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافته ملائكة معهم كلاب من نار يختطفون بها الناس»^(٤) الحديث.

وروى ابن جرير عنه في ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة

(١) ابن جرير (١١١/١٦).

(٢) ابن جرير (١٠٨/٩ - ١٠٩) وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥٣٥/٥). وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٣) رواه أحمد (٤٣٥/١)، والترمذي (٣١٧/٥ ح ٣١٥٩) في التفسير، باب ومن سورة مريم، وقال هذا حديث حسن، وابن جرير (١١١/١٦) وفي سننه إسماعيل السدي: قال شعبة: وقد سمعته من السدي مرفوعاً ولكني عمداً أدعه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١٣٩/٣) وقد تقدم ذكر شعبة في هذا. والسدي له أوهام.

كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم^(١).

وقال قتادة: قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لِلْآلِ وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال: هو الممر عليها^(٢)، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرائها، وورود المشركين أن يدخلوها^(٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»^(٤) قال الزهري كأنه يريد هذه الآية ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لِلْآلِ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم/٧١) قال ابن مسعود: قسماً واجباً، وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه «يُضْرَبُ الصراط بين ظهري جهنم فأكونُ أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموثق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه»^(٥) الحديث.

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم. قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها

(١) أخرجه ابن جرير (١١٠/١٦) قال ابن كثير: ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرها من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم (٣/١٣٩ - ١٤٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٠/٩).

(٣) أخرجه ابن جرير (١١١/٩)، قلت: وهذا أقرب الأقوال إلى الصحة وله تشهد النصوص والدلائل.

(٤) رواه البخاري (١١٨/٣) في الجنائز، باب فضل من مات له فاحتسب، ومسلم (٤/٢٠٢٨ ح/٢٦٣٢) في البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

(٥) رواه البخاري (١٣/٤١٩ - ٤٢٠) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة)، ومسلم (١/١٦٣ - ١٦٦ ح/١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً^(١) الحديث.

ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «آخِرُ من يدخل الجنة رجلٌ فهو يمشي مرةً ويكبو مرةً وتسفعه النار مرةً - فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارَكَ الذي نَجَّاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين» الحديث. وفي رواية عن ابن مسعود «رجلٌ يخرج من النار حبواً»^(٢).

وفيه عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولاً. وفيه «وترسلُ الأمانةُ والرحمُ فتقومان جنبتي الصراطِ يميناً وشمالاً، فيمرُّ أولُكم كالبرق، قال: قلتُ بأبي أنت وأُمِّي أيُّ شيءٍ كَمَرُ البرق؟ قال: أَلَمْ تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجعُ في طرفة عينٍ، ثم كَمَرُ الطير، وتشدُّ الرجال تجري بهم أعمالُهم، قال ونييكم ﷺ قائمٌ على الصراط يقول رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حتى تعجز أعمالُ العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحافاً. قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمِرَتْ به فمخدوشٌ ناجٍ ومكدوسٌ في النار. والذي نفس أبي هريرة بيده إنَّ جهنمَ لسبعون حريقاً»^(٣). وفيه أيضاً في بعض طرق حديث أبي سعيد المتقدم قال أبو سعيد «بلغني أنَّ الجسر أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السِّيف»^(٤)، وفيه عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسأل عن الورود الحديث^(٥). وفيه رؤية الله تعالى «فيتجلَّى لهم يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل إنسان - منافق

(١) رواه البخاري (٤١٩/١٣ - ٤٢٠) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها

ناظرة)، ومسلم (١٦٧/١ - ١٧١/ح ١٨٣) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) رواه مسلم (١٧٢/١ - ١٧٥/ح ١٨٧) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً.

(٣) رواه مسلم (١٨٦/١ - ١٨٧/ح ١٩٥) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلاً.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم.

أو مؤمن - نوراً ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كالليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى ، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجون أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون»^(١) وذكر الحديث .

وقال عبدالله بن مسعود في قوله الله تعالى ﴿يَسْمَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الحديد/١٢) قال : على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة»^(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال قتادة : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنَ أَبْيَنَ وَصَنْعَاءَ فَدُونَ ذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورَهُ مَوْضِعَ قَدَمِيهِ»^(٣) .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَتَرًا مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُورًا وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُورًا ، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصِّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ تَعَالَى نُورَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : انْظُرُوا نَقْتَسِبُ مِنْ نُورِكُمْ ، وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّنَا أَتَمَّ لَنَا نُورُنَا فَلَا يَذْكُرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَحَدٌ أَحَدًا»^(٤) .

قلت : وذلك من تأويل قول الله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، نُورُهُمْ يَسْمَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمَّ لَنَا نُورُنَا وَاعْفِرْ لَنَا

(١) مسلم (١/١٧٧/ح ١٩١) في الإيمان ، باب معرفة أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٢) ابن جرير (٢٧/٢٢٣) والحاكم في المستدرک (٢/٤٧٨) وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٥٢) قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : على شرط البخاري .

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٧/٢٢٢) وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/٥٢) وإسناده منقطع . ومعناه يشهد له ما تقدم .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/١٢٢/ح ١١٢٤٢) . وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٥٣) وإسناده موضوع فيه إسحق بن بشر وهو وضاع .

إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (التحریم/۸) وروی ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم. فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»^(١) وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا. وقال الحسن رحمه الله «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» (الحديد/۱۲) قال: على الصراط اهـ.

وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالاصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ماري ابن عباس رضي الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» (الأنبياء/۹۸) أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك»^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٧٨/٢) وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٥٢/٨). وهو حديث صحيح. في سند الحاكم: عبد الله بن صالح كاتب الليث تابعه عند ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣٣٠/٤) ابن أخي ابن وهب.

(٢) تقدم ذكره سابقاً. وتماه فضحك نافع (أي استهزاء).

فصل - فيما ورد في الجنة والنار

والنار والجنة حق وهما موجودتان لا فناء لهما

أي ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، والبحث فيه ينحصر في ثلاثة أمور:

الأول: كونهما حقاً لا ريب فيهما ولا شك، وأن النار دار أعداء الله، والجنة دار أوليائه.

وهذا هو المشار إليه بقولنا حق، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحریم/ ۶ - ۸) الآيات.

وقال تعالى ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة/ ۲۵) الآية. وقال تعالى ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/ ۱۳۱ - ۱۳۳) الآيات، وقال تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا

أَرْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿النساء/ ٥٥-٥٧﴾، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ نَعِيمٍ، دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيتُهم فِيهَا سَلَامٌ، وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس/ ٧-٨)، وقال تعالى في أولياء الشيطان ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء/ ١٢٠-١٢٢). وقال تعالى لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ (الحجر/ ٤٣) الآيات، وغيرها كثيرة في القرآن شهيرة، كلما يذكر الجنة عطف عليها بذكر النار، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة، فتارة يعد ويتوعد، وتارة يخبر عما أعد في الجنة من النعيم المقيم لأوليائه، ويخبر عما أرصد في النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك. فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِيرُ بْنُ هَانِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةٍ عَنْ عِبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ «زاد في رواية» من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء^(١) ووافقه على إخراجه مسلم وغيره.

(١) رواه البخاري (٤٧٤/٦) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا =

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال «اللهم لك الحمد، أنت قيّم السموات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وفولك حق والجنة حق والنار حق والنيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدّمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك» زاد في رواية «ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(١) هذا لفظ البخاري في باب التهجد.

وقد روياه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبي ﷺ قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله وحقية رسله عليهم السلام وحقية وعده الصادق وهما أي الجنة والنار من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيقته ووقوعه في غير ما موضع من كتابه. وفي حديث عبادة هذا أنه ﷺ علق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك، ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. اَصْلُوهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿يس/٦٣ - ٦٤﴾، وقال تعالى ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾. أَفَسِحْرُ هَذَا ﴿الطور/١٣ - ١٥﴾ الآيات وغيرها. وتقدم في بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد «قال فحدثني ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان»^(٢) الحديث، وغير ذلك من الأحاديث.

= تقولوا على الله إلا الحق)، ومسلم (١/٥٧/ح ٢٨) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(١) رواه البخاري (٣/٣) في التهجد، باب التهجد بالليل وفي الدعوات، وفي التوحيد، ومسلم (١/٥٣٢/ح ٧٦٩) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) تقدم تخريجه.

البحث الثاني : اعتقاد وجودهما الآن :

قال الله تعالى في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ - أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٧)، وقال تعالى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم/١٤) - (١٥) وغيرها من الآيات يخبر تعالى أنها معدة قد أوجدت، وأنها مخفية لأولياء الله تعالى مدخرة لهم، وأنها في السماء، وأن النبي ﷺ أتاها ليلة المعراج ورآها. وقال تعالى في النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وقال ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا، وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَابَا﴾ فهي أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم.

وقال البخاري في صحيحه «باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة» ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مات أحدكم فإنه يُعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار»^(١). وحديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»^(٢). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: بينا أنا نائمٌ رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصرٍ، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرته فولَّيتُ مُدْبِرًا. فبكى عمر، وقال: عليك أغار يارسول الله»^(٣)؟. وحديثه رضي الله

(١) رواه البخاري (٣١٧/٦) في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. وفي الجناز، وفي الرقاق، ومسلم (٢١٩٩/٤ ح/٢٨٦٦) في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣/١١) في الرقاق، باب فضل الفقر، وباب صفة الجنة والنار، وفي بدء الخلق، وفي النكاح، ومسلم (٢٠٩٦/٤ ح/٢٧٣٧) في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء. وبيان الفتنة بالنساء.

(٣) رواه البخاري (٣٢٠/٩) في النكاح، باب الغيرة، وفي بدء الخلق، وفي فضائل أصحاب

عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقروا إن شئتم: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»^(١).

ثم ساق الأحاديث في صفتها ثم قال «باب صفة النار وأنها مخلوقة، ثم ذكر فيه حديث أبي ذر وأبي سعيد رضي الله عنهما قال النبي ﷺ «أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»^(٢). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً. فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»^(٣). وحديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»^(٤). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال «فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»^(٥). وفيه من حديث أنس بن مالك في المعراج «ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سِدْرَةِ المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»^(٦).

= النبي ﷺ، والتعبير، ومسلم (١٨٦٣/٤ ح ٢٣٩٥) في فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، رضي الله عنه.

- (١) رواه البخاري (٤٦٥/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، وفي بدء الخلق، وفي التفسير، ومسلم (٢١٧٤/٤ ح ٢٨٢٤) في الجنة وصفة نعيمها، في فاتحته.
- (٢) البخاري (٣٢٩/٦) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.
- (٣) البخاري (٣٣٠/٦) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.
- (٤) البخاري (٣٣٠/٦) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.
- (٥) البخاري (٣٣٠/٦) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.
- (٦) رواه البخاري (٤٥٨/١ - ٤٥٩) في الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟، وفي التوحيد، وفي الأنبياء، ومسلم (١٤٥/١ - ١٤٧ ح ١٦٢) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

وفيه من حديث مالك بن صعصعة في ذلك وفيه «ثم رُفِعَتْ إلى سدرَةِ المنتهى فإذا نَبُقُهَا مثل قلال هجر، وإذا ورقُهَا مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرَةُ المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهرانِ باطنانِ ونهرانِ ظاهرانِ، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»^(١) الحديث.

وفيهما من حديث صلاة الكسوف وخطبته ﷺ فيها وأنه عُرِضَتْ عليه الجنة والنار، وأنه ﷺ أراد أن يتناول من الجنة عنقوداً فقصرت يده عنه، وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا، وأنه رأى النار ورأى فيها صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج، ورأى فيها عمرو بن لُحَيٍّ يجرق صبه في النار، ورأى المرأة التي تعذب هرة حبستها وقال ﷺ «لم أرَ مَنْظَرًا كالיום أفضع»^(٢).

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرَائِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِالْجَنَّةِ فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّارِ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ سَمِعَ بِهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(٣).

(١) رواه البخاري (٣٠٢/٦ - ٣٠٣) في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (١/١٤٥ - ١٤٧/ح (١٦٢) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً.

وقد تقدم في أحاديث عذاب القبر وأحوال البرزخ ذكر الجنة والنار ورؤية كل منزلة فيها، وعرض مقعده عليه وفتح باب إحداهما إليه وأن أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الفجار في سجين وغير ما ذكرنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة مالا يحصى، وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا (موجودتان).

(البحث الثالث: في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما،
وأنهما لا تفنيان أبداً ولا يفنى من فيهما)

وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا (لا فناء لهما) قال الله تعالى في الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة/ ١٠٠)، وقال تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر/ ٤٨)، وقال تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (هود/ ١٠٨)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص/ ٥٤)، وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدخان/ ٥١ - ٥٧)، وقال تعالى ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة/ ٣٣) وغير ذلك من الآيات، فأخبر تعالى بأبديتها بقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا - إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص/ ٥٤) وأبدية حياة أهلها بقوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ (الدخان/ ٥٦) وعدم انقطاعها عنهم بقوله ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ - عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (الواقعة/ ٣٣) وبعدم خروجهم بقوله ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر/ ٤٨). وكذلك النار قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (النساء/ ١٦٨)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (الأحزاب/ ٦٤)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿الجن/٢٣﴾، وقال تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان/٦٥ - ٦٦)، وقال تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (التوبة/٦٨)، وقال تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة/١٦٧)، وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ. وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ، قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ (الزخرف/٧٤ - ٧٧) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر/٣٦ - ٣٧)، وقال تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ (المؤمنون/١٠٦ - ١٠٨)، وقال تعالى ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى/٤٥)، وقال تعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (طه/٧٤)، وقال تعالى ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (الأعلى/١٠ - ١٣)، وقال تعالى ﴿لَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا أَحْقَابًا - إِلَى قَوْلِهِ - فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (النبا/٢٣ - ٣٠). وغير ذلك في القرآن كثير، فأخبرنا تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الأبدين ودهر الداهرين، لا فكاك لهم منها ولا خلاص، ولات حين مناص. فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة/١٦٧) ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله عز وجل ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر/٣٦)، وقال تعالى ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ (الزخرف/٧٥) ونفى فناءهم فيما بقوله

عز وجل ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (الأعلى/١٣) وقوله ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء/٥٦).

وقال البخاري رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (مريم/٣٩): حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يُوتَى بالموت كهَيْئَةٍ كَبَشٍ أَمْلَحٍ، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلودوا فلا موت ويا أهل النار خلودوا فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ (مريم/٣٩) وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»^(١) ووافقه على إخراجهم مسلم من حديث أبي سعيد هذا.

وأخرجاه أيضاً من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح ثم يُنادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»^(٢).

وفي رواية لمسلم عن عبد الله هو ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو

(١) رواه البخاري (٤٢٨/٨) في تفسير سورة مريم، باب قوله تعالى: (وأنذرهم يوم الحسرة).

ومسلم (٢١٨٨/٤) ح/٢٨٤٩ في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) رواه البخاري (٤١٥/١١) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وباب يدخل الجنة سبعون ألفاً

بغير حساب، ومسلم (٢١٨٩/٤) ح/٢٨٥٠ في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون.

فيه^(١). ورواه البخاري دون قوله كل خالد الخ. وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «يُقال لأهل الجنة خلودٌ لا موت. ولأهل النار: يا أهل النار خلودٌ لا موت»^(٢).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا بَشْرٌ يَعْنِي ابْنَ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي مُسْلِمَةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحَمًا أَذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ فَبُثُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبِتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ»^(٣)، ورواه الإمام أحمد من طرق بالفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ، وفي الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا، وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

[إخراج عصاة الموحدين من النار]

نعم جاءت الأحاديث الصريحة بإخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جنائيتهم، وأنهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتي إن شاء الله قريباً، وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتهم في مقدار ما تأخذ منهم. وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أخرجوا منها وأدخلوا الجنة، وأنها ليأتين عليها يوم وهي تصفق في أبوابها ليس بها أحد^(٤)، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا

(١) مسلم (٤/٢١٨٩ ح ٢٨٥٠) في الجنة، باب يدخلها الجبارون والبخاري (١١/٤١٥) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٢) البخاري (١١/٤٠٦) في الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

(٣) رواه مسلم (١/١٧٢ ح ١٨٥) في الإيمان، باب اثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار. وأحمد (٣/٥ و ١١).

(٤) حديث: ليأتين على جهنم يوم تصفق أبوابها، ما فيها من أمة محمد أحد» رواه ابن عدي في =

شَاءَ رَبُّكَ ﴿ الآية، وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة . وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (الوابل الصيب) قال رحمه الله تعالى : ولما كان الناس ثلاث طبقات : طيب لا يشوبه خبث، وخبث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيّب - كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض - وهاتان الداران لا تفتيان - ودار لمن معه خبث وطيّب وهي الدار التي تفتنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض^(١). انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

(فصل)

[ما قالته اليهود في النار]

قالت اليهود قبهم الله : إن النار يدخلها قوم من الكفار ويخرجون منها بعد أيام ثم يخلفهم آخرون كما قص الله تعالى ذلك عنهم في سورة البقرة إذ يقول تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة/ ٨٠) ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة/ ٨٠ - ٨١) وقال تعالى في آل عمران ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ، فَكَيْفَ إِذَا

= الكامل للضعفاء (١٨٦٣/٥) بإسناد موضوع فيه الغلاء بن زيدل وهو وضاع . وله شاهد مثله من حديث أبي أمامة ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢٦٨/٣) . فالحديث موضوع باطل .

(١) الوابل الصيب (ص ٢٦) . وأما خروج الموحدين من النار فهو قول أهل السنة والجماعة بآيات وأحاديث عدّة مشهورة . وابن القيم رحمه الله وشيخه ابن تيمية لهما قول في فناء النار . وقيل إن أقوالهما قد تضاربت واختلفت والنص هذا في الوابل منها . انظر رفع الاستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمير الصنعاني بتحقيق الشيخ الألباني ففيها الغنية لك .

جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ (آل عمران/ ٢٤ - ٢٥).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيدٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ، فقال رسولُ الله ﷺ: اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْهُ؟ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أبا القاسم، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا أَبُونَا فَلَان. فقال رسولُ الله ﷺ: كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فَلَانٌ. فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ. فقال ﷺ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أبا القاسم، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذَبْنَا كَمَا عَرَفْتَهُ لِأَيِّنَّا. قال لهم رسولُ الله ﷺ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلَفُونَا فِيهَا. فقال لهم رسولُ الله ﷺ: اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلَفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا نَعَمْ، فقال: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟ فَقَالُوا نَعَمْ. فقال: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرْك»^(١).

وقال ابن عربي إمام الاتحادية محي الزندقة والإلحاد في آيات الله تعالى: إِنَّ أَهْلَهَا يَعْدُبُونَ فِيهَا ثُمَّ تَنْقَلِبُ طَبِيعَتُهُمْ وَتَبْقَى طَبِيعَةُ النَّارِ يَتَلَذَّذُونَ بِهَا لِمَوَافَقَتِهَا طَبِعَهُمْ^(٢).

وقال الجهم وشيعته: إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ تَفْنِيَانِ كِلَاهُمَا لِأَنْهُمَا حَادِثَانِ، وَمَا ثَبَتَ حَدُوثُهُ اسْتِحَالَ بَقَاؤُهُ. بناءً على أصله الفاسد في منع تسلسل الحوادث وبقاءها بإبقاء الله تعالى لها.

وقال طائفة من المعتزلة والقدرية: لَمْ يَكُنَا الْآنَ مَوْجُودَتَيْنِ بَلْ يَنْشِئُهُمَا اللَّهُ

(١) رواه البخاري (٢٧٢/٦) في الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم.
(٢) ذكر ذلك في كتابه المهالك «فصوص الحكم» في نهاية «فص حكمة عليّة في كلمة إسماعيلية» (ص ٩٤).

تعالى يوم القيامة . وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، قياساً لله تعالى على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجسيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة، فردوا من نصوص الكتاب والسنة ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم قبحهم الله تعالى .

وقال أبو الهذيل العلاف تفنى حركات أهل الجنة والنار ويصيرون جماداً لا يحسون بنعيم ولا ألم . وكل هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، ومحاذاة ومشاقة لله تعالى وللرسول ﷺ، وتقديس للعقول السخيفة وزبالة الأذهان البعيدة والقلوب الشقية الطريفة، وزخارف فاسدي السيرة والسريرة والظاهر والباطن والعمل والعقيدة . وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته الكافية الشافية في أثناء حكايته عقيدة جهنم وشيعته دمرهم الله تعالى :

وقضى بأن الله كان معطلاً	والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدوراً له	من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه في ذاته	قبل الحدوث وبعده سيان
وقضى بأن النار لم تخلق ولا	جنات عدن بل هما عدمان
فلذا هما خلقا ليوم معادنا	فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه	فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا	في الذات واعجباً لذا الهذيان
أيصير أهل الخلد في جناتهم	وجحيمهم كحجارة البنيان
ما حال من قد كان يغشى أهله	عند انقضاء تحرُّك الحيوان
وكذاك ما حال الذي رفعت يدا	ه أكلة من صحفة وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها	للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يد	منه إلى قنوم القنوان

فتناهتِ الحركاتُ قبل الأخذِ هل
تَبَّأُ لهاتيكَ العقولُ فإنَّها
تَبَّأُ لِمَنْ أَضْحَى يقدِّمُها على الـ

يبقى كذلك سائرُ الأزمانِ
والله قد مُسِخَتْ على الأبدانِ
آثارُ والأخبارِ والقرآنِ

فصل فيما جاء في الحوض والكوثر

وَحَوْضٌ خَيْرُ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ يَشْرَبُ فِي الْأُخْرَى جَمِيعُ حَزْبِهِ

(وحوض خير الخلق) نبينا محمد ﷺ وهو الكوثر الذي أعطاه ربه عز وجل (حق) لا مزية فيه (وبه) بالحوض (يشرب) أي يروى ولذا عدى بالباء دون من لتضمن الشرب ههنا معنى الري (في الأخرى) أي في الدار الآخرة (وجميع حزبه) وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزله معه، قال الله تبارك وتعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر).

وروى البخاري بسنده إلى أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة. فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه^(١) أهـ.

وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر واستفاض بل تواتر في كتب السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، فممن روى ذلك عنه من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وحارثة بن وهب، وجندب بن عبد الله، وسهل بن سعد، وعائشة، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وثوبان، وأبو ذر، وأم سلمة، وجابر بن سمرة، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وحذيفة، وأبو برة الأسلمي، والمستورد بن شداد، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن زيد، وأسماء بن زيد.

(١) البخاري (٧٣١/٨) في تفسير سورة إنا أعطيناك الكوثر، وفي الرقاق، باب في الحوض.

فأما عن أنس بن مالك فقال البخاري رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتُهُ قَبَابُ اللَّوْلُوِّ الْمَجْوْفُ فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ هَذَا الْكُوْثَرُ»^(١).

وقال رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا هَمَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . وَحَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتُهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمَجْوْفُ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِينُهُ - مَسْكٌ أَذْفَرُ»^(٢) شَكَ هُدْبَةُ .

وقال رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَهُ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ بَعْدَ نَجُومِ السَّمَاءِ»^(٣) وَوَافَقَهُ عَلَى إِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَبَلَفَظَ «مَا بَيْنَ نَاحِيَتِي حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ» وَبَلَفَظَ «تَرَى فِيهِ أَبَارِقَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ»^(٤).

وقال البخاري رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا وَهْبٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ»^(٥) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بَلَفَظَ «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضِ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحِبَنِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتَلَجُوا دُونِي،

(١) رواه البخاري (٧٣١/٨) في تفسير سورة إنا أعطيناك الكوثر.

(٢) رواه البخاري (٤٦٤/١١) في الرقاق، باب في الحوض.

(٣) البخاري (٤٦٤/١١) في الرقاق، باب ذكر الحوض.

(٤) مسلم (٢٣٠٣/٤) في الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ.

(٥) البخاري (٤٦٤/١١ - ٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض.

فلاقولن أي رب أصحابي ، فليقالن لي إنك لا ندري ما أحدثوا بعدك»^(١).

وأما عن ابن عمر فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «أمامكم حوضٌ كما بين جرباء وأذرح»^(٢) ورواه مسلم بلفظ «ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح»^(٣) وزاد في رواية «فيه أباريق كنجوم السماء، مَنْ ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبداً»^(٤) زاد في أخرى : قال عبيد الله «فسألته فقال : قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال»^(٥).

وأما عن حارثة بن وهب فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا حرمي بن عمار حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب رضي الله عنه يقول «سمعتُ النبي ﷺ وذكر الحوض فقال : كما بين المدينة وصنعاء» وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع النبي ﷺ قوله «حَوْضُهُ ما بين صنعاء والمدينة» فقال له المستورد «ألم تسمعه قال الأواني؟ قال لا . قال المستورد : تُرى فيه الآنية مثل الكواكب»^(٦) ورواه مسلم بهذا اللفظ.

وأما عن جندب بن عبد الله فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن عبد الملك قال : سمعتُ جُنْدَباً قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»^(٧) ورواه مسلم هكذا.

وأما عن سهل بن سعد فقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن مطوف حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال : قال

(١) مسلم (٤/١٧٩٦/ح ٢٢٩٧) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) البخاري (٤٦٣/١١) في الرقاق، باب في الحوض.

(٣) مسلم (٤/١٧٩٧ - ١٧٩٨/ح ٢٢٩٩) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٤٦٥/١١) في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٧/ح ٢٢٩٨) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٥) رواه البخاري (٤٦٥/١) في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٢/ح ٢٢٨٩) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

النبي ﷺ «إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً. ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم» قال أبو حازم فسمعت النعمان بن أبي عيَّاش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتُه هو يزيدُ فيها «فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقولُ سُحْقاً سُحْقاً لمن غير بعدي» - ورواه مسلم وفيه «لمن بدل بعدي»^(١).

وأما عن عائشة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر/١) قالت «نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه دُرٌّ مجوفٌ آنيته كعدد النجوم»^(٢).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثنا ابن أبي عمر حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراي أصحابه «إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم، فوالله ليقطعن دوني رجال فلاقولن أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم»^(٣).

وأما عن عقبه بن عامر فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا عمرو بن خالد حدثنا الليث عن يزيد عن أبي الخير عن عقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلَّى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظرُ إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»^(٤) ورواه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ

(١) رواه البخاري (٤٦٤/١١) في الرقاق، باب في الحوض، ومسم (١٧٩٢/٤) ح (٢٢٩٠) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) البخاري (٧٣١/٨) في التفسير، سورة إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.

(٣) مسلم (١٧٩٤/٤) ح (٢٢٩٤) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٤٦٥/١١) في الرقاق، باب في الحوض، وباب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس =

«صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعَدَ الْمَنْبِرَ كَالْمَوْدَعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ فَقَالَ: إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنْ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى الْجُحْفَةِ. إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنْفَسُوا فِيهَا وَتَقْتُلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». قَالَ عَقِبَةُ: وَكَانَتْ آخِرُ مَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبِرِ^(١).

رَأَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»^(٢).

وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْمَغِيرَةِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ رَجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجَنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ: أَصْحَابِي، فَيَقَالَ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ» تَابِعَهُ عَاصِمٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، وَقَالَ حَصِينٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حَذِيفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٣). وَرَوَى مُسْلِمٌ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ بِلَفْظٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَانَا زَعَنٌ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلِبَنَّ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ»^(٤). وَأَشَارَ إِلَى حَدِيثِ حَذِيفَةَ بِنَحْوِ رَوَايَةِ الْأَعْمَشِ وَمَغِيرَةَ.

وَأَمَّا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا هَلَالٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ فَلِذَا زَمْرَةٌ حَتَّى إِذَا

= فيها، وفي الجنائز، وفي الأنبياء وفي المغازي، ومسلم (٤/١٧٩٥/ح ٢٢٩٦) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

- (١) مسلم (٤/١٧٩٦/ح ٢٢٩٦) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.
- (٢) البخاري (٤٦٣/١١) في الرقاق، باب في الحوض.
- (٣) البخاري (٤٦٣/١١) في الرقاق، باب في الحوض، وفي الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً).
- (٤) مسلم (٤/١٧٩٦/ح ٢٢٩٧) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال هلم، فقلت إلى أين؟ قال إلى النارِ والله، قلت وما شأنهم، قال إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم قال هلم، قلت إلى أين؟ قال إلى النارِ والله، قلت ما شأنهم، قال إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلصُ منهم إلا مثل همل النعم»^(١).

وله عنه أنه كان يحدث أن رسولَ الله ﷺ قال «يردُّ عليَّ يومَ القيامةَ رهطٌ من أصحابي فيحلبون عن الحوض فأقولُ يا ربُّ أصحابي، فيقولُ إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري»^(٢).

وله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال «ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»^(٣).

وقال مسلمٌ رحمه الله تعالى: حدّثنا عبدالرحمن بن سلام الجهمي حدّثنا الربيع يعني ابن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «لأذودنَّ عن حوضي رجالاً كما تذاذ الغريبة من الإبل»^(٤).

وله عن أبي حاتم عنه رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال «إنَّ حوضي أبعد من أيلة من عدنٍ، لهو أشدُّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولأنيته أكثر من عدد النجوم، وإنِّي لأصدُّ الناس عنه كما يصدُّ الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسولَ الله أتعرفنا يومئذٍ. قال: نعم، لكم سيما ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليَّ غُرّاً محجلين من أثر الوضوء»^(٥).

وأما عن عبدالله بن عمرو بن العاص فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدّثنا

(١) البخاري (٤٦٥/١١) في الرقاق، باب في الحوض.

(٢) البخاري (٤٦٤/١١) في الرقاق، باب في الحوض.

(٣) البخاري (٤٦٥/١١) في الرقاق، باب في الحوض.

(٤) مسلم (١٨٠٠/٤) ح/٢٣٠٢ في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٥) مسلم (٢١٧/١) ح/٢٤٧ في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء.

سعيد بن أبي مريم حَدَّثَنَا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبدالله بن عمرو قال النَّبِيُّ ﷺ «حَوْضِي مسيرة شهرٍ مأوّه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً»^(١)، ورواه مسلم بلفظ: «حوضي مسيرة شهرٍ وزواياه سواء ومأوّه أبيض من الورد وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»^(٢).

وأما عن ابن عباس فهو ما تقدم في أول الباب، وروى ابن جرير عن سعيد بن جبیر عنه رضي الله عنه قال: الكوثرُ نهرٌ في الجنة حافتاه من ذهبٍ وفضة يجري على الياقوت والدُّرّ مأوّه أبيض من الثلج وأحلى من العسل^(٣).

وله عن عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبیر في الكوثر؟ قلت: حَدَّثَنَا عن ابن عباس: أنه الخير الكثير، فقال صدق والله إنه للخير الكثير، ولكن حَدَّثَنَا ابن عمر قال: «إِنَّا أُعْطِينَا الْكَوْثَرَ» (الكوثر/١) قال رسول الله ﷺ «الكوثر نهرٌ في الجنة حافتاه من ذهبٍ يجري على الدر والياقوت»^(٤).

وأما عن أسماء فقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر، قال حدثني بن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مِنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخِذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمَنْ أُمَّتِي، فَيَقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمَلُوا بِعَدْلِكَ وَاللَّهِ مَا بَرَحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» وكان ابن أبي مليكة يقول «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا» ورواه مسلم بسند حديث

(١) البخاري (٤٦٣/١١) في الرقاق، باب في الحوض.

(٢) مسلم (١٧٩٣/٤ ح/٢٢٩٢) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٣) ابن جرير (٣٢٠/٣٠) تفسيره.

(٤) ابن جرير (٣٢٥/٣٠) وحديث ابن عمر رواه أحمد (٦٧/٢ و ١٥٨ و ١٠٢/٣)، والترمذي (٤٥٠/٥ ح/٣٣٦١) في التفسير، باب ومن سورة الكوثر، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه (١٤٥٠/٢ ح/٤٣٣٤) في الزهد، باب صفة الجنة، وابن جرير (٣٢٠/١٥) وأخرجه

ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور (٦٤٨/٨).

عبدالله بن عمرو متصلاً بمتنه ولفظه كلفظ البخاري^(١).

وأما عن ثوبان فقال مسلمٌ رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانِ الْمَسْمُوعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمَثْنَى وَابْنُ بَشَّارٍ وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَابِرَةٌ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ مُعَدَّانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ عَنْ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَزُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بَعْضَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ، فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ. وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ يَغْتَفِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ»^(٢).

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنْبَأَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَهَاجِرٍ عَنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِي سَلَامٍ الْحَبَشِيِّ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحُمِلْتُ عَلَى الْبَرِيدِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ مَرْكَبِي الْبَرِيدُ. فَقَالَ: يَا أَبَا سَلَامٍ مَا أَرَدْتَ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ بَلَّغَنِي عَنْكَ حَدِيثَ تَحَدَّثَهُ عَنْ ثُوبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَوْضِ فَأُحْبِبْتَ أَنْ تَشَافِهَنِي بِهِ، قَالَ أَبُو سَلَامٍ: حَدَّثَنِي ثُوبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ «حَوْضِي مِنْ عَدَنِ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ»^(٣) عَدَدُ نَجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وَرُوداً عَلَيْهِ فَقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ، الشُّعْثُ رُؤُوساً الدُّنْسُ ثِيَاباً، الَّذِينَ لَا يَنْكَحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ وَلَا تَفْتَحُ لَهُمُ السُّدُودُ» قَالَ عُمَرُ: لَكُنِّي نَكَحْتُ الْمُتَنَعِمَاتِ وَفَتَحْتُ لِي السُّدُودَ، وَنَكَحْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ، لَا جَرَمَ إِنِّي لَا أَغْسِلُ رَأْسِي حَتَّى يَشْعَثَ، وَلَا أَغْسِلُ ثُوبِي الَّذِي يَلِي جَسَدِي حَتَّى يَتَسَخَّ^(٤). وَرَوَاهُ ابْنُ

(١) رواه البخاري (٤٦٦/١١) في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (١٧٩٤/٤) ح (٢٢٩٣) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) مسلم (١٧٩٩/٤) ح (٢٣٠١) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٣) في الأصل: أَكْوَابُهُ.

(٤) الترمذي (٢٤٤٤/٤) ح (٢٤٤٤) في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة =

ماجه بلفظ «إِنَّ حَوْضِي مَا بَيْنَ عَدْنٍ إِلَى إِيْلَةٍ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، أَكَاوِيهِ كَعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً» الحديث. وفيه قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته. وفيه «ولا أدهن رأسي حتى يشعث»^(١).

وأما عن أبي ذر فقال مسلمٌ رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالْأَلْفَظُ لَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ اسْحَقُ أَخْبَرَنَا - وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا - عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِيُّ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آتِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنْتَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلَمَةِ الْمَصْحِيَةِ. آتِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرًا مَا عَلَيْهِ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانُ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ. عَرْضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةٍ مَأْوَاهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(٢) رواه الترمذي بهذا اللفظ وقال حسن صحيح غريب.

وَأَمَّا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ وَهَابٍ الْحَارِثِيُّ أَنَّ بَكِيرًا حَدَّثَهُ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ «كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشِي بِي فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ. فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعِ النِّسَاءَ. فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَذُبُّ عَنِّي

= عن ثوبان عن النبي ﷺ. قلت: هو حديث حسن صحيح.

(١) ابن ماجه (١٤٣٨/٢ ح/٤٣٠٣) في الزهد، باب ذكر الحوض.

(٢) رواه مسلم (١٧٩٨/٤ ح/٢٣٠٠) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، والترمذي

(٤/٦٣٠ ح/٢٤٤٥) في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، وقال: هذا حديث

حسن صحيح غريب.

كما يذبُّ البعير الضال، فأقول فيم هذا؟ فيقال: إِنَّكَ لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً»^(١).

وأما عن جابر بن سمرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ شَجَاعٍ بْنُ الْوَلِيدِ السَّكُونِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ «أَلَا إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ»^(٢).

وأما عن زيد بن أرقم فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو النَّمِرِيُّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرَّةٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ بِجَزءٍ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ جَزءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضِ. قَالَ قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُمِائَةٍ أَوْ ثَمَانِمِائَةٍ»^(٣).

وأما عن سمرة بن جندب فقال الترمذي رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ نِزْكَ الْبَغْدَادِيُّ أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُكَارِ الدَّمَشْقِيِّ أَنبَأَنَا سَعِيدُ بْنُ بِشِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدِهِ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَهُ» هذا حديث حسن غريب. وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النَّبِيِّ ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح^(٤). اهـ.

-
- (١) مسلم (١٧٩٥/٤ ح/ ٢٢٩٥) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.
 - (٢) مسلم (١٨٠١/٤ ح/ ٢٣٠٥) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.
 - (٣) أبو داود (٢٤٧/٤ ح/ ٤٧٤٦) في السنة، باب في الحوض. وأحمد (٣٦٧/٤ ح/ ٣٦٩ و ٣٧١ و ٣٧٢) والحاكم في المستدرک (٧٦/١ - ٧٧) وابن أبي عاصم في السنة (٣٢٧/٢ ح/ ٧٣٣) وهو صحيح.
 - (٤) الترمذي (٦٢٨/٤ ح/ ٢٤٤٣) في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض. والبخاري في التاريخ الكبير (٤٤/١/١) وابن أبي عاصم في السنة (٣٢٧/٢ - ٣٢٨ ح/ ٧٣٤) والطبراني في الكبير (٢١٢/٧ ح/ ٦٨٨١) وفي مسند الشاميين (ح/ ٢٦٤٦) والحديث صحيح لشواهده.

وأما عن حذيفة فتقدمت الإشارة إليه عند الشيخين بعد روايتهما حديث ابن مسعود.

وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا عثمان بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن أبي مالك سعد بن طارق عن ربعي عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ «إِنَّ حَوْضِي لأبعد من أيلة الى عدنٍ، والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد النجوم، ولهو أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه. قيل : يا رسول الله أتعرفنا؟ قال : نعم تردون عليَّ غُرّاً محجلين من أثر الوضوء، ليست لأحدٍ غيركم». ورواه مسلم في الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند^(١).

وأما عن أبي برزة فقال أبو داود رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا مسلم بن إبراهيم حَدَّثَنَا عبد السلام بن أبي حازم أبو طالوت قال : شهدتُ أبا برزة دخل على عبيد الله بن زيادٍ فحدثني فلانٌ سماه مسلم وكان في السَّمِاط فلما رآه عبيد الله قال إِنَّ محمدَكم هذا للدحاح^(٢)، ففهمها الشيخ فقال : ما كنت أحسب أني أبقى في قومٍ يعيرونني بصحبة محمدٍ ﷺ، فقال له عبيد الله : إِنَّ صحبة محمدٍ ﷺ لك زين غير شين، ثم قال : إِنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض، سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً؟ فقال أبو برزة : نعم لا مرة ولا اثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً، فمن كذب به فلا سقاء الله منه، ثم خرج مغضباً^(٣).

وأما عن المستورد فتقدم في المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب.

وأما حديث أبي سعيد الخدريّ فقال ابن ماجه رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا أبو

(١) رواه مسلم (٢١٧/١ ح/٢٤٨) في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء. وابن ماجه (١٤٣٨/٢ ح/٤٣٠٢) في الزهد، باب ذكر الحوض.

(٢) القصير السمين.

(٣) أبو داود (٢٣٨/٤ ح/٤٧٤٩) في السنة، باب في الحوض وأحمد (٤٢١/٤) وابن أبي عاصم في السنة (ح/٧٠٢ و٧٢٠) وإسناده ضعيف فيه رجل لم يُسم. والحديث صحيح لشواهده ولأبي برزة رضي الله عنه حديث حسن في الحوض رواه أحمد (٤٢٤/٤) وابن أبي عاصم في السنة (ح/٧٢٢).

بكر بن أبي شيبه حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا حدثنا عطية عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال «إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدَسِ أبيض من اللبن أنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة»^(١).

وأما عن عبدالله بن زيد فرواه البخاري ومسلم عنه مطولاً في قصة قسم غنائم حنين، وفي آخره قوله ﷺ «لأنصار رضي الله عنهم «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فاصبروا حتى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٢).

وأما عن أسامة بن زيد فقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حَدَّثَنِي الْبَرْنِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ أَخْبَرَنِي حِرَامُ بْنُ عَثْمَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَسَأَلَ عَنْهُ امْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنْ بَنِي النَّجَارِ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَامِداً نَحْوَكُمْ، فَأَظْنُهُ أَخْطَأَكُمْ فِي بَعْضِ أَرْقَةِ بَنِي النَّجَارِ. أَوْ لَا تَدْخُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَدَخَلَ، فَقَدِمَتْ إِلَيْهِ حَيْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَنِيئاً لَكَ وَمَرِيئاً، لَقَدْ جِئْتَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ آتِيكَ لِأَهْنِيكَ وَأَمْرِيكَ، أَخْبَرَنِي أَبُو عَمَارَةَ أَنَّكَ أُعْطِيتَ نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ يَدْعَى الْكَوْثَرُ. فَقَالَ: أَجَلٌ وَعَرْضُهُ - يَعْنِي أَرْضُهُ - يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ وَزَبَرْجَدٌ وَلَوْلُؤٌ»^(٣). قال ابن كثير رحمه الله تعالى: حرام بن عثمان ضعيف، ولكن هذا سياق حسن، وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث^(٤) اهـ. قلت: وقد ذكرنا منها ما تيسر. وفي الباب عدة أحاديث غير ما ذكرنا، ولمن ذكرنا من الصحابة أحاديث أخر لم

(١) ابن ماجه (٢/١٤٣٨/ح ٤٣٠١) في الزهد، باب ذكر الحوض. وابن أبي عاصم في السنة (ح/٧٢٣). وإسناده ضعيف. فيه عطية العوفي. وهو صحيح لشواهده. ولأبي سعيد رضي الله عنه حديث في الحوض في الصحيحين وعند أحمد.

(٢) رواه البخاري (٥/١٣) في الفتن، باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» وفي المساقاة، وفي الخمس، وفي الجزية، وفي المناقب، وفي المغازي، ومسلم (٢/٧٣٣/ح ١٠٥٩) في الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٠/٣٢٥) وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٦٤٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٢).

نذكرها، ولهم روايات في الأصول التي عزونا إليها غير ما سقنا، وإنما أشرنا
إشارة إلى بعضها لتعرف شهرة هذا الباب واستفاضة وتواتره مع الإيجاز
والاختصار^(١). والله الحمد والمنة.

(١) انظر أحاديث الخوض مجتمعة في السنة لابن أبي عاصم (٣٢١/٢).

فصل

في الأحاديث الواردة عن لواء الحمد

كَذَا لَهُ لَوَاءٌ حَمْدٌ يُنْشَرُ وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ جَمِيعاً تُخْشَرُ

قال الترمذي رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعْثُوا، وَأَنَا خَاطِبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مَبْشَرُهُمْ إِذَا يَسْأَلُوا، لَوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ» هذا حديث حسن غريب^(١).

وقال رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ أَنبَأَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ أَنبَأَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنِ الطَّفِيلِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مِثْلِي فِي النَّبِيِّينَ كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا وَأَجْمَلَهَا وَتَرَكَ مِنْهَا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِالْبَنَاءِ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ: لَوْ تَمَّ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبَنَةِ، وَأَنَا فِي النَّبِيِّينَ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبَنَةِ». وبهذا الإسناد عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَاطِبِهِمْ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ» هذا حديث حسن صحيح غريب^(٢).

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَمْرٍ أَنبَأَنَا سَفْيَانُ عَنْ ابْنِ جُدْعَانَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا

(١) الترمذي (٥/٥٨٥/ح ٣٦١٠) في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، وقال: هذا حديث حسن غريب. قلت: فيه لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: لَهُ أَوهَامٌ. فَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ وَالحديث صحيح له شواهد.

(٢) الترمذي (٥/٥٨٦/ح ٣٦١٣) في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، وقال: هذا حديث حسن. والحديث في سنده ضَعِيفٌ: فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ فِي حَدِيثِهِ لَيْنٌ، وَالحديث صحيح فَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرٍ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً.

من نبيٍّ يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أوَّل من تشقَّ عنه الأرض ولا فخر» وفي الحديث قصة . هذا حديث حسن^(١) .

وقال رحمه الله تعالى : حدَّثنا عليُّ بنُ نصر بن عليٍّ الجهضمي أنبأنا عبيدُ الله بنُ عبد المجيد أنبأنا زمعة بنُ صالحٍ عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : جلس ناسٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ينتظرونه ، قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون ، فسمع حديثهم ، فقال بعضهم : عجباً إنَّ الله اتَّخذ من خلقه خليلاً ، اتَّخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى كلِّمه تكليماً ، وقال آخر : فعسى كلمةُ الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاؤه الله ، فخرج عليهم فسَلَّم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبتُكم ، إنَّ إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نبيُّ الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاؤه الله تعالى وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أوَّل شافعٍ وأوَّل مشفَعٍ يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أوَّل من يحرك جِلَقَ الجنة فيفتح الله لي فيُدخلنيها ومعِي فقراء المؤمنين ، ولا فخر ، وأنا أكرمُ الأوَّلين والآخرين ولا فخر» . هذا حديث غريب^(٢) .

قلت : ومعناه ثابت في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلوم عند من له خبرة بالعلم .

(١) الترمذي (٥/٥٨٧/ح ٣٦١٥) في المناقب، باب فضل النبي ﷺ . والقصة في (٥/٣٠٨) .
(٢) الترمذي (٥/٥٨٧/ح ٣٦١٦) في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ . وقال : هذا حديث غريب .
قلت : وهو ضعيف فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف . ولألفاظه شواهد صحيحة .

فصل في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود

كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعَظْمَى كَمَا قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكْرُماً
مَنْ بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ لَا كَمَا يَرَى كُلُّ قَبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى

(كذا له) لنبينا ﷺ (الشفاعة العظمى) يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء/ ٧٩) ولذا قلنا (قد خصه الله بها) بالشفاعة (تكرماً) منه عز وجل عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «أُعْطِيَتْ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فليُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثَ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»^(١) وفيه عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دُعِيَ بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأَتْ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وفيه عن أنس رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دُعَاهَا لِأُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ

(١) رواه البخاري (٤٣٥/١ - ٤٣٦) في التيمم، وفي المساجد، وفي الجهاد، ومسلم (٣٧٠/١ ح/ ٥٢١) في المساجد، في فاتحته.

(٢) رواه مسلم (١٩٠/١ ح/ ٢٠١) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبِعاً».

(٣) رواه البخاري تعليقاً (٩٦/١١) في الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (١٩٠/١ ح/ ٢٠٠) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبِعاً».

دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(١).

وفيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنِّهْن أُضِلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴿وقال عيسى عليه السلام﴾ ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة/١١٨) فرفع يديه وقال: اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله: ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»^(٢). وفيه عنه رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(٣).

وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه، وبوقت

(١) رواه البخاري (٩٦/١١) في الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (١/١٨٨/ح ١٩٨) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً».

(٢) رواه مسلم (١/١٩١/ح ٢٠٢) في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم.

(٣) رواه مسلم (١/٢٨٨/ح ٣٨٤) في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة.

(٤) رواه البخاري (٩٤/٢) في الأذان، باب الدعاء عند النداء. وفي تفسير سورة بني إسرائيل.

الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه، كما قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة/ ٢٥٥) ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (يونس/ ٣) ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبا/ ٢٣) ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم/ ٢٦) ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ (الزمر/ ٤٤) ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف/ ٨٦) ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ (مريم/ ٨٧) ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ (النبا/ ٣٨) ﴿وَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (طه/ ١٠٩) ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء/ ٢٨)، وقال تعالى في الكفار ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر/ ٤٨) ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر/ ١٨)، وقال عنهم ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء/ ١٠٠)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٥٤). وسيأتي في ذكر الأحاديث مراجعة الرسل الشفاعة بينهم حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ وأنه يأتي فيستأذن ربه عز وجل، ثم يسجد ويحمده بمحامد يعلمه تعالى إياها، ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال: ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، وأنه يحد له حداً فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك، وفي كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذن له ويحد له حداً حتى ينجو جميع الموحدين، وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالکها حتى يؤذن له، إلى أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود. والمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه، كما لا

تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة .

(لا كما يرى كل قُبُوري) نسبة إلى القبور لعبادته أهلها (على الله افتري) في ما ينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التي هي ملك لله عز وجل لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك له فيها، ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات، وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات، وكشف الكربات والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم . وقد تقدم كشف عوارهم وهتك أستارهم بما يشفي ويكفي والله الحمد والمنة .

يَشْفَعُ أَوَّلًا إِلَى الرَّحْمَنِ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى كُلِّ أُولَى الْعِزْمِ الْهَدَاةِ الْفَضْلَا

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ، وهي أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي ذكر الله عز وجل له ووعد إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان . وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء/ ٧٩) حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جثًّا كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النَّبِيِّ ﷺ، فذلك يومُ يبعثه الله المقام المحمود»^(١) .

وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واتفقا في سياق الحديث إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف، قالوا حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحمٍ فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال : أنا سيّد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بِمَ ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ فيُسمعون الداعي، وينفذهم البصر

(١) البخاري (٣٩٩/٨) في التفسير، باب قوله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) .

وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: انتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي. اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام. فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنني قتلت نفساً لم أوامر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام. فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد عليه السلام. فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن

فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح لأحد قبلي. ثم قال: يا محمد ارفع رأسك سلّ تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: يا ربّ أُمّتي أُمّتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أُمّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بن مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى»^(١).

قال وحدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: «وُضِعَتْ بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع وكانت أحبّ الشاة إليه، فنهس نهسة فقال: أنا سيّد الناس يوم القيامة، ثم نهس أخرى فقال: أنا سيّد الناس يوم القيامة. فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال: ألا تقولون كيف؟ قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقوم الناس لربّ العالمين» وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة، وزاد في قصة ابراهيم فقال: وذكر قوله في الكوكب: هذا ربيّ، وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إنّني سقيم. قال: والذي نفس محمد بيده إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة، قال لا أدري أيّ ذلك قال»^(٢).

وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال «يُبْعَثُ الناس يوم القيامة فأكون أنا وأُمّتي على تل، ويكسوني ربيّ عزّ وجلّ حلّة خضراء، ثمّ يُؤدّن لي فأقول ما شاء الله تعالى أن أقول، فذلك المقام المحمود»^(٣).

وسياّتي إن شاء الله تعالى في حديث أنس رضي الله عنه قوله ﷺ «يجمع الله

(١) رواه البخاري (٣٧١/٦) في الأنبياء، باب قول الله عز وجل: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، وباب قوله الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) وفي تفسير سورة بني اسرائيل، ومسلم (١/١٨٤) - (١٨٦/ح ١٩٤) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم (١/١٨٦/ح ١٩٤) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) أحمد (٤٥٦/٣) قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٥٤/٧) وهو كما قال.

الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظة فيلهمون لذلك - فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيأتون آدم^(١) الحديث، وتقدم في حديث الصور قوله ﷺ «فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لا يُنظر إليكم ولا يُقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً. وتعرقون حتى يلجمكم العرق ويبلغ الأذقان، وتقولون مَنْ يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً. فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأتي ويقول: ما أنا بصاحب ذلك. فيستقرئون الأنبياء نبياً نبياً كلما جاؤوا نبياً أبي عليهم. قال رسول الله ﷺ: حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخترُ ساجداً. قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الفحص؟ قال قدام العرش، حتى يبعث الله إليّ ملكاً فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي: يا محمد. فأقول: نعم يا رب فيقول الله عز وجل: ما شأنك؟ وهو أعلم. فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشغفني في خلقك فاقض بينهم. قال الله تعالى: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم^(٢) الحديث.

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: حدثني نبي الله ﷺ قال «إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط، إذ جاءني عيسى عليه السلام فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك - ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم جاءهم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالركمة وأما الكافر فيغشاه الموت، فقال: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى، ولا نبي مرسل، فأوحى الله عز وجل إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له: ارفع رأسك سل تعط واشفعُ تُشفع^(٣) الحديث.

وعند مسلم وغيره من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف «فلك بكل ردة

(١) وسيأتي بتمامه.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) رواه أحمد (١٧٨/٣) قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٣٧٦/١٠) وهو كما قال.

رددتها مسألة تسألنيها. فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت
الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»^(١).

(١) رواه مسلم (٥٦١/١ - ٥٦٢/٥ ح ٨٢٠) في صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة
أحرف، وبيان معناه.

فصل اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة

وثانياً يشفع في استفتاح دار النعيم لأولي الفلاح
هذا وهاتان الشفاعتان قد خُصتا به بلا نُكران

هذه الشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة، وقد جاء في الأحاديث أنها أيضاً من المقام المحمود، وقال مسلم رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَاسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. قَالَ قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفَلٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبْعاً»^(١).

وحدَّثنا أبو كريب محمد بن العلاء حَدَّثَنَا معاويةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفَلٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبْعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»^(٢).

وحدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ زَائِدَةَ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفَلٍ قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يَصَدِّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ مَا يَصْدُقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»^(٣).

وحدَّثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالَا حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا

(١) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٦) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ».

(٢) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٦) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ».

(٣) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٦) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ».

سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: مَنْ أَنْتَ؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(١).

قال حدثنا محمد ابن طريف بن خليفة البجلي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة، وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يَجْمَعُ اللَّهُ تبارك وتعالى النَّاسَ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله عز وجل. قال فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، وإنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تعالى تكلماً. فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه، فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك. فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنيتي الصراط فيمُرُّ أولكم كالبرق»^(٢) الحديث - تقدم باقيه في الصراط.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر قال: سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر قال سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُرَّةٌ لحم، وقال: إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يومَ القيامةِ حتى يبلغ العرق نصف الأذن. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ»^(٣). وزاد عبد الله حدثني الليث قال حدثني ابن أبي جعفر «فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمد أهل الجمع كلهم»^(٤).

(١) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٧) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة».

(٢) رواه مسلم (١/١٨٦ - ١٨٧/ح ١٩٥) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) (٤) رواه البخاري (٣/٣٣٨) في الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً، ومسلم (٢/٧٢٠/ح ١٠٤٠) في الزكاة، باب كراهية المسألة للناس.

ففي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين : الأولى في فصل القضاء ،
والثانية في استفتاح باب الجنة ، وسمى ذلك كله المقام المحمود (هذا) أي ما
ذكر (وهاتان الشفاعتان) المذكورتان اللتان هما المقام المحمود (قد خصتا) أي
جعلهما الله تعالى خاصتين (به) أي بنبينا محمد ﷺ وليستا لأحد غيره (بلا
نكران) بين أهل السنة والجماعة ، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا
الشفاعة الثالثة في إخراج عصاة الموحدين من النار ، وهي المشار إليها بقولنا :

وَالثَّأْ يَشْفَعُ فِي أَقْوَامٍ مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهَدَى الْإِسْلَامِ
وَأَوْبَقْتَهُمْ كَثْرَةُ الْأَثَامِ فَأَدْخَلُوا النَّارَ بِذَا الْإِجْرَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجَنَانِ بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْإِحْسَانِ

فهذه الشفاعة حقٌّ يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي
الله عنهم ورضوا عنه ، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج ، وأنكرها في
عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين
يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمداً عبده
ورسوله ﷺ وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت
الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء ، غير أنهم
ماتوا مصرّين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيه
الوعيد الشديد ففوضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون ، فجدوا
قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي
الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص/٢٨) وقوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ
وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الباقية/٢١) وقوله تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ
كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (القلم/٣٥) وغيرها من الآيات
وسائر الأحاديث الواردة .

وقال البخاري رحمه الله تعالى : وقال حجاجُ بنُ منهالٍ حَدَّثَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى

حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنا فَيَرْحِمُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَشْفَعَ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يَرْحِمَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ. قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكَلُهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نَهَى عَنْهَا، وَلَكِنْ أَتَوْا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالُهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ أَتَوْا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذِبَهُنَّ، وَلَكِنْ أَتَوْا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا. قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلُهُ النَّفْسَ، وَلَكِنْ أَتَوْا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَّمَتُهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَلَكِنْ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَاسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتَ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يَسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشَفِّعُ وَسَلِّ تُعْطَى. قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ «فَأُخْرِجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَاسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتَ لَهُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يَسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشَفِّعُ وَسَلِّ تُعْطَى. قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ «فَأُخْرِجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَ فَاسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتَ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ وَقُلْ يَسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشَفِّعُ وَسَلِّ تُعْطَى، قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَتْنِي عَلَى رَبِّي بِنِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ، قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ «فَأُخْرِجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا

من حبسه القرآن» أي وجب عليه الخلود. قال؛ ثم تلا هذه الآية ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء/ ٧٩) قال: وهذا المقام المحمود الذي وَعَدَهُ نبيكم ﷺ^(١).

وقال أيضاً: حَدَّثَنَا مسدد حَدَّثَنَا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يُريحنا من مكاننا - وذكره مختصراً وقال في الثالثة أو الرابعة - حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن» وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود^(٢).

ورواه مسلم من طرق بنحوه، وقال رحمه الله تعالى: حَدَّثَنَا أبو الربيع العتكي حَدَّثَنَا حماد بن زيد حَدَّثَنَا معبد بن هلال العنزي. ح. وحَدَّثَنَا سعيد بن منصور - واللفظ له، حَدَّثَنَا حماد بن زيد حَدَّثَنَا معبد بن هلال العنزي قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتبهنا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة. قال: حَدَّثَنَا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض، فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذرّيتك فيقول لست لها ولكن عليكم إبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم موسى عليه السلام فإنه كليم الله، فيؤتى موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم عيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأوتى فأقول: أنا لها فأطلق فأستأذن عليّ ربّي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن، يُلهمنيه الله، ثم أخرّ له ساجداً فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تُشفع. فأقول: ربّ أُمّتي أُمّتي،

(١) رواه البخاري (٤٢٢/١٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة).

(٢) رواه البخاري (٤١٧/١١) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرَّةٍ أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربِّي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً له، فيقال لي يا محمدُ ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تُشَفِّع، فأقول: أُمِّي أُمِّي، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربِّي عَزَّ وَجَلَّ فأحمده تلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تُشَفِّع فأقول يا ربَّ أُمِّي فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل» هذا حديث أنس الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده، فلما كنَّا بظهر الجبَّان: قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستحفٍ في دار أبي خليفة. قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا: يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه في الشفاعة. قال: هيه. فحدثناه الحديث. فقال هيه. قلنا ما زادنا. قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذٍ جميع، ولقد ترك شيئاً ما أدري أنسيَ الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا، قلنا له: حدثنا. فضحك وقال: خُلِقَ الإنسان من عَجَلٍ، ما ذكرتُ لكم هذا إلا وأنا أريدُ أن أُحدِّثكموه «ثم أرجع إلى ربِّي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمدُ! ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تُشَفِّع. فأقول يا ربَّ ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. قال: ليس ذاك لك - أو قال ليس ذاك إليك - ولكن وعِزَّتِي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجنَّ من قال لا إله إلا الله» قال: فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه أراه قال: قبل عشرين سنة وهو يومئذٍ جميع^(١).

وقال أيضاً: حدثنا محمد بنُ منهالٍ الضَّرِير حدثنا يزيد بنُ زريع حدثنا سعيد بنُ أبي عروبةَ وهشامُ صاحب الدُّسْتَوَائِي عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ. ح. وحدثني أبو غَسَّان المِصْمَعِيُّ ومحمد بن المثنى قالَا

(١) رواه مسلم (١/١٨٢ - ١٨٤/ح ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

حدثنا معاذ وهو بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة». ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة» زاد ابن منهال في روايته. قال يزيد: فلقيتُ شعبة فحدثته بالحديث فقال شعبة حدثنا به قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ بالحديث، إلا أن شعبة جعل مكان الذرة ذرة، قال يزيد: صحَّف فيها أبو بسطام^(١).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم يعني محمد بن أبي أيوب قال حدثني يزيد الفقير قال كنت قد شغفني رأي من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث القوم، جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له: يا صاحب رسول الله ﷺ ما هذا الذي تحدثون والله تعالى يقول ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ (آل عمران/١٩٢) و﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (الحج/٢٢) فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت نعم. قال فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج. قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك، قال غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السَّماسم، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد، أو كما قال أبو نعيم^(٢).

(١) رواه مسلم (١٨٢/١ ح/١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
(٢) رواه مسلم (١٧٩/١ - ١٨٠/١ ح/١٩١) رقم ٣٢٠ في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

وقال رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ عَنْ
عَمْرٍو، سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِأُذُنِهِ يَقُولُ «إِنَّ اللَّهَ
يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»^(١).

وفي رواية له عن حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ «أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَحْدُثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ
بِالشَّفَاعَةِ؟ قَالَ نَعَمْ»^(٢)، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وفي رواية له أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثُّعَالِيقُ»
قَالَ الضَّغَابِيْسُ وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمَهُ^(٣).

وقال : حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّاهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ . فَيُدْخِلُونُ الْجَنَّةَ ،
فَيَسْمِيَهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ»^(٤).

وقال رحمه الله تعالى حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَمْرٍو
عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَسْعَدِ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّ
لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ ، لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى
الْحَدِيثِ ، أَسْعَدِ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ
قَلْبِهِ»^(٥).

وهذه الشفاعة الثالثة قد فسر بها المقام المحمود أيضاً كما في حديث أنس

(١) رواه مسلم (١/١٧٨/١٠٩١) ح ٣١٧ في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٢) رواه مسلم (١/١٧٨/١٠٩١) ح ١٩١ في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

والبخاري (٤١٦/١١) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .

(٣) البخاري (٤١٦/١١) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .

(٤) رواه البخاري (٤١٦/١١) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، وفي التوحيد ، باب ما جاء في قول

الله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) .

(٥) رواه البخاري (٤١٨/١١) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، وفي العلم .

وحديث جابر رضي الله عنهما فيكون المقام المحمود عامًّا لجميع الشفاعات التي أوتيتها نبينا محمد ﷺ، لكن جمهور المفسرين فسروه بالشفاعتين الأوليين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيره من عباد الله المكرمين، وأمَّا هذه الشفاعة الثالثة فهي وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثيرٌ من عباد الله المخلصين ولكن هو ﷺ المقدم فيها، ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، ثم بعده يشفع من أذن الله تعالى له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين، ويشفع الأفرأط كل منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هوله أهل، ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقواماً بدون شفاعة الشافعين، ولذا قلنا في ذلك:

وبعدهُ يشفعُ كلُّ مرسل	وكلُّ عبد ذي صلاحٍ وولي
ويُخرجُ الله من النيرانِ	جميعَ من ماتَ على الإيمانِ
في نهر الحياة يُطرحونا	فحما فيحيون وينبتونا
كأنما ينبت في هيأته	عَبُّ حميل السَّيْلِ في حافاته

تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في طريق الرؤية قول النبي ﷺ «حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجلٌ مقبلٌ بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة»^(١). الحديث تقدم بطوله.

وتقدم حديث أبي سعيد المتفق عليه أيضاً بطوله - وفيه في نعت المرور على

(١) تقدم ذكره.

الصراط: «حتى يمر آخرهم يُسحب سحباً، فما أنتم بأشدَّ لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلُّون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غار في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيُخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا - قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقروا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (النساء/ ٤٠) فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قَدَّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه»^(١). وفي لفظ مسلم «حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلُّون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا بهم. يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً. ثم يقول:

(١) تقدم ذكره.

ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيُخرجون كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً»، وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: **إِنْ لَمْ تَصَدَّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء/ ٤٠)** فيقول الله عز وجل: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض. فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قَدَّموه. ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضي فلا أسخط عليكم بعده أبداً^(١).

وفيها من حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَيَدْخُلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ. ثُمَّ يَقُولُ: انظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حَمَماً قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَا فَيَنْبِتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبِتُ الْحَبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً - وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: كَمَا تَنْبِتُ الْغَنَاءُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ»^(٢).

وله عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ

(١) تقدم تحريجه سابقاً.

(٢) رواه البخاري (٧٢) في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١/ ١٧٢ ح/ ١٨٤) في الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

بخطاياهم - فأما تهم إمامة حتى إذا كانوا فحماً أُذِنَ بالشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر فَبُثُوا على أنهار الجنة، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبئون نبات الحبة تكون في حميل السيل. فقال رجلٌ من القوم: كأنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان بالبادية»^(١).

وللترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ. مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حِثْيَاتٍ مِنْ حِثْيَاتِ رَبِّي» هذا حديث حسن غريب^(٢).

وله عن عبد الله بن شقيق قال: كنت مع رهطٍ بإيلياء فقال رجلٌ منهم: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «يدخل الجنة شفاعَةَ رجلٍ من أُمَّتِي أكثر من بني تميم. قيل: يا رسول سواك؟ قال: سواي» فلما قام قلت: من هذا؟ قالوا هذا ابن أبي الجذعاء. هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن أبي الجذعاء هو عبدالله، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد ورواه ابن ماجه^(٣).

وللترمذي أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفُتَّامِ مِنَ النَّاسِ، مِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ. حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. هذا حديث حسن^(٤).

(١) راه مسلم (١٧٢/١ - ١٧٣/١ ح) في الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

(٢) رواه الترمذي (٦٢٦/٤ ح/٢٤٣٧) في صفة القيامة، باب رقم «١٢». وقال هذا حديث حسن. وأحمد (٢٥٠/٥) وابن ماجه (١٤٣٣/٢ ح/٤٢٨٦) في الزهد، باب صفة أمة محمد. وإسناده حسن من رواية اسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد الألهاني وهو حمصي. وإسماعيل في روايته عن أهل بلدة صدوق وهو كذلك هنا.

(٣) رواه الترمذي (٦٢٦/٤ ح/٢٤٣٨) في صفة القيامة، باب رقم «١٢» وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه (١٤٤٣/٢ - ١٤٤٤/٢ ح/٤٣١٦) في الزهد، باب ذكر الشفاعة والدارمي (٣٢٨/٢) وأحمد (٦٣/٣) و٤٦٩ و٤٧٠ و(٥/٢٥٧ و٣٦١ و٢٦٧ و٣١٣ و٣٦٦). وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الترمذي (٦٢٧/٤ ح/٢٤٤٠) في صفة القيامة، باب رقم «١٢» وقال هذا حديث حسن. وأحمد (٢٠/٣ و٦٣) وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف.

وروى أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: يخرج قوم من النار بشفاعة محمدٍ فيدخلون الجنة ويُسمَّونَ الجَنَميين» ورواه ابن ماجه^(١). وله عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «خَيْرْتُ بين الشَّفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، ترونها للمتقين، لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوئين»^(٢).

وله عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أتدرون ما خيرني ربِّي الليلة؟ قلنا: الله ورسوله ﷺ أعلم، قال: فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة. قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها. قال: هي لكل مسلم»^(٣). ورواه الترمذي بلفظ «فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يُشرك بالله شيئاً»^(٤). والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً مشهورة مستفيضة بل متواترة، وقد ذكرنا منها ما فيه كفاية، وتقدم في أحاديث الرؤية جملة منها عن جماعة من الصحابة، وبقي من النصوص في هذا الباب كثير، وبالله التوفيق.

-
- (١) رواه البخاري (٤١٨/١١) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وأبو داود (٢٣٦/٤ ح/٤٧٤٠) في السنة، باب في الشفاعة، والترمذي (٧١٥/٤ ح/٢٦٠٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (١٤٤٣/٢ ح/٤٣١٥) في الزهد، باب ذكر الشفاعة.
- (٢) رواه ابن ماجه (١٤٤١/٢ ح/٤٣١١) في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وإسناده صحيح.
- (٣) رواه ابن ماجه (١٤٤٤/٢ ح/٤٣١٧) في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وإسناده صحيح.
- (٤) الترمذي (٦٢٧/٤ - ٦٢٨ ح/٢٤٤١) في صفة القيامة، باب رقم «١٢» وابن حبان في صحيحه (١٦٨/٩ ح/٧١٦٣ - إحسان) والحاكم في المستدرک (٦٧/١). والحديث صحيح وإن اختلف على إسناده.

فهرس المجلد الثاني من كتاب معارك القبول

النوع الثاني من نوعي التوحيد: توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله هذا التوحيد هو الذي أرسل الله به رسله	
وأنزل من أجله كتابه	٣٩٣
وهو الذي أمر الله رسوله بقتال من تولى عنه وأبى	٤٠٨
وهو الذي حوته لفظه الشهادة	٤١٠
النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها	٤١٥
معناها الذي دلت عليه أنه ليس بالحق إله يعبد إلا الله	٤١٦
سبعة شروط يتوقف عليها الانتفاع بالشهادة	٤١٨
أولها العلم بمعناها نفيًا وإثباتاً	٤١٨
الثاني اليقين المنافي للشك	٤١٩
الثالث قبول مقتضاها بالقلب والإقرار به باللسان	٤٢٠
الرابع الانقياد لما دلت عليه	٤٢١
الخامس الصدق فيها المنافي للكذب	٤٢٢
السادس الإخلاص وتصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك	٤٢٣
السابع محبة هذه الكلمة وما اقتضته ودلت عليه، ومحبة أهلها العاملين بها	٤٢٤
أحاديث أن الشهادتين سبب لدخول الجنة لا تنافي أحاديث الوعيد	٤٢٧

تعريف العبادة وذكر أنواعها، وأن صرف شيء

- ٤٣٤ منها لغير الله شرك
- ٤٣٧ العبادة اسم جامع لكل ما يرضي الله
- ٤٤٢ الدعاء هو العبادة
- ٤٤٣ من أنواع العبادة الخوف من الله
- ٤٤٥ ومن أنواعها التوكل على الله
- ٤٤٨ ومن أنواعها رجاء الله ولقاؤه
- ٤٤٨ ومن أنواعها الرغبة إلى الله والرغبة منه والخشوع له
- ٤٤٩ ومن أنواعها خشية الله
- ٤٥١ ومن أنواعها الإنابة إلى الله والخضوع له
- ٤٥٢ ومن أنواعها الاستعانة بالله وحده
- ٤٥٣ ومن أنواعها الاستغاثه به، والذبح له
- ٤٥٤ ومن أنواعها النذر له دون غيره
- من شرط النذر أن يكون في طاعة، وما يطيقه العبد، وفيما يملك،
وأن لا يكون في مكان كان يعبد فيه غير الله . . . الخ
- ٤٥٥
- ٥٧٥ الاسلام والإيمان والإحسان
- ٥٧٥ حديث جبريل في تعليمنا الدين: برواية عمر
- ٥٧٩ الحديث به عن ابن عمر
- ٥٨٢ الحديث به عن أبي هريرة
- ٥٨٤ الحديث به عنه وعن أبي ذر
- ٥٨٦ الحديث به عن ابن عباس
- ٥٨٧ الحديث به عن أبي عامر
- ٥٨٧ الإيمان قول وعمل
- ٥٩٥ مرتبة الإسلام
- ٥٩٧ مرتبة الإيمان
- ٦١١ مرتبة الإحسان

٦١٣	أركان الإسلام الخمسة :
٦١٩	الأول الشهادتان
٦٢١	الثاني إقامة الصلاة
٦٢٩	الثالث الزكاة
٦٣٨	الرابع الصيام
٦٣٩	الخامس الحج
٦٤٢	أمور تدخل في مسمى الإيمان والإسلام
٦٤٧	حديث «الإسلام بضع وسبعون شعبة»
٦٥٥	شرح هذا الحديث
٦٥٥	الأركان الستة للإيمان : الأول الإيمان بالله
٦٥٦	الثاني الإيمان بالملائكة
٦٥٨	منهم الموكل بالوحي
٦٥٩	ومنهم الموكل بالغيث وتصاريفه
٦٦٠ - ٦٥٩	ومنهم الموكل بالصور، والموكل بقبض الأرواح
٦٦١	والموكل بحفظ العبد في كل حالاته
٦٦٢	والموكل بحفظ الأعمال من خير وشر
٦٦٦ - ٦٦٥	والموكلون بفتنة القبر، والمبشرون للمؤمنين، وخزنة جهنم
٦٦٦	والموكلون بالنطفة في الرحم
٦٦٧	ومنهم حملة العشر والكروبيون
٦٦٩	ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر
	ومنهم الموكل بالجبال، وزوار البيت المعمور،
٦٦٩	وملائكة صفوف وقيام وركع وسجد
٦٧١	الركن الثالث الإيمان بكتب الله المنزلة
٦٧٣	الإيمان بكل ما فيها من الشرائع
٦٧٥	الركن الرابع الإيمان برسول الله
٦٧٨	وأول رسل الله نوح وخاتمهم محمد ﷺ

٦٧٩	 وخمسة منهم من أولى العزم
٦٨١	 الركن الخامس الإيمان بالمعاد وقيام الساعة
٦٨٨	 الإيمان بأمارات الساعة
٧٠٣	 ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت
٧٠٤	 لكل مخلوق أجل محدود وأمد ينتهي إليه لا نعلمه
٧٠٧	 أن يكون الموت في بال كل امرئ فيعمل صالحاً
٧٠٨	 التأهب للمصير قبل نزوله
٧١٢	 الإيمان بما بعد الموت ومنه سؤال القبر
	الكلام على آية ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾
٧١٣	 وآية ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾
٧٢١	 نصوص السنة في إثبات عذاب القبر
٧٤٨	 نصوص الكتاب والسنة في لقاء الله
٧٥١	 ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور
	رواية لقيط بن عامر عند وفوده على النبي ﷺ
٧٦٥	 الحديث الطويل عن عمل الغيب
٧٦٨	 تعليق ابن القيم على هذا الحديث
٧٦٩	 تفسير ابن القيم لغريب مفردات هذا الحديث
	فصل - منكر و البعث أربعة أصناف : الطبايعية ، والدورية ، ومشركو العرب ، وملاحدة الجهمية ، وشرح أبيات عنهم
٧٧٦	 في نونية ابن القيم
٧٩٩	 ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالنفخ في الصور
	حديث الصور يرويه اسماعيل بن رافع قاضي المدينة
٨٠٠	 بسنده عن أبي هريرة
٨٠٧	 تعليق ابن كثير على حديث اسماعيل بن رافع
٨١٤	 الاجتماع ليوم الفصل ، وهو يوم التغابن
٨٢٢	 حشر الخلائق للعرض ، ومعنى العرض

٨٢٦	براءة الناس يومئذ بعضهم من بعض
٨٤٠	صحائف الأعمال تؤخذ باليمين وبالشمال
٨٤٤	فصل - فيما جاء في الميزان
٨٥٠	فصل - فيما جاء في الصراط
٨٥٧	فصل - فيما ورد في الجنة والنار وأنهما حق
٨٦٠	اعتقاد وجودهما الآن
٨٦٣	دوامهما وبقاؤهما بابقاء الله لهما
٨٦٥	حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كهيئة كبش أملح فيذبح
٨٦٦	اخراج عصاة الموحدين من النار بعد أن تمسهم بقدر ذنوبهم
٨٦٧	ما قالته اليهود في النار
٨٦٩	أبيات من نونية ابن القيم عن عقيدة جهنم في النار
٨٧١	فصل - فيما جاء في الحوض والكوثر
٨٨٤	فصل - في الأحاديث عن لواء الحمد
٨٨٦	فصل - في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود
٨٩٤	فصل - في اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة